الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 20 JANUARY 1979

العدد (٢٠) ـ صفر ١٣٩٩ هـ/يناير ١٩٧٩ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

العدد (٢٠) صفر ١٣٩٩ هـ يناير ١٩٧٩ م

في هذا العدد



★★ فرسان .. وجزرها الجميلة التي تشكل أرخبيلاً ساحراً ، وما يحيط بها من شواطىء للراحة ، والاستمتاع بجمال الطبيعة ، إنها جزء من ثروة المملكة العربية السعودية . (ص ٣٥)



★★ غزو الطبيعة .. والوسائل التكنولوجية من المواضيع التي تلقى عناية كبيرة في هذا العصر لارتباطه بحياة الإنسان ، وتأثيره على هذه الحياة نفسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً وسلوكياً .. وكتاب «غزو الطبيعة» تأليف فوربس واحد من الكتب التي ناقشت هذا الموضوع . (ص ٨٣)



★★ المغـاور .. ماهيتها .. كيف تتكون .. ما هي أشهر المغاور في العالم .. وأثرها في الحياة اقتصادياً ، واجتماعياً ، وسياحياً . (ص ٩١)

من كتاب هذا العدد

قاسم ابن علي الوزير

★ من مواليد مدينة تعز - اليمن عام ١٣٥٥ هـ .

★ نشأ وتعلم في تعز والمحويت .

★ شغل منصب المستشار السياسي لرئاسة الجمهورية في بلاده .

★ له مجموعة من البحوث والمقالات الادبية والسياسية ، والقصائد الشعرية .



د. محمد التونجي

★ من مواليد حلب - سورية عام ١٩٣٣ م .

★ دكتوراه في الأدب المقارن ، ودكتوراه في الأدب العباسي .

★ يجيد الإنجليزية ، والفارسية والعبرية .

★ عمل في التدريس في جامعات سورية ، وبنغازي ، والجامعة الإسلامية بالدار البيضاء في المغرب .

★ عمل محاضراً في جامعة طهران - دهلي .

★ يعمل حالياً أستاذاً للأدب الجاهلي ، والفارسية ، ورئيس تحرير الموسوعة الجامعية .

★ له عدد من الكتب المطبوعة تحقيقاً ، وتأليفاً .

د. حمد محمد العريناني



★ ولد بمكة المكرمة عام ١٣٦٤ هـ .

★ حصل على شهادة الليسانس من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة عام ١٣٨٦ هـ .

★ حصل على الدكتوراه من بريطانيا عام ١٣٩٢ هـ .

★ عمل وكيلاً لكلية الآداب بجامعة الملك عبد العزيز .

★ يقوم حالياً بتدريس التاريخ الإسلامي والحضارة في كلية الآداب .

وليد اخلاصي



★ من مواليد حلب ١٩٣٦ م - سورية .

★ مهندس زراعي .

★ يكتب القصة القصيرة والطويلة والمسرحية والنقد الأدبي .

★ من أبرز أعماله القصصية : (قصص - دماء في الصبح الاغبر - شتاء البحر اليابس - زمن الهجرات القصيرة - الطين - موت الحلزون .)

★ ومن أبرز أعماله المسرحية : (الايام التي ننساها - الصراط .)

ابراهيم زكي خورشيد

★ من الرعيل الأول لكلية الآداب جامعة القاهرة .

★ شغل مناصب مدير إدارة الترجمة بوزارة المعارف ، فمراقب الشؤون الخارجية بمصلحة الاستعلامات ، فمدير عام الثقافة بوزارة الثقافة ، فرئيس مجلس إدارة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

★ أسهم في إصدار كتب كثيرة في الثقافة العامة وفي إحياء التراث العربي وفي المسرح والموسيقى والنقد والمجلات .

★ درّس في معهد التربية العالي وكلية الآداب بجامعة القاهرة وكلية الآداب بجامعة عين شمس ، كما درّس في الأكاديمية في معهد الدراسات المسرحية ومعهد التذوق الفني .

★ عضو في لجنة ترجمة ومراجعة مسرحيات شكسبير تحت إشراف الدكتور طه حسين .

★ رئيس تحرير النسخة العربية من دائرة المعارف الإسلامية وله كتب وترجمات .

★ عمله الحالي ، المستشار الثقافي لدار المعارف .

مجدي نجيب



★ من مواليد القاهرة

★ شاعر . . ورسام .

★ عمل سكرتيراً لتحرير مجلة الإذاعة والتلفزيون القاهرية ومشرفاً فنياً لمجلة المصور .

★ كتب العديد من الدراسات حول الموسيقى . . والأدب الشعبي . . والفن التشكيلي .

★ قام بتصميم العديد من أغلفة الكتب . . وكتب الأطفال .

★ ممن أدخلوا فن « الكولاج » في الصحافة المصرية .

★ كتب العديد من الأشعار لمسرح الأطفال . . والإذاعة والتلفزيون . . والعديد من « السيناريوهات » لمجلات الأطفال في المنطقة العربية .

★ عضو الجمعية الفنية بباريس للفنانين ، المؤلفين والموسيقيين .

★ له عدد من الدواوين الشعرية المطبوعة . . ومؤلفات للأطفال .

★ يعمل حالياً : المخرج الفني لمجلة « الفيصل » .

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق * *

- مجلس علمي للبحث والدراسات العلمية .
- معرض للمدينة المنحوتة في الصخر .
- ندوة اتحاد مجامع اللغة العربية .
- المؤتمر العربي للطب النفسي .
- مهرجان قومي عربي في عام ١٩٧٩م .
- بعثات لغزو الصحراء والدلتا والتنقيب عن الآثار .

- أجمل ملصق بمناسبة عام الطفل .
- تطور الكتابة الخطية للقرآن الكريم .
- (٣١٠) آلاف جنيه قيمة صفحة من كتاب
- مؤتمر لتحديد بدايات الشهور العربية .
- إعادة الكنوز والتحف الفنية إلى مواطنها الأصلية .

السعودية

مؤتمر القرن الخامس عشر الهجري

القرن الخامس عشر الهجري .. بدأ الاستعداد لعقد مؤتمر في **« مكة المكرمة »** بهذه المناسبة ، حيث يشترك فيه من مختلف العالم الإسلامي ، رؤساء اللجان الوطنية .. **وذلك لابراز دور أبعاد الحضارة الإسلامية ..** وقد تم تشكيل لجنة من الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، للإعداد لهذا المؤتمر .. **وأكد الأمين العام أن المنظمة مهتمة بتوضيح مدى خطورة الاعتداءات الاسرائيلية على المقدسات الإسلامية للرأي العام العالمي .**

« التوجيه التربوي » .. في مؤتمر

افتتح مؤتمر « التوجيه التربوي » التي نظمته وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية ، في فندق « المسرة كونتننتال » بالطائف ، حيث نوقشت فيه الموضوعات الخاصة بالتوجيه التربوي بمفهومه الحديث ، وكيفية التوسع في تطبيقه ، مع إمكانيات تطوير الحركة التعليمية ، بما يتناسب مع النهضة التعليمية .. وقد اشترك في المؤتمر مدراء التعليم بمناطق المملكة وعدد من المهتمين والمشتغلين بالتربية والتعليم .

الكتاب الإسلامي .. بنصف الثمن !

من المهم ، انتشار الكتاب الهادف الذي يقوم بعملية بناء الشباب في الوطن العربي والإسلامي ، وعلى الأخص ، الكتاب الإسلامي ، ولذلك ، فإن **رابطة العالم الإسلامي تقوم بجهود طيبة في نشر الدعوة الإسلامية على كافة المستويات ، من خلال انتشار الكتاب الإسلامي ، وإمكانية وصوله إلى كل الأيدي ، وسوف تقوم الرابطة بتحمل نصف تكاليف أي كتاب إسلامي يتعلق بالفكر والشؤون الإسلامية ، على أن يدفع المشتري ثمن نصف الكتاب فقط.**

أول رسالة ماجستير في التاريخ

« الحالة السياسية في الحجاز خلال العصر العباسي » ، تحت هذا العنوان ، نوقشت الرسالة التي حصل فيها على درجة الماجستير في التاريخ ، **سعد بن عبد الرحمن العبيسي ،** المعيد بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

هذه هي المرة الثانية التي تمنح فيها رسالة الماجستير من كلية العلوم الاجتماعية بالجامعة .

زيارة كاتب إسباني

فرناندوا ايداردي ، الكاتب الإسباني المعروف ، قام بزيارة إلى المملكة ، بدعوة من وزارة الإعلام ، حيث أعد له برنامجاً حافلاً للتعرف على النواحي العمرانية والتعليمية والزراعية .

الزيارة ، رغبة منه لعزمه على إصدار كتاب خاص عن المملكة .

الآثار .. والمتاحف

من قسم « التاريخ » بكلية آداب جامعة الرياض ، انبثق قسم خاص بالآثار والمتاحف ، وقد أوضح **الدكتور عبد الرحمن الطيب الأنصاري** ، أن القسم الجديد يشتمل على **فرعين ،** واحد **للآثار القديمة ..** والثاني **للآثار الإسلامية ..**

ومن خلال المراسلات التي تمت مع جامعات الدول العربية والأوروبية ، توصلت كلية الآداب بوضع المنهج الدراسي ليكون على أحدث الأسس العلمية .

مجلس علمي للبحث والدراسات العلمية

عقد المجلس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز ، اجتماعاً .. وقد كان من أبرز المسائل التي نوقشت فيه ، هي تلك المشاريع العلمية المقدمة من مجلس الجامعة .

من أبرز هذه المشاريع ، **افتتاح عدد من أقسام الدراسات العليا بكليات الجامعة ..** وتشكيل مجلس علمي ، مهمته تولي شؤون البحث والدراسات العلمية للجامعة .

افتح يا سمسم .. مجلة أطفال

« افتح يا سمسم » مجلة أطفال تصدرها مؤسسة الإنتاج المشترك لدول الخليج بحيث تصدر مع عرض البرنامج التليفزيوني الذي يحمل نفس الاسم ويعرض في دول الخليج على مدى ١٣٠ حلقة .

المكتبة .. تصدر في أبها

صدر العدد الأول من مجلة **« المكتبة »** عن المكتبة العامة بأبها عاصمة عسير .. وهي مجلة ربع سنوية برأس تحريرها **إبراهيم سعيد القطحاني .**

« الفرنسية » .. في دورات تعليمية

استقدم إلى المملكة أساتذة متخصصين لتعليم اللغة الفرنسية في دورات .. وسوف يفتح باب القبول لجميع الراغبين بغض النظر عن مؤهلهم الدراسي ، صرح بذلك **الدكتور عمر الطيب الساسي** وكيل كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، والمشرف العام على الدورات بجامعة الملك عبد العزيز .

للعلم .. هذه هي المرة الأولى التي تقام فيها دورات لتعليم اللغة الفرنسية .

دور الشباب المسلم

أقيمت بالرياض ، ندوة عالمية لمدة عشرة أيام .. وكان موضوع الندوة هو **« دور الشباب المسلم »** حيث ناقش المؤتمرون موضوع الإسلام والحضارة .. وواجبات ودور الشباب في هذه المرحلة الراهنة .

الندوة كانت عالمية ، فقد حضرها عدد كبير يمثلون المنظمات الشبابية الإسلامية في العالم الإسلامي .

معرض تشكيلي

أقيمت بمركز الخدمة الاجتماعية بـ **« السيح »** ، المعرض التشكيلي الأول للفنون التشكيلية ... **وهو خاص بفناني المدينة المنورة .**

معادن مشعة

أكدت نتيجة عمليات المسح الجوي الإشعاعي الشامل الذي قامت بها المديرية العامة للثروة المعدنية لمنطقة الدرع العربي ، وعلى جزء من الغطاء الصخري الذي يبدأ من شمالي المملكة ، بأنه قد ظهرت دلائل تشير إلى وجود معادن مشعة ، **وقد تقرر وضع برنامج عام للدراسة والتأكد من هذه الدلائل .**

إحصائية

توزيع المشروعات التي تم اعتمادها للعالم العربي حتى تاريخ ٣١ كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٥م

القطاع	عدد المشروعات	التكاليف التي تتحملها الحكومة (مليون دولار)	التكاليف التي يتحملها برنامج الأمم المتحدة الانمائي (مليون دولار)	النسبة المئوية للأموال التي يخصصها برنامج الأمم المتحدة الانمائي في كل قطاع للمشروعات الوطنية في البلاد العربية
الزراعة ، والغابات ومصايد الأسماك	٢٢٨	٢١٥,٧	١٠٥,٢	٣٢,٠٥ ٪
الصناعة	٢٢٦	٨٢,٤	٥٠,٧	١٥,٤٣ ٪
النقل والمواصلات	٨٧	٤٢,٦	٣٤,٧	١٠,٥٦ ٪
التخطيط والسياسات الاقتصادية والاجتماعية العامة	١٢١	٣١,٥	٣٢,٦	٩,٩٣ ٪
التعمير	٦٦	٧٢,٣	٢٥,٠	٧,٦١ ٪
الصحة	٦٢	٣٧,٧	٢٢,٦	٦,٨٩ ٪
العلوم والتكنولوجيا	٥٠	٤٥,٢	٢٢,٥	٦,٨٦ ٪
العمل ، والادارة والعمالة	٤٣	١٠,٩	١١,٠	٣,٣٦ ٪
الموارد الطبيعية	٣٠	١٣,٩	١٢,٢	٣,٧١ ٪
قطاعات أخرى	٦٨	١٥,٢	١١,٦	٣,٦٠ ٪
المجموع	١٠٠١	٥٦٧,٤	٣٢٨,١	١٠٠,٠٠ ٪

المصدر : نشرة برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للعالم العربي تاريخ أبريل (نيسان) ١٩٧٦م .

أفلام وثائقية عن آثار المملكة

تمت موافقة سمو الأمير خالد بن فهد ، وكيل وزارة المعارف للشؤون التعليمية والإدارية ونائب رئيس المجلس الأعلى للآثار ، على قيام شركة **«باركر»** الانجليزية المتخصصة في إنتاج الأفلام ، بأن تبدأ العمل في إنتاج **ستة أفلام سينمائية** ، وثائقية عن الآثار في المملكة .. وسوف يقوم بالتصوير ، بعثة من فنيين أربعة من قبل الشركة ، **وسيساعدهم في ذلك ، مندوبون عن إدارة الآثار والمتاحف بالمملكة .**

أقسام جديدة .. بالجامعات

قرر المجلس الأعلى **لجامعة الرياض** ، انشاء ستة أقسام جديدة بكلية الطب ، بجامعة الرياض ، للتشريح ووظائف الأعضاء والأمراض ، ويشمل **الأحياء الدقيقة والطفيليات والجراحة بأنواعها .** كما وافق المجلس ، على انشاء **قسم للاحصاء بكلية العلوم .**

كتب جديدة

● **«التحقيق الجنائي ومهام المحقق في جريمة القتل»** من الكتب القيمة التي صدرت حديثاً ، تأليف المقدم عبد الوهاب محمد بدر الدين ، والمجلة سوف تحرص على تقديمه للقارىء على صفحاتها في أعدادها القادمة .

● **«العمم والقبعان»** المجلد الخامس عشر ، من تأليف الشاعر **محمد حسن فقي .**

● **«رسائل إلى القصائد المطوية»** ديوان شعري جديد للشاعر **طاهر زمخشري .**

● **«ازرع الغابات المشمسة»** المجموعة القصصية الفائزة في مسابقة القصة القصيرة التي نظمها نادي الرياض الأدبي ، سوف تصدر قريباً .

● **«المعمل رقم ٦»** رواية علمية ، تأليف **الدكتور فاضل مشالي** ، الأستاذ بقسم الكيمياء بكلية التربية ، بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وتعتبر إضافة جديدة إلى الروايات العلمية التي تنبأ فيها كاتبها بالعديد من الاكتشافات العلمية ، والتي تحقق أغلبها في هذا العصر .

● **«المختصر في نشر النور والزهر .. في تاريخ علماء مكة منذ القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الهجري»** تأليف المرحوم الشيخ عبد الله أبو الخير مرداد ، أحد علماء مكة المكرمة ، وقد قام بتصحيح الكتاب واختصاره ومراجعته ، **محمد سعيد العامودي .. واحمد علي** . وهما من الكتّاب الباحثين في المملكة ، الكتاب صدر عن نادي الطائف الأدبي ، بدراسة الباحث **عبد القدوس الأنصاري .**

● **«همسات في أذن الليل»** ديوان للشاعر **محمد العيد الخطراوي .**

● **«مقالات في الأدب»** مجموعة من المقالات والأبحاث الأدبية ، اشترك في تأليفها عدد من الأدباء ، والأديبات السعوديات .

● **«مكة في عصر ما قبل الإسلام»** دراسة **للسيد أحمد أبو الفضل** ، الناشر دارة الملك عبد العزيز ، بالرياض .

سورية :

مهرجان ابن عساكر

يتم الآن بحث الترتيبات اللازمة وكيفية تقديم بحوث ودراسات عن المؤرخ العربي **«ابن عساكر»** ، لتقديمها وإلقائها في المهرجان الذي دعا إليه المجلس الأعلى في سورية .. والذي يقام بالقاهرة **في شهر ابريل (نيسان) ١٩٧٩ م ..** كما **تقرر طبع أهم ما كتب عن المؤرخ العربي ومؤلفاته ، حديثاً وقديماً .**

موسم مسرحي حافل

بدأت مديرية المسارح في وزارة الثقافة ، بإعداد خطة للموسم المسرحي ، حيث تقدم فيه المسرحيات التالية : مسرحية **«الأقنعة»** ، تأليف **علي عقلة عرسان** ، **«راشومون»** ، تأليف **آكوتا جاوا** و **«دون كيشوت»** ، اقتباس **ممدوح عدوان** ، و **«الملك هو أنا»** ، تأليف **عبد الله ونوس** ، وهي مسرحية معادة من الموسم الماضي و **«عرس الدم»** ، تأليف الإسباني **لوركا .**

وسوف يقوم المسرح القومي بجولة على عدد من المحافظات السورية لعرض هذه المسرحيات .

المعرض السنوي التشكيلي

مائة لوحة تشكيلية من إنتاج أربعة وسبعين فناناً وفنانة ، أقيم لهم معرضاً بنقابة الفنون الجميلة ، حيث تقيمه النقابة في خريف كل عام .. وقد قامت بافتتاح المعرض الدكتورة **«نجاح العطار»** وزيرة الثقافة السورية .

كلمة

عام الطفل الدولي
(١٩٧٩ م)

وأخيراً أصبح للطفل عاماً دولياً ! !

قرار اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وجعلت عام ١٩٧٩ م ، عاماً للطفل يمكن من خلاله أن توجه إليه الأنظار ، وتحفل به المؤسسات الخاصة بالطفل كالمنزل .. وغيره من المؤسسات الأخرى التي ترعى الطفولة ، وتهتم بشؤونها ، وتحرص على قضاياها .

هنا يبرز سؤال ملح .. وقضية الطفل قد أصبحت واحدة من القضايا العالمية التي تخصص لها المناسبات :

● ماذا أعدت الدول العربية للطفل والطفولة في بلدانها ؟

من خلال هذا السؤال تنبثق مجموعة من الأسئلة الأخرى :

● أين مؤسسات الطفل في العالم العربي .. وما هي الخدمات التي قدمتها للطفل ؟
● كم عدد المؤسسات التي تعنى بالطفل في كل بلد عربي ؟
● كيف يعيش الطفل العربي .. في المنزل .. والمدرسة .. والمجتمع ؟
● ما نوعية الرعاية الصحية والنفسية التي يحظى بها الطفل العربي لمواجهة مستقبله ، ومستقبل بلاده ، وأمته ؟
● كم عدد الأطفال الذين ترعاهن الخادمات في أوطان العالم العربي .. وفي المقابل كم عدد الأطفال الذين يقضون أوقات لهوهم ، ولعبهم في الشوارع والطرقات ؟
● ما هي البرامج التعليمية .. والإذاعية .. والتليفزيونية التي تقدم للطفل العربي ؟
● أي نوع من المجلات .. والكتب المطروحة أمام هذا الطفل ؟
● هل تقوم البرامج التعليمية .. والإذاعية .. والتليفزيونية .. وكذلك الكتب .. والمجلات الموجهة للطفل العربي على فلسفة خاصة تنبع من تراث وقيم وعقيدة هذا الطفل ؟
● ما هو الدور الذي تقوم به المجلات الأجنبية المترجمة إلى العربية في تكوين نفسية الطفل العربي ، وتنمية تفكيره .. سلباً وإيجاباً ؟
● ماذا قدمت المكتبة العربية المعاصرة للطفولة العربية ؟

نتوقف عند هذا الحد من الأسئلة على كثرتها .. لأن قضية الطفل في العالم العربي واحدة من القضايا المطروحة على جدول أعمال لم ينظر فيه بعد .

والقضية على خطورتها تظل موضع خلاف واختلاف مثلها مثل غيرها من القضايا .. فكل بلد عربي له منهاجه ، وفلسفته ، ورأيه الخاص في هذه القضية .. ويتفاقم الأمر ليصل إلى المنزل .. والمدرسة .. والمجتمع .. وقد يتطور فيدرك اختلاف الأبوين على كيفية تربية أطفالهم .. وهذه هي مأساة الطفل العربي ! ! !

حقيقة نود أن نقولها إن مستقبل الأمة العربية مرتبط أشد الارتباط بتربية الأطفال ، فبقدر ما نرعى الأطفال بقدر مانرسم الخطوط العريضة للمستقبل الذي ننشده .

فالمستقبل ليس في التصنيع الآلي فحسب ، بل في صناعة الأطفال .. وصياغة تفكيرهم .. وصيانة أرواحهم ، وأنفسهم .

صناعة المستقبل تبدأ بصناعة الطفل ! !

والطفولة المشوهة تخلق المستقبل المشوه ! ! !

لقد قررنا في هذه المجلة أن نجعل من عام الطفل الدولي مناسبة لطرح قضية الطفل العربي .. ومناقشة جوانبها العديدة والمتعددة لنضع المؤسسات الخاصة بالطفل أمام مسؤوليتها الجسيمة .. وهي مسؤولية تقع في الدرجة الأولى على عاتق الدول العربية الحريصة على بناء مستقبل شعوبها ، وأمتها .

إن ما نقدمه من دراسات ، وما نطرحه من مشاكل في هذه المجلة بهذه المناسبة هو واجب نبيل من واجباتنا تجاه أمتنا وبلادنا العربية والإسلامية تطلعاً إلى مستقبل يسكنه جيل من الرادة .. والقادة .. والعلماء .. والأدباء .. والمفكرين .. والساسة .. والمخترعين يعيد لهذه الأمة دورها القيادي في مجالات العلوم والمعارف الإنسانية .. والله الموفق .

المجلة

دكتوراه في «الجغرافيا»

«رجاء دويدري» المدرسة بقسم الجغرافيا بجامعة دمشق، حصلت على لقب الدكتوراه بدرجة الشرف من جامعة القاهرة، وقد كان موضوع بحثها العلمي **«دراسة للحفرة الانهدامية في سورية»**.

كتب جديدة

● **«مقابلات بهلول»** مجموعة شعرية للشاعرين **أنور سلوم، ومجيب السوسي**.

● **«عملية كمال عدوان»**، تأليف **العماد مصطفى طلاس**.. وتقديم الشاعر **نزار قباني**.

● **«النسوية في الكتاب المدرسي السوري»**، تأليف **نبيل سليمان**، الناشر وزارة الثقافة والارشاد القومي.

● **«الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل»** تأليف **بديع الزمان أبو العز الوزازة الجزري**، الذي عاش في القرن السادس للهجرة.

الكتاب صدر عن معهد التراث العلمي العربي في حلب، قام بتحقيقه **الدكتور أحمد يوسف الحسني** رئيس جامعة حلب.

● **«أحزان شجرة الليمون»** مجموعة قصصية، تأليف **سميرة يزبك**، صدرت عن دار «المسيرة».

● **«الابحار في سفن الدهشة»** ديوان، للشاعر **صالح درويش**.

● **«أدب الحرب»** تأليف **الدكتورة نجاح العطار**، بالاشتراك مع الكاتب **حنا مينه** الناشر دار الثقافة والارشار القومي.

● عن وزارة الثقافة، تصدر هذه الكتب: مسرحية **«الزواج»**، لجوجول، ترجمة **حسين راجي، ومحمد خير الوادي**، **«الإنسان والحضارة والمجتمع»**، تأليف مجموعة من المؤلفين، ترجمة عبد الكريم محفوظ، **«الحلم والتاريخ»**، ترجمة **نخلة كلاس**، و**«الاعلاق الخطيرة في ذكرى أمراء الشام والجزيرة»**، الجزء الثاني، لابن شداد، من تحقيق **يحيى عبارة**.

● **«سينما»**، وهو اسم العدد الأول من المجلة التي تتناول أهم أحداث هذا الفن في العالم.. وسوف تصدر المؤسسة العامة للسينما في دمشق مجلة مماثلة، تهتم بقضايا السينما العربية والعالمية.

● **«تاريخ جرح»** مجموعة قصصية، تأليف **فؤاد الشايب**، الناشر اتحاد الكتاب العربي. المعروف أن فؤاد الشايب توفي عام ١٩٦٩م، حيث كان يعمل في ذلك الوقت مديراً للإعلام العربي.. ومندوباً للجامعة العربية.

● **«السيد»** مسرحية، من تأليف **عبد الفتاح الرواس القلعجي**.

● **«أسماء في القصة السورية»** دراسة من إعداد **محسن يوسف**.

● **«دراسة في الرواية»**، تأليف **فائق المحمد**.

● **«وسام من الياسمين»** مجموعة قصص قصيرة للأطفال، تأليف **محمد قرانيا**، إصدار اتحاد الكتاب في دمشق.

● **«اللهب الأزرق»** الديوان الأول، **للشاعر عدنان قيطاز**.

● **«صخب طيور مشاكسة»** الديوان الثاني، للشاعر **أسعد الجبوري**.. المجموعة الأولى كانت بعنوان **«ذبحت الوردة، هل ذبحت الحلم؟»**.

● **«تلك البلاد»** مجموعة قصائد، للشاعر **صلاح فائق**.

● **«حديقة الحيوان.. في لزوميات أبي العلاء»**، تأليف **الياس سعد غالي**.

● **«شاعرات.. وشعراء سوريون بالفرنسية»** تأليف الناقد السوري **سعد صائب**.. الكتاب عن الشعراء السوريين الذين كتبوا أشعارهم بالفرنسية، مع تقديم نماذج منها.

● **«صور من النضال الوطني في سورية»** تأليف النائب السابق **سعيد اسحق**، تقديم **عيسى فتوح**.

الأردن

«رباعيات الأفغاني» اختفت بموته!

توفي الشاعر محمود الأفغاني، الملقب بشاعر شباب فلسطين، وقد صدر عدد جريدة الدستور، صباح وفاة الشاعر خالياً من زاوية «رباعيات الأفغاني»، التي دأبت الجريدة على نشرها يومياً منذ سنة ١٩٧٠م. ولد **الشاعر الأفغاني في يافا سنة ١٩٢٥م، لوالد عَلَم في اللغة والدين. وقد حرص والد الشاعر الفقيد أن يتفقه ابنه بالعلوم الدينية واللغوية، ويتقن اللغة التركية والفارسية**. كما امتازت ثقافة الشاعر الفقيد بالدراسة على يد أساتذة الدين الإسلامي واللغة العربية.

مهرجان ثقافي للصغار

أقام **«مركز هيا الثقافي»** مهرجاناً حافلاً للصغار قدمت فيه مسرحية ناجحة للأطفال، وأنشودة عام الطفل، غناها جوق عمان للأطفال، كما تضمن المهرجان معرضاً لكتب الصغار ومعرضاً آخر لرسومهم. دام المهرجان أسبوعاً.. وهذا هو الموسم الثاني للأطفال خلال عام، كان الأول، في الربيع الماضي برعاية جمعية أصدقاء الطفل.

ندوة اتحاد مجامع اللغة العربية

تحت رعاية **جلالة الملك حسين**، افتتح اتحاد اللغة العربية **«ندوة عمان»**. وقد شارك فيها رؤساء المجامع اللغوية العربية، وعدد من أعضاء تلك المجامع. وكان موضوع الندوة،

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

أول يناير

١٩٥٦ استقلال السودان.

٤ يناير

١٨٩٤ مولد المؤرخ محمد شفيق غربال.

٧ يناير

١٩٠٥ مولد الأديب يحيى حقي.

٩ يناير

١٩٧٧ انعقاد مؤتمر وزراء خارجية دول المواجهة والدعم في مدينة الرياض.

١٠ يناير

٩٠٥ انتهاء حكم الدولة الطولونية في مصر.

١٣ يناير

١٩٦٤ انعقاد مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الأول بمقر جامعة الدول العربية في القاهرة.

١٥ يناير

١٩٧٥ يوم الطفل العربي.

١٨٧٢ مولد أحمد لطفي السيد.



★ زكي مبارك ★

٢٣ يناير

١٩٥٢ وفاة الدكتور زكي مبارك. (طالع شخصية الشهر)

٢٤ يناير

١٨٠٠ توقيع اتفاقية العريش الخاصة بجلاء الفرنسيين عن مصر.

٢٧ يناير

١٩٠٠ مولد الدكتور حسين فوزي.

«معالجة ضعف اللغة العربية بين الناطقين بها»، عرضت في الندوة عدة أوراق عمل، نوقشت جميعاً لتخرج الندوة بجملة توصيات أهمها :

- تعريب التعليم العلمي الجامعي .
- رفع مستوى تدريس اللغة العربية في المدارس والمعاهد .
- رفع المستوى اللغوي في وسائل الإعلام المختلفة، والاقتصار على الفصحى لغة للحوار في المسرحيات والمسلسلات .

معرض للمدينة المنحوتة في الصخر

جامعة بازل السويسرية تقيم معرضاً بمناسبة مرور ١٥٠ عاماً على زيارة العالم السويسري الأثري «بركهارت» . وهو أول أوروبي في العصور الحديثة يزور مدينة البتراء، الأثرية . وجدير بالذكر أن مدينة البتراء / سلع، كانت عاصمة الأنباط العرب الشماليين، فيما كانت مدائن صالح / هجرة، عاصمة الأنباط العرب الجنوبيين . وكلتا المدينتين منحوتة في الصخر .

وسوف يشارك الأردن في هذا المعرض .

كتب جديدة

- «**الخروج من جزيرة الضباب**» للشاعر علي الفزاع .
- «**الحب عبر المنشورات السرية**» للشاعر **خالد محادين** .
- «**أحلام السنابل**» للشاعر **علي الزعبي** .
- «**معك أستطيع اغتيال الزمن**» للشاعرة **رجاء أبو غزالة**، من الشعر المنثور .
- «**أدب الأطفال ومكتباتهم**» **هيفاء شرايحة** . أول كتاب من نوعه يصدر في الأردن، وهو من الكتب التربوية التي تصدر بمناسبة عام الطفل العالمي .
- «**كتابات في اللغة**» **لسميح أبو مغلي** . مجموعة مقالات في اللغة والنقد اللغوي .
- «**المجتمع الأردني**» دراسة اجتماعية تربوية، **للدكتور شبيب أبو جابر** . دراسة لواقع الريف في الأردن .
- «**التحدي النووي**» للواء الركن المتقاعد **يوسف كعوش** . يتحدث المؤلف عن الموضوع بالنسبة للشرق الأوسط .



بعثات لغزو الصحراء .. والدلتا والتنقيب عن الآثار

منطقة «**بقراقيس**» التي كانت أكبر تجمع لليونانيين خلال العصور القديمة، أصبحت أرضها تعج بالبعثات المنقبة عن الآثار .. تلك البعثات التي منحتها هيئة الآثار المصرية حق التنقيب، ويصل عدد هذه البعثات إلى **٣٥ بعثة**، تنتشر في الصحراء المصرية، منها **٢٥ بعثة**، ستتولى التنقيب عن الآثار اليونانية والرومانية، والعشر بعثات الباقية، سيكون مجالها التنقيب عن الآثار الإسلامية .

أما في الوجه البحري، حيث كانت **الدلتا**، هي المعبر الأساسي للحضارة الأسيوية في عصر ما قبل التاريخ .. والتي اتصلت واختلطت بالحضارة المصرية عن طريق شاطىء البحر الأبيض المتوسط، فسوف يتم ارسال **١٠ بعثات**، إلى هناك بعد تجميع المعلومات المختلفة . **البعثات تمثل أميريكا وفرنسا والنمسا وكندا .**

كلية .. للدعوة الإسلامية

كلية جديدة، بدأت الدراسات بها لأول مرة هذا العام .

الكلية اسمها «**كلية الدعوة الإسلامية**» .. تضم مائة طالب .. يشرف عليها الدكتور **موسى لاشين**، بجانب عمله كعميد لكلية أصول الدين .

العرض .. لأعضاء النقابة فقط !

معرض الفن التشكيلي الذي سيقام في فبراير (شباط) ١٩٧٩م، بقصر المانسترلي، بالروضة، سوف يطير بعد ذلك إلى العواصم الأوروبية .

هذا المعرض سيشترك فيه فقط، من هم أعضاء في نقابة التشكيليين، وهذا ما صرح به النقيب **عباس شهدي** .

المعرض يستمر شهراً كاملاً .. ويضم الأعمال الفنية في التصوير والنحت .. والخزف .

مؤتمر عربي للطب النفسي

«**المؤتمر العربي الأول للطب النفسي**»، افتتح، بحضور **٤٠٠ عالم**، من مختلف البلدان والجنسيات، حيث يناقش في اجتماعاته ٥٤ بحثاً، كلها تتناول «الطب النفسي» في مختلف المجالات .

من بين المتقدمين بأبحاثهم، الدكتور **أسامة الراضي مدير مستشفى الطائف للأمراض النفسية .**

أول اتحاد للبيولوجيين

الدكتور عبد العزيز سلمان، رئيس جامعة عين شمس، بدأ بدراسة وتنظيم الانضمام للجمعيات العلمية والهيئات البيولوجية، وقد تقرر **تكوين اتحاد للبيولوجيين المصريين، وهو الأول من نوعه في مصر .**

كتب جديدة

- «**الانفجار السكاني**» تأليف **روبيرت لافون**، ترجمة **السيد نبيه الأصفهاني** .
- «**الفن ومذاهبه في الشعر العربي**» تأليف **الدكتور شوقي ضيف**، الطبعة العاشرة، الناشر **دار المعارف** .
- «**الأوراق السرية للصحافة والأحزاب**» تأليف **علي المغربي**، الطبعة الثانية، الناشر دار العربي .
- «**طه حسين يتكلم**» تأليف **سامح كريم** .
- «**امرأة العزيز**» مسرحية من تأليف **د. سمير سرحان** .
- «**في انتظار ما لا يجيء**» ديوان جديد للشاعر **فاروق شوشة** .
- «**المهنة**» مجموعة من المسرحيات القصصية، تأليف **كامل الكفراوي** .
- «**الحلم .. والأسوار**» مجموعة شعرية، للشاعر السوري **أحمد شامية**، والشاعر

شخصية الشهر

زكي مبارك
(١٨٩٥ - ١٩٥٢م)

- كاتب وشاعر وباحث أدبي عربي .
- من مواليد قرية «سنتريس» بالقاهرة .
- تعلم في الأزهر . ثم الجامعة المصرية الأهلية، وقد نال الدكتوراه عن بحثه «**الأخلاق عند الغزالي**» - ١٩٢٤م .
- ومن باريس - جامعة السربون، نال الدكتوراه عن رسالته : «النثر الفني في القرن الرابع» ١٩٣١م .
- اشتغل بالتدريس في الجامعة المصرية، ودار المعلمين العالية ببغداد .. ومفتشاً بالمدارس المصرية .
- **من أبحاثه :** «حب ابن أبي ربيعة وشعره» و«التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق» و«عبقرية الشريف الرضي» .
- **من أشعاره :** ديوان «زكي مبارك» ١٩٣٣م، و«ألحان الخلود» ١٩٤٧م .
- **من كتاباته الذاتية :** «البدائع» و«ليلى المريضة في العراق» .

المصري **حسين علي محمد** ، الناشر سلسلة «كتابات الغد» .

- «**بقايا كل شيء**» تأليف **أنيس منصور** ، الناشر المكتب المصري الحديث .
- «**يوم في حياة رجل مفصول**» تأليف **عباس أحمد** ، الناشر مؤسسة روز اليوسف .
- «**شوقي أمير الشعراء .. لماذا ؟**» تأليف **فتحي سعيد** ، الناشر سلسلة «كتابك» .
- «**على ضفاف الجحيم**» مجموعة شعرية للشاعر **د . محمد العلائي** ، الناشر دار آتون ، كما يصدر عن نفس الدار ، «**دهاليزي**» للشاعر **حلمي سالم** .. و«**الأخضر**» للشاعر **امجد ريان** .
- «**طاغور .. شاعر الحب والحكم**» تأليف **علي شلش** ، الناشر دار المعارف .
- «**أنغام الأمل والوفاء**» رواية من تأليف **سعيد عبد الكريم** .
- «**ما وراء النهر**» رواية تأليف ، الدكتور **طه حسين** ، الناشر دار المعارف .
- «**وجوه قصصية قديمة وجديدة**» تأليف **علاء الدين وحيد** .
- «**أدب الرحلات عند العرب**» ، تأليف **د . حسين محمد حسين** ، **صدر عن الهيئة العامة للكتاب** .
- «**الطب النفسي**» تأليف الدكتور **عادل صادق** الأستاذ المساعد بكلية طب عين شمس .
- «**محاكمة في منتصف الليل**» رواية للأديب **محمد جلال** .
- «**يحيى حقي وعالمه القصصي**» دراسة نقدية **للدكتور نعيم عطية** .
- «**عصر القرود**» أحدث كتب **الدكتور مصطفى محمود** .
- «**دليل السينما العربية**» دراسة احصائية ونقدية للناقد السينمائي **سمير فريد** .
- «**حلم فتاة**» مجموعة قصصية مختارة ، عن اليونان الحديثة ، تأليف **د . نعيم عطية** .
- «**نظرية الظروف الاستثنائية**» تأليف **د . أحمد مدحت علي** ، المستشار بمجلس الدولة .
- «**اثر القصة في التكوين النفسي للطفل**» تأليف **د . نادرة وهدان** ، خبيرة الإعلام بمنظمة اليونيسيف ، يصدر بمناسبة عام الطفل ، عن الهيئة العامة للكتاب .
- «**وراء العشق**» و«**أفراح العتبة**» و«**عصر الحب**» ، ثلاث روايات جديدة ، تأليف **نجيب محفوظ**.

اليمن :

مدينة أثرية .. في أشكال دائرية

تم اكتشاف مدينة أثرية شمال شرقي مدينة «**مأرب**» ، يبلغ طول هذه المدينة المكتشفة حوالي خمسين كيلو متراً .. والناظر إلى أبنيتها من الخارج ، يراها مصصمة على أشكال دائرية .. **والمعروف أن الجمهورية العربية اليمنية ، لا تزال مليئة بالكنوز والآثار المختلفة ، نتيجة الحضارات المختلفة التي مرت بها اليمن كحضارة سبأ ، ومعين ، وحمير .**

كتب جديدة

- «**قضايا يمنية**» تأليف **عبد الله البردوني** .
- «**عمنا صالح**» رواية من تأليف **محمد أحمد عبد المولى** . كما صدرت له أيضاً «**الأرض يا سلمى**» عن دار العودة ببيروت .

العراق :

ملصقات عن محو الأمية

أقيمت مسابقة حول الملصق الفني ، وموضوعه «**محو الأمية والتعليم الالزامي**» وذلك ضمن الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية ، وقد شارك في هذا المعرض **٢٠ فناناً** ، وفاز بالجائزة الأولى ، **محمد مهر الدين** .. أما الجائزة الثانية ، فقد فاز بها **زياد مجيد حيدر** .

المعرض ، نظمته جمعية الفنانين التشكيليين العراقيين .

معرض للفن الفوتوغرافي

أقامت الجمعية العراقية للتصوير الفوتوغرافي ، معرضاً شخصياً ، للفنان **نور الدين حسين** ، حيث يعرض ٤٠ صورة ، تعكس بعض النواحي الفنية في استخدام «**الفوتوغراف**» .

مهرجان قومي عربي في عام ١٩٧٩م

مهرجان للفن القومي العربي ، تشارك فيه المنظمات والاتحادات والمؤسسات الفنية في كافة الوطن العربي .

المؤتمر تحضر له العراق ، ليتم في مطلع العام ١٩٧٩م ، وسوف يحتوي على معارض للفن التشكيلي ، وعروض غنائية ومسرحية وموسيقية ، وسوف يسبق هذا المهرجان ، مهرجان لمعارض الملصق السياسي ، «**البوستر**» ، كما تقدم أيضاً أفلام عن **قضية فلسطين** .

كتب جديدة

- «**كيف كتب الأخضر بن يوسف قصيدته الجديدة**» مجموعة شعرية ، للشاعر **سعدي يوسف** .. وهو يعتبر واحد من الشعراء المجددين ضمن مسيرة الحركة الشعرية الحديثة .
- «**دور التكنولوجية السياسية في تخلف الدول**» تأليف **د . محمد رجب النجار** .
- «**أنا والأسوار**» ديوان جديد **للشاعرة بشرى البستاني** ، عن «منشورات المركز الثقافي الاجتماعي» بجامعة الموصل .

المغرب :

ذكرى ٣٣ عاماً

نظم مركز الإعلام التابع للأمم المتحدة بالرباط ، **أسبوعاً ثقافياً** ، لعرض الوثائق والطوابع ، التي تعكس نشاط المنظمة ووكالاتها الخاصة ، **وكان ذلك بمناسبة مرور ٣٣ عاماً ، على تأسيس المنظمة** .

الأدب المغربي .. بالانجليزية !

الدكتور صالح جواد الطعمة ، الباحث العراقي .. وأستاذ الدراسات العربية في جامعة انديانا بالولايات المتحدة ، قام بزيارة للمغرب ، وذلك لتحضير بحث عن الأدب المغربي ،

لقطة



* الطفل في الدول النامية *



* الطفل في الدول المتقدمة *

وأثناء إقامته قام بزيارة المكتبات المغربية ، التي تحتفظ بكتب التراث والمخطوطات ، **سوف ينشر البحث باللغة الانجليزية .**

معرض كتب متنقل

تحت رعاية وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ، افتتح معرض **للكتاب العراقي** ، الذي ينظمه المركز الثقافي العراقي بالرباط ، وسوف يتنقل المعرض في عدد من المدن المغربية .

المعرض السابع عشر للأطباء العرب

أقيم المؤتمر السابع عشر لاتحاد الأطباء العرب ، في الرباط ، وقد شارك في المؤتمر أكثر من ألف طبيب وطبيبة ، يمثلون تسع عشرة دولة عربية ، إضافة إلى عدد من المنظمات العلمية الدولية المتخصصة .

المؤتمر نظمته نقابة أطباء المغرب ، وقد نوقش فيه عدد من الموضوعات ، **اهمها مكافحة السرطان على مستوى الوطن العربي ، والتعاون الطبي والدوائي ، وممارسة الطب الشرعي فيها .**

معارض تشكيلية

في قاعة **« باب الرواح »** أقام رسام نمساوي ، معرضاً لأعمال **« الكرافيك »** ، كما أقام الفنان المغربي **أحمد اليعقوبي** ، بقاعة **« لوسافو »** ، كما يستعد الفنان **بنكمون** ، لاقامة معرض مشترك مع الفنانة الأمريكية **كاترين غروتكوب .**

عضوية شرف

« عبد الله كنون » العلامة المغربي ، منحه مجمع اللغة العربية الأردني عضوية الشرف .

لقاء ثقافي

« الثقافة المغربية .. ومفهوم المعاصرة » ، لقاء ثقافي قامت بتنظيمه الأمانة العامة للجامعة الوطنية للجمعيات الثقافية بالمغرب .

اللقاء كان بقاعة الشبيبة والرياضة بالرباط .. وقد اشترك فيه : **محمد العربي الخطابي ، عبد الكريم خطاب ، الدكتور عبد الله العروي ، ادريس الكتاني ..** ، وغيرهم من المفكرين والكتّاب والأدباء البارزين .

* كتب جديدة *

- **« اليتيم »** رواية من تأليف **عبد الله العروي** ، عن دار النشر المغربية ، في الدار البيضاء .
- **« موحا الأحمق »** رواية من تأليف **الطاهر بن جلون** ، الناشر دار لوسوي بباريس .
- **« المغرب عبر التاريخ » تأليف إبراهيم حركات .**
- **« الحركة التعاونية في المغرب »** باللغة الفرنسية ، تأليف **الدكتورة فاطمة الزهراء** .. قام بترجمته الدكتور **صلاح الدين هارون .**
- **« في المذاهب الاقتصادية » ، و« الحرية » ، و« المختار من شعر علال الفاسي »** ، ثلاثة كتب من تأليف **علال الفاسي .**
- **« ارتيادات في الأدب المغربي الجديد »** تأليف الإسباني **بدرو ماتينت مونتابث** ، كما صدر له أيضاً ، **« مقالات هامشية في الاستعراب » .**
- **« ذكرى معركة الوادي »** ، تأليف **عبد المجيد بنجلون** الكتاب يخلد ذكرى معركة وادي المخازن ، بمناسبة مرور أربعمئة سنة عليها .
- **« عيناك والتراب الأخضر »** مجموعة شعرية للشاعر أحمد مختار الهادي .



اكتشاف مبنى تاريخي في نابلس

تم اكتشاف مبنى تاريخي في حارة **« القريون »** بنابلس ، يعود إلى العهد الروماني .. كما تم اكتشاف مقبرة أثرية في **« جنين »** ، تعود إلى **العصر البرونزي** المتوسط .. ولا تزال دائرة الآثار العامة تتابع حفرياتها في مناطق نابلس .

جائزة لوتس العالمية

الشاعر الفلسطيني عبد الكريم الكرمي ، الملقب بـ « أبو سلمى » ، فاز هذا العام بجائزة **« لوتس العالمية »** .. وذلك بمناسبة صدور أعماله الكاملة في بيروت .

الجائزة أيضاً فاز بها الأديب السوري الراحل **الدكتور سامي الدروبي .**

من الشعراء العرب في لجنة التحكيم **الشاعر محمود درويش .**

معرض مشترك

في القدس المحتلة ، أقام الفنانون الفلسطينيون معرضاً تشكيلياً ، في نادي الخريجين العرب .. حيث شارك فيه **سليمان منصور ، فيرا تماري ، نبيل عناني ، عصام بدر ، إبراهيم سابا ، كل المغني .. وسميرة بدران** .. وقد ضم المعرض **٢٧ لوحة** ، وبعض **القطع الخزفية .**

لتشجيع التأليف .. والنشر

في جامعة **« بيرزيت »** تشكلت لجنة لمركز الأبحاث ، مهمتها تنشيط عملية التأليف والنشر للأدباء في الأرض المحتلة ، تضم اللجنة : **محمد البطراوي ، أسعد الأسعد ، خليل توما ، سحر خليفة ، زكي العيلة ، محمد أيوب ، وعلي الخليلي .**

على المنتهى

● ● لا أعرف شيئاً اسمه أدب الشيوخ ، أو أدب الشباب .. أو حتى أدب المرأة ، لأن الأدب الرفيع ، هو الأدب الرفيع المطبوع .

أحمد السباعي
السعودية

● ● إن الخلق الثقافي جهد حر .. ولهذا أقول إن كان لنا في يوم ما أن نحاسب أنفسنا في الميدان الثقافي ، فينبغي أن نحاسب المثقفين من رجال الأدب والفنون .

الشاذلي القليبي
تونس

● ● إن الحضارة في مجتمع الربع الأخير من القرن العشرين ، تضع الطفل أمام منجزات هائلة .. والأدب المحلي مقصر في استيعاب هذه الحضارة ونقلها إلى الطفل .. ثم إن اللغة التي تخاطب بها الطفل ، إلى أي مدى هي اللغة المناسبة له .

عادل أبو شنب
سورية

● ● هناك آلاف الكلمات ذات الأصل العربي ، وقد أصبح معظمها معروفاً ، فثلث المعجم الإسباني عربي ، وسبعون بالمائة من المعجم الفارسي كله عربي ، وثلاثة آلاف كلمة في المعجم البرتغالي عربية .. ونسبة كبيرة في القاموس الفرنسي والإنجليزي أيضاً . ولكن ذلك غير معروف على نطاق واسع .

إن علماء الاشتقاق الغربيين إذا كانوا غير مغرضين ، فيقولون إن أصل معظم هذه الكلمات مجهول .. وعندما نتبع أصل هذه الكلمات ، نكتشف أنه أصل عربي .

عبد العزيز بنعبد الله
المغرب

● ● إن الحضارة الراهنة ، شرقية كانت أم غربية ، ليست سلبية في كل سماتها ، بل إن لها جانباً ايجابياً لابد من قبوله واستيعابه ، فالعلم محايد ، إذ لا يوجد علم شرقي ولا علم غربي .. إن الحقائق العلمية واحدة .

مصطفى محمود
مصر

معرض الكتاب العربي الثاني

٣٠ ألف كتاب ، معظمها من الدول العربية ، تم عرضها في المعرض الثاني للكتاب العربي ، هذه الكتب تم استيرادها في السنوات الأخيرة ، افتتح المعرض في **« بيت الكرمة »** . . وأثناء فترة المعرض ، تمت لقاءات ثقافية بين عدد من الأدباء ، حيث تداولوا فيها القضايا الأدبية والفنية .

* كتب جديدة *

● **« التغيير الاجتماعي والتوافق النفسي عن السكان العرب في إسرائيل »** تأليف **الدكتور شريف كناعنة** ، رئيس رائدة علم الاجتماع وعلم الإنسان ، في جامعة **« بيرزيت »** ، صدر الكتاب عن مكتب وثائق الجامعة .

● **« جليليات »** ديوان جديد ، للشاعر **نايف سليم** ، صدر عن منشورات الصداقة ، بمدينة الناصرة .

● **« الرجوع »** ديوان ، للشاعر **هارون هاشم رشيد** . . تناول في أشعاره صمود الحق الفلسطيني . . وعن الشهيدة دلال المغربي .

● **« . . وكان ولا بد أن ينزل المطر » ، « محاكمة الكبار » ، « ذئاب المدينة »** ، ثلاث مجموعات مسرحية للكاتب المسرحي **محمد كمال جبر** ، صدرت عن دار مسرحيات الكاتب بالقدس المحتلة .

● **« الموت . . والعشق »** ديوان ، للشاعرة **ليلى علوش** .

● **« اللاز »** رواية ، تأليف الكاتب الجزائري **الطاهر وطار** ، وهي الطبعة الثانية ، التي قامت بإصدارها دار صلاح الدين بالقدس ، **لتوزيعها داخل الأراضي المحتلة** .

● **« لن يفهمني غير الزيتون »** مجموعة قصائد شعرية ، للشاعر **عز الدين المناصرة** .

● **« ستون عاماً على الحركة القومية الفلسطينية »** ، تأليف **الدكتور إميل توما** .

* كتب جديدة *

● **« فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال »** طبعة جديدة ، إصدار الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع ، وذلك بمناسبة مرور ثمانية قرون على وفاة مؤلف الكتاب ، الفيلسوف العربي **« ابن رشد »** . . قام الدكتور أبو عمران الشيخ ، وبدوي جلول ، بمراجعة الكتاب والتقديم له .

● **« عرس بغل »** رواية من تأليف الروائي المسرحي **الطاهر وطار** . . الذي يعتبر أحد الكتاب الجزائريين ، الذين يكتبون مؤلفاتهم بالعربية .

* كتب جديدة *

● **« المعليشية »** ، كتاب نقدي اجتماعي ، تأليف **د . جهاد نعمان** .

● **« جبران الفيلسوف »** ، تأليف **د . غسان خالد** ، الطبعة الثانية ، والجدير بالذكر أن هذا الكتاب حصل به الدكتور غسان على درجة الماجستير في الفلسفة بدرجة جيد جداً .

● **« ليستيقظ الأساتذة »** ، تأليف **رياض فاخوري** ، وهو من الكتب النقدية .

● **« دفتر شعر »** ديوان ، للشاعر **جوزف أبي ضاهر** .

● **« دراسات في النقد »** ، كتاب يتناول بالنقد ، الشعر الحديث ، تأليف **الياس خوري** .

● **« لبنان . . أزمة وحلول »** ، تأليف **هشام قبلان** .

● **« العصافير تبحث عن وطن »** مجموعة قصصية للأطفال ، تأليف **ياسين رفاعية** ، قام برسم لوحاتها **عدنان الشريف** .

● **« مصير لبنان في مشاريع »** ، تأليف الدكتور **محمد المجذوب** ، أستاذ كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية ، الكتاب صدر ضمن سلسلة « زدني علماً » ، عن منشورات عويدات .

● **« موجز تاريخ العراق الحديث ، ١٩٢١ - ١٩٥٨ م »** ، تأليف **حليم أحمد** ، عن دار ابن خلدون ببيروت .

الكويت

الباتيك ، أحدث صيحة في عالم الفن التشكيلي !

فن **« الباتيك »** ، الذي انتشر مؤخراً في أشكال عديدة ، منها الرسوم على الملابس ، دون أن يتأثر بغسيلها أو كيها .

هذا الفن ، أقيم له معرض بالكويت ، والفنان هو الإيطالي **فيولا دارماو** ، وقد خصص ريع هذا المعرض ، لصالح الجمعية الكويتية لرعاية المعوقين .

* كتب جديدة *

● **« الريشة الساحرة »** للرسام والكاتب الكويتي **عبد السلام مقبول** .

● **« أحمد الصافي النجفي شاعراً . . وساخراً »** تأليف **عبد الله الشيتي** ، مدير تحرير مجلة النهضة الكويتية .

● « باللغة العربية والانجليزية ، صدر كتاب عن **« تخيلات أطفالنا للقرن الحادي والعشرين »** ، الكتاب بالألوان ، ويضم عشرين لوحة فيها تخيلهم للقرن المقبل .

الكتاب صدر بمناسبة عام الطفل . . أصدرته جمعية النهضة الأسرية .

قام بتحليل اللوحات الدكتور **سعد عبد الرحمن** ، رئيس قسم علم النفس بجامعة الكويت .

● **« شذا الأيام »** تأليف **اقبال الغربللي** .

● **« عودة إلى أم القرى »** تأليف **موفق بن المرجة** ، تقديم **يعقوب الغنيم ، وكيل وزارة التربية** .

نشرة وثائقية لأديب راحل

محمد الحليوي ، الأديب التونسي الراحل ، أقيمت له أمسية أدبية للتعرف بأدبه . . ودوره الكبير في الحياة الثقافية .

كانت الأمسية بإشراف اللجنة الثقافية القومية . . التي تولت أيضاً إقامة معرض وثائقي مصور عن حياة الأديب الراحل ، كما تم طبع نشرة **« وثائقية »** مصورة عن حياته .

مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب

عشرون بحثاً ، تم مناقشتها لعدد **(٧٠٠) اختصاصي** ، يمثلون **١٢ قطراً عربياً** ، وذلك في مؤتمر اتحاد الصيادلة العرب ، كان موضوع المؤتمر دور الصيادلة العرب في تطوير العلوم الطبية والصيدلة .

والمؤتمر هو السادس ، وقد عقد في تونس لأول مرة .

* كتب جديدة *

● **« انطباعات عن تونس »** مجموعة شعرية ، **للشاعر النمساوي ، هوغو شوفسكي** ، حيث يرسم بقلمه لوحات حب مشرقة للحياة في تونس .

● **« الثقافة رهان حضاري »** تأليف **الشاذلي القليبي** ، عن الدار التونسية للنشر .

● **« فهرس اتنو - سوسيولوجي »** عن البلاد التونسية ، وضعه الأب **لويس مدير معهد الآداب العربية** .

● **« مباحث في علم الكلام والفلسفة »** تأليف **الدكتور علي الشابي** ، اصدار دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، في تونس .

● **« المعرب الصوتي »** تأليف **إبراهيم بن مراد** ، اصدار الدار العربية للكتاب .

● **« همسات صاحبة إلى مواطنة ليبية »** رواية ، **للكاتب سيد قذاف الدم** ، اصدار الدار العربية للكتاب .

● **« من الرجل المهاجر »** مجموعة قصصية ، تأليف **محمد الحبيب السالمي** ، مستخدماً في أسلوب معالجته القصصية ، لغة القبيلة والريف التونسي . . مهاجماً من خلال شخوصه ، الخرافات والأساطير .

● **« زقموند فرويد »** تأليف **محمد الديمي** ، الأستاذ بالمعاهد الثانوية ، وبقسم الفلسفة بالجامعة التونسية ، وهو ضمن سلسلة المعارف التي تصدرها دار الواسطة .

● **« أبحاث في الأدب والتاريخ »** تأليف **أحمد الطويلي** .

* كتب جديدة *

● **« الكتابات الأولى الحديثة لمثقفي البحرين »** تأليف **مبارك الخاطر** .

نـافـذة

الأطفال في العالم !!

حين وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٥٩م ، على إعلان حقوق الطفل كانت تدرك أبعاد مفهوم ومعاني « الطفولة » الإنسانية ، وحاجتها إلى الرعاية الاجتماعية ، والعناية الصحية .

فالطفولة هي مستقبل الإنسانية كلها . . والعناية بها تعني أن هذا المستقبل سوف يقوم على سواعد الأطفال . . فالحنو على الطفولة معناه الحنو على مستقبل البشرية ، وسلامته من الأمراض الجسمية ، والنفسية ، وبالتالي سلامته من الحروب ، والجرائم ، والفساد .

فإذا كانت مجتمعات اليوم تعاني القلق ، والضياع ، والانحراف فإن مرد ذلك إلى أن طفولة هذه المجتمعات قد عانت كثيراً ، وشقيت أكثر في الماضي .

عانت الفقر والجوع ، وشقيت بالتشرد والتسول واليتم من جراء الحروب الطاحنة التي ذهبت بالآباء ، والأمهات .

وحين أدركت الدول خطورة الأوضاع التي تمر بها الطفولة سارعت في إنشاء الملاجيء للأيتام ، ودور الرعاية الاجتماعية أملاً في القضاء على مظاهر التشرد ، واليتم ، والتسول . . لكن هذه الملاجيء لم تستطع أن تقوم بدور الأمومة ، ولم تقدر على تعويض هذه الطفولة حنان المنزل ، ودفئه . . وما زال العالم يحصد ما خلفه بؤس الأطفال ، وشقائهم .

وإذا كان جوهر وثيقة إعلان حقوق الطفل تنص على « أن البشرية مدينة للطفل بأفضل ما لديها » ، فهل استطاعت البشرية أن تقدم للطفل بعض أفضل ما لديها من إمكانات الحماية والرعاية ؟

سؤال يدين عالم اليوم بكل ما أوتي من ثروات طائلة ، وما حققه من تقدم في الوسائل التكنولوجية !!

والغريب في الأمر أنه رغم الصرخات الإنسانية الداعية إلى حماية الطفولة « دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي ، أو أي رأي آخر ، أو الأصل أو الثروة أو الميلاد ، أو أي وضع آخر » . . الغريب في الأمر أنه رغم كل هذا ما زال كثير من أطفال شعوب العالم ـ وخاصة شعوب الدول النامية ـ يعانون الجوع ، والفاقة والحرمان ، والتشرد على مرأى ومسمع شعوب الدول المتقدمة التي تخطط للتسلح النووي ، وتجري تجاربها المنذرة بالتلوث والموت !!

وإذا عرفنا من إحصائيات « اليونيسف » لعام ١٩٧٦م ، أن عدد أطفال الدول النامية حتى سن ١٥ قد بلغ عام ١٩٧٠م (١١٠٨ ملايين طفل) مقابل (٣١٢ مليون طفل) في الدول المتقدمة ، وأن هذه الأرقام سوف ترتفع في عام ١٩٨٠م لتصل في الدول النامية إلى (١٣٩١ مليون طفل) مقابل (٣٣١ مليون طفل) في الدول المتقدمة .

وهذا يعني أن عدد الأطفال في الدول النامية سوف يزيد في عام ١٩٨٠م ، زيادة قدرها (١٠٦٠ مليون طفل) عن أطفال الدول المتقدمة .

إذا عرفنا ذلك فإننا ندرك حقيقة مرة هي أن الدول المتقدمة تسعى بما حققته من تطور تكنولوجي تهدد به العالم إلى تحطيم الدول النامية ، والقضاء على مستقبلها المتمثل في أطفالها . . فالدول المتقدمة تسرق قوت الأطفال في الدول النامية لتوسيع صناعاتها ، وتحجيم وسائل الحرب والدمار .

فماذا يعني اختيار الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٩م ليكون عاماً دولياً للطفل ؟

هل يعني لفت أنظار الأسرة العالمية « لتحديد اهتمامها بالوضع الحالي للأطفال ومستقبلهم » ؟

أم يعني إدانة الدول المتقدمة في ما تعانيه الطفولة ، ويقاسيه الأطفال في الدول النامية . . وخاصة أطفال فلسطين العربية . . وأطفال آسيا وافريقيا عامة ؟

الأسئلة كثيرة . . والقضية هي « لعبة » الدول المتقدمة !!

علوي طه الصافي

جائزة « الآثار » للـ « طباطبائي » !

« **محمد محيط طباطبائي** » من الشخصيات التي تخصصت في الأدب الايراني . . ظل طوال عمره منقباً عن التراث ، ملقياً الضوء عليه في الكثير من مؤلفاته .

ولهذا منحته الدولة جائزة الآثار الوطنية الايرانية ، قدمها له جعفر شريف امامي رئيس الوزراء .

دعوة لعالم عربي . . في آخر هذا العام !؟

العلامة حسن بن مطهر الحلي ، أحد أركان الفقه الإسلامي ، تمر على وفاته ستمئة وخمسين عاماً ، المجلس الأعلى للثقافة والفن دعا إلى إقامة مؤتمر بمناسبة ذكراه في أواخر هذا العام ، حيث تتناول المحاضرات ، دراسات عن حياته وفقهه والعصر الذي عاش فيه .

* كتب جديدة *

- « **التراب** » مجموعة قصائد للشاعر « لليانلو » .
- « **القادة الكبار والمسؤوليات الجسام** » باللغة الفارسية ، عن دار « محمدي للطباعة والنشر » . . دراسة علمية عن سلطة الوجدان .
- « **أصول علم الاجتماع** » ، تأليف : **عبد الحسين نوشين** .
- « **ما الفلسفة** » ! ـ الطبعة الثانية ـ عن « دار خوارزمي » للطباعة والنشر . . كتاب يتناول الفلسفة في القرن العشرين ، تأليف : « **متو جهربزركمهر** » باللغة الفارسية .
- « **سبيل معرفة المنطق والعلم** » ، تأليف : **محمد تقي برومند** .
- « **مصير البشرية** » ، تأليف « **لكنت دونوئي** » ، ترجمه عن الفارسية **عبد الله انتظام** ، كانت الطبعة الأولى منه منذ ٢٨ عاماً .
- « **واجب الآداب** » ، تأليف : **أبو الحسن نجفي** .
- « **أصفهان** » ، **تأليف الدكتور لطف الله هنرفر** .
- « **الطريق الجديد** » ، تأليف : **حسين كاظم زادة** .

الاعلان العالمي لحقوق الحيوان !!!

كما أن هناك **إعلاناً عالمياً لحقوق الانسان** . . ، . . . وحقوق الطفل . . ، فقد أصبح للحيوان حقوقاً أيضاً ، فقد صدر عن مقر اليونسكو بباريس « **الاعلان العالمي لحقوق الحيوان** » . . وقد أعدته الرابطة الدولية لحقوق الحيوان والتي تركز فيه على : « **كل حيوان عامل له الحق بتغذية تعويضية وبالراحة** » . و « **ينبغي عدم استغلال أي حيوان للترفيه عن الانسان** » . . و « **لكل حيوان الحق بالعيش في بيئته الخاصة . . وأي حرمان له من الحرية ، يخالف حقه هذا** » .

هجوم على المتاحف العربية

شنت السيدة « **ماد يونس** » ، أمينة القسم الإسلامي بمتحف اللوفر ، حملة شديدة على المتاحف العربية لأنها لا تمد قسمها بالأعمال الإسلامية .

المعروف أن السيدة جوردار ، المواطنة الفرنسية ، قدمت إلى القسم الإسلامي بعض الأعمال الفنية من مقتنياتها الخاصة . . ، وقد كان هذا هو السبب في تصريح السيدة « **ماد يونس** » على المتاحف العربية .



★ اندريه مالرو ★



★ ت . س . اليوت ★

★ جراهام جرين ★

«حياتي في عام ٢٠٠٠»!

مسابقة لرسوم الأطفال، بمناسبة عام الطفل، تقوم بتنظيمها منظمة اليونسكو بالاشتراك مع منظمة اليونيسيف والمندوب السامي للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.. بالتعاون مع الخطوط الجوية الفرنسية.

المسابقة يبدأ الاشتراك فيها **من أول يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩م**... وقد اختير شعارها: **«حياتي في عام ٢٠٠٠»**.

وسوف تسلم الجوائز للفائزين **في الخامس عشر من مايو (أيار) في العام المقبل**.

كيف تطورت الكتابة اليابانية!

أقيم بمعرض جامعة السوربون، معرض لفن الخط والكتابة اليابانية، اشترك فيه **٢٨٠ فناناً من الرسامين والخطاطين**، بلغ عدد اللوحات المعروضة **١٧٩**، برز من خلالها التطور الذي طرأ على فن الكتابة في اليابان.

أحدث الكتب

● صدر كتاب جديد عن **«أندريه مالرو»** الكاتب، الفيلسوف، الذي كان وزيراً للثقافة، تأليف: **باليفسكي**... حيث تناول فيه حياته الشخصية، والتركيز على المسألة التي ظلت تشغله طوال حياته وهي تساؤله الدائم عن قيمة الحضارة الغربية أمام الحضارات الأخرى وعلى الأخص، الحضارات الشرقية.

● **«سأعود متأخراً هذا المساء»** رواية، تأليف: **هوكيت برول**، حيث تروى فيها تفاصيل حياة أسرة فلسطينية بسيطة.. فازت هذه الرواية بجائزة وزارة التعليم الفرنسية.

● **«مشكلة الموت وضعف الانسان»**، للروائي: **باسكان جردان**.

● **«لوحة العناصر»** مجموعة شعرية للشاعر البولوني الأصل، **شارل دويز نسلي**.

● **«من السويس إلى العقبة»**، تأليف: **بيير ديستريا**.

● **«حوار الحضارات»**، تأليف: **روجيه جارودي**.

● **«مرسون لا تجبني»**...، رواية بوليسية. تأليف: **نيكول برنهايم وميراي كاردو**.

● **«تاريخ الحركات النسوية الفرنسية»**، تأليف: **جان رابو**.

● **«الاسلام وعلم الاجتماع الديني»**، تأليف: **جان بول شارتي**، وهو دراسة تفيد بأن الإسلام من النواحي الاجتماعية استطاع أن يترك معالمه على الإنسان والبيئة.. وأنه استطاع أن يغير المفاهيم التي كانت سائدة في ذلك العصر الجاهلي.

● **«المرأة الأسطورة.. والمرأة المضللة»**، تأليف: **كلود ألزون**.

● **«الرجل الجديد»**، تأليف: **أنيك جيل**.

● **«المسلمون»**، تأليف: **لويس جارديه**، وهو من الأشخاص المتخصصين في الفكر والحضارة الإسلامية.

● **«رباعيات الخيام»**، ترجمة: **«شارل غرولو»**.

● **«أزمة المثقفين.. تقليدية. أم تاريخية»**، تأليف الكاتب المغربي: **عبد الله العروي**، قام بالترجمة العربية **«ذوقان قرطوط»**.

● **«محبة أب»**، تأليف: **فرانسوا سونكان**.

● **«جدار جميع الفصول»**، تأليف: **برنار داكوستا**.

موناكو :

أجمل ملصق بمناسبة عام الطفل

بمناسبة عام الطفل، أقيمت مسابقة للأطفال، وذلك لاختيار أجمل «أفيش» -ملصق- يعبر عن هذه المناسبة.. وقد وقع اختيار الأمم المتحدة على الملصق الذي قامت بتصميمه الفتاة **«أندريا فينويك سميث»** وعمرها خمسة عشر عاماً.. حيث فازت بالجائزة الأولى. المسابقة، كانت في حدود أمارة **«موناكو»**.

ايطاليا :

إعادة الكنوز والتحف الفنية إلى مواطنها الأصلية!

استطاعت كثير من الدول الكبيرة في عصور مختلفة، أن تستولي على كنوز وآثار البلدان الصغيرة.. والتي كانت واقعة تحت سيطرتها.. وتمكنت من إحراز ملكيتها ونقلها إلى متاحفها.

كما استطاعت حركات **«السطو»** تهريب الكنوز الفنية إلى خارج البلدان التي تملكها.

وقد آن الأوان لاعادة هذه الكنوز الفنية والتحف الأثرية إلى منابع أرضها الأصلية... **هذا قرار خرج به «مؤتمر الآثار»** الذي انعقد في بالرمو بجزيرة صقلية بدعوة من منظمة اليونسكو.

أحدث الكتب

● **«سقوط الملك دبشليم»**، ديوان للشاعر السوداني **محمد الفيتوري**، صدر في روما باللغتين العربية والإيطالية.

أميركا :

أحدث الكتب

● **«المرشد في فن التصوير الصحفي»** تأليف المصور الأميركي العالمي، **«ألفريد ايزنستيدت»**، أسرع مصور فوتوغرافي في العالم.. والمعروف بلقطاته البديعة في مجلة «لايف» الأميركية.

● **«أنتاركتيكا»** قارة المستقبل، تأليف المصور: **«اليوت بورتر»** الذي عرف عنه براعته في تصوير المناظر الأرضية.. والمناطق المجهولة... المؤلف كان قد ذهب إلى القارة المتجمدة في

شخصية عالمية

سومرست موم
(١٨٧٤ - ١٩٦٥م)

● روائي وكاتب مسرحي انجليزي. من مواليد باريس، وقد سجل تجاربه الأدبية عندما كان يدرس الطب في روايته الأولى «ليزا» ١٨٩٧م.

● روايته «الرق البشري» ١٩١٥م، كتب جزءاً من حياته فيها.

● **أشهر أعماله الروائية**: «حد الموسى» ١٩٤٤م، و«القمر وست بنسات» ١٩١٥م، وهي تتناول حياة الرسام الشهير بول جوجان.

● **من أشهر مسرحياته**: «الدائرة» و«الخطاب»، و«الزوجة الوفية».

● **من أهم مؤلفاته النقدية**: «مقدمة للأدب الانجليزي والأميركي الحديث».

● يعتبر واحداً من قادة الأدب الواقعي.



★ بنيامين فرانكلين ★



★ موزارت ★

القطب الجنوبي، بدعوة من منظمة العلوم الدولية.

● «الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل»! ، هذا العنوان الطويل لرواية طبعت للمرة الثالثة، الأولى كانت بحيفا، والثانية في بيروت، أما الطبعة الثالثة فصدرت في أمريكا باللغة الإنجليزية، سوف يقوم بترجمتها الكاتب اللبناني **حليم بركات**.

المؤلف هو: **«اميل جيبي»** من أبرز كتّاب الأرض المحتلة.

● **«نهاية امبراطورية»**، تأليف: **ستانلي ووكر**.

بريطانيا

(٣١٠) آلاف جنيه قيمة صفحة من كتاب

في المزاد العلني الذي أقيم مؤخراً في **«شاد بتري»**، عرضت صفحة من **«كتاب الملوك»** الذي يعود تاريخه إلى **عام ١٦٠٢م**.. الصفحة عبارة عن واحدة من اللوحات التي تزين الكتاب، بالأسلوب الفارسي القديم في فن التصوير.. وقد بلغ ثمنها **٣١٠,٠٠٠ جنيه** استرليني، **وهو أغلى ثمن للوحة ورقية شرقية بيعت في مزاد عالمي حتى الآن**.

«كتاب الملوك»... هو من تأليف العلامة «علي جان بن حيدر تولي الحراوي».

(٤٥) ألف جنيه ثمناً للوحة

بيعت **٣٢** لوحة من رسوم العصر الفيكتوري بمبلغ **٤٩٠,٠٠٠** دولار أمريكي، خلال **٢٥** دقيقة من العرض الذي أقيم في مزاد **«سوثبي»**.

كان أغلى ثمن، هو ما دفعته جمعية الفنون الجميلة البريطانية ثمناً للوحة زيتية، رسمت في حوالي **عام ١٨٤٨م**.. للرسام الساخر: **«ادوارد لير»**.

الثمن الذي دفعته الجمعية هو: **٤٥,٠٠٠ جنيه استرليني**.

تطور الكتابة الخطية للقرآن الكريم

فيلم تسجيلي، مدته عشرون دقيقة عن القرآن الكريم.. وهو أول فيلم من هذا النوع.. وقد عالج الموضوع من خلال النماذج الخطية.. وتطور كتابة القرآن الكريم بالخط الكوفي.. ثم بأنواع الخطوط الأخرى.. إلى أن يصل إلى الخطوط الحديثة.

الفيلم يعرض حالياً في لندن... وسوف يتم توزيعه على وسائل الاعلام في أغلب دول العالم.

عمره أقدم من قصر اللوفر!

احتفلت بريطانيا بمرور ألف سنة على انشاء برجها الشهير: **«برج لندن»**، فهو يعتبر أقدم قصر في العالم، يقع على مساحة **٤٠ ألف متر**.. وبداخله **٢٠ حصناً** كبيراً.. وعدد من السجون ذات البوابات الضخمة الرهيبة، كما **يعد هذا البرج، أقدم من قصر اللوفر في باريس**.

❋أحدث الكتب❋

● **«ذكريات من الكونغو»**، تأليف الأديب البولندي: **جوزيف كوتراد**.. الكتاب يحكي سيرة المؤلف وتجربته الشخصية في الفترة التي عمل فيها بحاراً وضابطاً في الأسطول التجاري الإنجليزي لمدة تزيد على العشر سنوات.

● **«قصص مصرية قصيرة»**، اختيرت لاعطاء فكرة عن تطور فن القصة المصرية خلال السنوات العشر الأخيرة.. ضم الكتاب سبع عشرة قصة لكتّاب مختلفين.

● **«دائرة المعارف البريطانية»**، تصدر في عام **١٩٨١م** الطبعة الأولى منها باللغة العربية. وبعد ذلك تصدر كل عام، بشرف على الترجمة والإصدار الدكتور **سمير سرحان**.

● **«العامل الانساني»**، تأليف الروائي الإنجليزي **غراهام جرين**.

حدث في مثل هذا الشهر

أول يناير
١٩٥٨ قيام السوق الأوروبية المشتركة.

٢ يناير
١٨٣١ وفاة المؤرخ الألماني بارتولد نيبور.
١٨٩٥ مولد المستشرق الانجليزي هاملتون جيب.

٣ يناير
١٠٦ق.م مولد الخطيب والكاتب الروماني شيشرون.

٤ يناير
١٩٤١ وفاة الفيلسوف الفرنسي برجسون.
١٩٦٠ وفاة الكاتب الفرنسي البير كامي.
١٩٦٥ وفاة الشاعر الانجليزي ت. س. اليوت.

٥ يناير
١٩٢١ مولد الكاتب السويسري فردريك دورنمات.
١٩٢٢ وفاة الرحالة البريطاني ارنست شاكلتون.
١٩٥٧ قدم إيزنهاور مشروع «الفراغ في الشرق الأوسط» إلى الكونجرس الأمريكي.

٦ يناير
١٤١٢ مولد جان دارك.

٨ يناير
١٨٩٦ وفاة الشاعر الفرنسي بول فرلين.
١٩١٨ تكوين عصبة الأمم في أعقاب الحرب العالمية الأولى.

١٠ يناير
١٩٢٠ نشأة عصبة الأمم رسمياً.

١١ يناير
١٨٤٢ مولد الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمس.
١٩٢٨ وفاة الأديب الانجليزي توماس هاردي.

١٣ يناير
١٩٤١ وفاة الروائي الايرلندي جيمس جويس.

١٥ يناير
١٦٢٢ مولد الشاعر المسرحي الفرنسي موليير.
١٧٥٩ افتتاح المتحف البريطاني.

١٦ يناير
١٥٩٩ وفاة الشاعر الانجليزي ادموند سبنسر.
١٧٩٤ وفاة المؤرخ الانجليزي ادوارد جيبون.
١٩٢٠ أول اجتماع لمجلس عصبة الأمم في باريس.

١٧ يناير
١٧٠٦ مولد السياسي والأديب والعالم الأمريكي بنيامين فرانكلين.
١٨٢٠ مولد الأديبة الانجليزية آن برونتي.



★فرانسيس بيكون ★

١٨ يناير
١٦٨٩ مولد الكاتب والفيلسوف الفرنسي مونتسكيو.
١٩٣٦ وفاة الأديب الانجليزي كبلنغ.

١٩ يناير
١٧٣٦ مولد جيمس وات مخترع آلة تكثيف البخار.
١٧٩٨ مولد الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت.

٢٢ يناير
١٥٦١ مولد الفيلسوف الانجليزي فرنسيس بيكون.

٢٥ يناير
١٨٧٤ مولد الأديب الانجليزي سومرست موم. (طالع شخصية عالمية)

٢٦ يناير
١٨٨٧ بدء العمل في تنفيذ برج إيفل في باريس.

٢٧ يناير
١٧٥٦ مولد الموسيقار موزارت.
١٩٢٦ أول تجربة لاختراع التليفزيون قام بها جون بيرد في معمله بسوهو (لندن).

٢٨ يناير
١٩٣٩ وفاة الأديب الايرلندي وليم بتلرييتس.

٣٠ يناير
١٩٤٨ وفاة أورفيل مخترع الطائرة.

تركيا

مؤتمر لتحديد بدايات الشهور العربية

كلف مؤتمر تحديد الأهلة الذي عقد **باستانبول**، بترشيح المملكة العربية السعودية لتحديد مواعيد بدايات الشهور العربية وإعلانها لدول العالم الإسلامي، وذلك للتوصل إلى مبدأ توحيد بدايات الشهور العربية في كافة البلدان الإسلامية، **بما يحقق وحدة المسلمين** وعدم اختلافهم في مواقيت أداء الفرائض.. **المؤتمر عقد بدعوة من الحكومة التركية.**

كتب جديدة

● «**العشب الذي لا يموت**» للكاتب التركي **كمال ياشار**.

ألمانيا

أيها الأطفال.. اكتشفوا أوروبا

نظمت مسابقة لرسوم الأطفال عن طريق اتحاد صناديق التوفير - **رايف ايزن** -، وكان شعار المسابقة: يا أطفال أوروبا، «**اكتشفوا أوروبا**»!.. وقد اشترك في المسابقة خمسة ملايين طفل من إحدى عشرة دولة أوروبية.

الطريف أن أحد الأطفال تصور في رسمه «**قمم**» وكتب تحته: «**هذه روح أوروبا**»!

كل ثلاث سنوات

مؤتمر دولي للفنون التشكيلية، يعقد **مرة كل ثلاث سنوات**، حيث تشترك فيه خمسون دولة.

اليونسكو تنظم لهذا المؤتمر، الذي سيناقش فيه أكثر من ثلاثين فناناً من جنسيات مختلفة، موضوع علاقة الفن التشكيلي بالحياة.. وبتكوين اتجاهات الرأي العام.

كتب جديدة

● «**نيتشه.. وشقيقته اليزابيث**»، تأليف: **هـ. بيترز**، الكتاب يوضح الدور الذي لعبته شقيقة الفيلسوف في المحافظة على بروز اسمه.

الهند

كتب جديدة

● «**المعتزلة وأثرهم في ثراء التفكير الجدلي**»، تأليف: **جو ماريو**، أستاذ الدراسات الشرقية والإسلامية بنيودلهي.

أستراليا

مهرجان لموسيقى الأطفال

يقام في مدينة «**سيدني**»، في أوائل أغسطس (آب) القادم، مهرجان «كودالي» العالمي للموسيقى، وذلك لوضع **الخطوط العريضة للموسيقى، التي يجب أن توجه للطفل**..

ويجيء هذا المهرجان، ضمن الاحتفالات باليوم العالمي للطفل، وقد طلبت اللجنة المشرفة على المهرجان من الدول المشتركة، تقديم البحوث المختلفة في موسيقى الطفل، وذلك لعرضها على البروفيسور «جاك شايبه» وهو رئيس المجلس الدولي للموسيقى بباريس، وأيضاً، عرضها على «**جورج ناتالي**»، عميد جامعة **سانتيسيشليا بإيطاليا**، وذلك من أجل اختبار الأبحاث التي ستتم مناقشتها في المهرجان.

سويسرا

أحدث الكتب

● «**إلين**»، و«**إلوا**»، روايتان جديدتان من تأليف، الكاتب الراحل: **شارل فرديناند**، وذلك بمناسبة الاحتفال بمرور مئة عام على وفاته.

أسبانيا

أحدث الكتب

● عن شخصية «**شارلمان**»، ملك الفرنجة، صدر كتاب جديد، وذلك **بمناسبة مرور ١٢٠٠ عام على غزوه للأندلس عام ٧٧٨ ميلادية.**

الجدير بالذكر، أن المعركة التي دارت بين «شارلمان» والعرب، تكبد فيها خسائر فادحة. والكتاب الجديد، يلقي الضوء على حياة «**شارلمان**» التي أثرت كثيراً في الأجيال المتعاقبة، حيث ظهر هذا التأثير من خلال الروايات والأساطير التي كتبت.. ومن **أهمها** ملحمة «رولان».. إلا أن شخصية «**شارلمان**» البراقة، فقدت ذلك البريق بعد عصر النهضة.

إحصائية

أطفال العالم (حتى ١٥ سنة)

الدول النامية

السنة	العدد
١٩٧٠	١١٠٨ مليون
١٩٨٠	١٣٩١ مليون

الدول المتقدمة

السنة	العدد
١٩٧٠	٣١٢ مليون
١٩٨٠	٣٣١ مليون

توزيع أطفال العالم (حتى ١٥ سنة)

حسب الدخل الفردي السنوي (٥٠٠ دولار وأقل) (كل وحدة = ٥٠ مليون طفل) عام ١٩٧٥

الدخل الفردي السنوي	العدد
١٠٠ دولار وأقل	٨٠٠ مليون
١٠١ - ٣٠٠ دولار	٢٥٠ مليون
٣٠١ - ٥٠٠ دولار	١٠٠ مليون

من أقوالهم

● ● إذا كنا نستطيع أن نحشد طاقات هذه الدولة الكبرى لحماية أي حيوان صغير .. فبكل تأكيد يستطيع نظامنا أن يحمي أغلى ثرواتنا الوطنية .. ألا وهي الأطفال .

جين يونج

رئيسة اللجنة القومية لعام الطفل - أميريكا

● ● إن الحقيقة المجردة ليست فناً ..
التعبير هو الفن .

البرتو مورافيا
إيطاليا

● ● إن المسألة ، مسألة شاعر .. أو لا شاعر ! ..
وإن معظم كتاب الشعر الملتزم هم سياسيون أكثر من كونهم شعراء ..

الناقد : **« آلان بوسكيه »**
فرنسا

● ● إنني مقتنع بأن الضحك ، هو أكثر الأمور جدية في هذه الحياة .

ويلهيلم رابيه
ناقد

● ● إن من يسلبني مالي ، يبوء بشيء حقير .
لقد كان ملكي وسيكون ملكاً لشخص آخر .. ولكن الأهم من ذلك ، أن الذي يسلبني شرفي ، يجردني مما لا فائدة بدونه .. ويتركني حقاً في أشد حالات البؤس .. والفقر ؟

وليم شكسبير
بريطانيا



★ آلان بوسكيه ★

... بلجيكا

.. وفاز بالميدالية الفضية

« محمد شوري » ، الفنان التشكيلي المغربي ، فاز بالجائزة الثانية وهي عبارة عن ميدالية فضية ، وذلك في المعرض الذي أقيم في مدينة **« موسكرون »** البلجيكية .. وكان محمد شوري ضمن ٢٠٠ فنان بلجيكي وفرنسي وألماني .. حيث عرضت ، **٥٠٠ لوحة** في هذا المعرض .

المليونير ، الضاحك الحزين

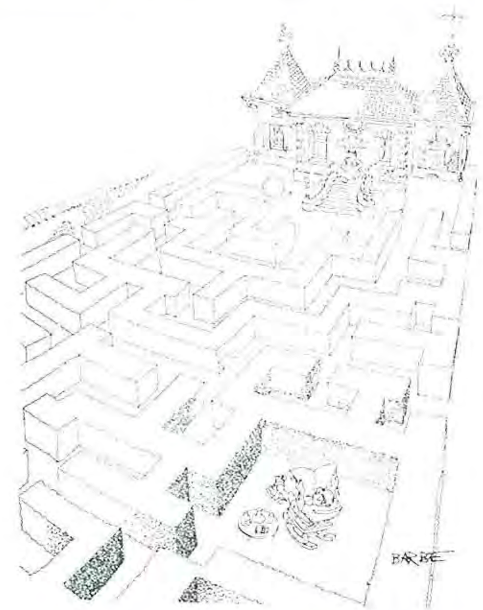
الكاتب البلجيكي **« جاكي بريل »** ، توفي بعد ٤٩ عاماً ، تاركاً خلفه مجموعة من الأشعار الغنائية والحزينة والضاحكة ، وقد كان يكتب أشعاره بالفرنسية ، والجدير بالذكر أن هذا الكاتب ، كان ابن رجل صناعة ثري ، إلا أنه ظل متواضعاً في حياته وسلوكه .. معتمداً على نفسه ، **حتى أصبح في النهاية مليونيراً ..**

الآلات الموسيقية .. تكاد تنقرض !

المجلس الدولي للموسيقى ، التابع لمنظمة اليونسكو ، قرر إصدار كتاب عن الآلات الموسيقية التقليدية .. وعن أشهر عازفيها على مر العصور .

وسوف يقام **في أول ديسمبر (كانون الأول) المؤتمر الأول من نوعه** ، حيث يبحث انشاء متحف خاص لتلك الآلات التي أصبحت مهددة بالانقراض .

كاريكاتير





بارب
BARBE

● ولد في ١٤ فبراير/شباط عام ١٩٣٦م بمدينة « نيم » الفرنسية .
● نشر رسوماته الكاريكاتيرية الأولى عام ١٩٦٤م .
● عمل في أغلب المجلات الفرنسية وأبرزها « باري ماتش » و « فرانس سوار » و « الفيجارو » .
● أصدر كتالوجاً بعنوان « أرض أرض » جمع فيه أبرز رسوماته .
● ورسومات « بارب » تميل إلى **أسلوب « الكلمات المتقاطعة »** سواء من الناحية الشكلية والتشكيلية أو من الناحية الفكرية والسلوكية .. فهو يستخدم الرسومات بدلا من الكلمات ، ويعمد إلى الغموض الذي يجعل من فنه ألغازاً ، ومع هذا لا يحاول أن يساعد على حل تلك الألغاز بأي تعليقات من عنده .
● وخير دليل على هذا الغموض المتعمد وذلك الأسلوب المتشابك هو الرسم المنشور هنا .. فماذا يقصد به ، وما هو مغزاه ؟!
● وقبل أن تحيرنا الإجابة على هذا التساؤل ، تجدر بنا الإشارة إلى أن الفن لا ينبغي أن يكون مقروءاً بالضرورة ، لأنه يعتمد على نقل الأحاسيس والمشاعر بحيث يفسرها كل متلق على حسب إدراكه وثقافته ووعيه وحالته النفسية أيضاً .. وربما كانت كل تلك المعايير في اعتبار ذلك الفنان « بارب » .. أو بعضها .



إعلان حقوق الطفل



« النص الكامل لإعلان حقوق الطفل الذي تبنته الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٩م » .

الديباجة

بما أن الشعوب والأمم المتحدة قد أكدت من جديد في الميثاق إيمانها بالحقوق الأساسية للإنسان وكرامة الفرد وقدره ودفع الرقي الاجتماعي قدماً ورفع مستوى الحياة في جو أفسح من الحرية .

بما أن الأمم المتحدة ، في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، قد أكدت أن لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات الواردة في ذلك الإعلان دون أي تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر أو الأصل أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر .

بما أن الطفل ، بسبب قصوره من ناحية النضج البدني والعقلي ، في حاجة إلى أسباب خاصة للوقاية والرعاية تشمل الحماية الشرعية اللازمة قبل ولادته وبعدها .

حيث إن أسباب هذه الوقاية قد وردت في **إعلان جنيف الخاص بحقوق الطفل** الصادر في عام ١٩٢٤م والذي أقره **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** ، وفي النظم الأساسية للوكالات المتخصصة والهيئات الدولية التي تعنى برعاية الأطفال .

وبما أن لزاماً على الجنس البشري أن يمنح الطفل خير ما عنده .

لذا فإن الجمعية العمومية تصدر هذا « الإعلان لحقوق الطفل » بهدف جعل الطفل ينعم بطفولة هنيئة ويتمتع بالحقوق والحريات الواردة في الإعلان لخيره ولمصلحة المجتمع ، وتهيب بالآباء والأمهات وبالرجال والنساء والأفراد وبالهيئات التي تعنى طواعية برعاية الطفولة وبالسلطات المحلية والحكومات ، أن تعترف بهذه الحقوق وتعمل على مزاولتها بإجراءات تشريعية وغيرها على أن يتم ذلك وفقاً للمبادىء التالية :

المبدأ الأول

يجب أن يتمتع الطفل بكافة الحقوق الواردة في هذا الإعلان . يحق لكل الأطفال التمتع بهذه الحقوق ، دون أي استثناء أو تمييز بسبب العنصر أو اللون أو الجنس أو اللغة أو الدين أو الرأي السياسي أو أي رأي آخر ، أو الأصل الاجتماعي أو الثروة أو الميلاد أو أي وضع آخر له أو لأسرته .

المبدأ الثاني

يجب أن يكون للطفل حق التمتع بوقاية خاصة وأن تتاح له الفرص والوسائل ، وفقاً لأحكام القانون وغير ذلك ، لكي ينشأ من النواحي البدنية والروحية الاجتماعية على غرار طبيعي وفي ظروف تتسم بالحرية والكرامة وفي سبيل تنفيذ أحكام القانون في هذا الشأن يجب أن يكون الاعتبار الأعظم لمصالح الطفل .

المبدأ الثالث

ويجب أيضاً أن يكون للطفل منذ ولادته الحق في أن يعرف باسم وبجنسية معينة .

المبدأ الرابع

يجب أن يتاح للطفل التمتع بمزايا **الأمن الاجتماعي** وأن يكون له الحق في أن ينشأ وينمو في صحة وعافية . وتحقيقاً لهذا الهدف يجب أن تمنح الرعاية والوقاية له ولأمه قبل ولادته وبعدها .

وينبغي أن يكون للطفل الحق في التغذية الكافية والمأوى والرياضة والعناية الطبية .

المبدأ الخامس

يطلب **توفير العلاج الخاص والتربية والرعاية** التي تقتضيها حالة الطفل المصاب بعجز بسبب إحدى العاهات .

المبدأ السادس

ولكي تكون للطفل شخصية كاملة متناسقة **يجب أن يحظى قدر الإمكان بالمحبة والتفهم كما يجب أن ينمو تحت رعاية والديه ومسؤوليتهما ، وعلى كل حال في جو من الحنان يكفل له الأمن من الناحيتين المادية والأدبية .** ويجب ألا يفصل الطفل عن والديه في مستهل حياته إلا في حالات استثنائية . وعلى المجتمع والسلطات العامة أن تكفل المعونة الكافية للأطفال المحرومين من رعاية الأسرة ولأولئك الذين ليست لديهم وسائل رغد العيش . ومما يجدر تحقيقه أن تتولى الدولة والهيئات المختصة الأخرى بذل المعونة المالية التي تكفل إعالة أبناء الأسر الكبيرة العدد .

المبدأ السابع

للطفل الحق في الحصول على **وسائل التعليم الاجباري المجاني ، على الأقل في المرحلة الابتدائية .** كما يجب أن تتيح له هذه الوسائل ما يرفع مستوى ثقافته العامة ويمكنه من أن ينمي قدراته وحسن تقديره للأمور وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية لكي يصبح عضواً مفيداً في المجتمع .

ويجب أن يكون تحقيق خير مصالح الطفل المبدأ الذي يسير على هديه أولئك الذين يتولون تعليمه وارشاده على أن تقع أكبر تبعة في هذا الشأن على عاتق والديه .

ومن الواجب أن تتاح للطفل فرصة للترفيه عن نفسه باللعب والرياضة اللذين يجب أن يستهدفا نفس الغاية التي يرمي التعليم والتربية إلى بلوغها . وعلى المجتمع والذين يتولون السلطات العامة ، أن يعملوا على إتاحة الاستمتاع الكامل بهذا الحق للطفل .

المبدأ الثامن

ويجب أيضا أن يكون للطفل المقام الأول في الحصول على الوقاية والاغاثة في حالة وقوع الكوارث .

المبدأ التاسع

يجب ضمان الوقاية للطفل من كافة ضروب الاهمال والقسوة والاستغلال . وينبغي أيضاً ألا يكون معرضاً للاتجار به بأية وسلية من الوسائل .

ومن الواجب ألا يبدأ استخدام الطفل قبل بلوغه سناً مناسبة كما يجب ألا يسمح له بأي حال من الأحوال أن يتولى حرفة أو عملاً قد يضر بصحته أو يعرقل وسائل تعليمه أو يعترض طرق نموه من الناحية البدنية أو الخلقية أو العقلية .

المبدأ العاشر

يجب أن تتاح للطفل وسائل الوقاية من الأعمال والتدابير التي قد تبث في نفسه أي نوع من التمييز من الناحيتين العنصرية أو الدينية وأن تتسم تنشئته بروح التفاهم والتسامح والصداقة بين كافة الشعوب وكذلك بمحبة السلام والأخوة الشاملة وأن يشعر شعوراً قوياً بأن من واجبه أن يكرس كل ما يملك من طاقة ومواهب خدمة إخوانه في الإنسانية .

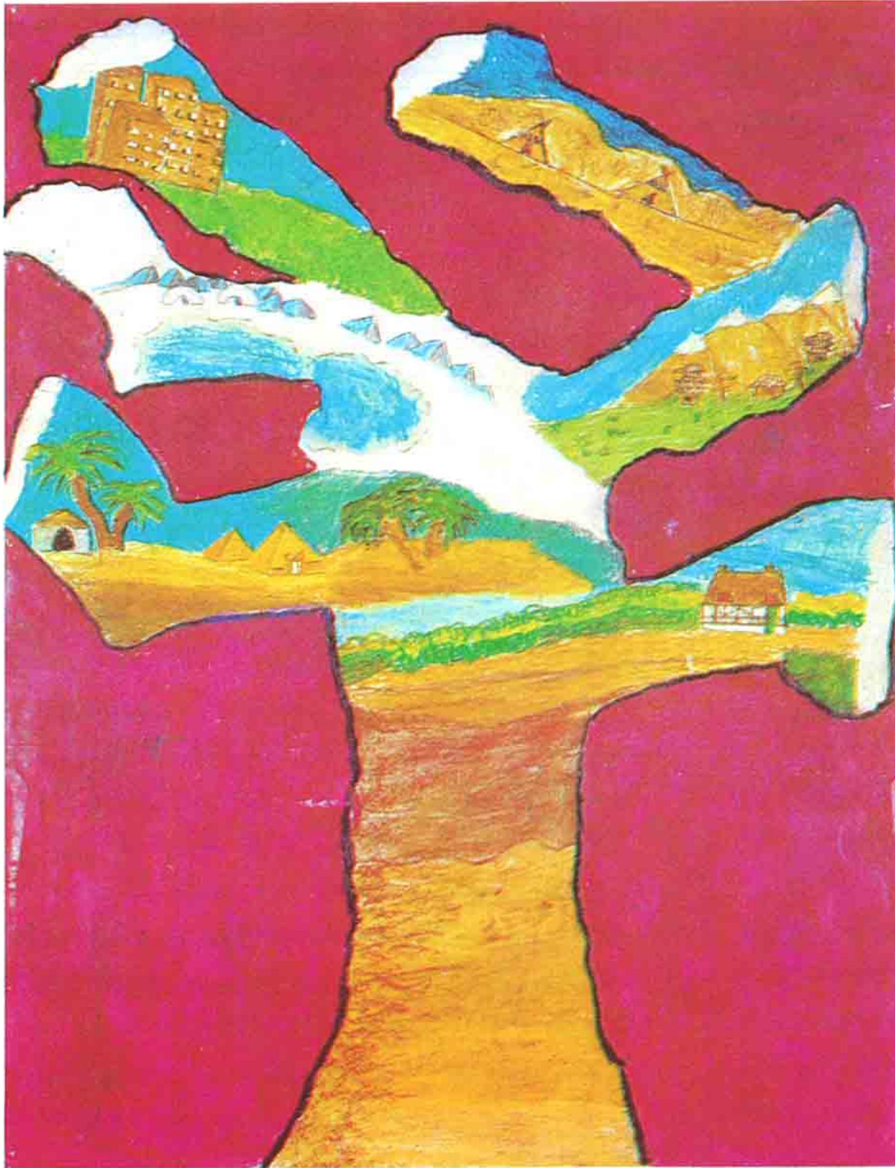


بمناسبة

عام الطفل

اتجاهات جديدة في علم النفس التربوي لدى الأطفال

بقلم: د. عبد الفتاح الديدي



★ اللوحة للفنانة الصغيرة «ماري تولون» من إسبانيا عمرها ١٢ عاماً .. رسمت هذه الشجرة وكأنها ذراع لها خمس أصابع، محلقة في الفضاء، متصورة مدينة هادئة .. تحلم في هدوء صامت ★



● لقد تعاون كل من علم النفس لدى الأطفال، وعلم نفس النمو وعلم النفس الناسلى فى إرساء قواعد علم التربية فى مدارس الأطفال بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل.

●● على الرغم من الاعتقاد بأن العامل الأساسي في نظرة الطفل الأخلاقية مرجعها إلى الخلفية المنزلية، فقد استطاعت المدارس أن تقنع نفسها بقدرتها على التأثير في النمو الأخلاقي لدى الأطفال.

●●● الهدف من التربية إيجاد الوسائل التي تكفل حرية الطفل في ممارسة الحياة الواقعية مع بناء هذا الواقع الخارجي نفسه، باستكمال قدرات الطفل على مواجهة هذا الواقع.

أصبحت التربية اليوم علما بالمعنى المحدد لكلمة العلم . وارتبط مصير الأطفال في المدارس بكل ما نقدمه لهذا العلم من جهود وبكل ما يترتب على أبحاثنا من ثمرات من أجل تأصيل هذا العلم وتثبيته . واهتم علم التربية بتحديد الخطوات التي يمر بها الطفل في تطوره مع تزايد نموه على نحو ثابت مؤكد يضمن تعامل رجال التربية مع حقائق علمية لا دخل للظنون أو العادات في تعديلها وتبدليها .



ففي علم التربية الحالي يتعامل رجال التربية مع وقائع علمية موضوعية مبنية على تحديدات تماثل ما نراه في العلوم الطبيعية والظواهر الكيماوية . وتنشأ هذه الظواهر العلمية نتيجة لتقديرات دقيقة لحالات التلاميذ وحسابات مؤكدة لنشاطهم السلوكي ودراسات واعية لكل مراحل تطورهم ونموهم منذ ساعة الصفر ، أي ساعة الولادة حتى سن الخامسة عشرة وما بعدها .

وصارت المدرسة اليوم مؤسسة تحدد من جانبها كل الخصائص والمميزات والقدرات التي يتمتع بها الطفل ، وتوجد وسائل يحاول المربون أن يطبقوها منهجياً من أجل التعرف العلمي على قدرات واتجاهات كل طفل . **فيضعون المقاييس اللازمة التي يتعرفون بها على ذكاء الطفل ومستوى تفكيره ومدى استجابته الوجدانية للظواهر المحيطة وقدرته على الاستيعاب وممارسته للحياة الاجتماعية مع زملائه الأطفال ، وإقباله على اللعب أو على المذاكرة ، ومدى الانتباه الذي يعطيه لكل موقف من المواقف .** ويحدد المربون في المدرسة كل خصائص الطفل في سجل خاص بكل طفل . ويعمدون في نفس الوقت إلى وصف البيئة المنزلية التي يعيش فيها الطفل حياته البيتية ويقضي فيها أوقاته خارج المدرسة . ويعملون هذا كله في دقة وفي سرية واهتمام بالغ بحيث يصبح الطفل في النهاية جملة من التصرفات المحسوبة ومقداراً نوعياً من السلوك المحدد سلفاً وحزمة من الأفعال المعروفة وفقاً لشتى المناسبات التي يجتازها .

وتعاون كل من علم نفس الطفل وعلم نفس النمو وعلم النفس الناسلي في إرساء قواعد علم التربية في مدارس الأطفال بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل . وصار من الواجب في هذه الأيام نقل هذه التجربة التربوية الجديدة إلى مدارسنا . وأثرى علم النفس الحديث علوم التربية بشتى التجارب والاتجاهات لتستجيب لحاجات المدارس والمجتمعات في أوضاعنا الحاضرة .

وكانت المدارس إلى عهد غير بعيد تحاول تحديد السلوك الأخلاقي وتنميته عند التلاميذ عن طريقين ... أعني أنها اتبعت خطتين في محاولتها لتعيين النمو الأخلاقي عند تلاميذها .

● **الطريقة الأولى** التي اتبعتها تلك المدارس الأوروبية هي محاولة تقديم ارشادات واعطاء تعليمات أخلاقية صريحة إلى تلاميذها مع استخدام مناهج السؤال والجواب والمواعظ الأخلاقية من أجل توصيل أخلاقيات المجتمع إلى عالم الأوامر والنواهي الذي يعيش فيه الصغار . واستمرت هذه الطريقة في اتباع خطة إملاء هذه الأخلاقيات من خلال السلطة المدرسية وأسلوب القهر اعتماداً على المراقبة المشددة لسلوك الأطفال .

● **أما الطريقة الثانية** فكانت تعتمد على الأسلوب غير المباشر في توجيه الأطفال اعتماداً على المواقف والمناسبات التي تتجدد فيها الحاجة إلى اتباع هذا الأسلوب . فكان المربي ينتظر المناسبة التي يوجه فيها ملاحظاته إلى تلاميذه على نحو غير مباشر كأن الموضوع غير مقصود وكأن الكلام يقال لاعتبارات عامة .

وعلى الرغم من الاعتقاد بأن العامل الأساسي في نظرة الطفل الأخلاقية مرجعها إلى الخلفية المنزلية استطاعت المدارس عندئذ أن تقنع نفسها بأنها قادرة من جانبها على التأثير على النمو الأخلاقي عند الأطفال . ولا شك في أن المدرسة بتجربتها اليومية المتكررة وإدارتها وتنظيمها وما تفرضه من قيم ومبادىء وما تدفع التلاميذ إلى ممارسته من أشكال السلوك ، تخلق عاملاً شديد التأثير على تطور ونمو اتجاهات التلاميذ . ولا نلبث بالتالي أن نرى تجاوباً محققاً بين هيئة التدريس والتلاميذ من حيث الاعتقادات ومن حيث المثل العليا الأخلاقية والأهداف السلوكية . فالنظام والقدوة التي يمارسها كل من المدرسين والتلاميذ وتحديد الأهداف العامة للحياة مع استخدام وسائل الترغيب والترهيب وممارسة ذلك عملياً في الفصول وفي ساعات الألعاب ... كل هذا يؤدي إلى التأثير على المفهوم الأخلاقي وعلى السلوك العام للتلاميذ داخل المدرسة وخارجها ، وغني عن القول إن الكثيرين وجدوا راحة في اتباع الطريقة الأولى أو الثانية فاكتفوا بأيهما واقتنعوا تماماً بأنه لم تعد هناك حاجة إلى غير ذلك من المناهج التربوية .

ادخال المناهج المعاصرة في التربية

ونحن نعرف أن التربية تستمد مناهجها وأسسها التربوية من النتائج التي تحققها علوم النفس الخاصة بالطفولة في مختلف حقولها وميادينها واتجاهاتها . ولا نضيف جديدا إذا قلنا إن كل اكتشاف في مجال علم النفس يؤدي إلى تطور مماثل وإلى أثر ملموس في مجالات التربية .

وعندما طغت موجة المقاييس النفسية في النصف الأول من هذا القرن ، تأثرت علوم التربية بذلك تأثراً كبيراً ، وصارت تنافس علم النفس في تطبيق المقاييس على القدرات وعلى الخصائص الأخلاقية وأنواع السلوك . واستمرت على هذا النحو في استخدام المقاييس حتى اليوم في المدارس التي تستهدي بالمقاييس الآن من أجل اكتشاف خصائص ومميزات محددة لكل طفل ، ومن أجل تحديد وضعية الطفل بين أقرانه تحديداً علمياً قاطعاً يسمح بأن يكون التعامل التربوي تعاملاً مبنياً على استقراءات



★ اللوحة للفنانة الصغيرة «جازيل سينوكي» ١٣ عاماً من الجزائر ، وقد رسمت الشجرة على هيئة فتاة كالوردة ، وقد تهدل شعرها في رقة وبساطة ★

واستبيانات تؤدي إلى تحويل علم التربية إلى علم ثابت وطيد .

وبطبيعة الحال ساعدت هذه المقاييس الخاصة بالفروق الفردية على إضافة معلومات جديدة عن التلاميذ وعلى استحداث وسائل تربوية يتعامل فيها المدرس مع عدد من المعطيات المحددة بالنسبة لكل طفل . فأصبح من السهل تحديد موقع كل طفل واكتشاف أبعاده السلوكية وربط عمليات تفكيره بعضها ببعض ومعرفة أحلام كل واحد منهم وخلق سياق موحد لكل شخصية من الشخصيات التي يتمتع بها الأطفال بحيث تكون الاستجابة على قدر المؤثر وبحيث يكون التوجيه ملتزماً بكل ما يعرفه المدرس عن التلاميذ .

وفي مجال الأخلاق بالذات أصبح التركيز على نمو الشخصية مع تأكيد وتشجيع بعض الخصائص الفردية والشخصية المميزة عند كل طفل على حدة . وفي بعض الدروس يهتم المدرس بدراسة الشخصية الفردية . ويعمد عندئذ إلى تعزيز علم النفس الخاص بالشخصية من أجل معاونة الصغار على معرفة أنفسهم وإدراك ملكاتهم . ويقوم بتحليل ومناقشة الانفعالات الإنسانية حتى يساعد الأطفال على فهم ما تنطوي عليه ملامح النضج العاطفي والاكتمال الوجداني .

وذهبت بعض المدارس إلى حد إعطاء بعض الشروح للاختلاف الماثل في العمليات الذهنية الخاصة بكل جنس على حدة . وفي هذه الحالة يختار المدرسون المواد التي تساعد على تكوين القدرات المختلفة وعلى تشجيع الامتياز والتقدير والحكم . وذهبت بعض المدارس الأخرى إلى حد محاولة ترغيب الأطفال في تنمية موقفهم الأخلاقي الشخصي عن طريق التفكير النقدي حول بعض المسائل الأخلاقية . واهتمت بعض المدارس أيضاً بما نسميه الالتزام النظامي الذاتي في حياة الإنسان بأكملها وفرض الطفل بنفسه ومن تلقاء ذاته النظام على نفسه حتى يتمكن الأطفال من إبراز نوع الحياة التي يفضلها كل منهم والتي يمضي في حياته على نمطها .

وصرفت بعض المدارس اهتمامها إلى محاولة استخلاص أفكار الأطفال أنفسهم والسعي إلى التعرف على ما يركزون عليه اهتمامهم عند مناقشة المشاكل التي يثيرها الأطفال . وذهب بعضهم إلى حد القول بضرورة تضمين دروس التربية الأخلاقية موضوعات تؤثر تأثيراً مباشراً على معاش الأطفال . أي إنهم ذهبوا إلى القول بضرورة احتواء دروس التربية الأخلاقية على مشاكل معينة تجري عادة في إطار التجربة الخاصة بالأطفال . وأراد بعضهم مناقشة الصعوبات وأنواع الفشل الفردية التي يلاقيها هؤلاء الأطفال على أن تنحصر هذه الدروس في جدول المسائل الأخلاقية الفردية التي يثيرها التلاميذ عند وجودهم في الفصول وعلى أن ترتبط إلى حد ما بالمسائل الصحية والظروف البدنية العضوية الشخصية .

علم النفس الناسلي وآثاره التربوية

ومن أبرز العلماء الذين اهتموا بوضع صيغة تربوية كاملة **كلاباريد** في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ثم من بعده تلميذه العالم الكبير الأستاذ **جان بياجيه** المولود سنة ١٨٩٦ م ، رئيس معهد **جان جاك روسو** حالياً في جنيف بسويسرا . وعاش كلاباريد متخصصاً في علم نفس الطفل وألف كتابه المشهور في هذا الفرع من التخصص . وأسس هذا العالم مبادىء علم النفس وأصول التربية في إطار المفهوم الوظيفي الذي كان له أبعد الآثار على علم النفس الحديث . وتتلمذ عليه بياجيه واشتغل معه بعلم النفس الوظيفي ثم استقل باتجاه جديد في **علم النفس الناسلي** . وكان كلاباريد قد بذل جهداً كبيراً في مجال القياسات والفروق الفردية للأطفال . ولكن بياجيه عدل عن هذا الموقف واتجه اتجاهاً مختلفاً وإن بقيت جذوره وظيفية .

فلم يلبث بياجيه أن افترق عن أستاذه في الثلاثينات من هذا القرن وأقام علم نفس الطفل الجديد تحت اسم علم النفس الناسلي . **ويفضل بعض الأساتذة تسمية هذا العلم باسم علم النفس التكويني في البلاد العربية ، ولكن كلمة الناسلية في رأينا هي أقرب شيء إلى الاسم الصحيح الذي يطلق على هذه المدرسة الجديدة .**

والناسلية نسبة إلى الناسلات ومفردها ناسلة وهي ما يعرف باسم الجينات . والاسم الأجنبي للناسلية هو « **الجينيتيك** » ، وليس هذا الاسم في اللغة الفرنسية منسوباً إلى « **جينيز** » بمعنى تكوين ، لأن النسبة

★اللوحة للفنان الطفل «ستيفن بجمور» من كندا، العمر ٥ سنوات.
نلاحظ في رسمه للشجرة، أنه تخيلها على شكل وجه.. والعينين، إحداهما «طائر».. والثانية «تفاحة».. واللون الأخضر يسيطر على مساحة اللوحة، إحساس من الفنان الصغير بالأمان والخير★



إلى جينيز هي جينيزيك وليست جينيتيك. أما هذه الأخيرة فهي منسوبة إلى الجينات مباشرة، وهي الناسلات باللغة العربية كما أقرها المجمع اللغوي بالقاهرة. **وعلم الجينيتيك أو الناسلية، اسم مستقل لعلم يوصف به علم الوراثة من حيث انتقال الخصائص في الناسلات مع فاعليتها طولا وعرضا كأسكيمات أو مخططات مجملة متآزرة تفرض نفسها فرضا على أجيال متوالية أو على جيل واحد بكل ما تتصف به من الخصائص والمزايا والسمات.**

ويتبين هذا الفاصل الدقيق بين علم النفس الناسلي وما عداه من علوم النفس الخاصة بالنمو أو الارتقاء أو التكوين من تحديد موقفه الأساسي حيال حياة الرضيع. فالرضيع من وجهة نظر علم النفس الناسلي يكتسب معرفته بالعالم الخارجي خلال أفعاله الخاصة وليس عن طريق التعليم أو التلقين من جانب من يعيشون حوله. فهو يتابع الأشياء المتحركة والأشياء الساكنة والأشياء التي تصدر عنها أصوات الأشخاص المارين من حوله والأجسام التي يصادفها أثناء حبوه وزحفه على الأرض والخطوط والأشكال التي تستوقف انتباهه... ويمارس أيضاً عمليات ملاحقة الأشياء ومتابعتها فضلاً عن أنه يتعلم تآزر حركات العين واليدين والساقين من أجل الامساك بالشيء المطلوب، والفضل هنا في التأثير عليه يرجع إلى عوامل الوراثة ووجود الوالدين - والوالدة بالذات - حوله. فهذا هو ما يخلق تأثيراً واضحاً على قدراته في المرحلة الحسية الحركية حتى سن السنتين كما أن هذا هو ما يساعد على إعدادها وصقلها. ولكن المهم هنا هو أن التلقين لا يفيد شيئاً على الاطلاق في تعجيل المراحل الانتقالية التي يمر بها والمعارف التي يكتسبها.

هذا فضلاً عن أن الطفل يستجمع شتاته بعد سن السنتين في عمليات التآزر والتمثيل والتعديل وفقاً لمخططات مجملة وراثية بحيث يواجه العالم الخارجي في متطلباته. ويتفق علماء النفس جميعاً من كافة الاتجاهات مع بياجيه في أن سن السادسة أو السابعة هي سن ظهور المنطق عند الطفل. **ولذلك يسمي بياجيه ما قبل تلك السن باسم مرحلة ما قبل المنطق أو ما قبل الفاعلية عند الطفل ويسمي ما**



كانت تتملكن في طفولتي رغبة في مراقبة المصلين وحركاتهم . وكثيراً ما وقفت بباب (**جامع البيك**) المواجه لدارنا في السوق القديم أرنو إلى جماعة المصلين ، فأرى تفاوتاً في تعابير الوجوه وفي طريقة أداء الصلاة . فهناك المسرع المتعجل الذي يبدو وكأنه لا يفكر بما يقوم به ؛ وهناك المتأني الخاشع والمندمج فيما يفعل بروحه وبقلبه . وكانت مراقبة الحركات تستهويني إلى حد بعيد ، وكنت أتمنى دائماً لو أعرف لماذا يقوم بها المصلون في تعبيرهم عن إيمانهم وتخشعهم الديني . ولم أعرف إلا بعد زمن طويل أن كل طقوس العبادات وشعائرها منذ الوثنية البدائية تتخذ الصفة المسرحية في التعبير عن الاحساس الديني ، فكأن الإنسان يملك ميلاً فطرياً إلى الأجواء الغامضة ذات التأثير .

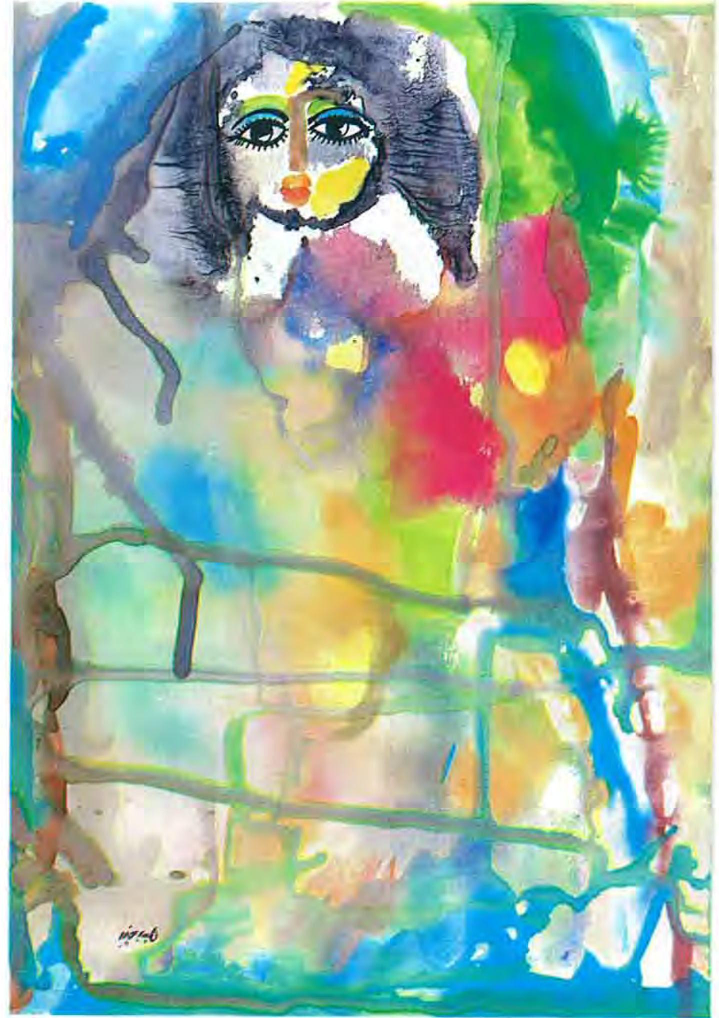
أما **الشيخة** فكان أداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة والتصنع . كان هناك دائماً شيء مصطنع وغير حقيقي في « **مسرحية** » أدائها للصلاة . وكانت تعتريها أحياناً حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز هزات عنيفة ، وتحرك رأسها بعنف يميناً شمالاً مع ترديد اسم **الله** : **الله** . . **الله** . . **الله** . . الخ ، تلفظه بعجلة وبلا توقف ، ويأخذ الزبد يتراكم على طرفي فمها كلما أمعنت في حركات الدروشة . وكان معنى هذا أن **روح الله** حلت فيها . ويحدث أحياناً أن تحل فيها الروح وهي في جلسة عادية مع النسوة الزائرات .

أما أوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لاصدار الأوامر والنواهي على نساء العائلة ، واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شأن المحبطين الفاشلين في الحياة .

وما كان أسوأ ظن **الشيخة** . ففي كثير من الحالات كانت تفسر تصرفات الآخرين تفسيراً غريباً . ولم تكن لتسمح لواحدة من بنات العائلة بإقامة أية صداقة مع القريبات أو زميلات الدراسة أو بنات الجيران ، فالشيطان في رأيها قابع هناك دائماً ـ بين كل اثنين ـ وهكذا كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة أو رفيقة جيرة .

وحين كنت أقوم بتقديم خدمة لها أو شراء ما تحتاج إليه من السوق ، كنت أفعل ذلك بلهفة لأكسب محبتها أو رضى تلك « **البعبع** » عني ؛ ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة أو نظرة فيها طراوة وحنو ، فكانت تقف دائماً كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء . وكنت أقارن في نفسي بينها وبين جدتي لأمي ؛ ما أبعد الفرق ! هنا الدفء والرقة والنعومة ، أما **الشيخة** فكانت صحراء ، لا شجرة فيها ولا ينبوع ماء ؛ كانت قاسية نصبت نفسها على عرش غير منظور .

كانت متكبرة متعالية ، تتملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هي المتدينة ، والتي تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهن أطفالهن المرضى ، وبأيديهن أباريق الماء لتتلو **الشيخة** آيات القرآن على رؤوس الأطفال ولتنفث أنفاسها « **الطاهرة** » داخل الابريق كيما تحل في الماء البركة الشافية ، هذه نظرة ممجوجة يملؤها الترفع والتعالي : نحن فوق ، أنتم



تحت . . . هكذا أراد الله ! .

في تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدراً من صنع الله ، وحكماً من أحكامه لا يردّ . كنت أسمع دائماً هذه الكلمة المقيتة : سيدي . . ستي . . أمرك سيدي . . أمرك ستي . يتقبلونها ولا يتمردون عليها . وإذا كنا نرفض اليوم قول **أرسطو** : « إن العبد يشبه الحيوان » ، فما كان قوله هذا في زمنه ممجوجاً ولا مرفوضاً ، فقد كان **أرسطو** منساقاً مع الأفكار السائدة في عصره ، أفكار المجتمع الأثيني العبودي .

في مناسبة من مناسبات الأفراح في البيت قالت امرأة **للشيخة** : شرفينا يا ستي بزيارة لنا ، نحن نزوركم دائماً ولا تزوروننا . وحدجتها **الشيخة** بعينين جليديتين ، ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعي ، دائماً وأبداً تزوروننا ولا نزوركم ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة ؟ وماذا جرى للدنيا ؟ هل انقلبت الأشياء رأساً على عقب ؟!

وانكسفت المرأة ، وغاص قلبي في جوفي رحمة بها ، ومضيت أهرول إلى أمي أحكي لها كيف كسفت **الشيخة** تلك المرأة المسكينة ، كنت صغيرة ، لا أدرك معنى الانسحاق الإنساني وقسوته ، ولكني كنت أعاف هذه المواقف غريزياً وتلقائياً ، فقد كنت شديدة الحساسية ، ولعلي كنت بالنسبة لهذا الموقف متأثرة لا شعورياً بأمي ؛ فقد كانت تستهجن التعالي الطبقي ، وتنتقد غطرسة **الشيخة** حتى لا تصيبنا عدواها . وكانت هي نفسها تنتمي إلى عائلة متوسطة الحال . كانت تقول بكل بساطة : **كلنا من خلق رب واحد ، وكلنا مصيرنا إلى التراب** . إن **الشيخة** قاسية القلب ، فالإنسان لا ينبغي أن يهين كرامة إنسان آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية ، ومن القسوة التي يعاقب عليها الله إيذاء شعور الفقير .

كانت أمي تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذي يساوي بين كل الناس . كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقي لكلمة (**إنسان**) وما يحمله هذا المعنى من شمول أخوي .

وكنت بدوري أستغرب كيف يمكن أن يتخذ إنسان ، ناهيك بشيخة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . وحين كبرت أدركت نفاق **الشيخة** الديني ، فما استطاع الدين أن يشذب أحاسيسها ومشاعرها إلى جانب أميتها الأبجدية .

وكانت عندها مقاييس الحلال والحرام واللائق وغير اللائق عجيبة غريبة ، كان هذا يبلبل عقلي الصغير ويشوش صفاء طفولتي وبساطتها .

كان الغناء بهجتي وفرحي . فكنت إذا خلوت بنفسي أرفع صوتي أحياناً بأغنية أحبها لعبد الوهاب أو أم كلثوم : (كم بعثنا مع النسيم سلاماً للحبيب الجميل حيث . .) وتدخل **الشيخة** كالزوبعة : اخرسي . . اغلقي فمك . . لم يبق إلا أن تصبحي « جنكية » في تخت (**هند**) و (**سارينا**) ! . . وينكسر صوتي فجأة ، وتتعلق الأغنية في الهواء مبتورة ناقصة .

أما (**هند**) و (**سارينا**) فكانتا مغنيتين محترفتين في نابلس ، وكلمة **جنكية** تطلق عادة على المغنية المحترفة ، وهي مشتقة من كلمة « **الجنك** » الاسم الفارسي لآلة موسيقية تشبه السنطور . ولو اخترقت الشيخة أعماقي في تلك الأيام لوقع بصرها على أمنية قابعة هناك تحمل تطلعي إلى أن أصبح يوماً جنكية .

ذات يوم ، وأنا في بداية مسيرتي الشعرية ، دخلت الشيخة غرفتنا ، أو لأقل « **غرفة البنات** » كما كان يطلق عليها ، أو « **البيت القبلي** » . فقد كان لكل غرفة اسم خاص في الدار . دخلت **الشيخة** لتفاجأ بشقيقي الكبير أحمد يساعدني في توضيح بعض **القواعد العروضية** . وقفت صامتة فوق رأسينا ، ثم قالت لأحمد بلهجة مرَّة عاتبة : حتى أنت ؟! ثم أضافت : كلما طلع للبنت قرن اكسره ! ومازحها **أحمد** بكلمة عابرة ثم انصرف إلي من جديد .

(حتى أنت !؟) ، تعبير مفجوع برجاحة عقل **أحمد** ، الوحيد الذي كانت تؤثره من دوننا بالمحبة ، أما إبراهيم فما أحبته قط ، وكان في نظرها خارجاً على تقاليد العائلة ، متحرراً من قيودها الصارمة .

لقد كانت الشيخة من ضمن أولئك الذين لعبوا دورهم في حياتي ثم أوغلوا في مطاوي الزمن !

فدوى طوقان

نابلس ـ الضفة الغربية



★ اللوحة للفنانة الطفلة «فاطمة بن مذكور» من تونس ـ العمر ١٢ عاماً . . وقد رسمت الشجرة على شكل عروس تزينها الزخارف الكثيرة ، القريبة من زخارف البيئة الشعبية ★

تحليل هذه العملية بلغة الفاعلية أي بلغة المرحلة التالية لظهور المنطق المركب من محسوسات . **والنقطة الأولى هي التقوية والتعزيز والنقطة الثانية هي التنمية لقدرة الطفل بحيث تصبح ذات تأثير في علاقاته القائمة على التبادل خلال استعمالاته للمنطق .**

والفكرة الأساسية هنا هي التعليم خلال المشاركة الايجابية مع تأكيد استقلال الطفل وحريته ، ويتدخل ارشاد المدرس هنا كعنصر لازم وضروري من أجل تنمية هذا المناخ الخاص بالتعليم . ويلعب هذا الارشاد من جانب المعلم دوراً جوهرياً في العملية المميزة التي يمر بها الطفل وبالتالي في عملية الارتباط بالأهداف وتعيين الأغراض .

مثال ذلك إذا سأل التلميذ المعلم رأيه في أحد أعماله المتكاملة لا ينبغي أن تكون إجابة المعلم متضمنة لأي حكم من أحكام القيمة . ويتجه المعلم بدلا من ذلك إلى سؤال التلميذ معاودة النظر في هذا العمل الذي أتمه ويسأله : كيف فعلت ذلك ؟ أو يسأله : **هل تستطيع أن تشرح لي ذلك ؟** فإذا طلب التلميذ من المعلم أن يصدر حكماً من أحكام القيمة أجابه المعلم بمعاودة الاستفسار منه عن مشاعره مثل : **ما الذي تشعر به حيال هذا العمل ؟** والمهم هو ألا يحاول المعلم كشف الموقف الخاص بالطفل . وسواء كان العمل ذا نتيجة سلبية أو إيجابية فالمهم هو ربط هذا العمل بخطة خاصة بتجربة ذات علاقة بأي أعمال مستقبلية .

وهناك خاصية أخرى ذات أهمية قصوى في علاقة المعلم بالتلميذ والتلميذ بالمعلم ، وفي تنشئة الروح الاجتماعية داخل إطار برنامج مفتوح ، وهي استعمال الاستدلال المنطقي . فهي تقوم مقام الوظائف القادرة على إنشاء وتأسيس أفكار الهوية والمحافظة في العمل المدرسي داخل الفصل . وتنطبق الاستدلالات المنطقية هنا على مجموعة من الأنشطة العقلية التي تتضمن استباق الآثار التي تترتب على بعض أنماط من سلوك الطفل .

وتتضمن صور أخرى من الارشاد محاولة إبراز عدم التوفيق في نوع من السلوك . وعندئذ يفحص المعلم مع التلميذ ادراكه للموقف ومعياره للسلوك عن طريق التحليل المنطقي مع تقديم التوقعات المعقولة بالنسبة لكل واحد في النسق الاجتماعي . وهنا يتدخل عامل التقوية والتعزيز في اهتمامات المعلم نحو التلميذ وأسلوب عنايته به . وباستخدام جداول وكشوف التجارب السابقة يسعى المعلم لاظهار الفروق بين العديد من العناصر بحيث يعين الأطفال باستمرار على اكتشاف الوقائع التي يجمع بينها عنصر الهوية والتي تنتظم في إطار الهوية وفي إطار عوامل المحافظة على الكيان الاجتماعي . ويتم تعميم هذه الجداول والكشوف الخاصة بالتجارب في أساسها اعتماداً على اللغة .

ويتطلب استخدام المنطق توجيها وارشادا من جانب المعلم في وضع المشاكل التي تسمح بابراز التفكير الاستقرائي بكل ما يتمتع به من إقامة الفروض واستخلاص النتائج ومتابعة علاقات السببية ودراسة أوجه الاحتمال . ولكن تنمية الإحساس بالالزام المنطقي في إطار السياق الاجتماعي تتطلب في جوهرها علاقة قائمة على التبادل بين المعلم وبين التلميذ . وبدون هذه العلاقة يصعب إنشاء الاحتكاك الاجتماعي المطلوب من أجل اشعار التلميذ في تجربته بالخلفية المنطقية التي تكمن وراء الاتصالات والترابطات الاجتماعية .

ويبدو من موقف بياجيه أن التعليم في نظره يتطلب الفهم والاستيعاب ، وبذلك يكون الهدف من التربية في نظره ، إيجاد الوسائل التي تكفل حرية الطفل في ممارسة الحياة الواقعية مع بناء هذا الواقع الخارجي نفسه . فهذا البناء لا يتم إلا باستكمال قدرات الطفل في مواجهة العالم الخارجي وتوسيع رقعة إحساسه بالمنطق الكامن وراء كل الأحداث .





مفهوم الثقافة

بقلم: ابراهيم خورشيد

● إن كلمة ثقافة تدل على المزاج المركب من الخصائص والعقائد والمأثورات، وغير ذلك من الخصائص التى تميز جماعة من الجماعات من حيث السلالة أو الدين أو الاجتماع ومن ذلك قولنا: «أمة لها ثقافات كثيرة»

الثقافة كلمة، أجل كلمة واحدة، لكن مدلولها واسع عميق يشمل معاني كثيرة وقيماً متعددة اختلف الكتاب والعلماء في تحديدها وما زالوا يختلفون، ذلك أنها أصبحت في مفهومها الحديث كالحياة الحديثة متشابكة الأسباب متداخلة المسالك، تمتزج عناصرها امتزاجا يصعب على المرء تحديده وتحليله.

الثقافة في اللغة

وأصل الكلمة في اللغات الأوروبية الكبرى لاتيني هو Cultus وقد ظهر هذا اللفظ أول ما ظهر في العصر الذهبي للغة اللاتينية، ما بين القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول بعده، وكان معناه وقتئذ «**التقديس**» أو العبادة Cultura degli idoli.

والمعنى الأول لكلمة ثقافة في اللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية هو زراعة الأرض أو حرثها، ثم اتسع هذا المعنى وأصبح يدل على تعهد نبات أو حيوان أو محصول بالرعاية حتى ينمو ويزكو، ثم اتسع أكثر وأكثر، فدل على التنمية بالتعلم والدرس والتنوير وتهذيب الذوق بالتدريب العقلي والجمالي، ويدخل في ذلك أيضاً تهذيب السلوك.

ومن مدلولات كلمة ثقافة أيضاً في هذه اللغات: أن تتحصل للمرء خبرة وذوق في الفنون الجميلة والمعارف الإنسانية ومناحي العلم العامة، ولا يدخل في ذلك المعرفة أو البراعة اللتان يختص بهما أرباب المهن والفنيون والمحترفون.

ثم إن كلمة ثقافة تدل على المزاج المركب من الخصائص والعقائد والمأثورات وغير ذلك من الخصائص التي تميز جماعة من الجماعات من حيث السلالة أو الدين أو الاجتماع، ومن ذلك قولنا: **أمة لها ثقافات كثيرة**.

ومن معاني الثقافة أيضاً الحضارة، وإن كان المحدثون يفرقون بين مدلول الكلمتين تفرقة دقيقة يصعب تحديدها. وهذا شأن مثل هذه المصطلحات التي يعز على المرء أن يجد لها تعريفاً جامعاً مانعاً. ولا أدل على ذلك من أن الناقد الإنجليزي «**كليف بل**» في كتابه الممتع عن الحضارة لم يجد وسيلة لتحديد معانيها خيراً من تعريفها **بالسلوب**، فبدأ باستبعاد ما لا يدخل في الحضارة.

أما كلمة ثقافة في اللغة العربية، فإن نشأتها تختلف كل الاختلاف عن نشأتها في اللغات الأوروبية الكبرى، ذلك أنها كلمة محدثة في هذه اللغة، بل هي فيما أعلم، لم تستحدث لتدل على مفهومها عند الأوروبيين إلا منذ سنوات معدودات فحسب.

فقد جاء في **لسان العرب**: ثَقِفَ الشيء: حَذَقَه، وثَقِف الشيء: سرعة التعلم، وثَقِفْته إذا ظَفِرْتَ به، وثَقِفَ الرجل ثقافة: أي صار حاذقاً خفيفاً.

وورد في **المعجم الوسيط** الذي أصدره المجمع اللغوي:

ثَقِفَ ثَقْفًا: صار حاذقاً فطناً فهو ثَقْفٌ.

وثَقِفَ العلم والصناعة: حذقهما.

وثقف الشيء: أقام المعوج منه وسواه.

وثقف الإنسان: أدّبَه وهذبه وعلمه.

وتثقف مطاوع ثَقَّفَه ، ويقال تثقف على فلان ، وفي مدرسة كذا .

والثقافة : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها (محدثة) .

ويفهم من هذا أن لفظ «ثقافة» في اللغة العربية قد اصطلح عليه للدلالة على المعنى المراد به في اللغات الأوروبية ، لأن من معانيه الأصلية : **ثقف الشيء** : أقام المعوج منه وسواه ، ومن ثم استعمل على سبيل المجاز بمعنى التهذيب وهو عماد الكلمة في هذه اللغات .

مفهوم الثقافة عند العرب

ويسوقنا ذلك إلى البحث عن الكلمة العربية التي كانت تدل عند العرب على مفهوم الثقافة عند الغربيين . وإني لأرى أن هذه الكلمة هي الأدب ، ودليلي على ذلك : أن الأدب لفظ كان يدل في **الجاهلية وفي الاسلام** على الخلق النبيل الكريم ، وما يتركه من أثر في الحياة الخاصة والعامة . وفي المأثور : «**كاد الأدب أن يكون ثلثي الدين**» ، وللفظ الأدب أيضاً معنى مجازي زيادة على هذا المعنى العلمي نشأ عندما طمح العرب إلى المعرفة ، وأخذت حياتهم الاجتماعية تصقل يوماً بعد يوم على أسلوب حياة الفرس ، وبدأت حركة التأليف الأدبي تزدهر في القرنين الثاني والثالث للهجرة . **والأدب بمعناه المجازي يدل على جملة المعارف التي تسمو بالذهن وتبدو أكثر صلاحية في تحسين العلاقات الاجتماعية ، وخاصة اللغة ، والشعر ، وما يتصل به ، وأخبار العرب (خزانة الأدب للبغدادي ، ج ٤ ، ص ١٢٤) .**

ولعل من الخير أن نتوسع هنا في نشأة كلمة أدب عند العرب وتطور مدلولها ، فنقول : إن تاريخ هذه الكلمة أقوى من تاريخ كلمة «**علم**» وكلمة «**دين**» في الدلالة على تطور الثقافة العربية من الجاهلية إلى يومنا هذا .

ويجوز لنا أن نقول : إنها ، في أقدم مدلولاتها ، مرادفة لكلمة «سنّة» بمعنى «العادة» ونمط السلوك الموروث ، «والعرف» يتلقاها المرء من أجداده ومن غيرهم من الناس الذين ينظر إليهم نظرته إلى القدوة الصالحة قياساً على سنّة النبي ﷺ التي كانت هداية لأمته ونبراساً .

وقد اختلف العلماء في اشتقاق هذه الكلمة ، فبعض العلماء يقولون : إن الجمع آداب مشتق من الدأب بمعنى العرف أو العادة ، ثم اشتق المفرد «**أدب**» من الجمع آداب ، ويطابق هذا القول أقدم مدلولات الكلمة .

ويذهب بعضهم إلى أنها مشتقة من الأصل «**أدب**» بمعنى «**العجب**» أو «**المدعاة**» أو «**المأدبة**» .

ومهما يكن من شيء فإن أقدم مدلول للكلمة هو : **العادة** ، والمثل العلمي للسلوك ، ويتضمن ذلك صفتين : **الصفة الأولى** : أن تكون العادة والنمط محمودين ، **والصفة الثانية** : أن يكونا موروثين عن الأجداد والأسلاف .

ثم تطور هذا المعنى الأولي للكلمة ، وقد أبرز هذا التطور مضمونه الخلقي والعملي ، فأصبح الأدب يدل على : «**سمو النفس ، وطيب النشأة ، والتمدن ، ورقة الحاشية**» متمشياً في ذلك مع ما حدث من تهذيب الإسلام لأخلاق البدو وعاداتهم ، واتصالهم بثقافات الأعاجم في القرنين الأولين للهجرة . ومن ثم كان الأدب في مستهل **العصر العباسي** بهذا المعنى مرادفاً للفظ اللاتيني urbanitas أي التمدن ورقة الحاشية والتهذيب ، وهي صفات أهل الحضر التي تميزهم عن البدو . وظلت كلمة أدب محتفظة بهذا المعنى الخلقي والاجتماعي طوال عهد **الحضارة الاسلامية** كله إبان القرون الوسطى ومن قبيل ذلك استعمال كلمة أدب بمعنى أدب الطعام والشراب واللباس ، وأدب الصحبة (**مثل رسالة أدب النديم لكشاجم**) وأدب البحث (وثمة عدة رسائل في ذلك عنوانها :

«**آداب البحث**» و «**آداب الدرس**» و «**أدب العالم والمتعلم**» .. الخ .) .

على أن الأدب قد اكتسب منذ القرن الأول للهجرة معنى عقلياً بالإضافة إلى هذا المعنى الخلقي والاجتماعي ، وقد ارتبط هذا المعنى في أول الأمر بالمعنى الأول ، ثم أخذ يتميز عنه شيئاً فشيئاً ، ذلك أنه أصبح يدل على مجموع المعارف التي تجعل المرء متمدناً ، والثقافة الدنيوية (**تمييزا لها عن العلم ، أو قل العلم الديني الذي يقوم على القرآن والحديث والفقه**) التي تعتمد في المحل الأول على **الشعر** ، وفن **الخطابة** ، **والمأثورات** التاريخية والقبلية للعرب القدماء ، ويدخل في ذلك أيضاً العلوم المتصلة بها وهي : **البلاغة ، والنحو ، وفقه اللغة ، والعروض** . ومن ثم فإن هذا التصور الإنساني للأدب كان في أول أمره تصوراً قومياً بمعنى اللفظ الضيق .

فالأديب الكامل في **العصر الأموي** ، كان هو الذي يبرع في معرفة الشعراء القدماء وأيام العرب ، وفي ميدان الشعر والتاريخ القديم للثقافة العربية ، ولكن اتصال العرب بالثقافات الأجنبية وسع مفهوم الأدب ، وأحال التمدن العربي إلى تمدن عام لا تلحق به صفة تخصصه ، وهنالك أخذ الأدب يشمل المعرفة بأدب الأعاجم ، **كالفرس والهنود واليونان** المتأخرين ، الذي عرفته **الحضارة العربية الاسلامية** منذ صدر **العهد العباسي** ، ولذلك أصبح أديب القرن الثالث الهجري (**القرن التاسع الميلادي**) والمثال الكامل له هو **الجاحظ** ، لا يقتصر علمه على الشعر والنثر العربيين والحكم والأمثال وأنساب الجاهليين ومأثوراتهم ، وعلى معرفة العرب بعد الإسلام ، بل يجاوز ذلك إلى أفق أبعد وأوسع فيشمل علم **العالم الفارسي بكل ما فيه من ملاحم وحكم وروايات ، كما يشمل علم العالم الهندي** بأساطيره ، **والعالم الاغريقي** بفلسفته العلمية ، وخاصة علمي الأخلاق والاقتصاد .

ويتبين من ذلك أنه قد ظهرت في القرن الثالث الهجري كتب الأدب العظيمة التي تميزت بالمعرفة المحيطة المتنوعة الممتعة ، ونحن لا نستطيع أن نصفها بالعلم الخالص ، ولو أنها تتناول موضوعات علمية قوامها في المحل الأول : الإنسان وصفاته وانفعالاته ، والبيئة التي يعيش فيها ، والثقافة المادية والروحية التي أبدعها . وفي نطاق ذلك نحا الجاحظ وأتباعه (مثل **أبي حيان التوحيدي والتنوخي** وغيرهما) هذا المنحى ، ووسعوا التراث الذي خلفه للمجتمع الإسلامي في القرن السابق كاتب عربي موهوب فارسي الأصل هو **ابن المقفع** بنقله آثار الأعاجم التاريخية والأدبية (مثل كتاب **خداي نامه** ، وكتاب **كليلة ودمنة**) وتأليفه كتابين مبتكرين في الأخلاق والتهذيب هما (**الأدب الكبير والأدب الصغير**) ، وإن كانت نسبة الكتاب الأخير له مشكوكاً فيها .

ويتضمن لفظ الأدب أحياناً ، بالاضافة إلى المعارف الخالصة صفات اجتماعية مثل المهارة في الرياضة وغيرها من الألعاب الرشيقة ، وجلها ألعاب دخيلة .

ويتبين أثر الفرس في الأدب من القول المأثور عن **الوزير الحسن بن سهل** المتوفى عام ٢٧٦ هـ (٨٥٠ ـ ٨٥١ م) : «الآداب عشرة ، ثلاثة شهرجانية ، وثلاثة أنوشروانية ، وثلاثة عربية ، وواحدة أربت عليهن ، فأما الشهرجانية فضرب العود ولعب الشطرنج ولعب الصوالج ، وأما الأنوشروانية فالطب والهندسة والفروسية ، وأما العربية فالشعر والنسب وأيام الناس ، وأما الواحدة التي أربت عليهن فمقطعات الحديث والسمر وما يتلقاه الناس بينهم في المجالس» (**الحصري : زهر الآداب ، ج ١ ، ص ١٤٢**) .

على أن ذلك التصور الواسع المركب للأدب في مدلوله : الإنسانية أو الثقافة ، انكمش في العصر العباسي وضاق نطاقه . ذلك أنه تبدل من المعنى العام ، وهو «**الثقافة العامة الواجبة**» المطلوبة من أي رجل بلغ مستوى رفيعاً من المعرفة والتهذيب ، إلى معنى خاص هو : «**المعرفة الواجب توفرها في مناصب بعينها ووظائف اجتماعية بذاتها**» ، فأصبح يقال «**أدب الكاتب**» أي الثقافة التي يجب أن تتوفر في شاغل هذا المنصب (**أنظر كتاب «أدب الكاتب» لابن قتيبة**) ، و «**أدب**» أو «**آداب الوزراء**» أي مجموع المعارف الخاصة والتجارب

●● إن لفظ "ثقافة" في اللغة العربية ، قد اصطلح عليه للدلالة على المعنى المراد به في اللغات الأوروبية ، لأن من معانيه الأصلية : ثقف الشيء : أقام المعوج منه وسواه ومن ثم استعمل على سبيل المجاز بمعنى التهذيب وهو عماد الكلمة في هذه اللغات .



★ ابن المقفع ★

السليمة التي لا مناص من توفرها فيمن يشغل منصب الوزير . ومن قبيل ذلك أيضاً : **أدب القاضي** .

بيد أن فكرة الأدب انتهت إلى التجرد من ذلك المفهوم الإنساني الواسع الذي كان لها في العصر الذهبي للخلافة ، وانحصرت في أفق ضيق أقرب إلى المفهوم البلاغي ، وهو الشعر والنثر الفني والقصص والنوادر . وهذا هو نوع الأدب الذي برع فيه **الحريري** بما أثر عنه من تضلع في انتقاء اللفظ والمحسنات اللفظية والأسلوب التقليدي . وغدا الأدب أدب تخصص أكاديمي بعد أن كان مدلوله واسعاً يشمل المعارف الإنسانية التي يتصف بها الشخص المتمدن ، وظل هذا حاله طوال عصر اضمحلال الأدب العربي وضعف الروح العربية ، حتى قيام النهضة الحديثة .

أما في العصر الحديث فقد أصبح الجمع « **آداب** » مرادفاً للأدب بمفهوم الكلمة الخاص ، وشاهد ذلك كتاب **جورجي زيدان** : تاريخ الآداب العربية ثم رد أعلام الكتاب العرب لكلمة أدب منذ عهد قريب مدلولها الإنساني الواسع الأول الذي كانت تدل عليه في عز الخلافة العباسية .

الثقافة عند علماء الانسان

الثقافة في مفهومها عند علماء الإنسان وأعماله ، اكتشاف حديث . فلم يسبق في تاريخ الإنسان ، أن اتصل الناس من مختلف الثقافات بعضهم ببعض ذلك الاتصال الوثيق الذي نشهده اليوم ، فمنذ أن بدأ عصر الاستكشافات الذي استهله الملاحون البرتغاليون في القرن الخامس عشر ، أخذت الكشوف تتوالى فتجلت لنا قارات بأكملها لم نكن نعرف من أمرها شيئاً ، وعرفنا أقواماً ذوي ثقافات مختلفة ، ثقافات لم نكن لنتخيلها أو نسمع بها ، واستمرت هذه الاستكشافات أربعة قرون ، فزادت في معرفتنا بكل جانب من جوانب الطبيعة زيادة عجيبة لا يتصورها العقل ، وحفزت هذه الذخيرة الحاشدة المتنوعة من المعرفة الناس إلى ارتياد ميادين البحث العلمي والدراسات المتخصصة على اختلاف أنواعها لتصنيف تلك المعلومات وتنسيقها بما ييسر استخدامها والافادة منها .

وكان عدد ما كشف من الثقافات مذهلاً حتى أن **ميردوك** قد قدر عددها بما يقرب من ثلاثة آلاف ثقافة متميزة بخصائص معينة ، ونحن إذا راعينا القصد في تقدير هذا العدد متمشين مع ما يبديه علماء الإنسان وأعماله من غيرة في هذا السبيل ، استطعنا أن نقول إن ما كشف من ثقافات هذه القرون بلغ في المتوسط ثلاث ثقافات أو أربعاً كل عام .

ونخلص من هذا ، إلى أن الظاهرة التي نسميها « **ثقافة** » هي الكشف الأساسي في العلوم الاجتماعية بمعناها الحديث ، ونخص بالذكر من هذه العلوم : **علم الانسان الاجتماعي ، وعلم النفس الاجتماعي ، وعلم الاجتماع ،** فالثقافة ركن ركين في فهم الإنسان وفهم الجماعات ، وجل الأفكار التي نجدها في العلوم الاجتماعية الأخرى تنبع منها أو تعتمد عليها .

وحسبنا الآن أن نعرف الثقافة ، بأنها أسلوب الحياة في مجتمع ما ، ويشمل هذا الأسلوب تفصيلات لا تحصى من السلوك الإنساني ، وكلها تمثل الاستجابة (**الأفعال**) المألوفة المتوقعة لأفراد أي مجتمع حيال موقف معين . ويلاحظ أن استجابة معظم أفراد هذا المجتمع ، تكون على نسق واحد . مثال ذلك : أننا درجنا في المجتمع الذي نعيش فيه على أن نأكل ثلاث وجبات في اليوم ، وجبة الإفطار ، ووجبة الغداء ، ووجبة العشاء ، ومن يشذ عن ذلك ، يعد غريباً في بابه ، وهذا الاجماع في السلوك والرأي ، يعد نمطاً ثقافياً . والثقافة ككل ، هي مجموع الأنماط التي من هذا القبيل ، وهي تتفاوت في انتظامها تفاوتاً يختلف مقداره .

على أن المعاني الشائعة لكلمة ثقافة ، تدعو إلى الخلط والالتباس ، وشاهد ذلك : أننا نسمع كثيراً أن شخصاً ينعت بأنه « **مثقف** » ، وأن فعلاً يوصف بأنه فعل « **ثقافي** » ، ويتضمن هذا أن شخصاً آخر غير مثقف ، وأن فعلاً آخر « **غير ثقافي** » ، أي إن الثقافة في مفهوم الناس العام ، تقوم على التقويم . فبعض الأفعال تعد في نظر المجتمع صالحة محمودة ، وبعضها طالحة مرذولة .

المفهوم الاجتماعي لكلمة ثقافة

الثقافة ، هي الأنماط الدائبة التغير للسلوك المكتسب ، ونتائج هذا السلوك (**يدخل في ذلك النزعات والقيم والمعرفة والأشياء المادية**) يشترك فيها أفراد المجتمع وتنشر بينهم :

١ ـ السلوك المكتسب :

وتفسيراً لذلك نقول : إن الجوع مثلاً ينشأ من حاجات فسيولوجية لجهازنا الهضمي تدفعنا إلى أن نسد هذه الحاجات ، والجوع عند هذا الحد ليس ثقافة ، لكن الطريقة التي نأكل بها ، وأنواع الطعام الذي نستهلكه ، والوسائل التي نصطنعها للحصول على القوت ، تعد كلها من الثقافة .

والسلوك بمعنى الكلمة الاصطلاحي يشمل السلوك المحمود ، والسلوك المذموم عند الجماعة . وليس كل سلوك مكتسباً ، وإن كان معظمه كذلك . فأنت إذا ذهبت إلى السينما ، أو التزمت دورك في الحصول على تذكرتك أو قبلت يد أبيك ، فإن كل ذلك سلوك لا مناص من أن تكتسبه . وأنت إذا أحسست بالغضب لأمر من الأمور ، أو قلقت على صحتك ، أو شعرت بالكراهية نحو عدو ، فإن كل ذلك أيضاً ، سلوك لابد من اكتسابه .

وغاية ما في الأمر ، أن بعض السلوك تدرك أنه يجب عليك أن تكتسبه وبعضه الآخر كحبك والديك لا تفطن إلى أنه يجب عليك أن تكتسبه .

(أ) شواهد على أن الثقافة تكتسب : الواقع أننا نجد أحياناً في المجتمع الذي نعيش فيه ، أن من العسير ، أن نقنع أنفسنا بأن العادات التي نمارسها تكتسب حقاً ، ذلك أنها تبدو لنا على نحو جلي : **إنها جزء من طبيعتنا مما يحملنا في بعض الأحوال إلى الظن بأنها موروثة بمعنى الكلمة البيولوجي** . بيد أن المعلومات التي بين أيدينا ، تدل على أن عادات الإنسان لم يرثها على هذا النحو البيولوجي ، ومن ذلك أننا إذا جئنا بتوأمين وتركنا أحدهما يعيش في بيئة ونقلنا الآخر إلى بيئة أخرى أجنبية عنه ، لشب الثاني على ثقافة هذه البيئة الأجنبية . وأقوى من ذلك دلالة عند علماء علم الإنسان تنوع ثقافات الإنسان . ذلك أن الثقافات التي نجدها في الجماعات المختلفة في نطاق جنس واحد

●●● ثمة صفة جوهرية لامحيل عنها تلحق بالثقافة، وهي أنها تتغير تغيراً لاينتهي، وليس بصحيح أن هنالك ثقافات ثابتة لاتتغير، وكل ماهنالك أن بعض المجتمعات تتغير ثقافتها ببطء فيخيل للمرء حين يقيسها بثقافات المجتمعات الأخرى أنها لاتتغير.

تختلف فيما بينها اختلافاً عظيماً، وكذلك لا نجد وحدة بين أنماط الثقافة التي يمارسها شعب واحد. ولم يبق أمامنا إذن إلا فرضان لا ثالث لهما: **الأول أن الثقافة تهبط على المجتمع على نحو خفي لا ندركه، والثاني أنها تكتسب. وليس بين أيدينا شواهد تؤيد الفرض الأول، أما الفرض الثاني فثمة شواهد كثيرة تؤيده.**

(ب) المعرفة الواعية والمعرفة اللاواعية: يستعمل هذان المصطلحان أحياناً للتفرقة بين المعرفة التي يحصلها المرء عن قصد، والمعرفة التي تتأتى له خلال حياته. وقد أظهر التقدم الحديث في علم النفس وغيره من العلوم الاجتماعية، الأثر الجوهري الذي تحدثه فينا المعرفة اللاواعية، ذلك أن هذه المعرفة تعمل عملها فينا بطرق دقيقة مختلفة لا نحس بها.

(ج) السلوك السافر والسلوك الخفي: لاشك أن بعض السلوك سافر واضح كمشاهدة لعبة كرة القدم، أو الأكل بالشوكة والسكين، وبعضه الآخر أقل وضوحاً كالشعور بالعداء نحو شخص، أو تدبر أمر المستقبل، والايمان بوجود العفاريت، وكلا السلوكين يمكن بطبيعة الحال أن يكونا مكتسبين.

٢ ـ نمط السلوك المكتسب:

تضمن تعريفنا للثقافة، أن سلوك الناس المكتسب، يجري على نمط، وليس سلوك المرء قائمة من العناصر، لأن ثمة صلة تربط بين هذه العناصر، ذلك أنني إذا سألتك: لمَ تقرأ هذا الكتاب في هذه اللحظة؟ فإن تعليلك لذلك مهما يكن من أمره، يتصل بعنصر آخر من عناصر سلوكك في مجموعه. فقد تجيب بأنك تقرأه لتعرف ما هي الجغرافيا، إذا كان الكتاب يتناول هذا العلم، أو أنك تؤدي بذلك حاجة فرضها عليك منهج لا بد لك من تحصيله. ولو تدبرت الأمر برهة للاحظت أنك تحب الكتاب أو تكرهه، ولو أمعنت النظر لكان من المحتمل أن تدرك السبب في أنك تحبه أو تكرهه، وتخرج من ذلك، بأن القراءة، والسبب في القراءة، ونوازعك نحو القراءة ومشاعرك حيالها، وغير ذلك من أنواع السلوك الكثيرة، كلها متشابكة في صلاتها بعضها ببعض.

وثمة طريقة أخرى يجري عليها نمط السلوك وهي الصلة بين سلوك الناس حين يتصل بعضهم ببعض. ذلك أن أنواع السلوك المكتسب الذي تقوم عليه حياة كل فرد تكمله أنواع السلوك في حياة شخص آخر، مثال ذلك: سلوك الزوج وزوجته، والصلة المتبادلة بين الوالدين والطفل، وصلة المعلم بتلميذه، واعتماد الرئيس والموظف على الآخر في العمل.. كل هذه الأنواع من السلوك وغيرها مما يخطئه الحصر، تكون أسلوب الحياة في المجتمع.

٣ ـ ونتائج هذا السلوك:

أما وأن الفرد يعيش بين غيره من الناس فإنه يكتسب منهم كثيراً من أنواع السلوك، ويتعلم منهم أيضاً ما يحب وما يكره، وفكرته عن الخطأ والصواب وما إلى ذلك. وكلما يتساءل المرء كيف استقر في مفهوم المجتمع أن هذا الفعل خطأ، وذلك الفعل صواب. ذلك أن الفرد منا يكتسب سلوكه من غيره من الناس، وهؤلاء أيضاً يكتسبونه من غيرهم. ويستمر هذا في التسلسل حتى يرتد بنا إلى الأصل في هذا السلوك. والغالب أن هذا الأصل يرجع إلى فرد ابتدعه.

وثمة معنى آخر يبين كيف أن المعارف الثقافية هي نتائج للسلوك، ذلك أن الفرد وهو يسلك سلوكاً معيناً، ويمارس الأفعال التي تقوم عليها حياته تطرأ عليه تغيرات، فيكتسب مثلاً القدرة على العوم، أو يشعر بالكراهية نحو شخص غيره، أو يحس بانعطاف حيال شخص آخر. وهذه الصفات التي تتعلق بوجوده صفات حقيقية يمكن أن يظهرها في أي وقت، وهي قد نمت من سلوكه السابق.

ونخلص من هذا إلى أن السلوك الإنساني في كلتا الحالتين، نتيجة لسلوك سابق، وأن تجارب غيره من الناس، قد انطبعت فيه، وهو ينمو ويشتد عوده، وأن كثيراً من خلاله وقدراته قد نبعت من أنواع سلوك الإنسان من قبل.

(أ) ... ويدخل في ذلك النوازع والقيم والمعرفة: إن ثمة خطأ شائعاً يقع فيه كثير من الناس، حين يذهبون إلى أن أفكارهم ونزعاتهم، هي أفكارهم ونزعاتهم هم أنفسهم: أي إنهم قد تفردوا بها لأنها ثمرة تجاربهم الشخصية. والحق أننا يجب ألا نبالغ في تقدير انفراد الفرد منا في أفكاره ونوازعه: ذلك أن المرء لا يلاحظ ذلك إلا حين يجد أفكاره ونوازعه، تختلف عن أفكار غيره ونوازعه، لكنه إذا أمعن في النظر لوجد أنه يشارك الكثير جداً من أفراد مجتمعه ذوي الثقافة الواحدة في هذه الأفكار.

ويصدق ذلك أيضا على المعرفة، فإنك حين تقول إن حاصل ضرب ألف جنيه في ألف هو مليون جنيه، فإنك لم تحص بنفسك هذه الجنيهات، وإنما اعتمدت على معرفة غيرك التي نستطيع أن نسميها علم الحساب.

(ب) الأشياء المادية: طبيعي أن الناس حين يسلكون سلوكاً معيناً، فإن ذلك يؤدي بهم إلى استحداث أشياء مادية. وقد أنتج سلوك الإنسان أدوات مادية تطورت من حجر «**الظران**» إلى العمارات الشاهقة، والقلاع الطائرة، وغير ذلك من المخترعات الحديثة. وتطلب إنتاج هذه الأدوات مهارات مختلفة اكتسبها الإنسان شيئاً فشيئاً خلال العصور، وقد اكتسب الإنسان إلى ذلك كيف يحتفظ بمعارفه، ثم نظم هذه المعارف وكملها بمعارف غيره من الناس. ومن السخف أن نقول إن هذه الأدوات قد صنعتها الطبيعة، وانما الحق أن نقول إن الإنسان قد أبدعها بفضل ما أوتي من عقل راجح وذكاء وقاد.

٤ ـ ... يشترك فيها أفراد المجتمع:

ولا ريب في أن أنماط السلوك المكتسب، ونتائج هذا السلوك ليست ملكاً لشخص واحد، أو أشخاص قلائل، إنما هي ملك لفريق كبير من الناس. مثال ذلك: أننا نجد ملايين من الناس يدينون بالإسلام، ويتكلمون اللغة العربية، وليس المقصود هنا: أن هؤلاء جميعاً يشتركون في ثقافة واحدة اشتراكاً كاملاً، صحيح أنهم جميعاً يدينون بالإسلام مثلاً، لكن بعضهم على **مذهب الشيعة**، وبعضهم الآخر على **مذهب الخوارج**، وبعضهم على **مذهب المعتزلة**. وحسبنا أن نقول إنهم يشتركون في ثقافة واحدة اشتراكاً يكفي للحكم على أفكارهم ونوازعهم وعقائدهم وما إلى ذلك مما يدخل في مفهوم الثقافة بوجه عام.

٥ ـ ... وتنتشر بينهم :

هذه الأساليب الثقافية التي ناقشناها يكتسبها أشخاص من أشخاص . وكثير من هذه الأساليب يتلقاها المرء ممن هم أسن منه : كوالديه ، أو أساتذته ، كما يتلقى غيرها من جيل أقدم من ذلك . كما أن كبار السن قد يتلقون أنواعاً من السلوك الثقافي من غيرهم ممن هم أحدث منهم سناً . وليس بعجيب أن يتعلم الوالدان من أبنائهما كثيراً من ثقافة الأطفال التي لم يكن لهما علم بها . وكذلك تنتشر الثقافة بين المتعاصرين باتصالهم بعضهم ببعض ، كأزياء اللباس ، والآراء السياسية وغير ذلك من الأمور .

ويقتضينا الأمر أن ننوه هنا بأن النشر قد لا يؤدي هذا المعنى المقصود بوضوح ، ذلك أنه كلمة مقتضبة في دلالتها على التعليم والتعلم ، وهما وسيلتان لازمتان لانتقال السلوك من شخص إلى آخر ، فالمرء منا لا يكتسب نمطا من أنماط السلوك تلقائيا ، وإنما هو يتعلمه ولا يهم في هذا المقام أنه يتعلمه بلا وعي أو شعور ، أو أنه يتعلمه على نحو عارض ، والمهم هو أنه يتعلمه .

٦ ـ ... الدائبة التغير :

إن ثمة صفة جوهرية لا محيص عنها تلحق بالثقافة وهي أنها تتغير تغيرا لا ينتهي ، وليس بصحيح أن هناك ثقافات ثابتة لا تتغير ، وكل ما هناك أن بعض المجتمعات تتغير ثقافاتها ببطء فيخيل للمرء حين يقيسها بثقافات المجتمعات الأخرى أنها لا تتغير .

وكثيراً ما نجد أناساً قد رسخ في قلوبهم كره للتغير وخوف منه ، وهم يفضلون أن تبقى الأحوال كما هي عليه ، لكن الواقع غير ذلك ، لأن أنماط السلوك في الثقافة هي التي تزودنا بالوسائل التي يستعين بها أفراد المجتمع في مواجهة المشاكل التي تعترض حياتهم وحلها . وما دام الإنسان يعيش فإن المشاكل والمصاعب تعترض طريقه ، فإذا واجهته مشكلة حاول أن يلتمس لها حلولا تعلمها من مشاركته لثقافة مجتمعه ، لكنه لا يواجه كل مشكلة تعترضه بنفس الحلول التي يواجهها بها في كل مرة ، إنما هو يعدل موقفه فيها قليلاً أو كثيراً ، أو يقع مصادفة على حل آخر جديد . ونخرج من هذا بأن ثقافته تتغير ، وقد يحدث له ذلك بلا وعي أو شعور .

ولطالما سن الإنسان نظماً اجتماعية وحكومات وقواعد ، ذلك أنه ينشد فوق كل شيء الأمن واستقرار الأحوال . **لكنه يطلب بهذا المستحيل ، المستحيل بحكم طبيعته نفسها** . أجل إنه ينشد الأمن ، لكن ما يصدر عنه يحمل في طياته معنى التغير المستمر ، ومن فضائله أنه قد رزق عقلاً يستطيع أن يحل به المشاكل كلما نشأت بأساليب جديدة . ولا يدل هذا على أن حلوله الجديدة كاملة أو ثابتة ، إنما يدل على أنها جديدة ، ويمده ذلك بفرصة أخرى للتحكم في مصيره .

معرفة الثقافة لها قيمة مؤكدة

حينما نقول إن معرفة الثقافة تجعلنا نفهم الطبيعة البشرية ، وسلوك قوم يعيشون في مجتمع ، فإنه يجب علينا أن ندرك أن هذا الفهم له قيمة عملية عظيمة ، ولو أن ذلك لم ينل اعتراف جميع الأوساط بعد . فنحن إذا عرفنا ثقافة إنسان ، أو مجموعة من الناس ، ومفهومها عنده أو عندهم ، أمكننا أن نتكهن ببعض سلوكهم في ظروف معينة في المستقبل ، وأن نفسر معظم أفعالهم في الماضي . وقد يبدو لنا هذا القول مبالغاً فيه ، لأن طبيعة الناس أمر خفي معقد لا يمكن أن يسبر غوره علم من العلوم المقررة . وهذا حق إلى حد ما وحسب ، لكنه لا يصدق في جميع الأحوال . ولتقريب ذلك إلى الأذهان نقول : إنك إذا وضعت كرسياً أمام صديق لك في حفل تقيمه في بيتك ، فهل تستطيع أن تتكهن بما سوف يفعله بهذا الكرسي ؟ أجل تستطيع فإنه إذا كان سليم العقل والتصرف ، فأغلب الظن أنه سوف يجلس عليه كما يجلس الناس ، ولن يقذف به أو يضعه فوق أم رأسه ، وما من ريب في أن هذا الكرسي جزء من الأدوات الثقافية للمجتمع ، وقد درج المجتمع على أوضاع معينة لاستخدامه .

على أن المعرفة العلمية بالثقافة ، ليست بطبيعة الحال مفتاحا سحريا يفتح عقول الناس ، أو يكشف عن أسرار الأمم ، ذلك : أننا لم نصل بهذه المعرفة إلى هذا الحد بعد ، ولا نستطيع أن ندعي أننا بلغنا بها مرتبة الكمال ، لكن النتائج التي نصل إليها في هذا الميدان ، تستحق منا أن نثابر على خوض غماره وتحمل المشقة في سبيله .

الثقافة في مفهومها العام ومفهومها الخاص

من المعلوم أن الجماعات المختلفة التي تعيش في هذا العالم لها أساليب مختلفة في الحياة ، أو قل ثقافات مختلفة ، بل إن كل قرية أو مدينة في الأمة الواحدة لها ثقافة خاصة بها . وهناك أوجه اتفاق بين الثقافات ، وأوجه اختلاف ، حتى أنك لتستطيع أن تتحدث عن ثقافة الإنكليز مثلاً الذين تجمع بينهم ثقافة مشتركة في كثير من الوجوه : كاللغة وغير ذلك من الخصائص ، كما تستطيع أن تتحدث عن تنوع الثقافات واختلافها ، فقد تجد عادات محمودة عند قوم ، ومذمومة عند غيرهم . ويمكن أن نفهم ثقافة مجتمع ، ونشاهد مظاهرها ، ونحلل خصائصها بل نحس هذه الثقافة وبخاصة إذا كان هذا المجتمع بدائياً لم يأخذ بأسباب الحضارة الحديثة المتشابكة الأسباب ، المعقدة الصلات .

وقد تبين لعلماء الاجتماع ، أن فهم الناس يقتضي دراسة الثقافة بمعناها الخاص ، ومعناها العام : أي بمفهومها المجرد ، وهذا المفهوم المجرد شيء عسير يدق على الافهام شأن سائر المجردات . على أننا يمكن أن نصل إلى بعض النتائج عندما نعمد إلى التعميم القائم على معلومات خاصة نستقيها عن ثقافة من الثقافات ، وهذا التعميم لا ينطبق إلا على هذه الثقافة ، ودراسة الثقافة في مفهومها الخاص ومفهومها العام ، أمر لا مناص منه إذا أردنا أن نفهم البشر فهماً صحيحاً .

التمييز بين الثقافة والمجتمع

يمكن تعريف المجتمع بأنه جماعة من الناس عاشوا معا مدة كافية لانتظام أحوالهم انتظاما يستطيعون معه أن يعدوا أنفسهم وأن يعدهم الناس وحدة بشرية تختلف قليلا أو كثيرا عن غيرهم من الوحدات ، لكن الثقافة ليست هي الناس . ويمكن أن نسوق شاهداً لتقريب ذلك إلى الأذهان وإن كانت الشواهد في هذا الشأن لا يمكن أن تصدق في جميع الأحوال ، فنقول إن الثقافة تعد من بعض الوجوه كالمسرحية وإن أفراد المجتمع الذين تسود بينهم هذه الثقافة أشبه بالممثلين الذين يمثلون هذه المسرحية ، والمسرحية بطبيعة الحال لا ترى إلا من خلال تمثيل الممثلين ، والممثلون يستوحون أدوارهم من المسرحية وإن كان يترك لهم بعض الحرية في أدائها . والوجود الوحيد الملموس للمسرحية هو تشخيص الممثلين لها ، والمعرفة الوحيدة التي يحصلها المرء عن الممثلين هي المسرحية التي يمثلونها .

ونخلص من هذا إلى أن المجتمع يمكن أن نتصوره على أنه جماعة من الناس يمثلون ثقافة من الثقافات . وطبيعي أن يلابس هذا التشبيه كثيرا من وجوه النقص ، ذلك أن أفراد المجتمع لا يمثلون ثقافتهم ، إنما هم يعيشونها ، وهي جوهر حياتهم . ثم إن أفراد المجتمع يبدعون الثقافة وهم ماضون في حياتهم يأخذون من القديم ، ويأخذون من الحديث .

رموز على حاشية الأفق

شعر: القاسم بن علي الـوزير



١

خواطري مقصوصة الجناح ..
تهـم أن تطيـر ..
ترتاد عَالماً ما اكتحلت بمثله العيون .
ما حملت إليه ، شاعراً ، رياح ..
لكنها .. مقصوصة الجناح .. لا تطير ..
ولم تزل .. تحاول المحال ..

يا أيها الرجـــال :
خطاي لم تزل في قيدها اللعين ..

٢

الليل حالك بهيـم ..
مواكب القطعان في أرجائه .. تهيم ..
قد نامت الرعاة ..
وغابت النجوم عن سماه ..
وحفلة للدود ، والفئران ، والوباء ..
وقصة للموت والفناء ..
في الحالك البهيـم ..
أهكذا .. تفتّح الجحيـم .. ؟

٣

يا غربة الشاعر في متاهة الظلام ..
لقد أضاعت خطوها ، الأيام ..
وجرحت جفونها الأحلام ..
والشاعر المسكين .. صوته كسيح ..
ولحنه جريح ..
متى .. متى يغادر الضريح .. ؟

● من حياتهم ●

توضيح

★★ تعكف الشاعرة العربية المعروفة فدوى طوقان على كتابة مذكراتها . وقد اختارت لها هذا العنوان : « رحلة صعبة ـ رحلة جبلية » . وارتأت أن يكون سياقها مبنياً على أحد أقوالها : « لقد لعبوا دورهم في حياتي . . ثم أوغلوا في مطاوي الزمن » . وقد أعلن عن قرب صدور هذه المذكرات في الضفة الغربية المحتلة حيث تقيم الشاعرة منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ م ، غير أنها أعلنت مؤخراً عن عدم رغبتها في نشر المذكرات الآن . ويتكون الكتاب من فصول بعدد الشخصيات المهمة التي أثرت في حياة الشاعرة .

وقد خصت الشاعرة مجلة « الفيصل » بهذا القسم من مذكراتها ★★

الشيخة

بقلم : فدوى طوقان

منذ فتحت عينيَّ على الدنيا لم أعرف « **الشيخة** » إلا وهي صاحبة الهيبة والسلطة على نساء العائلة ، والبوليس السِّري الذي يعمل لحساب أبناء عمي ويقدم لهم التقارير بما يجري في البيت .

وكما يحدث ضمن نطاق المجتمع ، حيث تكون الرقابة المستبدَّة والقمع والقهر سبباً في خلق بنية تتركب من ثنائية الخضوع والتمرد معاً ، كذلك يحدث ضمن نطاق الأفراد ، **فالفرد الذي ينمو في مناخ الشرطة السرية والسلطة العائلية المستبدة ينشأ بتركيب نفسي هو مزيج من تلك الثنائية : الخضوع والتمرد** . فهناك دائماً صفات مكتسبة تتكون نتيجة للقهر الاجتماعي والعائلي بصفة خاصة . وكانت « **الشيخة** » من ضمن العناصر التي عملت على خلق هذه البنية النفسية عندي ذات التركيب الثنائي ، الخضوع من جهة والتمرد من جهة أخرى .

في السادسة عشرة من عمرها ، عادت الشيخة إلى بيت أبيها مطلقة بعد زواج فاشل دام لبضعة شهور قليلة . وفي أيام شبابها اتخذت من طريقة الشيخ **عبد القادر الكيلاني** ملاذاً دينياً تهرب إليه من احباطها النفسي بفعل الزواج الفاشل .

كان قد نزل بالبلدة شيخ مصري ضرير من أصحاب الطريقة الكيلانية ، استقطب بين من استقطب بعض مطلقات البلدة وأراملها . وكانت الحلقات تعقد في منزل مدير المال الذي أنزل الشيخ في بيته تلمساً لنيل البركة ، وقد انضوى مع زوجته إلى الطريقة .

سلب الشيخ عقول أولئك النسوة من « المريدات » . فكانت بركته تنشر في المكان ـ أو هكذا كن يتخيلن ـ رائحة مسكية ترهف من حواسهن إلى حد صرن معه يرين ما لا يرى ويسمعن ما لا وجود له .

أغرى الحديث عن بركات الشيخ جدتي التركية « **أم عزيزة** » فحضرت ذات يوم إحدى تلك الحلقات وفي نفسها الانضواء إلى الجماعة . لكنها استهجنت ما رأت وأنكرته عيناها ، وراحت تشن على الشيخ حملات شعواء ممتدة . ومنذ ذلك اليوم استحكم عداء مكين بين الشيخة وبين جدتي لأمي لم ينته إلا بموت الاثنتين ، **فالموت وحده هو الذي يضع النهاية للأشياء** . لكن **الشيخة** ظلت تحمل لأمي ولنا ـ باستثناء أخي الكبير ـ كرهاً موروثاً .

عندما فتحت عينيَّ عليها كانت في الستينات من عمرها على ما أقدر ، وكنت أراها تكثر من **الصلاة والصيام والتسبيح** . كانت تصوم الأشهر الثلاثة **رجب وشعبان ورمضان والأيام الستة البيضاء ، وتصلي صلاة قيام الليل والتراويح والضحى** . وكنت أرى مسبحة هائلة الحجم تتكوّم على مقعدها الأرضي وكانت **المسبحة** « ألفيّة » تتكون من ألف حبة ، تذكر الشيخة اسم الله على حباتها حبة حبة . فإذا أرادت أن تنهض للقيام ببعض شؤونها ربطت خيطاً حيث وقفت عن التسبيح ليكون هاديها إلى الحبة التي ستنطلق منها من جديد .



كانت تتملكن في طفولتي رغبة في مراقبة المصلين وحركاتهم . وكثيراً ما وقفت بباب (**جامع البيك**) المواجه لدارنا في السوق القديم أرنو إلى جماعة المصلين ، فأرى تفاوتاً في تعابير الوجوه وفي طريقة أداء الصلاة . فهناك المسرع المتعجل الذي يبدو وكأنه لا يفكر بما يقوم به ؛ وهناك المتأني الخاشع والمندمج فيما يفعل بروحه وبقلبه . وكانت مراقبة الحركات تستهويني إلى حد بعيد ، وكنت أتمنى دائماً لو أعرف لماذا يقوم بها المصلون في تعبيرهم عن إيمانهم وتخشعهم الديني . ولم أعرف إلا بعد زمن طويل أن كل طقوس العبادات وشعائرها منذ الوثنية البدائية تتخذ الصفة المسرحية في التعبير عن الاحساس الديني ، فكأن الإنسان يملك ميلاً فطرياً إلى الأجواء الغامضة ذات التأثير .

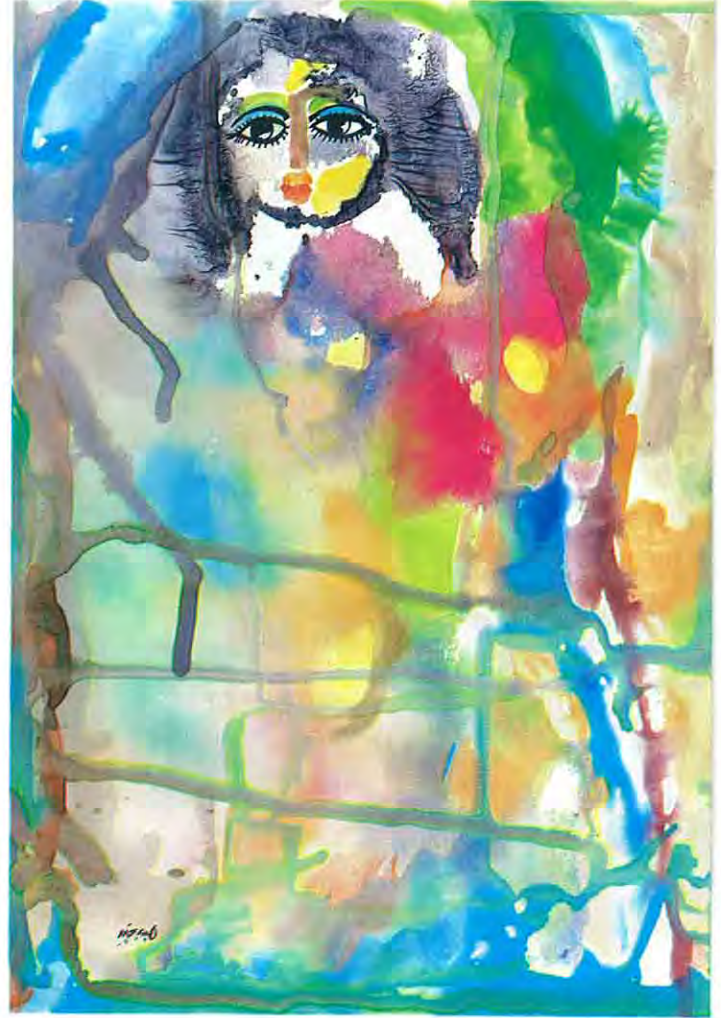
أما **الشيخة** فكان أداؤها لفريضة الصلاة يحمل طابع المبالغة والتصنع . كان هناك دائماً شيء مصطنع وغير حقيقي في « **مسرحية** » أدائها للصلاة . وكانت تعتريها أحياناً حالات من الدروشة ، فتشرع تهتز هزات عنيفة ، وتحرك رأسها بعنف يميناً شمالاً مع ترديد اسم **الله** : **الله** . . **الله** . . **الله** . . الخ ، تلفظه بعجلة وبلا توقف ، ويأخذ الزبد يتراكم على طرفي فمها كلما أمعنت في حركات الدروشة . وكان معنى هذا أن **روح الله** حلت فيها . ويحدث أحياناً أن تحل فيها الروح وهي في جلسة عادية مع النسوة الزائرات .

أما أوقاتها الأخرى فكانت مكرسة لاصدار الأوامر والنواهي على نساء العائلة ، واستغابة عباد الله وانتقادهم بحقد ومرارة ، شأن المحبطين الفاشلين في الحياة .

وما كان أسوأ ظن **الشيخة** . ففي كثير من الحالات كانت تفسر تصرفات الآخرين تفسيراً غريباً . ولم تكن لتسمح لواحدة من بنات العائلة بإقامة أية صداقة مع القريبات أو زميلات الدراسة أو بنات الجيران ، فالشيطان في رأيها قابع هناك دائماً - بين كل اثنين - وهكذا كانت تطرد من المنزل كل صديقة مدرسة أو رفيقة جيرة .

وحين كنت أقوم بتقديم خدمة لها أو شراء ما تحتاج إليه من السوق ، كنت أفعل ذلك بلهفة لأكسب محبتها أو رضى تلك « **البعبع** » عني ؛ ولكنها ما كانت لتجود علي حتى بابتسامة أو نظرة فيها طراوة وحنو ، فكانت تقف دائماً كجدار يكسوه الصقيع ، لا تنبت عليه عشبة خضراء . وكنت أقارن في نفسي بينها وبين جدتي لأمي ؛ ما أبعد الفرق ! هنا الدفء والرقة والنعومة ، أما **الشيخة** فكانت صحراء ، لا شجرة فيها ولا ينبوع ماء ؛ كانت قاسية نصبت نفسها على عرش غير منظور .

كانت متكبرة متعالية ، تتملكها غطرسة طبقية عمياء وبلا عقل . هي المتدينة ، والتي تؤمها النسوة الساذجات وبصحبتهن أطفالهن المرضى ، وبأيديهن أباريق الماء لتتلو **الشيخة** آيات القرآن على رؤوس الأطفال ولتنفث أنفاسها « **الطاهرة** » داخل الابريق كيما تحل في الماء البركة الشافية ، هذه نظرة ممجوجة يملؤها الترفع والتعالي : نحن فوق ، أنتم



تحت . . . هكذا أراد الله ! .

في تلك الأيام كانت هذه النظرة مألوفة لدى الناس ، وكانت الطبقية قدراً من صنع الله ، وحكماً من أحكامه لا يردّ . كنت أسمع دائماً هذه الكلمة المقيتة : سيدي . . ستي . . أمرك سيدي . . أمرك ستي . يتقبلونها ولا يتمردون عليها . وإذا كنا نرفض اليوم قول **أرسطو** : « إن العبد يشبه الحيوان » ، فما كان قوله هذا في زمنه ممجوجاً ولا مرفوضاً ، فقد كان **أرسطو** منساقاً مع الأفكار السائدة في عصره ، أفكار المجتمع الأثيني العبودي .

في مناسبة من مناسبات الأفراح في البيت قالت امرأة **للشيخة** :

شرفينا يا ستي بزيارة لنا ، نحن نزوركم دائماً ولا تزوروننا . وحدجتها **الشيخة** بعينين جليديتين ، ثم قالت بغطرستها المعهودة : اسمعي ، دائماً وأبداً تزوروننا ولا نزوركم ، فما معنى الخروج اليوم على هذه القاعدة ؟ وماذا جرى للدنيا ؟ هل انقلبت الأشياء رأساً على عقب ؟!

وانكسفت المرأة ، وغاص قلبي في جوفي رحمة بها ، ومضيت أهرول إلى أمي أحكي لها كيف كسفت **الشيخة** تلك المرأة المسكينة ، كنت صغيرة ، لا أدرك معنى الانسحاق الإنساني وقسوته ، ولكني كنت أعاف هذه المواقف غريزياً وتلقائياً ، فقد كنت شديدة الحساسية ، ولعلي كنت بالنسبة لهذا الموقف متأثرة لا شعورياً بأمي ؛ فقد كانت تستهجن التعالي الطبقي ، وتنتقد غطرسة **الشيخة** حتى لا تصيبنا عدواها . وكانت هي نفسها تنتمي إلى عائلة متوسطة الحال . كانت تقول بكل بساطة : **كلنا من خلق رب واحد ، وكلنا مصيرنا إلى التراب** . إن **الشيخة** قاسية القلب ، فالإنسان لا ينبغي أن يهين كرامة إنسان آخر مهما كانت منزلته الاجتماعية ، ومن القسوة التي يعاقب عليها الله إيذاء شعور الفقير .

كانت أمي تحدثنا بعفوية وبساطة عن ديمقراطية الموت الذي يساوي بين كل الناس . كما علمتنا بطريقة غير مباشرة المعنى الحقيقي لكلمة (**إنسان**) وما يحمله هذا المعنى من شمول أخوي .

وكنت بدوري أستغرب كيف يمكن أن يتخذ إنسان ، ناهيك بشيخة متدينة ، مثل تلك المواقف القاسية . وحين كبرت أدركت نفاق **الشيخة** الديني ، فما استطاع الدين أن يشذب أحاسيسها ومشاعرها إلى جانب أميتها الأبجدية .

وكانت عندها مقاييس الحلال والحرام واللائق وغير اللائق عجيبة غريبة ، كان هذا يبلبل عقلي الصغير ويشوش صفاء طفولتي وبساطتها .

كان الغناء بهجتي وفرحي . فكنت إذا خلوت بنفسي أرفع صوتي أحياناً بأغنية أحبها لعبد الوهاب أو أم كلثوم : (كم بعثنا مع النسيم سلاماً للحبيب الجميل حيث . .) وتدخل **الشيخة** كالزوبعة : اخرسي . . اغلقي فمك . . لم يبق إلا أن تصبحي « جنكية » في تخت (**هند**) و (**سارينا**) ! . . وينكسر صوتي فجأة ، وتتعلق الأغنية في الهواء مبتورة ناقصة .

أما (**هند**) و (**سارينا**) فكانتا مغنيتين محترفتين في نابلس ، وكلمة **جنكية** تطلق عادة على المغنية المحترفة ، وهي مشتقة من كلمة « **الجنك** » الاسم الفارسي لآلة موسيقية تشبه السنطور . ولو اخترقت الشيخة أعماقي في تلك الأيام لوقع بصرها على أمنية قابعة هناك تحمل تطلعي إلى أن أصبح يوماً جنكية .

ذات يوم ، وأنا في بداية مسيرتي الشعرية ، دخلت الشيخة غرفتنا ، أو لأقل « **غرفة البنات** » كما كان يطلق عليها ، أو « **البيت القبلي** » . فقد كان لكل غرفة اسم خاص في الدار . دخلت **الشيخة** لتفاجأ بشقيقي الكبير أحمد يساعدني في توضيح بعض **القواعد العروضية** . وقفت صامتة فوق رأسينا ، ثم قالت لأحمد بلهجة مرّة عاتبة : حتى أنت ؟! ثم أضافت : كلما طلع للبنت قرن اكسره ! ومازحها **أحمد** بكلمة عابرة ثم انصرف إلي من جديد .

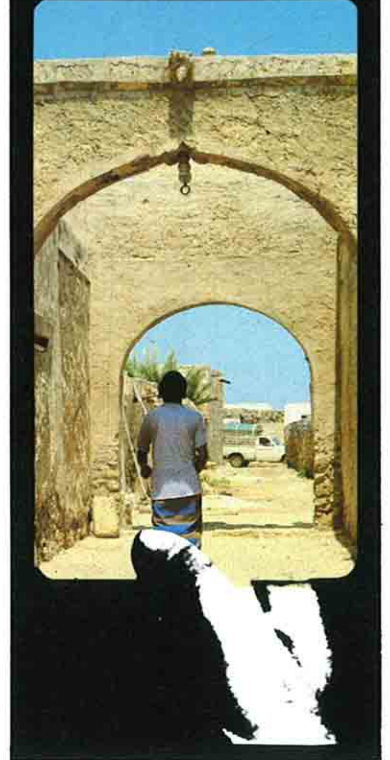
(حتى أنت !؟) ، تعبير مفجوع برجاحة عقل **أحمد** ، الوحيد الذي كانت تؤثره من دوننا بالمحبة ، أما إبراهيم فما أحبته قط ، وكان في نظرها خارجاً على تقاليد العائلة ، متحرراً من قيودها الصارمة .

لقد كانت الشيخة من ضمن أولئك الذين لعبوا دورهم في حياتي ثم أوغلوا في مطاوي الزمن !

فدوى طوقان

نابلس - الضفة الغربية

مدينة وتاريخ



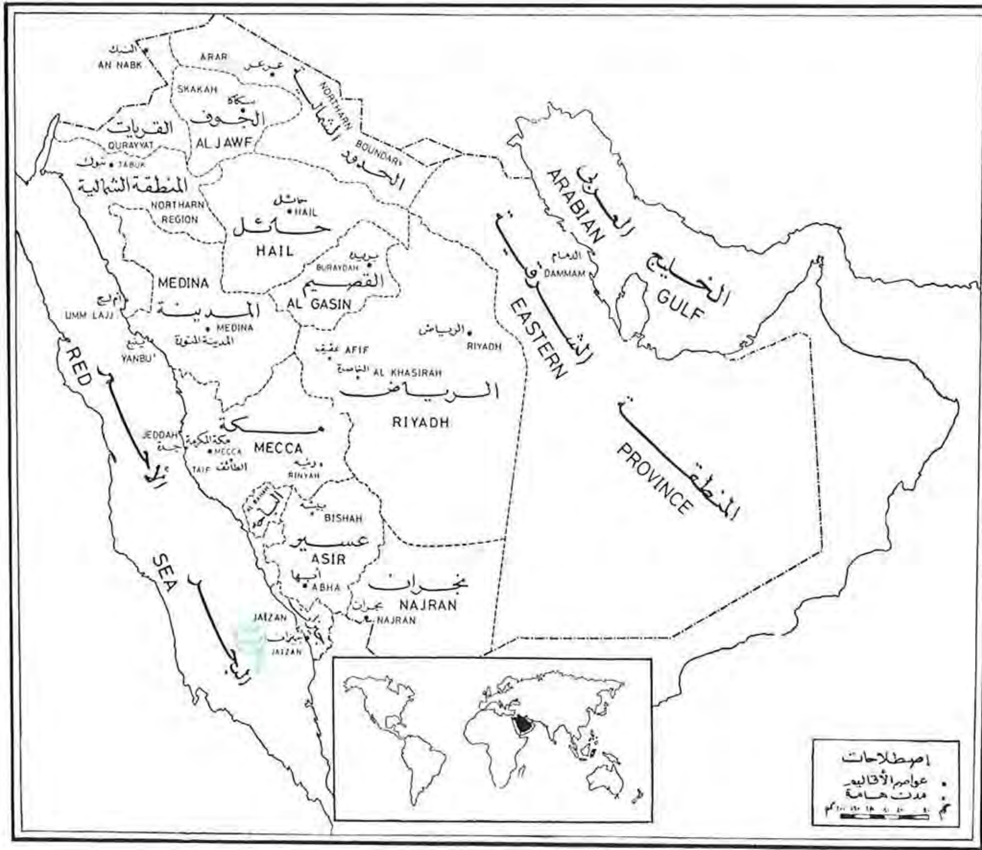


★ منظر عام لمدخل الجزيرة من البحر ★

فرسان

جزائر اللؤلؤ

بقلم: ابراهيم عبدالله مفتاح



★ خارطة توضح موقع جزر فرسان من المملكة ★

حين تذكر الجزر تتداعى إلى ذهن الانسان عديد من الصور المتباينة ، والأخيلة المدهشة ، والرؤى العميقة ، والأحلام العجيبة .

هذا التداعي هو محصلة تاريخية لعلاقة الانسان بالبحر كمصدر من مصادر رزقه .. ووسيلة من وسائل الاتصال القديمة قبل أن تعرف الطائرة ، والسيارة .

وقد ارتبط تاريخ الجزر بمجموعة من الأساطير المثيرة لخيالات الإنسان ، وتطلعاته للبحث عن المجهول المحفوف بالمخاطر ، والأهوال ، والخرافة .

تصور الجزر المسحورة .. والجزر المسكونة بالعفاريت ، والجن ، والمخلوقات الغريبة .

وفي **اليونان** .. حيث تكثر الجزر الجميلة الهادئة ، كانت هذه الجزر مطمحاً **للفلاسفة** هرباً من المضايقات التي يلقونها من شعوبهم ، وحكامهم .

ليس هذا فحسب .. بل ارتبط تاريخ الجزر حديثاً بحركة **الكشوف الجغرافية** .. ورحلات المغامرين الباحثين عن الأحجار الكريمة ... ومناجم الذهب ، والمعادن الأخرى .. وبرزت أهميتها من خلال رحلات المكتشفين أمثال « **كريستوفر كولمبس** » ، و « **ڤاسكو دي جاما** » ، و « **ابن ماجد** » البحار العربي .

وليست قصة « **روبنسن كروزو** » إلا صورة من تخيلات الإنسان وطموحاته لحياة جديدة ، وأرض غير معروفة ، ورغبته في ارتياد المجهول لتحقيق نزعاته .

وكان البحر بما يحتويه من مغانم ، وكنوز ليس أقلها « **اللؤلؤ** » الذي كان يمثل تجارة مرموقة تقود إلى الثراء الواسع سبباً في ظهور « **القراصنة** » حيث برز عدد كبير من القراصنة الذين ملأوا حياة البحر هلعاً ، ورعباً ، في غياب النظام ، والأمن اللذين دعت إليهما فيما بعد القوانين والمعاهدات الدولية المصحوبة بوسائل الردع ، ومكافحة ظاهرة « القرصنة » لتوفير الأمن لرواد البحر من ناحية ، وتنظيم عملية استثمار مصادر البحر ، ومغانمه من ناحية أخرى

ونحن هنا لا نرصد تاريخ البحر . . والجزر . . وما تخلل هذا التاريخ من أساطير . . وأحلام . . ورؤى . . وأحداث ، وإنما نستعيد صوراً كانت في يوم من الأيام تحتل واجهة أحداث الإنسان اليومية ، قبل أن يعرف **الحروب الساخنة ، والباردة** ، وظاهرة **الاستعمار** ، والقهر ، والاستبداد ، والاستيطان القسري ، والقتل الجماعي ، **والغازات السامة ، وتلوث البيئة** ، في ظل القوانين ، والمعاهدات ، والاتفاقيات الدولية . . هذه الأمور التي قضت على ظاهرة « **القرصنة غير المنظمة** » لتحل مكانها « **القرصنة المنظمة** » . . كما يقول الشاعر :

لقد كان فينا الظلم فوضى فنظمت
حواشيه حتى صار ظلماً منظما

هذه المقدمة مجرد تداعيات جرها موضوعنا عن الجزر . . والشيء بالشيء يذكر .

فموضوعنا اليوم عن « **جزر فرسان** » في المملكة العربية السعودية . . هذه الجزر التي قدر العلماء **عمرها الجيولوجي بين ثلاثة ملايين ، وثلاثة ملايين وخمسمائة الف عام** . . وإذا كان مثل هذا العمر يعد في علم الجيولوجيا عمراً حديثاً ، إلا أنه بالنسبة للإنسان ومعاشه ، تاريخ طويل حافل بالأحداث على ظهر هذه الجزر التي تبلغ حوالي (**٨٠ جزيرة**)[١] .

الموقع الجغرافي

تشكل جزيرة فرسان والمجموعة التابعة لها أرخبيلاً من الجزر المتناثرة الواقعة في **الطرف الجنوبي الشرقي للبحر الأحمر** وعلى بعد خمسين كيلومتراً إلى الجنوب الغربي من **مدينة جيزان في المملكة العربية السعودية** ، وعلى الرغم من عدم وجود مسافة كبيرة بين جزائر فرسان ومدينة جيزان ، فإن التكوينات الطبيعية بينهما تختلف اختلافاً تاماً ، فبينما نجد أن **الصخور البركانية والسهول الساحلية الخصبة** تغلب على طبيعة أرض منطقة جيزان ، نجد أن جزر فرسان تغلب على أرضها **الشعاب المرجانية** وبعض **القواقع والكائنات البحرية المتحجرة** مما يدل على أن عمرها الجيولوجي عمر حديث وأنها كانت مغمورة تحت مياه البحر .

وحسب ما يقول **الدكتور عبد الله الدباغ** أحد أساتذة الجيولوجيا في **جامعة البترول والمعادن في الظهران** : إن العمر الجيولوجي لجزر فرسان عمر حديث حيث يتراوح بين ثلاثة ملايين وثلاثة ملايين وخمسمائة ألف سنة تقريباً ، بينما يصل عمر منطقة جيزان وسلسلة الجبال الموجودة فيها إلى ثلاثين مليون سنة . وكما يذكر الدكتور الدباغ الذي زار فرسان مؤخراً مع مجموعة من الأساتذة الأجانب المتخصصين في علوم الجيولوجيا : أن ثلاثة ملايين ، أو ثلاثة ملايين ونصف سنة يعتبر عمراً جيولوجياً حديثاً .

وشكل جزيرة فرسان يميل إلى الطول . . وهي أكبر الجزر ، وأشهرها ، وبها كل المرافق الحكومية . . وميناؤها « جنابة » حيث ترسو البواخر ، وهناك موانىء أخرى صغيرة يطلق على كل منها « مرسى » مثل « مرسى خلة » ، « مرسى الجص » ، « مرسى القبر » ، « مرسى تبتة » ، « مرسى الخور » .

ويحيط بجزيرة فرسان تضاريس بركانية تميل إلى السواد ، تتميز بالصلابة ، ومن الجهة الغربية يرتفع عدد من الجبال مثل « **جبل زفاف** » ، « **جبل ساسوه** » ، « **جبل أبو غنم ـ الدسان** » ، « **جبل أبو حمد** » ، « **جبل وشكة** »[٢] .

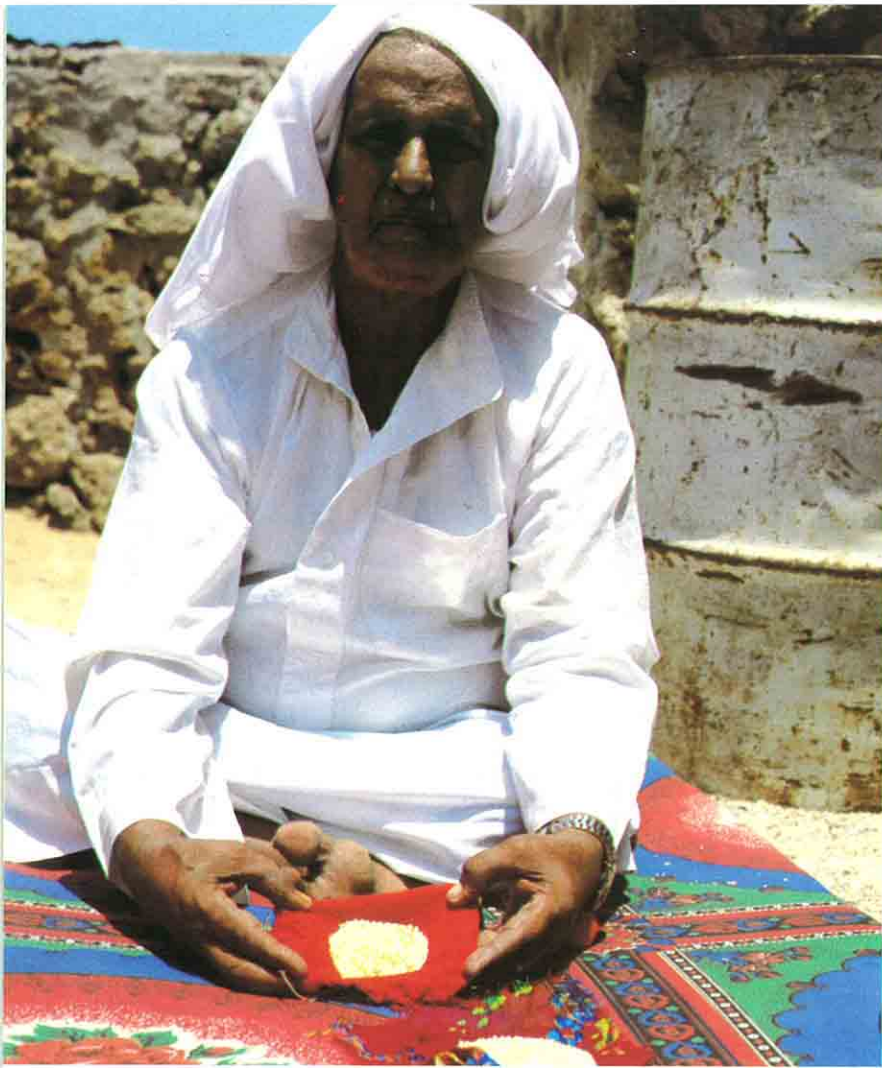
فرسان في التاريخ

تحدث **ياقوت الحموي** في كتابه « **معجم البلدان** » عن جزر فرسان فقال كلاماً معناه : « **أن جزر فرسان يسكنها قوم من قبائل تغلب وأنهم كانوا قبل دخول الاسلام يدينون بالنصرانية وقد عرف سكان هذه الجزر بشدة البأس وكانت تقوم حروب بينهم وبين قوم يدعون « بنو مجيد » وأن لهم رحلات وتجارة مع البلدان المجاورة لهم** » .

ويوجد الآن في فرسان جبل يعرف بـ« **جبل كنيسة** » وقد علل الأستاذ **محمد أحمد العقيلي** مؤرخ الجنوب وصاحب كتاب « **المخلاف السليماني في التاريخ** » في أحد أعداد مجلة « **العرب** » التي يصدرها الأستاذ الكبير **حمد الجاسر** ، علل وجود اسم ذلك الجبل والأثر الموجود عليه بأنه من بقايا النصرانية إلا أن هناك رأياً آخر قد عزا ذلك إلى أن هذه الجزيرة كان بها **وجود برتغالي إبان القرن الرابع عشر الميلادي** .

وجزر فرسان غنية بالآثار التاريخية التي تحتاج إلى عمل جاد يكشف أسرارها ويبرز أهميتها . فهناك آثار في جنوب مباني مدينة فرسان الحالية في المنطقة المعروفة بـ« **وادي مطر** » وفي الشمال في المنطقة المعروفة بـ« **غرين** » وفي منطقة « **القصار** » . وقد وصلت إلى فرسان **بعثة تابعة لقسم الآثار بوزارة المعارف** وكانت تضم بين أعضائها بعض الخبراء الأجانب الذين شاهدوا بعض تلك الآثار وبعض الكتابات الموجودة عليها وحللوها بأنها كتابات « **حميرية** » ومن يدري ؟ فلربما توجد آثار قيمة وجديرة بالاهتمام سيعثر عليها لو أن المسؤولين عن الآثار اهتموا بهذه الجزر وبذلوا نحوها شيئاً من الجهد والمال ، فهناك أماكن كثيرة ما زالت مجهولة وبحاجة إلى البحث والتنقيب .

وإذا تخطينا العصور الغابرة وتخطينا بعض الأسماء التي تحتاج إلى تعليل مثل مسمّى « **لقمان** » الواقع في الجنوب الشرقي وعلى بعد عشرة كيلومترات من مباني البلدة ، وهو عبارة عن أكوام من الحجارة الضخمة تدل على أنها أنقاض **قلعة قديمة** واقعة على مرتفع يشرف على معظم سواحل الجزيرة ، وما زال أثر البناء واضحاً وبطريقة تدعو إلى الدهشة والاستغراب في كيفية رفع تلك الحجارة التي لا يعرف لها تاريخ ولا تتوفر عنها أية معلومات . والأعجب منها المباني والآثار الموجودة في منطقة « **غرين** » ، التي يبلغ حجم الحجر الواحد منها حوالي ٢,٥×١,٥ أمتار أو أكثر كما يزن عدة أطنان إن قُدّر له أن يوزن . أقول إذا تخطينا ذلك كله وانتظر بنا قطار الزمن قليلاً أمام عهد **الإمبراطورية العثمانية** فإننا سنجد آثارها ما زالت باقية . ففي جنوب مباني البلدة توجد منطقة « العرمني » وهو عبارة عن مجموعة البنايات المستديرة أو الدائرية الشكل كان الجنود العثمانيون يتخذونها معسكراً لهم وتحتل مساحة كبيرة من الأرض وتطل على ميناء « **جنابة** » الواقع في الجهة الغربية من فرسان وهو ميناء تستطيع مياهه من حيث العمق أن تستقبل السفن الكبيرة وتشكل مأمناً لها من العواصف وهياج الأمواج .



★ صيد «اللؤلؤ»، حين كانت تجارة الجزيرة تعتمد عليه، وتصدره إلى بلدان مختلفة، منها أوروبا، وقد تعرف أهل الجزيرة من خلال هذه الزيارات التجارية، على مستوى الشعوب الأخرى، وعلى اليسار واحد من تجار اللؤلؤ القدامى ★





★ منظر عام من المناظر المنتشرة داخل الجزيرة ★



★ صناعات تقليدية ، انقرضت الآن ★



★ تحول صيادي اللؤلؤ إلى صيادي السمك ★



★ قواقع .. وبقايا الصدف الفارغ بعد استخراج اللؤلؤ من داخله ★





★ قوارب الصيد في جزيرة « قماح » التي تبعد عن جزيرة فرسان مسافة تزيد عن النصف ساعة بالمركب الذي يسير بالموتور ★



★ قطاع لواحد من المداخل التي تتميز بها منازل فرسان القديمة حيث الأقواس الكبيرة التي تزينها الزخارف المحفورة ★

وفي الشمال وعلى بعد كيلو ونصف الكيلو من الأمتار توجد « **القلعة** » التي تقع على هضبة تشرف على جميع سواحل الجزيرة عدا الساحل الشمالي الغربي الذي تمتد الجزيرة من ناحيته حوالي ٧٠ كم ، وهذه القلعة ما زالت قائمة وهي مبنية من الحجارة والجص الذي توجد خاماته بكثرة في فرسان كما أنها مسقوفة بقضبان سكة حديد وبجريد النخل ، وهي بحاجة إلى صيانة أو تسوير إن أمكن .

وإذا تركنا فرسان وذهبنا إلى جزيرة « **قماح** » الواقعة إلى الغرب منها وتبعد حوالي ١٠ كم بحراً ، فإننا سنجد في هذه الجزيرة بيتاً كبيراً تبلغ مساحته حوالي ٥٠×٢٠ كم[٢] يطلق عليه العامة من الناس « **بيت الجرمل** » وهو تحريف لكلمة Germany الإنجليزية وقد بنى الألمان هذا البيت في أواخر **الحرب العالمية الأولى** . ويذكر المعاصرون لبناء هذا البيت أن الألمان لم يكملوه وتركوه دون سقف ، ويرجح أنهم بدأوا في بنائه في عام ١٩١٦م ، ولا تزال آثار أقدام وآثار أحذية العمال الذين قاموا ببنائه واضحة على سطح سور هذا البيت الذي لا يستبعد أنهم كانوا يريدونه مستودعاً لتموين سفنهم التي كانت تمخر عباب البحر الأحمر في ذلك الوقت ، ولكنهم بنهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨م تركوه . وكثير من أعمدة هذا البناء الواسع قد انهارت بسبب التعرية والتآكل الناتج عن ذوبان الأملاح الموجودة في حجارته بنسبة عالية .

الزراعة في فرسان

في حديثنا عن التكوين الطبيعي لأرض هذه الجزر قلنا : إن هذه الأرض في غالبيتها أرض صخرية وإن صخورها يلاحظ عليها وبشكل واضح أنها كانت مغمورة تحت مياه البحر ، ومع كل هذا فإنه توجد بعض السهول ذات التربة الطينية الصالحة للزراعة وإن الفرسانيين قد استغلوا هذه المساحات القليلة وجعلوا منها مزارع صغيرة إلا أن قلة المياه لم تجعلهم يستفيدون من هذه المزارع كما يجب . لذلك فإن نزول المطر هو الذي يتحكم في عملية الزراعة التي تقتصر على **قصب الذرة** في الغالب . وإذا نزل المطر في موسم **الصيف أو الخريف** فعندئذ تزرع كميات قليلة من **الشمام والبطيخ** الجيد النوعية . وبالإضافة إلى ذلك توجد في فرسان **واحات من النخيل** في كل من قرية **القصار** الواقعة جنوبي البلدة وفي قرية **المحرق** الواقعة في نفس الاتجاه . كما توجد **واحة نخيل في جزيرة « السجيد »** التي يفصل بينها وبين فرسان ممر مائي تبلغ مساحة عرضه كيلو متراً واحداً ، وهذا الممر تعبره الجمال في حالة « الجزر » ويطلق عليه اسم « **المعادي** » وتجرى في الوقت الحاضر حوله دراسات من قبل وزارة المواصلات لبناء جسر عليه يربط الجزيرتين بعضهما ببعض وقد تمت الدراسة الأولية لهذا المشروع من قبل شركة استشارية ووضعت على بعض الأماكن إشارات قامت ببنائها الشركة . والذي يؤمل الآن : هو أن تسارع **وزارة المواصلات** ببناء هذا الجسر في وقت قريب . ومما تجدر الاشارة إليه أن **مجموع أعداد النخيل في الواحات الثلاث قد يصل إلى حوالي ٢٥٠٠٠ نخلة .**

ومما يدل على أن سكان جزر فرسان كانوا أولي بأس شديد وقوة جسمية



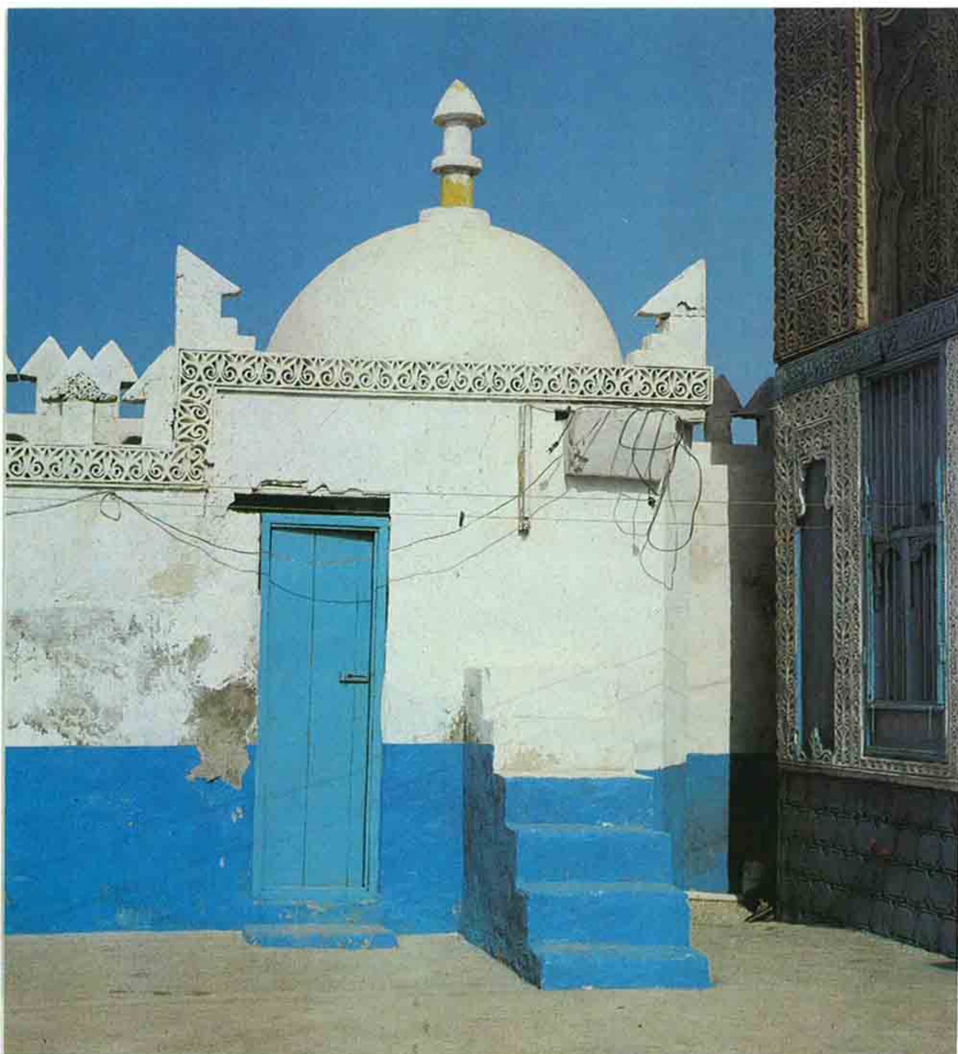
★ احدى جزر فرسان ، حيث يظهر من بعيد «منزل الجيرمان» ★

ذلك العدد الكبير من **الآبار المنحوتة في عمق الصخور** وهذا العمق في أغلب الآبار يتراوح بين **٢٠ ـ ٢٥** متراً . ولريّ الماشية من هذه الآبار عمدوا إلى طريقة غريبة فبجانب كل بئر توجد صخرة تسمى « **الحوض** » وهي عبارة عن حجر تم نحته وتجويفه وصنعت له فتحة في جانب من جوانبه السفلى لتفريغه من الماء الذي أصبح غير صالح للاستعمال ، ثم سده بقطعة من القماش أو ألياف النخيل . ومع أن فرسان وبعض القرى أو الجزر التابعة لها تحيط بها مياه البحر من جميع الجهات إلا أن الماء العذب موجود فيها وهو عبارة عن المخزون الذي يتجمع من نزول الأمطار على هذه الجزر ويشكل طبقة سطحية والدليل على ذلك ، أنه في حالة انقطاع الأمطار ترتفع نسبة الأملاح في هذه المياه . كما ثبت أن أي بئر عذبة الماء لا تستطيع الصمود أمام المضخة التي تركب عليها فسرعان ما تتحول مياه تلك البئر إلى مياه مالحة .

ومن هذا المنطلق أدرك المسؤولون في **وزارة الزراعة** صعوبة هذه المشكلة على السكان وقاموا ببناء محطة لتحلية المياه في فرسان كلفت الدولة مبلغ ستة وأربعين مليون ريال ، وستنتج هذه المحطة الماء بطاقة مقدارها مائة وعشرون ألف جالون يومياً كما ستفيض عن حاجة المحطة طاقة كهربائية مقدارها سبعمائة وخمسين كيلوات من الكهرباء سوف تستغلها **وزارة الصناعة والكهرباء** في إضاءة كل من فرسان وقرية « **المحرق** » وقرية « **المسيلة** » وهذان العاملان سيحلان مشكلتين كبيرتين في حياة مواطني هذه الجزيرة وهما الماء والكهرباء .

فرسان واللؤلؤ

إن موقع فرسان في وسط البحر قد فرض على أهلها حياة خاصة من الناحية المعيشية والاقتصادية ، فهي ليست ذات أرض خصبة وليست ذات موارد مائية تساعد على الزراعة فيها ، وإن الحياة الزراعية البسيطة التي تحدثنا عنها كانت تعتمد على مياه الأمطار القليلة التي تهطل على هذه الجزر وهي في الغالب غير منتظمة ، من هذا كله اتجه سكان هذه الجزر إلى البحر يجوبون أرجاءه ويغامرون بحياتهم في أعماقه ليستخرجوا منه الكثير من منتجاته التي أهمها **اللؤلؤ** الذي يوجد على مقربة من الشواطىء أو بالقرب من الجزر المجاورة لفرسان والواقعة على الساحل الجنوبي الغربي للبحر الأحمر مثل جزائر **دهلك** حيث كانت السفن « الفرسانية » تسافر إلى الغوص في مواسم معينة من العام وتعود محملة بالمحصول الجيد الوفير الذي يتركز فيما بعد في أيدي قلة من تجاره المشهورين الذين يقومون بشرائه من الغواصين في الأسواق المحلية وعندما تتجمع لديهم الكميات التجارية الكافية للتسويق والبيع في الخارج فإنهم يسافرون لبيعه في **عدن** أو **إمارات الخليج** ، وكبار التجار يسافرون إلى مدى أبعد **كالهند والباكستان** بل قد دفع الغنى بعضهم إلى السفر إلى بلدان **أوروبا** « **فرنسا ، بريطانيا** » وعرجوا في طرقهم على كل من **مصر وسوريا وفلسطين** قبل الاحتلال الإسرائيلي ، وأشهر هؤلاء التجار التاجر المعروف « **أحمد المنور الرفاعي** » صاحب أشهر وأحسن دار في فرسان والشيخ **إبراهيم النجدي** الذي قدم من نجد ومن حوطة « **بني تميم** » على



★ جامع صغير في منزل الرفاعي بالجزيرة ★

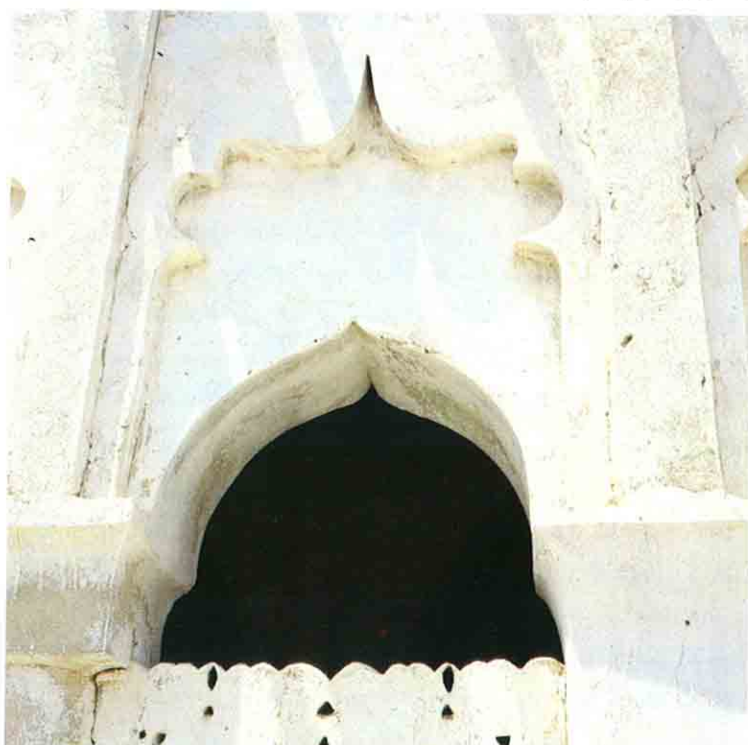


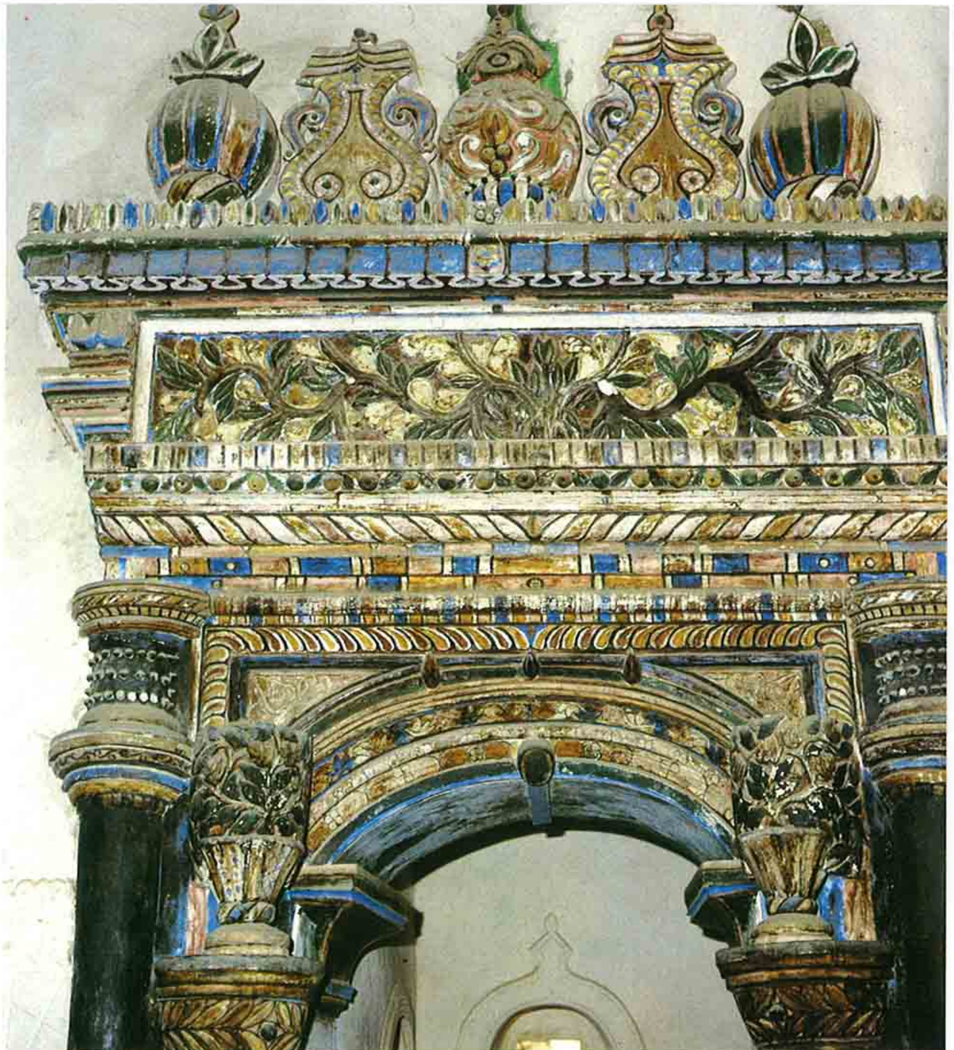
★ زخارف على واحد من نوافذ المنازل القديمة ★

★ واحد من المداخل المؤدية إلى منزل قديم ★



★ احدى كوات الجامع القديم ★





★ زخارف زاهية الألوان للمنبر في الجامع القديم ★



★ قطاع زخرفي ومنقوشات داخل الجامع القديم ★

وجه التحديد وأصبح من تجار اللؤلؤ المعروفين ومسجده الموجود حالياً يشهد له بالثراء .

وغير هؤلاء كثيرون تاجروا باللؤلؤ وعادوا إلى فرسان وفي عقولهم أفكار متطورة تجلت في **الفن المعماري** وما زالت تشهد آثارهم بما وصلوا إليه من ذوق رفيع وحياة مرفهة .

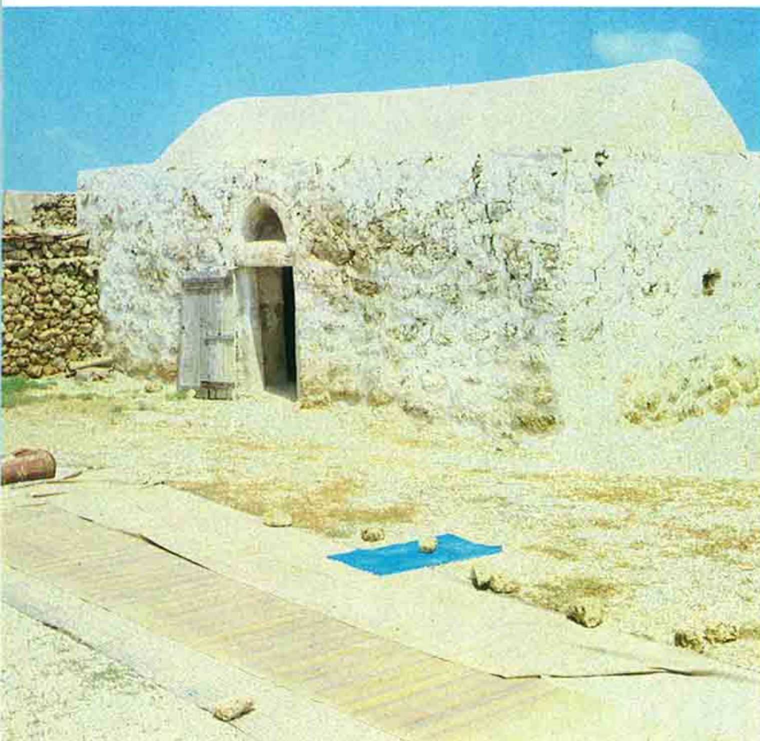
لكن عهد اللؤلؤ في فرسان قد انتهى واتجه أبناؤها مؤخراً إلى التعليم والعمل الوظيفي بعد أن غزا اللؤلؤ « **الصناعي** » أو المزروع ـ الذي انتجته **اليابان** ـ أسواق العالم وترتب على ذلك **هجرة من الجزيرة** وتلا ذلك تناقص في عدد السكان .

رحلة عمرها ١٣ عاما

قام الصديق الأستاذ **علوي طه الصافي** رئيس تحرير هذه المجلة برحلة صحفية قبل ثلاثة عشر عاماً إلى فرسان .. وبعض جزرها .. وحين عاد كتب انطباعاته في جريدة « **البلاد** » التي تصدر في « **جدة** » ، في عددها رقم ٢٠٥٥ الصادر في ٨٥/٧/١٢هـ ، نقتطف منها ما يأتي :

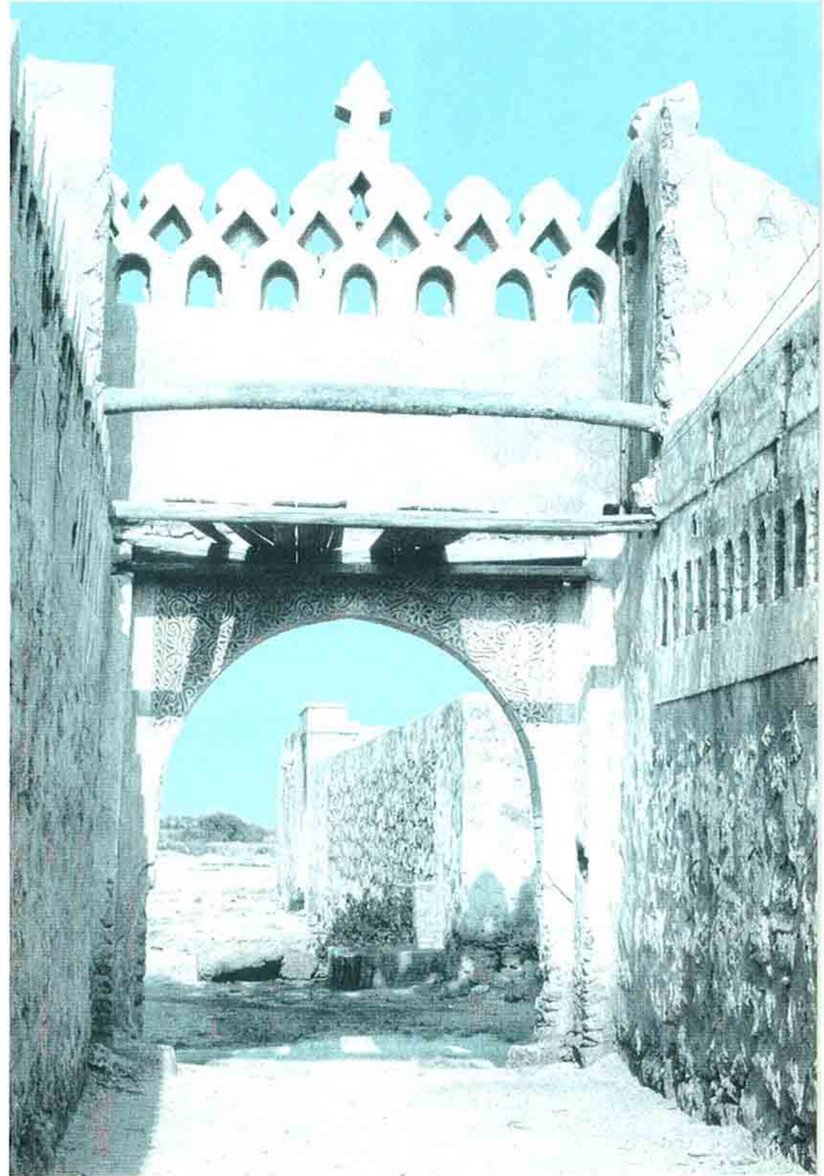
« أنا أعارض من يقول إنه ليس في بلادنا مناطق تصلح أن تكون سياحية .. إن فيها الكثير من المناطق التي لو أعطيناها قليلاً من الاهتمام ، وقليلاً من البذل .. ولو أعددنا لها البرامج

★ أقدم جامع في الجزيرة ★





★ منظر عام للبحر ★



★ زقاق، يؤدي إلى مدخل أحد المنازل القديمة ★

جدول بأسماء جزر فرسان

● فرسان	● السحيد	● قماح
● الدويمة	● أبكر	● سواحل
● العاشق	● سلوبه	● ركبين
● عكرم	● وشكة	● المنظر
● زرط	● أم السرو	● غراب
● ديدفور	● أبو حمد	● ضاحك
● الغزا	● أبو الشوك	● عبلات
● أم الوزف	● الطرق	● أبو شرايا
● سمر	● زفاف	● دراكة
● فرخ سمر	● الدسان	● أم الكرف
	(أبو غنم)	(الكدف)
● رامين	● ساسوه	● حبار
● مرين	● كيره	● آمنة
● ربا	● أم الحجر	● أم العصل
● صيرريا	● الجهان	● أم الخرف
● الهندية	● شمة	● ذو الكم
● المتواصلة	● مسد	● فاضية
● دمسك	● البغلة	● العويلتين
● الرافع	● مطحن	● دوشك
● البرى	● المليح	● آسيا
● ذو حراب	● سمر الفحمة	● أم الازافي
● ذو ثلاث	● كتمبل	● ذو الابضار
● باقل	● فيران	● أم القبة
● أم المدة	● شراع	● عبد
● مقمز	● أبو شقور	● شريف
● صديفة		



★ بقايا واحدة من القلاع القديمة حيث تقع على تل مرتفع ★

الاعلامية ، والأفلام السينمائية لجلبنا إليها الكثير من السياح ، والباحثين عن الراحة ، والاستجمام .

وفرسان . . أو الجزيرة النائمة في أحضان البحر الأحمر مثل بسيط ، وبسيط جداً لما أعنيه . . هذه الجزيرة التي شهدت مجداً قديماً غابراً .

نحن الآن في ميناء **جيزان** . . أو « **جازان** » عروس الجنوب ، وحاضرته . وعلينا كي نصل إلى فرسان أن نبحر من هذا الميناء العتيق . . ومعنى هذا أن لنا لقاء مع البحر . . وأهواله . . لقاء مع الصمت الرهيب . . والزمجرة العارمة .

رحلة فيها شيء من المغامرة . . وفي كثير من الأحيان يميل الإنسان إلى المغامرات لمعرفة الجديد . . فهو بطبيعته نزوع إلى التجديد . . لا يعرف شيئاً إلا ليدعه للتعرف على غيره . . وصحيح ما قيل إن لذة الحياة في الانتقال . . والتغيير . . والتجديد .

أبحرنا من ميناء جيزان . . وسار « **اللنش** » الذي يقلنا ، أو الزورق كما أسميه . . سار الزورق المستلهم بلا مجداف . . ولا حوراء تغني . . سار بمجموعة أعضاء الرحلة . . توزعنا على سطحه جماعات . . جماعات . . كنا نحلم . . نلهو مع الزورق . . نداعب الأمواج الصغيرة وتداعبنا . . نتبادل « النكات » والحكايات .

كان الوقت قبل غروب الشمس ، وقد ذهّب الأصيل سطح البحر فأكسبه روعة ، وانبهاراً . . وتسلل الليل مرخياً سدوله أو « ملاءته » السوداء كالأخطبوط . . وأخذت هيبة البحر تسري في نفوسنا فتذكرت قول الشاعر **امرىء القيس** ، وليله :

وليل كموج البحر أرخى سدوله
علي بأنواع الهموم ليبتلي

وقد لا يكون ليلنا كليل امرىء القيس . . فهناك اختلاف في الزمان . . والمكان . . والمناسبة .

كلما توغلنا في السير ادلهم الظلال . . وساد الجو وقار كوقار الطاعنين في السن ، باستثناء ذلك الهمس الخفيف الذي يدور بين محرك « اللنش » ، وبين البحر ، كان همساً أشبه بخرير ماء الوادي .

أدرت ظهري لأسرح مع البحر . . وأمتع ناظري بصفحته المخملية . . فاعتراني شعور غريب . . وأخذت نسمة بحرية رطبة تداعب وجهي . . ورحت في نجوى طويلة مع البحر !!

ترى ما سر **صمت** هذا العملاق أحياناً ، **وثورته** أحياناً أخرى ؟

كم من الأسرار يضمها صدر هذا البحر الكبير . . ويسدل عليها ستاراً كثيفاً ؟

كم من النفوس البريئة أزهقها . . وحرمها الحياة ؟

كم من الأحلام الوردية داعبت قلوب أحبة تكسرت أمام لطمات أمواجه الغاضبة ؟



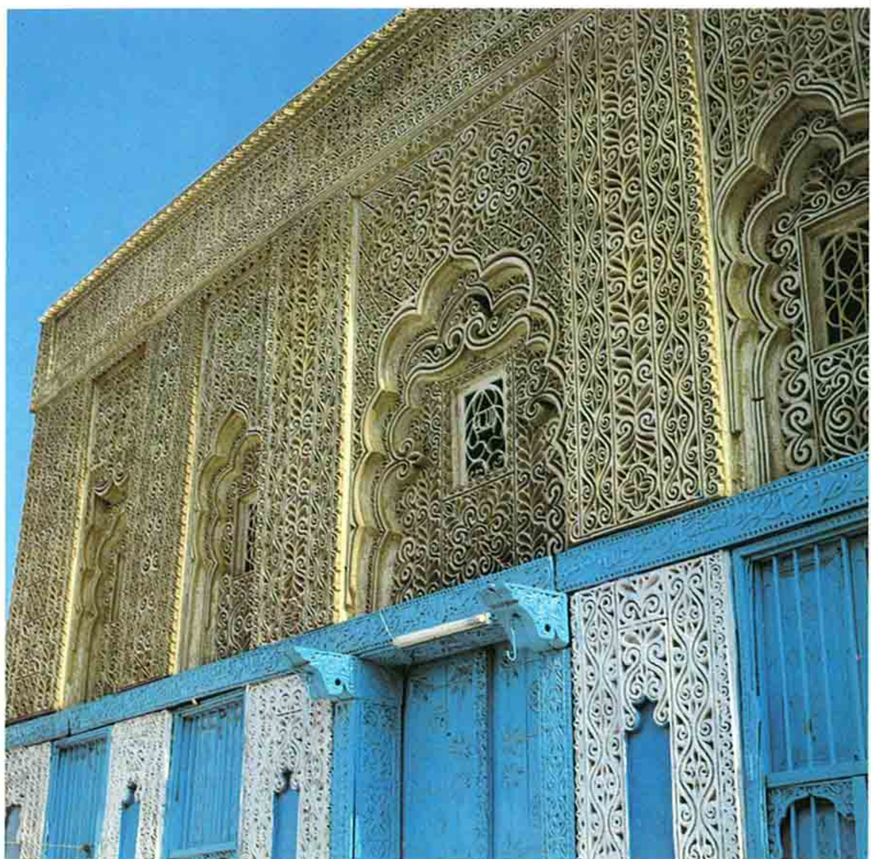
★ باب قديم تزينه الزخارف ★



★ سقف منزل الرفاعي، مطعّم بالخشب المزخرف في تكوينات دقيقة جداً ★



★ منظر من أرض الجزيرة ★

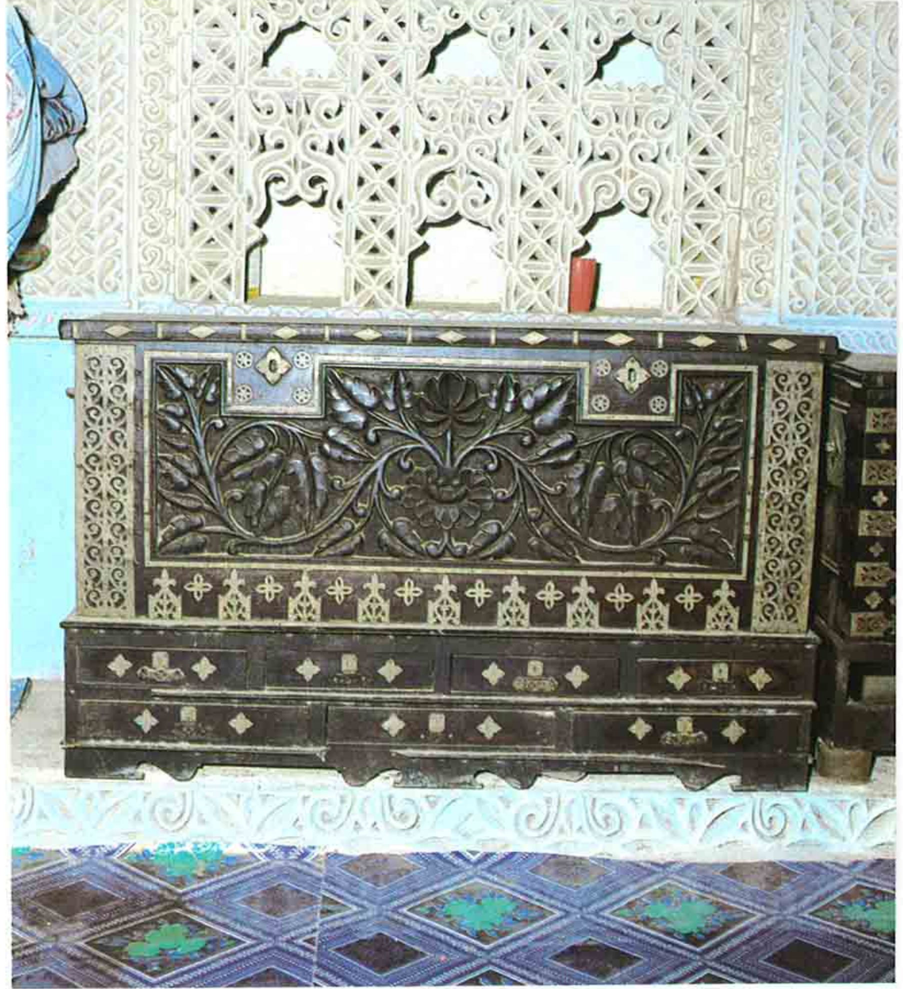




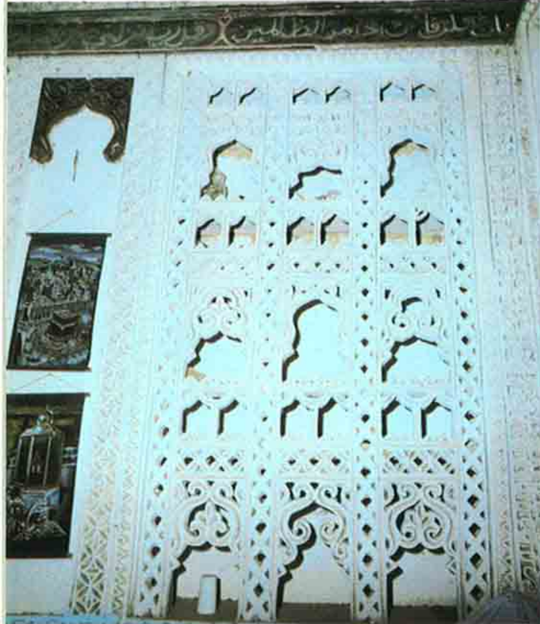
★ كل المنازل القديمة، كانت واجهاتها، تزينها الزخارف والنقوش ★

★ زخارف محفورة، دقيقة يمكنك أن تراها في فناء منزل الرفاعي ★

★ « السحارة » أو « صندوق السيسم » كما يسمونه
صندوق مزخرف قديم ،
كان يستعمل
لحفظ الملابس
وهو ما يندر وجوده الآن .
(منزل الرفاعي) ★



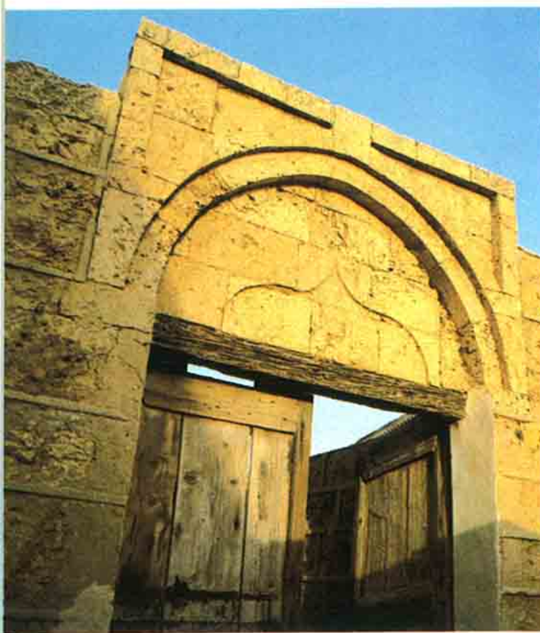
★ قطاع زخرفي داخل منزل الرفاعي ★



★ بقايا مستودع كبير في جزيرة « فساح » ، يطلقون عليه اسم « بيت الجيرمان » ★



★ واجهة منزل قديم ★





★ واحد من الأواني المنحوتة من الصخر، كان يستعمل في سقي الدواب أثناء العمل ★

أفقت من نجواي على صوت صديق يعرف فرسان، وجزرها جيداً قائلاً: أنظر.. هذه أول جزر فرسان تصادفنا.. إننا ندعوها «**آمنة**».. وتلك «**أحبار**».. وأمامنا جزر أخرى سنأتي إليها.. **إن هذه الجزر لا يسكنها أحد**، إلا أن بعض شبان جيزان يقضون فيها أحياناً أيام الإجازات.

ولأهل فرسان خبرة واسعة في الملاحة مما جنبنا كثيراً من المآزق والشعاب في تلك الظلمة الحالكة.. وهم لا يستعملون في ذلك أية وسيلة من الوسائل كالبوصلة مثلاً.. ويكتفون بمعرفة الاتجاهات حسب النجوم.

سرنا مارين بجزر، ومناطق جبلية مثل جزيرة «**أم الكدف**»، و«**سولين**» و«**أبو الشرائع**» المشهورة بكثرة الأمواج.. وهناك جبال صغيرة يدعونها «**عبلات.. وباختة**».

كان وصولنا فرسان ليلاً.. لهذا وجدناها نائمة إلا من بعض أضواء «**الفوانيس**» التي كانت تتسلل من بعض المنازل.. وبتنا ليلتها في منزل أحد الأصدقاء لعدم وجود فنادق بالجزيرة شبه المهجورة.

في الصباح خرجنا نتجول في شوارع الجزيرة.. وبين منازلها وكأننا نسير بين أطلال، وبلى رحل عنها أهلها.. وتركوها تبكي الغائبين النازحين عنها لطلب العيش، والعمل في الحجاز، وغيرها من المناطق التي يتواجد فيها العمل.

لم يبق في هذه المنازل إلا «العواجيز» من النساء، وبعض الشباب العاملين في سلك الوظائف الحكومية.. وبعض صيادي الأسماك.

أما منازلها فهي مبنية من الحجارة، تتألف من دور واحد في أغلب الأحيان.

ولفرسان ثلاثة موانىء يدعونها «**الخور**»، «**خلة**»، «**تبتة**»، وهناك موانىء أخرى أقل أهمية مثل «**القبر**»، «**جنابة**»، «**مريجا**».

وقد كان لأهل فرسان ميدان واسع في التجارة.. وأهمها تجارة «اللؤلؤ» الذي كانوا يأخذونه معهم إلى أقطار مختلفة قد لا تصدق لو قلت لك إنهم وصلوا فرنسا.. وبريطانيا.. والهند.. والحبشة.

وقد أجاد بعضهم **اللغة الفرنسية**، وما زال منهم مواطن من عائلة «**زيدان**» يتقن الفرنسية.. وقد شاهدت صوراً تذكارية لهم في البلدان التي زاروها في الشرق والغرب.

كما أن أهل فرسان أصحاب خبرة في بناء السفن الشراعية إلى جانب الزراعة، وصيد اللؤلؤ، والسمك.. هذه هي أبرز الأعمال التي كان يقوم بها أهل فرسان في الماضي.

★ بئر قديم منحوت في الصخر وقد كان كل بئر من هذه الآبار المنتشرة يستمر الحفر فيه لمدة تزيد على العام لكي يكتمل، فالأرض كلها صخرية ★



أما اليوم فقد كسدت تجارة اللؤلؤ، ولم يعد صيد السمك مجالا للرزق لصغر الجزيرة، وهجرة سكانها».

عادات .. وأساطير

ويذكر الصديق **الصافي** من خلال انطباعاته أنه ما زال فريق كبير من أهل فرسان يعتقدون في الخرافات .. والأساطير .. وكثير من عاداتهم مليئة بمثل هذه الخرافات، والأساطير.

فهناك جبال يسمونها «**المغوي**» يعتقدون أن من ذهب إليها فإن مصيره المحتوم هو الضياع وعدم العودة لا إلى فرسان فحسب بل إلى الحياة.

وهم يروون لك القصص، والحكايات الغريبة فالتائه في هذه الجبال كل ما صعد أكمة رأى فرسان ثم ينزل منها ليقع مرة أخرى فريسة للضياع، ثم تجهد نفسه خلال بحثه ومحاولاته حتى يموت عطشاً وتعباً.

وقد سموها بالمغوي لاعتقادهم أيضاً أن هناك **نجماً** يلوح أمام السائر لغوايته فتضل منه الطريق .. فهو يوهمه أنه قريب من جزيرة مأهولة، أو قرية فيسير خلفه من مكان إلى آخر حتى يصبح عاجزاً عن معرفة المكان الذي هو فيه، وعندها لا يعرف الشرق من الغرب. وهذا النجم يظهر في الأفق ليلاً كبصيص النور.

وأضيف إلى كلام الصديق الصافي أن شاباً يدعى «**محمد أحمد عقيلي**» ظل تائهاً مدة أربعة أيام، وكان قد ذهب ليحتطب، واستمر البحث عنه ولولا أن الشاب يحمل معه بعضاً من الطعام، وقليلاً من الماء تحكم في استعمالها لكان الآن في العالم الآخر.

وأذكر أيضاً أن امرأة عجوز تدعى «**فاطمة بنت عبد الله بن علي**» تاهت في الطريق وكانت ذاهبة من قرية القصار إلى فرسان، واستمرت مدة أسبوع كامل، ولولا إرادة الله شاءت أن يكون هذا الحادث في موسم الأمطار، وشاءت العناية أيضاً أن يكون معها كمية من التمر، لولا هذه العوامل لذهبت حياتها.

وفتاة تدعى «**حليمة أحمد عبد الله**» تاهت بين الجبال وقد كانت برفقة والديها اللذين أضناهما البحث مع العديد من الناس ولكن دون جدوى، ومن المعتقد أنها ماتت، ولكثرة التعاريج والزوايا بين الجبال لم يعثر عليها.

أما بالنسبة للنجم الذي تعرض له الزميل الصافي فذلك مشكلة علمية تحتاج إلى بحث ودراسة.

ففي أيام الخريف يجعل الإنسان يتوهم أنه بالقرب من القرية التي يريدها فيظل ماشياً طول ليله دون الوصول إلى نتيجة، وقد وقع الكثير من المواطنين في شرك هذه الأنوار المتحركة حتى ظن معظمهم أن تلك الأنوار ما هي إلا

آثار .. وشعر .. ورقص

ويتابع الصديق الصافي انطباعاته فيتحدث عن **الآثار .. والشعر .. والرقصات** المشهورة فيقول :

« وفرسان لا تخلو من بعض الآثار .. وقد وجدت فيها **أفران قديمة** بنيت من الحجارة واللبن ، وهي تقع في شمال قرية « القصار » .

وقد حكى لي أحد أهالي فرسان بأنه وجد كهفاً بداخله **هياكل أجسام بشرية** طويلة وهذا يؤكد لنا أن في فرسان آثاراً لو تم البحث عنها ، وأجريت الحفريات اللازمة لاكتشفنا الكثير منها مما هو مطمور تحت الأرض .

وكأي بلد تخفق فيه القلوب .. وتطرب النفوس .. وتشنف الآذان للنغمة الحلوة فقد سمعت لأهل فرسان الكثير من النغمات الشعبية الحلوة في شعرها العامي « النبطي » .. وتعرفت على شداته ، ورواته أمثال « **عبد الله عمر مفتاح** » وأخويه « **محمد وأحمد** » وغيرهم أمثال « **عمر عيسى** » و « **محمد عمر سالم** » ، ومن لم أتمكن من معرفتهم .. وهناك غيرهم ممن انتقلوا إلى رحمة الله .

وهم يتغنون بأشعارهم على دقات طبول رقصاتهم الشعبية المحببة للنفس .. ومن هذه الرقصات « **السيفي** » ، تقام هذه الرقصة في المدينة .. وفي أي وقت من الأوقات .. وتتم عادة بين شخصين يحمل كل منهما سيفاً أو خنجراً أو ما ينوب عنهما كالعصا ، ويقومان بحركات وقفزات منتظمة .

ثم « **العرضة** » ، وتجرى عصراً .. وتقام عادة في ساحة خارج المدينة أو القرية ، ويشكل اللاعبون عند أدائها صفوفاً تذهب وتجيء أيضاً بحركات وقفزات رتيبة ومنتظمة .

و « **الزيفة** » وهي الرقصة المحببة ليس لأهل فرسان فحسب ، بل لكل سكان منطقة جيزان .. وهي تشبه « **الدبكة** » الشامية إلا أنها تتألف من الرجال فقط .

وفي الزيفة يظهر دور الشاعر الشعبي حيث يتبارى فيها أكثر من شاعر .. ويقف كل شاعر أمام صف من صفوف الراقصين حيث يرتجل شيئاً مما تمليه عليه قريحته لحظتها فيحفظه الراقصون ، ويرددونه بعده ، ثم يتناقله السامعون ويصبح جزء من مخزون وموروث هذا النوع من الشعر .

وتحتوي قصائدهم على قصص الحب .. والحرب .. ومغامراتهم في ميادين الهوى ، والبطولة .. وقد تكون القصيدة عبارة عن قصة حب حدثت للشاعر فعلاً فيتناقل الناس أخبارها وهم ينشدونها .

وهذه الرقصات تكاد تكون عامة في منطقة جيزان .. وهي من التراث الفني الذي تعتز به المنطقة .

وتختص فرسان بالاضافة إلى هذه الرقصات برقصة « الدانة » الجماعية .

هذه رحلة سريعة في « فرسان » وجزرها الجميلة التي تتميز كل جزيرة منها بطابعها الخاص .

هوامش

(١) كتاب « عالم البحار ـ الجزر ، الأسماك ، الطيور » تأليف العقيد صالح بن محمد بن مشيلح الحربي ـ اصدار نادي جدة الأدبي ـ الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق .



★ قطاع من الزخارف الملونة في الجامع القديم ★



★ احدى الصناعات اليدوية التي انقرضت الآن ★

شياطين تحاول تضليل الناس ، وهذا هو أغلب الظن عند الفرسانيين .

ولأن هذه الأنوار المتحركة لا تظهر إلا في فصل معين من السنة ، فأنا أعتقد جازماً أنها نوع من الحشرات الطائرة تحمل في أجسامها كميات وفيرة من مادة « الفوسفور » . وعلى أي حال فهذا موضوع علمي جدير بالاهتمام .. أما الأساطير فأعتقد أن كل أمة لها أساطيرها ، وعاداتها وخرافاتها .

السوق الإسلامية المشتركة

"مالها.. وما عليها"

بقلم: د.عدنان الهندي

أيقنت الدول النامية بعد الحرب العالمية الثانية أن **التكامل الاقتصادي** هو الطريق الوحيد الذي يؤمن لها تنمية سريعة وناجحة ، كما يؤمن لها تميزاً واستقلالا عن القوى الاقتصادية والسياسية المعاصرة . وإيماناً بهذه الفكرة سعت **الدول الصناعية** بعد سنوات الحرب إلى تكوين مناطق اقتصادية جديدة ، حيث توجد على سبيل المثال اثنتان من المنظمات الاقتصادية في أوروبا الغربية هي **السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة الأوروبية** . وفي أوروبا الشرقية ترتبط الدول الاشتراكية بمجلس المساعدات الاقتصادية المشتركة على أساس تنظيم الأنشطة الاقتصادية بين الدول الأوروبية وتحقيق التنمية الاقتصادية بينها . وهناك تعاون أيضاً بين **دول أمريكا اللاتينية** حيث نجد مشروعين أولهما **منطقة التجارة الحرة لأمريكا اللاتينية** التي أنشئت عام ١٩٦٠ م ، وثانيهما **السوق المشتركة لأمريكا الوسطى** . أما بالنسبة لإفريقيا والشرق الأوسط، فلا يخفى على أحد ما أورثه الاستعمار لبلدان هاتين المنطقتين من قيام الروابط التجارية التقليدية بصفة أساسية مع البلاد الاستعمارية وغيرها من البلاد الصناعية ومن تنظيم الخدمات

العامة المتعلقة بالتبادل التجاري كالنقل والتأمين والبنوك ومنظمات التسويق لخدمة هذا التبادل التجاري فيما بين دول هذه المناطق والبلاد الاستعمارية التي كانت تسيطر سياسياً واقتصادياً عليها . واستمر الحال على هذا المنوال حتى نالت معظم دول هذه المناطق استقلالها ، وبالتالي بدأت التفكير في تكوين تكتلات اقتصادية .

فنجد مثلاً أن بعض البلدان الإفريقية قد انتظمت في سلك تنظيمات تضم بلاد إفريقية متجاورة مثل **الاتحاد الجمركي والاقتصادي لوسط إفريقيا والاتحاد الجمركي لغرب إفريقيا والجماعة الاقتصادية لشرق إفريقيا** . وهذا يصدق بالنسبة لدول منطقة الشرق الأوسط خاصة الدول العربية ، فقد انتظمت هي الأخرى في تنظيمات متعددة كالاتحاد الجمركي ، ومنطقة الترانزيت ، وانشاء **المؤسسة العربية لضمان الاستثمار والسوق العربية المشتركة** ، كما أقامت أخيراً **صندوق النقد العربي لأغراض التعاون وتنسيق السياسات النقدية بين الدول العربية** .

ولم يقتصر الأثر على المناطق المذكورة أعلاه ، بل **إن البلاد الاسلامية تفكر في الوقت الحاضر في إنشاء سوق إسلامية مشتركة** ، حيث أوصت الأمانة العامة **لرابطة العالم الاسلامي** في النصف الأول من عام ١٩٧٨ م ، بضرورة إنشاء سوق إسلامية مشتركة وذلك لتوثيق روابط الأخوة والتعاون الاقتصادي بين هذه البلاد . وبناء على ما تقدم فسأتناول الموضوع من زاوية الاعتبارات التي حدت بالبلاد الإسلامية إلى التفكير بإنشاء مثل هذه السوق ، والمشاكل والعقبات التي تعترض إنشائها ، كما سنتعرض في هذه الدراسة إلى ما أحاط عملية التكامل الاقتصادي من اهتمام في القرون الماضية والقرن الحالي .

أولا ـ الاهتمام بالتكامل الاقتصادي

إن التكامل الاقتصادي ليس شيئاً جديداً على العالم ، فقد عرفه العالم خلال الفترة التي امتدت من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر . ونشأ التكامل في تلك الفترة في ركاب التوسع الاستعماري ، حيث اتجهت الدول الاستعمارية إلى أن تؤلف من الدول النامية التي كانت خاضعة لنفوذها وسيطرتها منطقة تجارية تزودها بالمواد الأولية اللازمة لصناعاتها ، كما استخدمت أسواق هذه الدول لتصريف منتجاتها المصنوعة . ولعل من أهم التكتلات التي أنشئت خلال الفترة **اتحاد الزلفرين** الذي أنشيء عام ١٨١٨ م ، لتنسيق التعريفات الجمركية بين المقاطعات الألمانية ، **والاتحاد الجمركي بين النرويج والسويد** الذي أنشيء عام ١٨٧٤ م ، **واتحاد ولايات جنوب إفريقيا الجمركي** الذي أنشيء عام ١٨٨٩ م .

وشهدت سنوات ما بعد **الحرب العالمية الثانية** تعاظم الاهتمام بالتكتلات الاقتصادية على اختلاف أشكالها ، سواء على صعيد الفكر الاقتصادي أم الهيئات الوطنية أم المنظمات الدولية العالمية والاقليمية . بل لقد شهدت الستينات وخاصة بعد انعقاد **المؤتمر الأول للتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ م** ، اهتماماً متزايداً بالتكتلات الاقتصادية بين البلاد النامية واتجاهاً عالمياً بوجوب تشجيع التكتلات الاقتصادية بين هذه البلاد بقصد تمكينها من التغلب على العقبات التي تعترض طريقها إلى النمو الاقتصادي ، وقد أخذت التكتلات الاقتصادية في هذا القرن طابعاً جديداً تميز بالآتي :

أ ـ **غلبة العامل الجغرافي في تكوين التكتلات الاقتصادية** ، كإنشاء السوق الأوروبية المشتركة ومنطقة التجارة الحرة الأوروبية ومجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة (**الكوميكون**) . كما انضمت بعض دول أمريكا اللاتينية في تكتلات اقتصادية ، وهذا يصدق بالنسبة لبعض دول إفريقيا ، حيث انضمت في الاتحاد الجمركي والاقتصادي لوسط إفريقيا ، والاتحاد الجمركي لغرب إفريقيا ، والجماعة الاقتصادية لشرق إفريقيا ، كما انضمت بعض الدول العربية إلى السوق العربية المشتركة .

ب ـ **استقلال كل من الدول الصناعية والدول النامية بتكتلات اقتصادية تقتصر عضويتها عليها** . وهذا يختلف عما كان عليه الوضع في القرون الماضية . إذ اتخذت التكتلات الاقتصادية في ذلك الحين صورة تنظيم يتألف من إحدى الدول الصناعية الأوروبية المنتجة للمنتجات المصنوعة وعدداً من الدول النامية التي تتخصص في تزويدها بالمواد الأولية . بمعنى أن التكتلات الاقتصادية اتخذت في الماضي طابع **التكامل الرأسي** بينما يغلب على هذه التكتلات في الوقت الحاضر **التكامل الأفقي** ، حيث تؤلف الدول النامية فيما بينها تكتلات اقتصادية لا تخضع فيها لسيطرة بعض الدول الصناعية . والسوق الأوروبية المشتركة خير مثال على ذلك ، حيث تتخذ هذه السوق صورة تكامل أفقي فيما بين الدول الصناعية التي يتكون منها ، كما تتخذ صورة تكامل رأسي مع البلاد النامية التي ترتبط بها عن طريق اتفاقيات خاصة .

ثانيا : الاعتبارات التي تحدو البلاد الاسلامية على إقامة التكتلات الاقتصادية

لا تختلف الاعتبارات التي تحدو البلاد الإسلامية على إقامة تكتلات اقتصادية من حيث المبدأ عن الاعتبارات التي حدت بالدول الصناعية إلى اقامة تكتلات اقتصادية . ومهما يكن من أمر فإن أهمية هذه الاعتبارات تختلف من بلد إلى آخر ومن طائفة إلى أخرى من البلدان . فنجد مثلاً أن الغرض من التكامل في **الدول الرأسمالية** هو لاعادة بناء الصناعات الأوروبية للوقوف أمام المنافسة القوية التي واجهتها من الصناعات الأميركية ، علاوة على الهدف الحربي ، ذلك أنه بسبب وجود أنظمة اجتماعية مختلفة في العالم ، وفي ظل ظروف الرأسمالية الحديثة ، فإن التكامل الاقتصادي بين الدول الأوروبية يمكن أن يجعل منها قوة عسكرية أمام القوتين الأعظم . أما بالنسبة لأهداف التكامل الاقتصادي في **الدول الاشتراكية** فقد تلخصت حول الحاجة إلى التغلب على المشاكل الاقتصادية المترتبة على الحرب ومشكلة التخلف النسبي ، ومواجهة برنامج الاصلاح الأوروبي ، بالإضافة إلى الهدف الحربي .

وبالرجوع إلى الاعتبارات والدوافع التي تحدو بالبلاد الاسلامية إلى التكتل الاقتصادي نجد أن لا مناص من القول إن هذه الدوافع لا تنحصر في الدوافع الاقتصادية إذ لم تكن هذه الدوافع أقوى الدوافع في بعض الحالات ، ذلك أن للاعتبارات السياسية والاجتماعية والدينية والعاطفية أثراً لا يمكن إغفاله في هذا المجال . ومهما يكن من أسر هذه الاعتبارات ، **فقد أوضحت الدراسات العديدة أهم هذه الاعتبارات** وهي :

(أ) تحقيق وفورات الانتاج الكبير

وتزداد أهمية هذا الاعتبار بالنسبة **لمستقبل التصنيع في البلاد الاسلامية** بالنظر إلى ما تتميز به من ضيق نطاق أسواقها على نحو لا يقارن بالبلاد الصناعية مهما صغرت. إذ قدر أن حجم السوق الاقليمي لبلدان أمريكا اللاتينية لا يزيد بدرجة تذكر عن حجم السوق في كل من **فرنسا أو ألمانيا أو بريطانيا**، وإن تميز ذلك السوق بالتشتت فوق مساحة أكبر، **وبانطوائه** على قطاعات كبيرة من السكان الذي يستأثر الانفاق على السلع الضرورية بنسبة كبيرة من دخولهم. وقد أشار تقرير الأمانة العامة لمؤتمر التجارة والتنمية إلى كبر عدد الدول الصغيرة التي تنتمي إلى العالم المتخلف وانخفاض معدل الدخل **الضروري** فيها، مما يشير إلى أن أسواق هذه الدول من الصغر بمكان بحيث لا تستطيع إيواء الصناعات الضخمة. ومع ذلك فإن امكانية اجتناء الوفورات الداخلية لا تقتصر على ميدان الإنتاج الصناعي، ذلك أن في الامكان تحقيق العديد من الوفورات في ميدان الخدمات العامة والإدارة العامة أيضاً.

(ب) التخصص

إذ من المتوقع أن يزيد ما يتحقق من نفع من جراء **التخصص داخل البلد الواحد**. ولا يعني بالتخصص هنا هو تكرار ما كان يحدث في السابق وهو تقسيم البلاد إلى بلاد منتجة للمواد الأولية من ناحية، وبلاد تنتج المنتجات الصناعية من ناحية أخرى. ذلك أن مثل هذا النمط الرأسي للتخصص أصبح أمراً غير مقبول. ومن هنا يجب الاتفاق على ضرورة توزيع عادل للنمو الصناعي فيما بين البلاد الأعضاء، وهذا يستدعي بالضرورة الاتفاق على سياسة إقليمية للاستثمار. إذ إن الاتفاق على مثل هذه السياسة يعتبر الشرط الأساسي لاعطاء التكامل الصفة الدينامكية. وتعظم أهمية الاتفاق على سياسة إقليمية للاستثمار حيث تتفاوت البلاد الأعضاء في مستوى النمو الاقتصادي. إذ يخشى في هذه الحالة أن تصبح البلاد التي قطعت شواطاً أبعد في ميدان التنمية أقطاباً للنمو يتركز فيها النمو الصناعي وتستأثر بالشطر الاكبر من مزايا التكامل، وذلك على حساب مستقبل التنمية الاقتصادية للبلاد الأقل تقدماً في جملة البلاد الأعضاء.

(جـ) استقرار الصادرات

ومن الاعتبارات الأخرى للتكامل الاقتصادي بين البلاد الإسلامية هو تقليل ما تميز به **صادراتها** من عدم الاستقرار نظراً لما يترتب على زيادة التبادل التجاري فيما بينها من تنويع الاتجاه الجغرافي في تجارتها الخارجية، ولا شك أن المجال متسع لزيادة **التبادل التجاري بين البلاد الاسلامية**، حيث يتضح أن صادرات هذه البلاد لبعضها البعض عام ١٩٧٥م، لم تتجاوز ما نسبته (٤,٧٪) من صادراتها الكلية. ويمكن أن يعزى انخفاض هذه النسبة إلى البنيان السلعي لصادراتها، حيث لا يسمح مثل هذا البنيان في الوقت الحاضر لتقليل اعتمادها على البلاد الصناعية لأغراض التصدير. **ويمكن القول بصفة عامة إن الصفة الغالبة لتجارة البلاد الاسلامية هي عجزها عن المساهمة بشكل فعال في نمو التبادل التجاري العالمي من جهة والعجز المتزايد في موازينها التجارية من جهة أخرى.** وهذا من شأنه أن يهدد عملية التنمية الاقتصادية، وبالرجوع إلى إحصاءات التجارة الخارجية يتضح أن مساهمة البلاد الإسلامية في **التجارة العالمية** بلغت حوالي (٣٢٪) عام ١٩٥٠م، انخفضت لتصبح (٢١٪) عام ١٩٦٢م، وبلغت (١٢,٠٤٪) عام ١٩٧٥م، وليس هذا فحسب، بل **إن تجارة البلاد الاسلامية مرتبطة إلى حد كبير بالدول الصناعية وبعض دول العالم الأخرى**، إذ إن حوالي (٦٢٪) من تجارتها في عام ١٩٥٠م، كانت مع هذه الدول، وارتفعت هذه النسبة إلى (٧٠٪) عام ١٩٦٢م، وبلغت حوالي (٦٩,٦٪) عام ١٩٧٥م. ولا يخفى أثر ضعف التجارة الخارجية للبلاد الإسلامية وارتباطها بشكل كبير بالدول الصناعية إلى حجم الفعاليات الاقتصادية وعلى سياسة التنمية بصورة عامة. ومما يزيد من حدة المشكلة، هو **أن الموازين التجارية للبلاد الاسلامية تسجل عجزا متزايدا سنة بعد أخرى، وذلك لزيادة حجم المستوردات على حجم الصادرات بشكل مستمر من جهة ولتدهور أسعار الصادرات بالنسبة لأسعار المستوردات من جهة أخرى إذا ما استثنينا صادرات النفط**، بالإضافة إلى ذلك فإن حجم صادرات البلاد الإسلامية يزداد ببطء شديد رغم الحاجة الماسة والملحة للبضائع الرأسمالية اللازمة لنموها الاقتصادي. إذ بلغت نسبة نمو صادرات هذه البلدان عام ١٩٧١م، حوالي (٢٣,١٪) وانخفضت عام ١٩٧٥م، لتصبح (٥,٨٪).

إن نتيجة هذا الخلل بين الصادرات والمستوردات من شأنه أن يؤدي إلى خلل دائم ومزمن في الميزان التجاري لهذه البلاد. وبمقدور البلاد الإسلامية أن تعتمد على بعضها في الحصول على كثير من المنتجات الصناعية والغذائية التي تستوردها من البلاد الصناعية في الوقت الحاضر. ومما يزيد من أهمية هذا الاعتماد هو أن طلب هذه البلدان على المنتجات الصناعية والغذائية يتزايد باستمرار تبعاً لما يواكب التنمية الاقتصادية من زيادة الدخول بل وإن طلبها سيتزايد على المواد الأولية نظراً لما تتمخض عنه التنمية أيضاً من ارتفاع مستوى التصنيع.

(د) تعزيز قوة المساومة

وذلك تجاه البلاد الصناعية، لما يهيئه التكامل الاقتصادي من اجراء تقدم في تحسين علاقاتهم الاقتصادية مع هذه البلاد. يعزز من أهمية هذا الاعتبار ما نعلمه من شيوع التكتلات الاقتصادية بين البلاد الصناعية وانتهاج هذه التكتلات من السياسات ما يتعارض مع مصالح البلاد الإسلامية.

(هـ) إنتاج البضائع المستوردة

زيادة قدرة البلدان الإسلامية على إنتاج البضائع المستوردة والمساعدة في خلق قطاعات الخدمات كالنقل والتأمين والذي يشكل قسماً هاماً جداً من نفقات هذه البلدان من العملات الأجنبية. ومن شأن هذا تحقيق العجز الملاحظ في الميزان التجاري إن لم نقل القضاء عليه.

نستطيع أن نلاحظ مما سبق الفوائد التي يمكن تحقيقها من خلال التكامل وإنشاء سوق إسلامية مشتركة. فباستبدال السياسات الاقتصادية القومية بسياسات اقتصادية إسلامية موحدة، يمكن استخدام الإمكانيات الاقتصادية الإسلامية لتحقيق تنمية اقتصادية على النطاق الإقليمي، ورفع مستوى المعيشة لكل البلاد الإسلامية. ويمكن القول إنه قد تحقق بعض التعاون الاقتصادي بين البلاد الإسلامية التي لديها موارد لم تستخدم مؤقتاً وبين البلاد الإسلامية التي هي في حاجة إلى وسائل مالية خارجية. ويعتبر **البنك الاسلامي للتنمية** الذي تقتصر عضويته على الدول

الأعضاء في **المؤتمر الاسلامي** بلا شك أهم مؤسسة مالية أنشئت خلال العقد الحالي حيث إن هدفه الرئيسي تعبئة الموارد لتمويل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد الأعضاء ومنح القروض للقطاعين العام والخاص وتقديم المعونة الفنية .

ومن أشكال التعاون الاقتصادي الذي تم بين البلاد الإسلامية في السنوات الأخيرة هو أن الدول الإسلامية المنتجة للبترول قد قدمت في السنوات الأخيرة معونات سخية للبلاد الإسلامية الأخرى ، وذلك من خلال تقديم القروض والمنح والاستثمار المباشر وكذلك الاشتراك المباشر في المشروعات المشتركة .

والواضح أن النتائج المتواضعة التي أحرزتها البلاد الإسلامية في مضمار التعاون الاقتصادي لا يمكن تفسيرها بأن حاجتها إلى التعاون الاقتصادي أقل إلحاحاً من حاجة البلاد الصناعية أو أن مزايا التكامل والتعاون الاقتصادي وإمكانية اللجوء إليه لم تتضح لها بعد . لذا فإن تواضع النتائج يرجع بصفة أساسية للمشاكل التي اعترضت ولا تزال تعترض البلاد الإسلامية إلى تكوين تكتلات اقتصادية . فما هي هذه المشاكل ؟

ثالثا : المشاكل والعقبات التي تقف أمام التكتل الاقتصادي الاسلامي

١ ـ ضعف **الارادة السياسية** من جانب معظم البلدان الإسلامية في كثير من المجالات ويمكن القول إنه لن يتأتى للاعتبارات الاقتصادية أن تتحقق دون توافر الإرادة السياسية في هذا المجال .

٢ ـ أدى ارتباط البلاد الإسلامية بالدول الصناعية إلى **نظام دولي لتقسيم العمل** بطريقة تضر بالبلاد الإسلامية . فالصناعات في هذه البلاد تقوم بإنتاج عدد قليل من المواد الأولية اللازمة لصناعات الدول الصناعية ، والجزء الأكبر من هذه المواد الأولية ينتج أساساً بغرض التصدير . مما أدى إلى نمو جانب واحد من القوى الإنتاجية وإلى هيكل اقتصادي مشوه . ويمكن أن نلاحظ هذه الظاهرة في الدول العربية حيث يعكس هيكل صادراتها حقيقتين وهما :

أ ـ أن معظم الدول العربية تعتمد على مادة خام واحدة ، فعلى سبيل المثال نجد أن ما نسبته (٩٣,٠٪) من صادرات **الكويت** عام ١٩٧٤ م ، من البترول الخام و(٩٥,٨٪) من صادرات **العراق** من منتجات البترول عام ١٩٧١ م ، و(٤٧,٥٪) من صادرات **جمهورية مصر العربية** من القطن ، و(٩٢,٣٪) من صادرات **السعودية** من البترول الخام ، و(٩٧,٦٪) من صادرات **ليبيا** من البترول الخام ، **وسورية** (٢٤,٩٪) من القطن ، **والأردن والمغرب وتونس** تعتمد على نوعين من المنتجات وهي منتجات أولية ومواد غذائية وذلك طبقاً لأرقام عام ١٩٧٥ م .

ب ـ أن صادرات ومستوردات معظم الدول العربية تعتمد على مجموعة قليلة من الدول ، فتعتمد **الجزائر** في (٦٠,٦٪) من تجارتها الخارجية على دول السوق المشتركة ، وتعتمد **المغرب** على نفس الدول في (٥١,٧٪) من مستورداتها و(٥٤,٢٪) من صادراتها ، **وتونس** (٦٤,٠٪) من مستورداتها و(٤٧,٦٪) من صادراتها من وإلى دول السوق . كما تعتمد **السعودية** (٦٦,٩٪) من صادراتها إلى الدول الصناعية و(٧٦,٨٪) من مستورداتها من هذه الدول وأن حوالي (٣٢,٨٪) من مستوردات **الاردن** من السوق المشتركة وذلك طبقاً لاحصائيات عام ١٩٧٥ م . ويمكن القول إن هذه الظاهرة تنصب على معظم الدول العربية . ولا يخفى على أحد أن الاقتصاد المتخصص في جانب واحد بغرض التصدير يعتبر حساساً جداً بالنسبة لتغيرات الأسعار وخاصة السلع المرتبطة بالأسواق العالمية ، مثل المواد الأولية .

٣ ـ حداثة استقلال بعض البلاد الإسلامية ، لذا فإنها تواجه **مشاكل داخلية معقدة** تستأثر الشطر الأعظم من اهتماماتها . يضاف إلى ذلك تردد بعض البلاد الإسلامية التي توجد في مركز أفضل من غيرها بالانضمام إلى بلاد أقل حظاً عنها سواء في الموارد الاقتصادية أو في مستوى النمو الاقتصادي . يقابل ذلك ما تخشاه البلاد الأقل تقدماً من أن يؤدي التكامل الاقتصادي إلى اتساع الفجوة التي تفصلها عن البلاد النامية التي سبقتها في مضمار النمو الاقتصادي . يضاف إلى هذا أن عدم وجود برامج متناسقة للتنمية الاقتصادية يجري تنفيذها بصفة جدية يضيف عقبة لا يستهان بها في هذا المجال .

٤ ـ تنافر **السياسات الاقتصادية الداخلية** في البلاد الإسلامية مع إصرار كل بلد على أن يحتفظ بمطلق حريته في تشكيل هذه السياسات . مما يؤدي إلى ضآلة ما يمكن أن يحرزه التكامل من نجاح . ذلك أنه لن يتأتى لمجموعة من البلاد أن تجني نفعاً من وراء التكامل ما لم تكن على استعداد من البداية لأن تدرك وأن تقبل فقدان جانب يعتد به من سيادتها على شؤونها الاقتصادية .

٥ ـ تفاوت **الخواص الهيكلية الاقتصادية** بين البلاد الإسلامية التي يراد تحقيق التكامل فيما بينها ، واختلاف النظم والظروف الاقتصادية بين هذه البلاد .

٦ ـ اتساع **الرقعة الجغرافية للعالم الاسلامي** ، حيث قدر عدد سكان الدول الأعضاء في المؤتمر الإسلامي بحوالي **(٦٠٠) مليون** نسمة ، أو ما نسبته (١٥٪) من سكان العالم ، يشغلون رقعة من الأرض تزيد عن (٢٥) مليون كم مربع ، تمثل (٢٠٪) من إجمالي مساحة العالم . وقد أشارت معظم الدراسات حول التكامل الاقتصادي إلى أهمية انخفاض تكاليف النقل ، كما أشارت إلى أن للمسافات الاقتصادية تأثيراً بالغاً على العلاقات الاقتصادية ، إذ كلما قصرت المسافة بين أي بلدين عظمت إمكانيات التبادل الاقتصادي بينهما ، وزادت المنفعة التي تعود على العالم من تكاملهما .

٧ ـ **مشاكل اجتماعية وسيكولوجية مثل اختلاف اللغات والعادات والتقاليد .**

٨ ـ عوائق طبيعية مثل **اختلاف الطقس وعدم ضمان المرتب وعدم وجود تسهيلات سكنية** وعدم المواءمة بين **المطلوب والمعروض** من الأنواع المختلفة من العمل .

٩ ـ صعوبة تحقيق التوازن بين **المنافع** التي يدرها التكامل الاقتصادي على مختلف البلاد الأعضاء ، ذلك أن العديد من المنافع لا يمكن قياسها كمياً .

وعلى الرغم من تعدد المشاكل والعقبات التي يمكن أن تقف حائلا أمام نجاح فكرة إنشاء السوق الاسلامية المشتركة ، فإن هذا لا يبرر تراخي العزم في مجال توثيق أواصر التعاون الاقتصادي بين البلدان الاسلامية . ومن هنا كان لزاماً على هذه البلاد أن تولي هذه العقبات محلاً أساسياً من الاعتبار وأن تعمل على

اتخاذ التدابير المناسبة للتغلب عليها . وتختلف بطبيعة الحال ماهية التدابير والأساليب التي يتسنى بمقتضاها التغلب على هذه العقبات والمشاكل من حالة لأخرى باختلاف الظروف التي تحيط بالبلاد الأعضاء التي يتألف منها التكامل الاقتصادي . على أنه لا غنى في مواجهة هذه العقبات من توافر الارادة السياسية ، علاوة على أن يتسم التكامل الاقتصادي بواقعية أهدافه . ومن الواضح أن الأخذ بصورة أقل طموحاً من إنشاء السوق المشتركة لا يسد الباب أمام التدرج منها إلى صورة أكثر طموحاً ، بل إن هناك من القوى ما تدفع أية مجموعة من البلاد إلى المضي قدماً في الطريق إلى التكامل الاقتصادي . لذا يثور التساؤل حول المراحل التي يجب أن تسبق مرحلة إنشاء السوق الإسلامية المشتركة بين البلاد الإسلامية ، يمكن القول إن هناك مرحلتين تسبقان مرحلة السوق المشتركة وهما :

١ ـ منطقة التجارة الحرة

يمكن اعتبار تكوين مناطق التجارة الحرة كنقطة بداية للتكامل الاقتصادي الحقيقي وكأولى مراحل التكامل الاقتصادي . حيث إنه **في كل مرحلة يعني التكامل تجميع لأجزاء في شكل جديد** . ولا يعني مجرد تجميع أشياء منفصلة بدون تغيير نوع هذه الأجزاء . وأول هذا التغيير يمكن ملاحظته في مناطق التجارة الحرة . ففي مناطق التجارة الحرة الأوروبية نجد أن المعاهدة ترمي إلى إلغاء **التعرفة الجمركية** والقيود الكمية بين الدول الأعضاء ، أما بالنسبة للتعرفة الجمركية بين الدول الأعضاء وبين الدول الأخرى فإنها من اختصاص كل دولة ولا تمسها الاتفاقية .

٢ ـ مرحلة الاتحاد الجمركي

تتلخص هذه المرحلة في **إقامة نظام موحد للتعرفة الجمركية** والقيود الكمية أمام الدول غير الأعضاء . ولكن هذا النوع من التكامل يمكن الأخذ به عندما تكون الدول الأعضاء على مستوى متقارب من النمو الاقتصادي وعندما يكون من الممكن توحيد السياسات الاقتصادية . وإلا فإن الاتحاد الجمركي سيكون في صالح الدول الأكثر تقدماً ، أو حتى الدول التي تستطيع تنمية اقتصادها بفتح أسواق جديدة من خلال الاتحاد الجمركي على حساب اقتصاديات الدول الأخرى .

٣ ـ مرحلة السوق المشتركة

وهذه المرحلة هي أكثر المراحل تقدماً من المرحلتين السابقتين ، حيث إنه في هذه المرحلة تلغى القيود أمام تحركات عناصر الإنتاج بين الدول الأعضاء ، بالإضافة إلى الوحدة الجمركية . فهنا **في السوق المشتركة نحن أمام سوق واحدة تنتقل ضمنها ليس السلع الوطنية والأجنبية فحسب وإنما رؤوس الأموال واليد العاملة أيضا** . وهذا ما دعا بعض الاقتصاديين لاعتبار مرحلة السوق المشتركة هي المرحلة التكاملية الحقيقية حيث في هذه المرحلة لا يتم تحرير المبادلات التجارية فقط ، وإنما يتم تحرير رؤوس الأموال واليد العاملة ، أي إن **عملية التكامل الاقتصادي الحقيقي هي حركة ديناميكية وليس حركة سكونية** لأنه من شأنها خلق تغيرات متسارعة في الهياكل الإنتاجية للبلدان المتكاملة .

ولا شك بطبيعة الحال أن مناطق التجارة الحرة والاتحادات الجمركية والأسواق المشتركة تحظى في الوقت الحاضر بالجانب الأكبر من الاهتمام . على أننا نرى أن الأشكال الثلاثة السابقة ليست الوحيدة للتنظيمات الإقليمية ، ومن أمثلة هذه التنظيمات اتفاقيات التعاون الاقتصادي القائمة بين بعض الدول النامية واتفاقيات تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة **الترانزيت** واتفاقيات تجنب **الازدواج الضريبي** . حقاً إن مثل هذه الاتفاقيات لا ترقى إلى مستوى الأسواق المشتركة من حيث القضاء على التمييز في المعاملة في محيط أعضائها ، على أنه لا يجوز بأي حال من الأحوال التقليل من أهميتها ، نظراً لأنه لا فضل لشكل على آخر من أشكال التكتلات الاقتصادية إلا بقدر ما يتجاوب مع طبيعة الظروف والمشاكل السائدة التي يمكن أن تبرز بين أعضائه ، وتتهيأ له بالتالي مقومات النجاح . ومن أمثلة هذه الظروف طبيعة العلاقات السياسية بين البلاد التي تزمع الأخذ به أو حجم الأسواق الداخلية لهذه البلاد أو مستوى النمو الاقتصادي فيها أو طبيعة النظم الاقتصادية والتجارية السائدة أو مدى التجاوز الجغرافي .

ولهذا كله فإنه من الضروري وقبل إنشاء السوق الاسلامية المشتركة أخذ المشاكل والظروف التي استعرضتها في السابق في الاعتبار بالاضافة إلى ضرورة مراعاة ما يأتي :

(أ) **ضرورة تنسيق السياسات الاقتصادية الداخلية للبلاد الاسلامية** . إذ يتوقف تحقيق العديد من المزايا على هذا التنسيق وعلى رأس هذه المزايا سياسات الاستثمار وتخطيطها على أساس إقليمي بما يتسنى معه أن تولى البلاد الأقل تقدما معاملة مناسبة .

(ب) يجب العمل على **تحقيق التوازن بين المنافع** التي تدرها السوق المشتركة على مختلف البلاد الأعضاء .

(ج) لما كان الهدف الرئيسي من وراء الأسواق المشتركة هو **تيسير انسياب السلع** في محيط البلاد الأعضاء ، لذا فلا يتوقع تحقيق هذا الهدف ما لم **تتخذ السياسات الكفيلة بتيسير وسائل النقل والمواصلات في** محيط هذه البلاد .

(د) **لا بد من وجود سياسة مشتركة تتناول شؤون الصرف والمدفوعات** .

وخلاصة القول إن عملية إنشاء سوق إسلامية مشتركة غالباً ما تكون مصحوبة بتوترات ومساومات وصفقات . فإذا أردنا أن نأخذ كل هذه الأمور في الاعتبار ، فلا يملك المرء إلا أن يصل إلى نتيجة مؤداها **أن إمكانية إنشاء سوق إسلامية مشتركة لا يمكن أن تتقدم بسرعة حثيثة إلا إذا توافرت المقومات لانشائها** فتجربة السوق الأوروبية المشتركة والسوق العربية المشتركة تدل على الصعوبات التي تكتنف هذا السبيل . لذا فإن الحاجة تدعو إلى إجراء دراسات مستفيضة حول المشاكل والعقبات التي يمكن أن تقف حائلاً أمام إنشاء سوق إسلامية مشتركة .

من أمثال العرب

وَقَعَ فِي سَلَى جَمَلٍ

أي وقع في بلية لا مثيل لها ، لأن السلى إنما يكون للناقة وهي المشيمة .. يضرب في الشدة المتفاقمة

هَلْ يُجْمَعُ السَّيْفَانِ فِي غِمْدٍ

يضرب في عدم الاتفاق وقلته .. يقول أبو ذؤيب :

تـريدين كيما تغمـديني وخـالداً
وهل يجمع السـيفان ويحـك في غمـد

وَعِيْدَ الْحُبَارَى الصَّقْرَ

يضرب للضعيف يتوعد القـوي .. وذلك أن الحبـارى يقف للصقر ليحاربه من شدة الرعب منه ..قال الشاعر :

لقل غنـاء عنـك ايعـاد بـارق
وعيد الحبارى الصقر من شدة الرعب

طَارَتْ عَصَافِيرُ رَأْسِهِ

يضرب للمذعور ، أي كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما خاف طارت .

شَرُّ النَّاسِ مَنْ مِلْحُهُ عَلَى رُكْبَتِهِ

الأصل فيه أن العرب تسمي الشحم ملحاً لبيـاضه .. وتقول : أملحت القدر إذا جعلت فيها الشحم ، قال الشاعر :

لا تلمهـا إنهـا مـن نسـوة
ملحهـا مـوضوعة فـوق الـركب

أي إنها من نسوة همها السمن والشحم فكان معنى المثل : شر الناس من لا يكون عنده من العقل ما يأمره بما فيه محمدة ، إنما يأمره بما فيه طيش وخفة وميل إلى أخلاق النساء ، وهو حب السمن .. والملح يذكر ويؤنث .. يضرب للنزيق السريع الغضب ، وللغادر أيضاً .

لا تَقْرَعُ لَهُ الْعَصَا ، وَلا تَقَلْقَلُ لَهُ الْحَصَى

يضرب للمحنك المجرب .

لا تَهْرِفْ بِمَا لا تَعْرِفُ

الهرف : الاطناب في المدح .. يضرب لمن يتعدى في مدح الشيء قبل تمام معرفته .

اغَرُّ مِنْ ظَبْيٍ مُقْمِرٍ

يقال : معناه أن الظبي صيده في القمراء أسرع منه في الظلمة ، لأنه يَعْشَى في القمراء ، ويقال : معناه من الغرة بمعنى الغرارة ، لا من الاغترار ، وذلك أنه يلعب في القمراء .

اعتَبِرِ السَّفَرَ بِأَوَّلِهِ

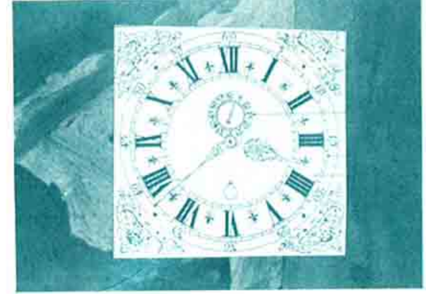
يعني أن كل شيء يعتبر بأول ما يكون منه .

أَضْيَعُ مِنْ قَمَرِ الشِّتَاءِ

قيل ذلك لأنه لا يجلس فيه .. فالناس عادة في الشتاء يختبئون داخل منازلهم .. قال ابن حجاج يصف نفسه :

حـدث السـن لم يـزل يتلهـى
علمـه بـالمشايخ العلماء
غـير أني أصـبحت أضـيع في القـو
م مـن البـدر في ليـالي الشـتاء

من أمثال الشعوب

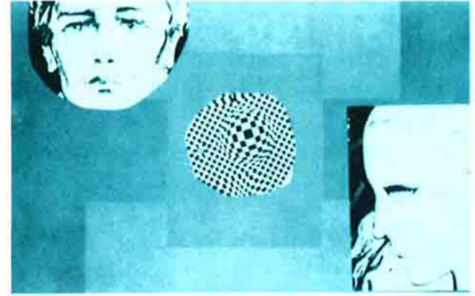


●● من السهولة أن تكون جوّاداً بمال غيرك .

●● الفاكهة الممنوعة .. هي الأحلى .

●● من الخير أن تأتي قبل الموعد بساعة .. من أن تأتي بعده بدقيقة .

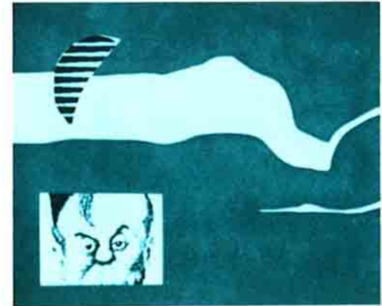
(أميريكا)



●● الربح .. والنعمة ، لا يدومان .

●● المسافة بين كلمة لا .. وكلمة نعم عند المرأة لا تسمح بمرور رأس الإبرة .

(إسبانيا)



●● ينام عميقاً من لا يملك ما يخاف فقدانه .

●● الحاقد .. لا يذوق طعم النوم .

(فرنسا)



●● من كد في عناء .. أكل في سعادة .

●● أن تقبل ربحاً بسيطاً .. خير لك من أن تفقد أعمالك .

●● احفر البئر .. قبل العطش .

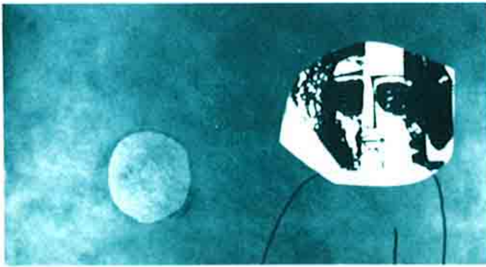
(الصين)



●● الوقت .. والفرصة ، ليسا خادمين لأحد .

●● لا يوجد حزن مهما عظم ، لا يخففه الزمن .

(ألمانيا)



●● خسر دمعه .. من بكى أمام القاضي .

●● الشجار القديم ، سهل التجديد .

●● الحب يحكم دولته بلا سلاح .

(إيطاليا)

بطل الفتوح في شمالي افريقية



عقبة بن نافع

بقلم: د. محمد التونجي

لا يمكن لأي أديب أو مؤرخ أن يدرس علما من أعلام المسلمين إلا أن يستوثق من القبيلة التي نشأ فيها هذا العلم. لتنبسط أمامه المؤثرات الداخلية والنفسية، وتتضح له العوامل الخارجية والبارزة. وعليه أيضا أن يتعمق في ما هية جذوره، ونوعية بيئته، ومكانة جدوده.

وقد تنبَّه العرب إلى هذه الخصيصة ، فأولوها رعايتهم ، ووجهوا إليها عنايتهم ، بأن حفظوا أنسابهم ، وحافظوا على أسماء جدودهم ، وافتخروا بذلك . وكان هذا الافتخار سبباً في ظهور **علم الأنساب** عند العرب .

وقلة العناية بأنسابنا اليوم ـ والأمس غير القريب ـ هي التي جرَّت هذا العلم إلى متاهات النسيان ، وجعلته بعيداً عن الأذهان . وهو علم نفسي أصولي ، يساعد على معرفة مكانة الفرد ، ويسهم في التوضيح عن مؤثرات نشأته ، ومسبِّبات مكانته .

وإذا اكتفى المرء اليوم بمعرفة أسرته ، ويحفظ جد أو جدين على الأكثر ، فإن العربي ـ ولا سيما الصحراوي ـ حافظ على الأسماء ، وورَّثها لمن بعده مع ما يورِّثه ، لأن ذلك مفخرة له واعتزاز . ولو أن القدامى لم يعتبروه اعتزازاً ، لما انتحله أشخاص كثيرون ، وأغلبهم من غير العرب .

ولأجل هذا ، ولكي نعرِّف **بعقبة بن نافع** خير تعريف ، علينا عبء ثقيل وواجب محتوم . فإن يسَّر الله علينا كشفه وإزاحته سهل على القارىء معرفة مكانة هذا « الإنسان الجليل » . واتضحت له العوامل النفسية والبيئية التي أثرت في خضم حياته الطويلة .

اسمه ونسبه

هو عقبة بن نافع[1] بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن عائش بن ظرب بن الحارث بن **فهر بن مالك بن النضر بن كنانة** القرشي الفهري . نشأ في بطن من بطون **قريش** . والبطون القرشية تتفاوت في الضعف والقوة ، والقلة والكثرة . ولكن البطون التي انتهى إليها الشرف ـ كما يقول النسابة الكلبي ـ عشرة ، اتصل شرفها في الجاهلية والإسلام ، وهي : **هاشم ، أمية ، نوفل ، عبد الدار ، أسد ، تيم ، مخزوم ، عدي ، جمح ، سهم .**

ثم إنه **يلتقي بالجد العاشر للرسول ﷺ فما بعده** . ونسب الرسول كما أورده ابن هشام هو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن **فهر بن مالك بن النضر بن كنانة** بن خزيمة . .

فأرومة عقبة تلتقي بأربعة جدود النبي ﷺ . وإذا علمنا أنه افتخر أيضاً بالنسب إلى أمية ، اتضحت لنا الأصالة التي تحلى بها عقبة ، وبالعراقة التي انتسب إليها .

والفهريون آخر بطون قريش[2] ، انتهى إليها شرف الحرب والقوة قبل الإسلام ، ومن أبرز الفهريين : **أبو عبيدة عامر بن الجراح ـ الضحاك بن قيس الفهري ـ أبو محمد عبد الله بن وهب .**
والفهريون من أكبر القبائل التي سافرت إلى **الأندلس** بعد الإسلام وبعد فتح **شمال إفريقية** .

غير أن التاريخ سكت عن مهمة بني فهر في الجاهلية ، واكتفى بالاشارة إلى الحرب والغزوات . وهذا لا يكفي ؛ فلكل بطن من بطون قريش عمل اختصت به ، وتفردت به دون زميلاتها .

ولعل التاريخ اكتفى بذكر ما برز به الفهريون . ونكاد نصادق على ذلك إذا علمنا أنهم **كانوا من خيرة الجنود والقواد بعد الاسلام ، وأنهم شاركوا بني أمية في قيادة الجيوش ، وفتح الفتوح ، والجهاد في سبيل الله .**

هذه البيئة العسكرية ، وهذا الجو الحازم ، وهؤلاء الأقربون المناضلون بالاضافة إلى قرابته بعمرو بن العاص ، كل هذا خلق في نفس هذا الفتى المسلم كفاءة نادرة ، قوَّت من عوده ، ومتنت من كفه ، وألهبت من عنفوانه ، وهيأته لمجد عسكري قادم . . ليعد ـ فيما بعد ـ من قادة الفتوح في الإسلام ، والقائد الأول في شمالي إفريقية .

فبيئة عقبة بن نافع عربية خالصة ؛ فقد نشأ وسط الصحراء ، ورضع ألبان الإبل ، وشرب ماء واحات العرب .

أبوه

هو نافع بن عبد القيس الفهري . . كان ممن نخس[3] **بزينب بنت رسول الله ﷺ** لما توجهت مهاجرة إلى المدينة المنورة ، فأفزعها ، وكانت حاملاً فألقت ما في بطنها بعد أيام[4] . يدل هذا العمل الشنيع على شدة حقد نافع نحو الإسلام ، ومعاصرته لهجرة الرسول ﷺ وأهله وصحبته . كما يدل على مكانته بين قومه ، ولولا هذا لما تجرأ أن يفعل فعلته ، ويتهجم على الحرائر .

ويروى أنه مات قبل **فتح مكة** مشركاً . وفي رواية أنه أعلن إسلامه ، وعاش إلى خلافة **عثمان**[5] ، واشترك في عدة غزوات . فعقبة على هذا في الرواية الأولى نشأ يتيماً ، وأسلم من ذات نفسه ، وفي الرواية الثانية أسلم بإسلام أبيه .

أمه

لم تحدثنا كتب التاريخ شيئاً ذا بال عن أمه وأخواله ، ولم تعلمنا عن مكانتهم أمراً . وجل ما قيل مضطرب ، وكل الآراء تربط نسب عمرو بن العاص بنسب عقبة من جهة الأم .

فرواية تقول : هو أخو عمرو لأمه « **النابغة** » التي كانت سبية من **عنزة** ، وكانت تغني بين القبائل . . ولا ندري مدى صحة قولهم هذا . ونحن نستبعد هذا الرأي ولا نقبله ، ولا سيما إذا علمنا أن عمراً أكبر سناً من عقبة بما يزيد عن عشرين سنة . بل إن **عبد الله بن عمرو** كان يكتب ما يسمع عن الرسول من أحاديث ، في حين أن عقبة ـ عمه على هذه الرواية ـ كان طفلا يحبو أو يتخبط في مشيه . ولم يرو أن النابغة تزوجت غير الثلاثة (**الفاكه بن المغيرة ثم عبد الله بن جدعان ، وانتهت إلى العاص**) .

ورواية ضعيفة أخرى تقول : إن عمراً خاله . وترفض هذه الرواية من أساسها لأن النسب يخالف الخؤولة ، والكتب تقول غير هذا . ورواية ثالثة تذكر أنه ابن أخي العاص لأمه[6] .

أما الرواية التي نرجحها ، أنه ابن خالته[7] . ولكن كيف جرت هذه

الصلة ؟ نقف حيارى أيضاً ! فأم عمرو سبية كما ذكرنا ، وهي **سلمى بنت حرملة** الملقبة بالنابغة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت **بعكاظ**، فاشتراها الفاكه . . . وأخيراً صارت إلى العاص .

ترى أكانت الأخت شبيهة بأختها النابغة « تؤجر للغناء ؟ » احترفت أم عمرو الغناء في حين أن أختها ظلت في بيت ذويها ؟ أكانت سبية هي الأخرى ، فأصابها ما أصاب النابغة ؟ أم أنها خطبت وزفت إلى نافع الفهري بكرامتها ؟ لا نعلم .

وأياً كان الثلب والقدح بأميها ، فإن العرب تفخر بالأب ، وتنتسب إلى قبيلته . وأياً كان الأمر ، فإن عقبة يتصل بعمرو بن العاص بقرابة ذات فرعين ؛ الأولى القرابة القرشية ذات الشرف الأكبر ، والثانية هي قرابة الأم .

وقد ربطت هذه القرابة الشخصين إلى بعضهما بعضاً ، فأنشأتهما نشأة متقاربة ، وعملت على استفادة عقبة من ابن خالته الكبير عمرو في كثير من الأمور والصفات ، وقادت الاثنين في مسيرة واحدة ، ومصير واحد . هو مصير الجهاد في سبيل الله تعالى في مصر ، وفي شمالي إفريقية .

ولادته ونشأته

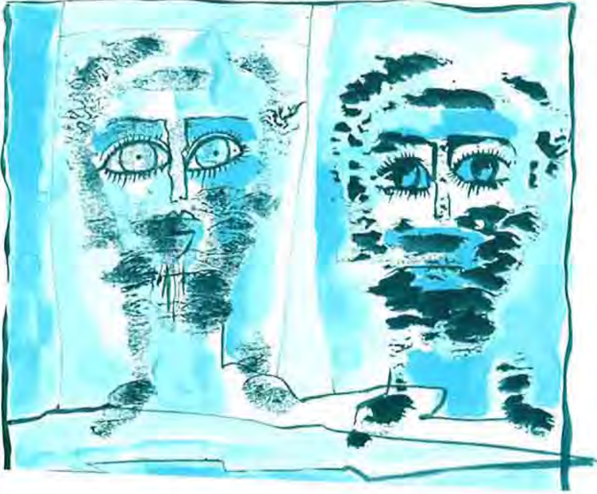
هناك روايتان تدلان على سنة مولده . تقول الأولى إنه ولد قبل وفاة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بسنة واحدة أي سنة ١٠ للهجرة ، وهذا مستحيل طبعاً ، لأن عقبة شارك عمراً في **فتح مصر** الذي بدأ سنة ١٨ هـ ، وذهب لفتح **برقة وزويلة** سنة ٢٠ أو ٢١ هـ . ويعني هذا أن عمره آنئذ كان بحدود العشر سنوات ، وهذا ما لا يقبله العقل ولا المنطق .

والرواية الثانية ، مقبولة ، ومتناسبة والوقائع التاريخية التي بين أيدينا . تقول الرواية إنه ولد سنة ٦٢١ م ، أي قبل الهجرة بسنة واحدة . فإذا قارنا هذه السنة بسنة ذهابه إلى مصر وضح لنا أنه ذهب إليها وهو في عقده العشرين وهذا مقبول قطعاً .

فعلى هذا يتضح أن عقبة ولد في عهد الرسول ﷺ[٨] ، **ونشأ في مكة المكرمة** . فيعد من فتيان الإسلام الأوائل ، الذين ولدوا مع الإشعاع الذي أنار الجزيرة العربية ، ونشأوا في أحضان الإسلام نهضة صالحة أثبتت نتائجها في شمالي إفريقية ، وهي نشأة لم تشبها شائبة الجاهلية . وكأننا في قولنا هذا نعلن عن أن نافعاً أباه أسلم وعقبة طفل ، ونستبعد هذا أيضاً ، لأن زينب بنت رسول الله ﷺ هاجرت قبل هجرة أبيها ، ونخزها نافع . فكيف يسلم وينخز في عام واحد ؟ إلا إذا حطت العناية الإلهية أجنحتها فجأة على قلب والد الطفل البريء ، أو أنه قبض وهو في الجاهلية فنشأ يتيماً ، فهداه أحدهم هداية نصوحاً .

فإذا تذكرنا أن أرومة عقبة عربية نجيبة ، وقرابته بالرسول ﷺ وبعض صحبه ـ كعمرو وأبي عبيدة ـ وطيدة ، وإذا لم يغرب عن بالنا أن الفهريين امتازوا بالروح الحربية ، وإذا اتضحت لنا مسألة نشأته الإسلامية ، وأنه ولد مع نهضة فكرة الجهاد ، تبين لنا أن عقبة **نشأ في بيئة عسكرية ذات طابع إسلامي** ، وتطعمت نشأته بأفضل ما تتطعم به أولى حيوات الشباب المسلم .

كل هذا أثر في حياته الأولى ، ووجهه وجهة خالصة لله تعالى ، وطبع مواهبه بالتمسك بالروح العسكرية ، ليكون من أبرز الناشئين في عهد فجر الإسلام ، وأحد الأبطال المجاهدين في سبيل الله .



صحبته وإسلامه

أغلب كتب التراجم والسير تصر على أن عقبة « لا تصح له صحبة » . ومؤلف **الاصابة** يرى أنه لا صحبة له ، كما لا يصلح لأن يكون صحابياً . وعلة ذلك في نظرهم صغر سن عقبة .

لقد رأينا أن عقبة ولد قبل الهجرة بسنة واحدة ، وذكرنا أن الرسول ﷺ توفي سنة ١١ هـ ، أي حين كان عمر عقبة اثنتي عشرة سنة . ولا تكفي هذه السن لأن يعي الطفل واقع الإسلام ووقائع الرسول . ولهذا لم يشترك في أي من الغزوات ، لأن السن التي كان يسمح فيها باشتراك المبرزين من الفتيان كانت الخامسة عشرة فما بعد .

ونرجح ألا يكون عقبة قد دخل في الإسلام في هذه السن ، إلا إذا كان والداه مسلمين . وأياً كان الأمر فإن عقبة صحابي بالمولد والطفولة ؛ فقد ولد في عهد الرسول ، وترعرع في عهد بعد الهجرة ، ولعله رآه غير مرة . **وعمر بن الخطاب** كان لا يعين قواده إلا من الصحابة ، كما لا يرضى أن يعمل صحابي تحت قيادة غير صحابي . ونعلم أن **عقبة عين قائد الفتح لبرقة وزويلة والنوبة في عهد عمر** ، وكان في جيشه عدد من الصحابة .

وكان حسن الإسلام منذ إعلانه ، ولم يعرف عنه أنه ارتد أو شك ، وأنه كان أحد أوائل الفتيان الذين نذروا أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الله في أرض بكر ، وقصرَ نفسه ونذرها لنشر الدين فيها . **وعلى هذا كان أول مجاهد يدخل الشمال الافريقي ، ويدعو فيه إلى الاسلام .**

بين عقبة وعمرو

ذكرنا في معرض حديثنا عن أمه صلة النسب التي ربطت بين هذين المجاهدين ، وأشرنا إلى أثر البيئة والقرابة في حياة عقبة من الوجهتين العسكرية والإسلامية . بقي أن نتوقف قليلاً لنستوضح الأحداث ، ونستشف منها أسباب التحام الوشائج بين القائدين .

كتب التاريخ والأنساب كلها تقول : كان عمرو كثير الاعتماد على عقبة في فتوحه . فمتى كان هذا ؟ وإلى ماذا ألمحت هذه الكتب ؟

لماذا اختار عمرو بن العاص عقبة في أهم غزواته ؟ تكتفي كتب التاريخ بقولها : اختاره لقرابة بينهما . ولكن هل من المعقول أن يتورط عمرو ، وهو الحريص على وضع اسمه في مصاف أبطال الجهاد الأوائل ، بأن يعين هذا الفتى الأمرد لخوض فتح جديد يتهيبه كبار القواد ؟ نقول : هل من المعقول أن يتورط عمرو في تعيين عقبة لمجرد كونه ابن خالته ؟ أوليس فيه من الصفات سوى أنه قريبه ؟

إنه لا يريد أن يودي بسمعته ، ويجعل اسمه لواك الألسن ، ومحط الأنظار تحدجه أو تحسده أو تكيد له . . وهو هو الداهية ، وهو هو الذي يقدر قيمة الأخطاء !

لو أنه عينه على قرية أو مدينة ، أو طلب إليه الاشراف على بعض شؤونه أو وظفه وظيفة يسهل عليه فيها كسب المال والجاه بأقرب السبل كرامة لخالته العزيزة عليه . لو أنه فعل شيئاً من هذا لهان علينا الأمر ، وقلنا : حرص على ابن خالته الصغير .

ولكنه يختاره لأمر صعب ، ليس واقعة في مصر على مرمى بصره ، ولا غزاة تسهل عليه نجدته . بل اختاره في مهمتين ؛ الواحدة في أقصى الجنوب وهي النوبة ، وهو أول مسلم يبلغ تلك الأعماق السحيقة ، والثانية إلى أقصى المغرب ، وهو كذلك أول مسلم يخوض فيها المعارك ، ويرفع فيها لواء الإسلام الخفاق . بعثه إلى تينك البقعتين الجديدتين على المسلمين . وهو يعلم أنه الرائد الأول فيهما ، وطلب إليه أن يلم في ريادته هذه على إمكانيات الأرض ، ومكانة العدو بعد أن يتعمد الاصطدام بهم .

إذاً ، هناك شيء آخر غير قرابته ـ بل أسمى منها ـ شيء يشجع هذا الداهية على إسناد أصعب المعارك إلى هذا الفتى ، ويجعله مطمئناً تمام الاطمئنان إلى رحلتيه ، ويقتاد خبرته في ريادته التي قام بها إلى برقة وزويلة ، ويدخلها وكله ثقة في ما أوصل إليه من المعلومات .

فما هو هذا الشيء ؟

إنه الروح العسكرية التي تمثلت في شخصية عقبة منذ أن انضوى تحت لواء جيش المسلمين معلناً الجهاد في سبيل الله ، وفدائيته التي عرف بها ، وجرأته في خوض المعارك ، واستهانته بالموت في سبيل النصر ، وهي صفات تعجب القائد البصير ، وتجبره على إدامة النظر إلى هذا الفتى الناشيء الذي يتخطى المهالك ، ويقطع المسالك ، لا يسأل على ذلك أجراً سوى النصر . إلى مثل هذا يجلب القائد ، ويحدوه للاعتماد عليه ، والاستيثاق منه .

ولا جرم أن عقبة ذكي ، ولعله استخدم ذكاءه هذا في لفت انتباه رئيسه ، لينال لديه حظوة أو ترقية . وقد حصل ، فنال شرف فتح شمال إفريقية كله . وحاز لقب « **قاهر الروم** » ، وخطا في سبيل الجهاد أطول ما يخطوه قائد عسكري في القرن الهجري الأول .

ولو اكتفى عمرو بقرابته لانكشف عقبة في رحلته الأولى . ولو فرضنا جدلا أنه عينه لقرابته ، لما أرسل إلى عمر بن الخطاب يخبره أنه عين عقبة على فتح **برقة وطرابلس** وعقد له لواءها . ولولا معرفة عمر لمقدرة عقبة لما وافقه ، ولما عينه فيما بعد على إفريقية ، ولما أبقاه في **ليبيا** طيلة خلافته ـ وهو ليس قريباً له ـ ، ولما أبقاه عثمان ـ مع خلافه لعمرو ـ على إمارته ، وكذلك **علي بن أبي طالب** ، وأكثر من نصف خلافة



معاوية . . أي إلى أن اضطر معاوية إلى خلعه اضطراراً . ومع ذلك فإنه أوصى أن يحسن إليه ، وتخفف عنه وطأة عزله . كل هذا دليل على كفاءة عقبة ، وحسن اختيار عمرو له .

والحق أن الشهادة الأولى والأخيرة التي مكنت عقبة من أن يعين لهذا المنصب ، ما قدمه من بطولات فائقة ، وحركات عسكرية بارزة .

أما لماذا لم يعينه قبل سنة **٢٠** هـ فلأسباب ، منها : أن عقبة كان صغير السن ، قليل الخبرة ، ولما كان في **فلسطين** لم يكن قد تجاوز عمره سبعة عشر عاماً ، وأن عمراً كان يهيئه لمهات يتوقعها القواد عادة . ويكفي أن نقول في الختام إنه كان كثير الاعتماد عليه في مصر وفي ليبيا ، شديد الاطمئنان عليه في مسيرته .

صفاته ومقامه

نعم أهل سكان شمال إفريقية بقدوم مجاهد صالح ، اتصف بالورع والشجاعة والحزم ، أحب العيش بين ظهرانيهم ، ووطد العزم على تقديم رسالة الإسلام خير تقديم . ولهذا فإننا نجد الإسلام في عهده قد أرسى قواعده في قلوب **البربر** . فأقبلوا على يديه يسلمون ، بل صار له منهم أنصار أعانوه في الجهاد ، ودلوه على مكامن الكفار في الجبال والوهاد .

حرر شمال إفريقية من نير **البيزنطيين** ، ومن فكرة التفرقة العنصرية التي كان يصر عليها **الروم** ، جاعلين أنفسهم الطبقة الأولى والنبيلة في البلاد ، والطبقة الثانية ـ السكان الأصليون ـ دونهم وأقل منهم مكانة . فتوافدوا على عقبة بعد أن لوح لهم بالمساواة ، وبعد أن أفهمهم أن أفاضلهم من تعمقوا في الدين ، وجاهدوا في سبيله ليس غير .

وقد علم عقبة البربر **اللغة العربية** ؛ لغة **القرآن الكريم** ، ليفهموا أمور دينهم بأنفسهم ، فأقبلوا عليها ، ودرسوها . ونرجح أن يكون عقبة وبعض صحبه تعلموا لغة أهل البلاد ، ليقتربوا من قلوبهم ، ويتفهموا حاجياتهم وطلباتهم . وهذا ما افتقر إليه البربر من الروم . إذ لم يعاشروهم ، ولم يؤاخوهم ، ولم يمتزجوا بهم . ولعل شخصية عقبة لها الدافع الأكبر في نجاح مهمته . كما أن لصفاته الحسنة وتواضعه الزائد أثراً في تيسير العبء الذي احتمله .

كما كان **خطيبا** ، فصيح القول ، جزل الألفاظ ، مؤثراً في مستمعيه . وكان أباً عطوفاً على جنوده ؛ يعظهم ويعلمهم . ولهذا أحبوه وتفانوا في خدمته ، وتسابقوا معه إلى تخطي الموت لكسب الحياة الأخرى بعد الاستشهاد . **وكان عسكريا بكل معنى الكلمة** ، لم يعرف عنه غير الجهاد ، ولم يشغله شيء عن إعداد الجيوش ، ونشر الدين ، وتنظيم الإدارات العسكرية والمدنية .

وكان في كل تحركاته حسن التكتيك ، لا يقدم على حملة إلا بعد أن يعد لها الإعداد المناسب ، ولا يتهيأ لغزوة إلا بعد تفكير طويل . وبعدئذ يهجم كالأسد .

ولكن هذا المجاهد الذي اتصف بهذه الصفات ، وتحلى بمكانة كبيرة من المسلمين ، و تهيبه البيزنطيون ، وخافه المرتدون . ولكن هذا المجاهد استشهد في غفلة من غفلاته في **الجزائر** (الحالية) سنة **٦٣** هـ ، بعد أن أمضى ربع قرن تقريباً في جهاده . ولم ير بلاده طيلة هذه المدة إلا مرة واحدة حين عزل . حيث عاد إلى الشام مطالباً بعودته ، ليعيد كرته ، ويسير سيرته .

رحمه الله تعالى . . فقد كان من العباد المرابطين ، الذين يتعبدون الله في آناء الليل ، ويجاهدون في سبيله أطراف النهار . مات ، ولم يخلف ما كان يخلفه الأمراء والقواد من المال والأطيان . بل خلف اسماً جليلاً ، يحفظه له عرب شمال إفريقية ، وأهل ليبيا بالذات ، وأولاداً ساروا مسيرة أبيهم في شمالي إفريقية والأندلس .

الحواشي

١ ـ وقيل : ابن رافع . وابن الأثير يقول : والظاهر أنهما اثنان : عقبة بن رافع ، وعقبة بن نافع .
٢ ـ روي عن نسابي العرب : من جاوز فهراً فليس من قريش .
٣ ـ نخس : نخز .
٤ ـ يقال إن الذي نخزها بالرمح هو الهبار ، ونافع كان من جملة المعترضين . (أنساب قريش : ١/٣٩٧) .
٥ ـ الاصابة : ٥/ ٨١ .
٦ ـ سير أعلام النبلاء : ١/ ٣٤٩ .
٧ ـ أسد الغابة : ٣/ ٤٢٠ .
٨ ـ أسد الغابة : ٣/ ٤٢٠ .

نفوس.. من قوارير

نشأ عروة بن حزام يتيماً في حجر عمه مالك من بني عذرة، ونشأت معه بنت عمه عفراء وكلف بحبها كلفاً صار مضرب المثل، وقد أخذ من عمه العهد بأن تكون من نصيبه، وأخذ عمه منه العهد بأن يسعى في الأرض ويجمع مالا؛ لأن أمها تريد ذا مال.

بيد أن عمه زوجها من ابن عم له نزل عليه من البلقاء يريد الحج فتزوجها ومضيا لغايتهما.

وكان عروة في عير بتبوك وقد رمق على بعد امرأة على جمل أحمر، فقال:

والله لكأنها شمائل عفراء؟!.

فلما دنوا منه وتبين الأمر يبس في مكانه قائماً لا يتحرك ولا يحير كلاماً ولا يرجع جواباً. وقال قصيدته التي سنوردها.

ويقال إنه عرض على حكماء العرب لعلاجه من هزال وذهول أصاباه، وأنشد في ذلك قصيدة مطلعها:

جعلت لعراف اليمامة حكمه
وعراف حَجْر إن هما شفياني

وزهقت روحه بعد القصيدة!

قال عبد الملك بن عبد العزيز يخاطب العالم المرح أبا السائب المخزومي:

والله ما أراه إلا شرق؟!

قال أبو السائب: فمم شرق؟

قال: شرق بريقه!

ترى إنساناً يموت من الحب؟!

فقال أبو السائب: سخنت عيناك!!

وهذه القصة متداولة في كتب التراث، وقد ساقها ابن الجوزي بأسانيدها في كتابه «ذم الهوى» ص ٤٠٧-٤١٩.

وهذه هي القصيدة:

وإني لتعروني لذكراك رعدة
لها بين جلدي والعظام دبيب

فما هو إلا أن أراها فجاءة
فأبهت حتى ما أكاد أجيب

وقلت لعراف اليمامة داوني
فإنك إن أبرأتني لطبيب

فما بي من حُمَّى ولا مسِّ جنة
ولكن عمِّي الحميريَّ كذوب

وعراف اليمامة هو رياح بن راشد أبو كحيلة كان عبداً لبني يشكر تزوج مولاه امرأة من بني الأعرج فساقه في مهرها، ثم ادعى نسباً في بني الأعرج.



«بمناسبة مرور ٨٠ عاما على ميلاده»



«في نهايتي
بدايتي ،
وفي فنائي
حياتي !»
إرنست همنجواي

ارنست همنجواي
(١٨٩٨ ـ ١٩٦١م)
صوت من أصوات العصر!

بقلم : جـــلال العشـري

نهاية متوقعة تلك التي انتهى إليها الكاتب الروائي **إرنست همنجـواي** ، فليس بعيداً ولا مستبعداً على رجل قضى حياته يتعرض للموت وينجـو منـه ، أن يلقى مصرعه بيده ، ولو كان ذلك خطأ أو بمحض المصادفة .

فالمستعرض لحياة همنجواي ، يكاد يجد أن الأحـداث المعلمـة في حيـاته لم تكن أحداثاً أدبية فحسب ، بل كانت كذلك أحداثاً وجـودية ، تـرتبط بصـميم وجوده ، وما عرض له من مهالك وتعرض له من أخـطار . فقـد **اشـترك في الحرب العالمية الأولى** ضابطاً فخرياً في **الصليب الأحمر** ، ينقـل الجـرحى ويوزع الحلوى على الجنود ، حتى انتهت الحرب فعـاد إلى بـلاده يحمـل حلتـه العسكرية ذات الثقوب ، ولا يكاد يوجد في جسده موضع إلا وبه اصابة .

ثم عاد واشترك في **الحرب العـالمية الثـانية** ، فقضى عـامين يجـوب البحار ، ويقوم بعمليات انتحارية تستهدف تحطيم غواصات العدو ، حتى خـرج من الحرب وقد أصيب رأسه ، بحيث لم يكد يوجد فيه موضع إلا وبه جـرح ، أما في أوقات السلم ، فقد تعرض لثلاث **حوادث سيارة** خطيرة ، كما تعرض **لحادثتي طيران** في خلال يومين ، أصيب فيهما بجروح في ركبته ، ورضوض في رأسه ، وهو يتذكر أنه قبل عيد ميلاده التاسع عشر بأسبوعين ، حدث انفجـار أصيب فيه بجرح بالغ ، حتى كادت دراسته في كتـاب الـكون تنتهـي قبـل أن تبدأ !

يقول همنجواي عن نفسه : «وسيموت هذا الرجل ألف ميتـة قبـل ميتتـه

الحقيقية ، ولن يشفى تماماً من جراحه ، ما دام همنجواي حياً يسجل مغامراته . . »

وكأنما آثر همنجواي أن يكون مصرعه بيده ، بعدما صارع الموت وتحداه !

الكون في حالة طوارىء !

ولم تقتصر مشاهد الحرب ، وآلام الجرح ، ورؤى الموت على الحياة التي عاشها همنجواي ، بل امتدت إلى أدبه ، وأصبحت مناخاً طبيعياً في رواياته ، فالحياة حرب ، والبطل جريح ، والنهاية إن لم تكن الموت فلا أقل من أن تكون الأحلام التي تطوف بالنائم عندما يفكر في الموت . . . هكذا كان « **نك آدمز** » جريحاً في مجموعة قصصه « **في عصرنا** » ، كما كان « **جاك بارنس** » جريحاً في رواية « **والشمس تشرق ثانية** » ، وكان « **فردريك هنري** » كذلك في رواية « **وداعا للسلاح** » ، و « **روبرت جوردان** » في رواية « **لمن تدق الأجراس** » ، و « **سانت يعقوب** » في رواية « **العجوز والبحر** » ، بل كل هؤلاء البطل كان جريحاً بالمعنيين . . الحقيقي والمجازي ، لأن بطل همنجواي ، هو همنجواي نفسه !

وهكذا استطاع همنجواي الرجل أن يسطع على همنجواي البطل ، لينتج لنا همنجواي ذلك الأديب الكبير الذي عبر عن عصرنا بعمق واستطاع ، عندما تصور العالم على أنه ميدان قتال سواء بالمعنى الحقيقي للكلمة بما فيها من معارك وأسلحة وجيوش ، أو بالمعنى المجازي الذي يعني العنف والتوتر والصراع ، وعندما صور الناس في عصرنا كما لو كانوا في « **حالة طوارىء** » ، فأفكارهم لزجة ، وأخلاقهم نفعية ، ومتعهم لا ترتفع إلى ما فوق الحواس ، وما يقعون فيه من حب ، لا يستغرق أكثر من وقت الاجازة !

ذلك الجيل الضائع !

والبطل في هذا العالم هو الذي يسير بمقتضى القانون الأخلاقي الذي يمثل فضائل الجندي في أيام الحرب ، وهي فضائل تتمثل في الشرف والتحمل والشجاعة ، وتتكشف في الصراع ، والصراع عند همنجواي يسير حسب قواعد الألعاب الرياضية ، ويصور بمناظر **الصيد ومصارعة الثيران** ، ويفضل همنجواي أن يصوره بمصارعة الثيران ، حيث يكون الأفق أوسع ، والرمز أدل ، وحياة البطل معرضة للموت ، إذا هو لم يعرف هذه القواعد من ناحية ، ولم يكن حسن التصرف من ناحية أخرى .

فالعالم عند همنجواي باطل ، ولكنه موجود ، والحياة معركة خاسرة ، ولكن على البطل أن يحسن التصرف عندما يشرف على الهلاك . وتلك كانت « المقولة الأدبية » التي اتخذها همنجواي ركيزة محورية تدور عليها أحداث قصصه ورواياته ، كما كانت استجابة واعية لدعوة الناقدة الأمريكية الشهيرة **جرترود شتاين** ، من **أن الأدب يجب أن ينبع من التجربة المباشرة ، وأن يصفها في الحال ، وأن على الكاتب أن يرى ما يريد وصفه ، لا أن يصف ما يراه !**

وجرترود شتاين هي التي اطلقت على همنجواي ورفاقه ، ممن هجروا أوطانهم ليجرعوا الحياة في **باريس** ، اسم « **الجيل الضائع** » وهو الجيل الذي كان يضم إلى جانب همنجواي كلاً من **جون دوس باسوس ، ومالكولم كولي ، وأرشيبالد ماكليش ، وفورد مادوكس فورد ، وسكوت فيتز جيرالد** ، فضلاً عن **ازرا باوند ، وجيمس جويس ، وت. س. إليوت !**

وكان ذلك في العشرينات من هذا القرن ، حيث كانت السمة المميزة لباريس في تلك الفترة بالذات ، أنها المدينة العالمية ، التي تحوي في داخلها كل الاتجاهات المتعارضة ، والتيارات المتناقضة ، سواء في الفنون أو في الآداب . وكان الأدباء والفنانون يهرعون إليها من كل مكان ، بل ويعيشون فيها حتى النخاع ، كي يتشربوا روح الفن المتعددة الظلال والألوان .

ولقد تركت هذه التجربة الباريسية بصماتها واضحة على فن همنجواي الروائي ، إذ نجد أن مضمون رواياته الرئيسية ، يدور حول الحياة بعيداً عن أميركا مسقط رأسه ، وكل أبطاله كانوا أمريكيين في مواجهة تجارب وحضارات العالم القديم ، كما هو ممثل في أوروبا العتيقة ، وفي باريس . . مدينة النور .

وهذا معناه أن الاحساس بالمكان ، والاحساس بالحقيقة أمران لم يكن عنهما غنى في فن همنجواي ، ولكن التوحيد بين المتباعدات ، وإيجاد التعاون بينها في **الرسم بالكلمات** ، لا يتم إلا من خلال الاحساس بالمشهد ، ولقد كان همنجواي ، وهو يطوف في الأقطار ذات اللسان اللاتيني ، ويشهد الجماهير من مائدة في مقهى ، إلى مقعد في مسرح ، ليذكرنا بالمراقب في **قصيدة براوننج** الشهيرة : « كيف يجدها الإنسان المعاصر ؟ »

إنه يتحسس نبضات قلب الكون . .

ويقف منه وجها لوجه غير هياب . .

وذات يوم ، في عام ١٩٢٥ م ، كتب **ألفرد هاركرت** إلى **لويس برومفليد** ، يقول : « إن أول رواية لهمنجواي ، قد تهز أرجاء البلاد » ولم تمض على هذه العبارة أكثر من سنة واحدة ، حتى صدقت الرؤيا ، وأفاق همنجواي صباح يوم من أيام الخريف بباريس ، ليرى أن الشمس أيضاً قد طلعت !

وأحدثت الرواية ما أحدثت من ضجة وضجيج ، ونالت ما نالت من تقدير النقاد والجمهور ، وعادت على همنجواي بما عادت عليه من الشهرة والنجاح ، وكأنما أعادت إلى الأذهان والأسماع ، عبارة الكاتب الروائي الشهير سكوت فيتز جيرالد ، التي قال فيها عن همنجواي : « في هذا أنبأكم نبأ كاتب شاب اسمه إرنست همنجواي ، يعيش في باريس . . وهو ذو مستقبل لامع ، لن أدخر جهداً في البحث عنه ، فإنه الجوهر الذي انتفى عنه الزيف ! » .

أجل إنه الجيل الرائع ، وليس الجيل الضائع !

الشعر والحقيقة !

حين كتب **جوته** ترجمة حياته سماها « **الشعر والحقيقة** » فلو أننا جعلنا الفكرة الأولى هي الثانية في هذا العنوان ، كما يقول الناقد الأميركي **كارلوس بيكر** ، لانطبق العنوان تماماً على حياة همنجواي !

والواقع أننا نجد همنجواي ، وقد أسلم ذاته منذ البداية ، للحقيقة ، أي لنقل الأشياء كما هي وكما كانت ، نقلاً دقيقاً يكاد يكون حرفياً ، وتحت السطح في كل آثاره ، يكمن الشعر ، أي ذلك الطلاء الرمزي الذي يمنح رواياته عمقاً وحيوية ، ويكسبها الوهج والضياء !

وإذا كانت كتب تاريخ الأدب والنقد الأدبي ، قد درجت على وصف همنجواي بشيخ الطبيعيين ، فهذا وصف لا يبلغ نصف الحقيقة ، لأنه يغفل ما يقع تحت السطح الخارجي في قصصه ورواياته ، أما أن همنجواي يحقق برسائله الفنية أموراً يعجز عن تحقيقها أسلافه من الطبيعيين ، ومقلدوه من المحدثين ،

فذلك شيء لا يخفى عن الأبصار ، ولكن علينا أن نتذكر دائماً أن السر في تفرده هذا ، هو تيار الشعر الذي يتغلغل في كل آثاره ، ابتداء من روايته « والشمس تشرق ثانية » وانتهاء بروايته « العجوز والبحر » !

ومما يلخص رأي همنجواي المبكر ، الذي ظل يلتزمه بجانب واحد من وعيه الفني لا بجوانبه كلها ، قول **الفيلسوف ألبرت شفيتزر** في فلسفة جوته الطبيعية : « لا معرفة صحيحة إلا المعرفة التي لا تزيد شيئاً إلى الطبيعة ، سواء عن طريق الفكر أو عن طريق الخيال ، وهي المعرفة التي لا تعترف بصحة شيء سوى ما جاء عن طريق بحث بريء من التميز ، خال من التسليم ، وعن عزم وثيق خالص للعثور على الحقيقة ، وعن تأمل يتغلغل في قلب الطبيعة » .

وما قاله الفيلسوف شفيتزر إنما يلخص موقف همنجواي فنياً وأخلاقياً ، ولا يحتاج إلى شيء من التعديل إلا بأن نضيف إليه كما يقول كارلوس بيكر « **الطبيعة الانسانية** » ذلك لأن همنجواي قلما عني بالكون غير الإنساني ، إلا بمقدار ما يعينه على توسيع فهمه في مجال العقل الإنساني نفسه ، أما التأمل الذي يتغلغل في قلب الطبيعة فإنه ينتهي لديه بتأمل يتغلغل في قلب الإنسان !

الفن أصدق من الواقع !

وهذا معناه أن ثمة عاملين يكفلان قوة البقاء لفن همنجواي ، **أحدهما** استجماع فنه للحقيقة ، **والثاني** استثمار الشعر وتوظيفه ، وليس الثاني بأقل شأناً من الأول فكلاهما كجناحي الطائر ، لابد له منهما معاً لكي يقوى على الطيران !

وقد نقول في تعريف هذا الشعر إنه سيطرة الفنان على العلاقة بين الزمني والخالد ، أو بين الزمن والخلود ، وهو يعبر عن هذه السيطرة باستخدام الرموز التخيلية ، وأكثر هذه الرموز مستمد عن طريق خياله من العالم المادي المنظور ، كالجبال والسهول والأنهار والأشجار والجو والفصول والبر والبحر ، وقد منح همنجواي هذه الصور الطبيعية قوة عاطفية شعورية بفضل طريقة تمثله لها ، فهو يعلم مثل الشاعر الشهير **وردزورث** ، أن الأشياء « **الطبيعية لا تستمد تأثيرها من خصائص ذاتية فيها ، من ذواتها على الحقيقة ، وإنما من صفات تسبغها عليها عقول الذين يقفون على جوهر تلك الأشياء أو يتأثرون بها ، وإذن فالشعر ينبثق ، من حيث يجب أن ينبثق ، من نفس الانسان وهي توصل طاقاتها الابداعية إلى صور العالم الخارجي** » .

على أن همنجواي حرص في ذات الوقت ، على أن ينقل الأشياء الطبيعية كما هي في ذاتها بدقة وأمانة ، وباخلاص وشرف ، ومن امتزاجها بالعاطفة والخيال ، جاءت تلك المظاهر الطبيعية رموزاً في فنه ، فلم يقل حظها من الواقعية بل زاد ، لأنه منحها من القيم ضعفين أو ثلاثة أضعاف !

ولقد عبر همنجواي عن هذا بقوله : « **إن مقياس التزام الكاتب بالصدق ، يجب أن يكون عاليا إلى حد أن ينتج ابتكاره الناشىء عن تجربته شيئا أصدق من كل ما هو واقعي !** » .

وقد نقول كما قال كارلوس بيكر ، إن الابتكار في هذا المقام يعني ذلك الشكل من المنطق الرمزي الذي يوازي المنطق العقلي عند الفلاسفة ، خاصة وأن همنجواي يدرك تمام الادراك أن العلاقة بين الزمن والخلود لا يستطاع التعبير عنها بمصطلح عقلي ، وإنما يمكن ذلك بمصطلح رمزي . وقد يستمد بعض الكتّاب تلك الرموز من آداب سابقة ، أما همنجواي فعادة ما يستمدها من الطبيعة عن طريق الادراك الحالي للتجربة الإنسانية ، في أجواء طبيعية !

الواقع أن أفضل روايات همنجواي ، هو ما استمد قوته وقدرته على البقاء من الربط بين الحقيقة الطبيعية ، وبين الرموز الشعرية المستمدة من الطبيعة ، وهذا الربط نفسه هو الذي جعلها « آصل » كتابة في ميدان الرواية في القرن العشرين !

والواقع كذلك ، أنه من خلال التواشج المتبادل بين الحقيقة الطبيعية وبين الشعر الطبيعي ، استطاع همنجواي أن يوهمنا كما قال أحد النقاد « بأنه عثر على أدب لا علاقة له بالأدب ، على أدب لم يفسده الأدب ، ولم ينل منه شيئاً » . أجل . . لقد قبض همنجواي على الواقعي بكلتا يديه ، فوضع اليمنى على العقل ، ووضع اليسرى على القلب !

سحر الايحاء وليس الايحاء الساحر !

بعد التجربة والرمز ، يجيء **البعد الثالث** في فن همنجواي الروائي ، وهو **الأسلوب** ، فيمثل الذروة التي انتهى إليها الكاتب ، ولم يبلغها كاتب آخر زامنه أو عاصره ، فأسلوب همنجواي يمتاز بالدقة والبساطة معاً ، أو بالكثافة والاشراق في آن ، ففيه من العفوية ، في لغة الحديث ، وفيه من العذوبة ، ترويض الجملة والمقدرة على تقوية العبارة ، **فوحدة الأسلوب عند همنجواي هي الجملة منفردة ، لا الفقرة تجتمع فيها عدة جمل** . والفنية هي أن يحمل الكاتب الجملة الواحدة عاطفة مؤثرة ، ويجعلها تصل إلى ما تصل إليه لغة الفقرة ، وبذلك استطاع همنجواي أن يفرق بين **كتابة التقرير** وبين **كتابة الفن** ، وأن يكتشف لغة الرواية !

ولقد أفاد همنجواي في قضية الأسلوب من آراء الكاتب الشهير **جوزيف كونراد** ، حتى إن تعبيراته أعجبت فورد مادوكس فورد منذ البداية ، فوصفها بأنها : « كالقطرات الندية المتدفقة من جدول رقراق ! » ، ذلك لأن همنجواي قد توصل إليها بالتحري الكثير في انتقاء الألفاظ . وهذا معناه عملياً ، نفي الكلمات والتعبيرات الزائفة ، فهو يكتب متأنياً ، ويراجع متثبتاً ، فيبتر ويحذف ، ويعدل ويعدل ، ويقدم ويؤخر ، لكي يرى ما تستطيع الجملة أن تؤديه ، على أوجز صورة ثم ينفي منها كل ما يمكن أن تستغني عنه العبارة !

والواقع أن فناناً كهذا ، لا بد وأن يتفق مع كاتب مثل كونراد ، إذ يقول هذا الأخير : « إن العناية الجاهدة الدائبة التي لا تعرف تهاوناً ، العناية بشكل الجمل وجرسها ، هي التي تسكب سحر الايحاء على الكلمات المألوفة ، الكلمات العتيقة البالية ، التي مسخ روادها سوء الاستعمال ! » .

والايحاء الساحر ، تعبير لا تجده أبداً في كل ما كتبه همنجواي ، ولكن سحر الايحاء متوافر في كل ألفاظه حتى العتيقة المتقادمة ، وقد يكون ظاهر هذه الألفاظ مبتذلا ، ولكن باطنها حافل بالايحاء الذي لا يستطيع أن يبثه فيها إلا فنان أصيل ، وهذا ما عبر عنه همنجواي بقوله : « إن مهمتي أن أجعلكم ـ بقوة الكلمة المكتوبة ـ تسمعون وتحسون ، بل قبل كل شيء أجعلكم تبصرون . . . ذلك هو . . . ولا شيء سواه ، وذلك هو كل شيء ! » .

لهذا لم يكن عبثاً ، بل كان من الطبيعي أن يذهب كثير من النقاد إلى أن أسلوب همنجواي النثري هو السبب الحقيقي لانتشاره وخلوده ، وعندما منح **جائزة نوبل** للآداب عام **١٩٥٤م** ، نص قرار هيئة التحكم على . . . تمكنه من ابداع أسلوب متميز في فن الكلمة الحديثة !

وهكذا كانت هذه الأبعاد الثلاثة . . **التجربة والرمز والأسلوب، هي المقومات الأساسية في فن همنجواي**، ذلك الفن الذي ارتفع بصاحبه إلى مكانة سكوت **فيتز جيرالد في أمريكا**، وجيمس **جويس في انجلترا**، ومارسيل **بروست في فرنسا**، وفرانز **كافكا في تشيكوسلوفاكيا**، والذي جعل منه أحد صناع الرواية الحديثة لا في بلاده فحسب، بل وفي العالم كله!

رحلة في ضمير الحياة!

على أننا لن نستطيع تقييم فن همنجواي الروائي، على نحو متكامل، ما لم نتصل به في منابعه الأولى، ونمضي معه حتى مصبه الأخير، فإذا كان **هرمان ملفيل** يعد البحر جامعته التي تخرج فيها، وكان **وليم فوكنر** يعد الجنوب الأمريكي جامعته التي تخرج فيها هو الآخر، فإن الجامعة التي تخرج فيها همنجواي، ونال إجازته إلى دنيا الأدب، هي **القارة الأوروبية**، وكانت الموضوعات التي درسها في تلك الجامعة غير الأدب والفن، هي **اللغات والناس والسياسة ومؤتمرات السلام والحرب**، وآخر هذه الموضوعات أولها في الترتيب الحقيقي لهذه القائمة!

وهذا معناه أن المتتبع لتطور همنجواي الأدبي، الذي كان انعكاساً لتطوره الحياتي أو الوجودي، يستطيع أن يميز فيه مراحل ثلاث: **المرحلة الانفرادية، والمرحلة الاجتماعية، والمرحلة الانسانية!**

أما المرحلة الأولى، فتصورها رواياته: «**في عصرنا**» ١٩٢٥م، و «**الشمس تشرق ثانية**» ١٩٢٦م، و «**وداعاً للسلاح**» ١٩٢٩م. وكلها تدور حول الحرب، ثم الاغتراب، ثم الانسلاخ عن المجتمع، أما نقطة الانطلاق فنجدها في إحدى قصص مجموعته القصصية «في عصرنا» حيث يصف مشهداً من مشاهد الهجرة بسبب الحرب، وبين المهاجرين طبيب اسمه **نك آدمز**، وفي الطريق يضطر الطبيب إلى اجراء عملية جراحية لامرأة تتعسر في الولادة، ولا يحتمل الزوج سماع صراخ زوجته، فيقدم على الموت، بينما وليده يخرج إلى الحياة، وتلك كانت أولى المشاهد المؤثرة في حياة نك آدمز، رجل يموت في ظروف قاسية، وطفل يولد في ظروف أشد قسوة!

ومن هنا بدأ همنجواي يحس بشاعة الحرب، ويسخر من أسطورة السلام، ويشتد هذا الاحساس ويقوى، حتى يتخذ صورة الفرار والاغتراب في رواية «الشمس تشرق ثانية» حيث تدور أحداثها بين أبناء الجيل الذي عرف باسم «الجيل الضائع» وهو الجيل الذي بدأ حياته العملية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، التي أتت على كل القيم والمبادىء التي عاش على نورها جيل ما قبل الحرب.

وبطل الرواية أميريكي يدعى «جاك بارنسي» يفر بعد انتهاء الحرب، ويلتحق بجماعة المغتربين في باريس، وهم أفراد ضائعون يفرون من الهزيمة المعنوية بالأكل والشرب وصيد السمك، ومشاهدة مصارعة الثيران، فالبطل منفصل عن أصوله وجذوره، ومن خلال عمله مراسلا حربياً يصاب بجرح عميق، يكون من نتيجته أن يصاب بالعقم، ويصبح غير قادر على الانجاب.

أما بطلة الرواية «بريت» فهي فتاة إنجليزية، مقبلة على كل مباهج الحياة، وكانت حيويتها المتدفقة بمثابة المحور الذي تدور من حوله الأحداث الرئيسية في الرواية، وخاصة مع جاك رغم اليأس المطلق من ايجاد علاقة حقيقية كاملة معه، وتظل العلاقة تتطور بين جاك وبريت حتى تصل قمتها في إسبانيا، في أثناء مشاهدة مصارعة الثيران، وكانت هذه بمثابة البداية الأولى لغرام همنجواي بحلبة المصارعة، المهم أننا نشاهد كافة الأبطال منفصلين ومغتربين، بلا هدف ولا اتجاه، فالبطل كذلك.. وكذلك البطلة.. وبالمثل كافة الأبطال، أما الأحداث فهي تدور في حلقة مفرغة، كأنما الشمس تشرق، لتعود ثانية إلى المكان الذي أشرقت منه، ثم تشرق من جديد!

أما رواية «وداعاً للسلاح» فإليها تنتهي هذه المرحلة، وعندها تصل معالجة موضوع الحرب إلى ذروتها الأخيرة، فإذا كانت الرواية الأولى «في عصرنا» قد وصفت الحرب في ذاتها، ووصفتها الرواية الثانية «والشمس تشرق ثانية» في آثارها، فإن هذه الرواية الثالثة والأخيرة، في أولى مراحل تطور فن همنجواي، إنما تحاول أن تفسر الحرب بردها إلى عناصرها الأولى. وتدور أحداث الرواية حول مرافقة البطل الأميريكي الملازم «فردريك هنري» للقوات الإيطالية المحاربة، ثم إصابته بجرح خطير في ركبته، وارساله إلى **ميلانو** للعلاج. حيث يقع في حب ممرضة إنجليزية شابة تدعى «كاترين باركلي»، ويضطر إلى العودة إلى جبهة القتال، وعندما يتقهقر الجيش من كابورتو يحس بشاعة الحرب، ومرارة الانسحاب، وازدراء قيمة الإنسان، فيلعن المثل الزائفة التي ادعتها الحرب، ويلقي بنفسه في النهر، ويهرب عساه أن يجد في الحب، ما يسوغ تخليه عن الحرب، ويهرب إلى **سويسرا** مع الممرضة، وكانت حينذاك حاملاً منه، وتقوم بعملية الوضع، ولكنها تموت في أثناء الولادة، وإذا به يجد نفسه فجأة وحيداً لا يملك شيئاً، وقد تراءت له الحياة صراعاً، الفائز لا يكسب فيه شيئاً، والبطل هنا ليس تعبيراً عن محنة الغائب في عزلته فحسب، بل هو أيضاً رمز للإنسان الحديث، في مأساته، فبطل همنجواي لم ينتحر، ولكنه عرف كيف يواجه الموت!

ثم تأتي المرحلة الاجتماعية!

أما المرحلة الثانية في تطور فن همنجواي، فتبدأ برواية «**أن تملك أو لا تملك**» ١٩٢٧م. وتنتهي برواية «لمن تدق الأجراس» ١٩٤٠م، مروراً برواية «**الموت عند الظهيرة**» ١٩٣٢م، وثلاثتها تعبر عن المرحلة الاجتماعية في حياة همنجواي، بعدما أحس أن بطله بمعزل عن المجتمع، قد تشرد وتعذب، ولم يعد أصيلاً، وأن عليه إما أن يجد لابقائه بذوراً جديدة، أو أن يعيد تقييم جذورهم من جديد!

ولكن، ما معنى أن يجد البطل عند همنجواي الأسباب التي تصل وجوده بالماضي؟، معناه أن يشق لنفسه طريقاً مستقلاً إلى حد كبير، عن طريق أي رجل آخر، وهذا يلائم من إحدى الزوايا حقائق العصر الذي نعيش فيه ونحياه، ذلك أن أي إنسان معاصر لا يستطيع أن يسكنه حكمة شعبية موروثة كالأمثال مثلاً، إلا إذا مارس تجربة تثبت له صدق هذه الحكمة، غير أن الكشف المستقل من ناحية أخرى، إنما هو مجافاة مختارة لقسم كبير ممن نريد أن نعرفه ونتعرف عليه، ولعل من الانصاف أن نقول إن أبطال همنجواي يعادون الفكر، وأنهم فوضويون، إلى حد أن كلاً منهم يريد أن ينشىء لنفسه قانوناً خاصاً دون أن يتعرف على حصيلة التجارب التي مر بها غيره، غير أن هذا وإن كان يصدق في حدود، على أكثر الناس، فإنه يصدق بنوع خاص على أبطال همنجواي، ومن ثم فإن أبطاله إنما هم أبطال من مناخ هذا العصر!



والواقع أن هناك ثلاثة مبادىء تلتقي بنسب مختلفة في فلسفة البطل عند همنجواي وهي : **العقلانية والذرائعية والتجريبية** ، وقد نضيف إليها مبدأ **اللذة السيكلوجية** ، ذلك لأن القواعد عند همنجواي أوسع وأعقد من هذا بكثير .

وانطلاقاً من فوق هذه القاعدة النقدية ، نتناول رواياته الثلاث ، التي تشكل المرحلة الثانية من مراحل تطوره الفني ، أما رواية « أن تملك وألا تملك » فتمثل إنساناً بليد الاحساس ، طريد القانون ، يحيا على عمليات التهريب ، حتى تنشب معركة بينه وبين رجال الشرطة ، يقتل فيها ، ولكنه يتعلم وهو على فراش الموت ، « أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيداً ! » .

والواقع أن همنجواي بعد انفصاله عن المرحلة الأولى ، عاد فعلاً إلى المجتمع بعد نشر هذه الرواية ، واشترك في **الحرب الاسبانية** إلى جانب قوات الحكومة ، وخرج من الحرب وقد تجسدت في فكره عبارة جون دون : « **ليس الانسان جزيرة قائمة بذاتها** » تلك العبارة التي وضعها على مطلع روايته « لمن تدق الأجراس ؟ » ، وبطل هذه الرواية هو « روبرت جوردان » الذي يشترك في الحرب الأهلية الإسبانية ، يتعهد إليه بنسف جسر لكي يساعد على تقدم الجيش ، ويقضي ثلاثة أيام بكهف في بطن الجبل ، وأخيراً ينجح في نسف الجسر ، ولكنه يجرح في أثناء انسحابه ، ويترك لكي يواجه الموت .

وتنتهي الرواية على مدرك فلسفي واحد ، هو « **أن الحياة تستحق أن نحياها ، وأن هناك قضايا جديرة بأن نموت من أجلها !** » .

ويتضح من هذا كله ، أن الحرب كانت الركيزة المحورية التي شغلت فكر همنجواي ، وأنه إذا كان قد جسدها كصراع لا معنى له في رواية « وداعاً للسلاح » فإنه يحاول في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » تأكيد التضامن البشري في مواجهتها باعتبارها محنة عاتية تهدد الجنس البشري .

وكان هدفه الفني من وراء هذا كله ، كما أوضحه في رواية « الموت عند الظهيرة » أن يساعد الإنسان على معرفة إحساسه الحقيقي تجاه ما حدث بالفعل ، أي تحليل العلاقة العضوية بين الإحساس والحدث ، لأن قيمة أي حدث في الوجود ، إنما تكمن في الأثر الذي يمارسه على أحاسيس الإنسان ، التي لا تتحرك ولا تتفاعل إلا من خلال الأحداث !

ولقد اتضح إلحاح فكرة الموت على وجدان همنجواي ، في رواية « الموت عند الظهيرة » وهي الرواية التي كتبها في عام ١٩٣٢ م ، لدراسة لمصارعة الثيران في إسبانيا ، وفيها قدم همنجواي تحليلاً باهراً لعروض المصارعة ، التي يعتبرها الكثيرون نوعاً من الهمجية والوحشية والبربرية ، ولكن همنجواي يصفها بانفعال ، بل وبحب ، لدرجة أن كثيراً من النقاد اعتبروا مصارعة الثيران بمثابة المضمون الذي يجيد همنجواي الكتابة عنه بعد مضمون الحرب !

ومن المميزات الواضحة في « الموت عند الظهيرة » وتلك ميزة دائماً في الفنان والأثر الفني ، ابتعاده عن التجريد الخاوي ، ذلك لأن البطلين اللذين اختارهما همنجواي ، وهما « غويا » في مرسمه و « مايرا » على الرمل الملطخ بالدم ، هما من هواة الواقعي ، يؤمنان بما يعرفانه بالتجربة ، ويعرفان كيف يواجهان حقائق الحياة ، ومن بينها حقيقة الموت ، وهما على وعي كامل بما بين تلك الحقائق من تواشج نفسي وترابط عاطفي .

ولقد وردت أولى اشارات همنجواي إلى صفات البطل في رواية « الموت عند الظهيرة » ، عندما قال : هناك بطلان يعجباني ، أحدهما البطل في ثوب الرجل العملي ، والآخر البطل في مسلك الفنان ، ومن خصائصهما معاً يتكون البطل الذي أوثره !

وخير من يمثل النوع الأول **المصارع مانويل غرسيه** ، الذي يسميه همنجواي « مايرا » وخير من يمثل الثاني **الفنان الاسباني « غويا »** ! وكان همنجواي يحق ، يعتقد أنه سينال في حلقات مصارعة الثيران ، شعوراً بالحياة والموت . فأخذ يتردد عليها لهذه الغاية ، غير أن رواية « الموت عند الظهيرة » يدل على ما حدث له ، حين وجد طريقه إلى المبادىء المالية والأخلاقية التي تسيطر على تلك المأساة ، مأساة مصارعي الثيران !

وقد كان هذا كله ، عاملاً هاماً في تطوره الفني ، الذي ظهر في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » كما كان عاملاً هاماً من العوامل التي جعلت من « الموت عند الظهيرة » أول عمل أدبي يمجد العنف ، كجانب من جوانب النفس البشرية ، لا يمكن تجاهله ، فالإنسان الناضج لا يهرب من مواجهة العنف ، بل ويحيله إلى طاقة إبداعية تثير النشوة والانطلاق !

ما قبل المرحلة الأخيرة!

وقبل أن ننتقل من المرحلة الثانية والوسطى إلى المرحلة الثالثة والأخيرة ، تصادفنا على قارعة الطريق رواية « **ثلوج كلمنجارو** » القصيرة ، التي تعد بمثابة همزة وصل ما بين المرحلتين ، فإذا كان الموت يمثل تنويعة متوازية على الحرب في رواية « لمن تدق الأجراس ؟ » فإنه يتحول إلى خط دراسي رئيسي في رواية « ثلوج كلمنجارو » التي تعد من أروع الروايات القصيرة التي كتبها همنجواي .



فهي تدور حول كاتب أميركي شتت مواهبه النفسية وقدراته الابداعية في مجالات غير مناسبة، حتى كانت نهايته في **أحراش إفريقيا السوداء**، حيث يسعى إليه الموت في ثوب **مرض الغرغرينا** الذي أصابه، وراح يتأمله وهو يدب في أوصاله، ينخر في عظامه، ويسري في خلاياه، يقول همنجواي في وصف بطله:

«لقد سيطرت فكرة الموت على كل وجدانه، إذ أحس بصرير العدم يسري في أوصاله، تدفق الموت عليه كموجة مياه عالية، أو كتيار هواء جارف، ولكن كفراغ هائل ومفاجىء، له رائحة خبيثة ودفينة، وعلى حافة الفراغ رأى ذلك الحيوان الخبيث المشهور برائحته النتنة، وهو ينطلق محيطاً بدائرة العدم!».

ومع هذا كله، تظل فكرة الصراع ماثلة أمام عيني بطل همنجواي، فهو لا يستسلم للموت تماماً، ولكنه يظل يصارع حتى الرمق الأخير. وهذا معناه في نظر همنجواي، أننا لا يمكننا أن نتخيل هذا العالم بدون فكرة الصراع، لأن الحياة بدون هذه الفكرة هي الموت بعينه، ومن هنا كانت حياة أبطال همنجواي في صميمها مقاومة للعدم، ومن هنا تبدت الحتمية المنطقية للصراع الدرامي الذي أقام عليه أعماله!

وأخيرا .. نجحت المرحلة الأخيرة!

أما المرحلة الثالثة والأخيرة، التي تمثل الطور الإنساني في تطور همنجواي، فتعبر عنها روايته الخالدة «العجوز والبحر» وهي الرواية التي فازت **بجائزة بوليتزر الأميركية** عام ١٩٥٢م، وأدت إلى فوز صاحبها بجائزة نوبل بعد ذلك بعامين! والتي قال عنها **ت. س. إليوت**، إنها تكشف عن طاقات جديدة لإرنست همنجواي!

وتتحدث هذه الرواية عن صياد عجوز اسمه «سانت يعقوب» قضى أربعة وثمانين يوماً دون أن يصطاد شيئاً، فقرر أن يدخل إلى تيار الخليج ليصطاد، وفي ظهر اليوم الأول علقت بسنارته سمكة ضخمة، ولمدة يومين يظل العجوز قابضاً على حبل سنارته، والسمكة تجره بعيداً إلى داخل البحر، وفي اليوم الثالث استطاع أن يقتل السمكة بحربته، وأن يجرها إلى سطح القارب.

وفي طريق عودته أحست كلاب البحر بالسمكة ورائحة الدم، فأخذت تنقض عليها، وما إن عاد الصياد إلى المرفأ، حتى كانت الكلاب قد أتت على السمكة بحيث لم يعد يبقى منها سوى هيكلها العظمي، فيجره الصياد العجوز عائداً إلى الشاطىء، ويذهب إلى الكوخ لينام ويحلم بأيام أخرى!

تلك هي رواية «العجوز والبحر» رواية قد تبدو بسيطة إذا نظرنا إليها من حيث خطوطها الكبرى، ولكنها في الواقع تصوير عميق للحياة على أنها صراع ضد قوى الطبيعة، ولكنه صراع يمكننا أن نحرز فيه نوعاً من النصر، فعلى الرغم من التعب الجسماني الذي وصل بالصياد إلى درجة الاعياء، وبالرغم من التعب النفساني الذي وصل به إلى درجة الاذلال، إلا أنه انتصر، وكان انتصاره المعنوي إيماناً بأن ما فعله لم يكن عبثاً ولم يضع سدى.

والرواية من هذه الناحية يمكن أن ينظر إليها على أنها تراجيديا حديثة، تمثل صراع الإنسان بإزاء القوى الطبيعية، وإحرازه نوعاً من النصر، ومن ناحية أخرى يمكن أن ينظر إليها على أنها شبيهة بالتراجيديا اليونانية، عندما يسقط البطل، ويكون قد حقق نوعاً من العظمة!

وبهذه الرواية يكون الدور الأدبي الذي قام به همنجواي، قد انتهى، ويكون قد أدى دوره خير أداء، وإن همنجواي نفسه ليعلن انتهاء دوره الأدبي بعد اصداره هذه الرواية، إذ يقول: «لقد حصلت أخيراً على ما كنت أعمل من أجله طوال حياتي!».

أما قول همنجواي: «**في نهايتي بدايتي، وفي فنائي حياتي!**»، فليس أبلغ منه ولا أدل على أن الرجل كان عظيماً في حياته، وسيظل كذلك بعد موته، فهمنجواي هو الأديب الذي استطاع أن يعبر عن ضمير العصر المعاصر، وهو الرجل الحقيقي المملوء بالدم والحرارة والدموع. وأخيراً قتلته رصاصة طائشة، وهو الكاتب الذي طالما واجه الموت!

ضمير العصر!

أجل، إنه إذا كانت مسؤولية الفنان الاجتماعية هي تقديم حقيقة التجربة الإنسانية، فلم يكن بين الكتّاب المعاصرين من هو أكثر اضطلاعاً بالمسؤولية من همنجواي، سواء لفنه، أو للأساس القوي من المعتقد الأخلاقي والجمالي، الذي يقوم عليه هذا الفن.

ولقد كان همنجواي بحق الإنسان المسؤول أمام من؟ أمام ضميره، وكان كذلك الكاتب المسؤول أمام من؟ أمام عصره!

وكان على حد تعبير الشاعر الايرلندي **ييتس**، الإنسان والفنان الذي عرف كيف يجمع بين الحقيقة والعدالة في رؤية واحدة.

فها هنا الحقيقة وها هنا العدالة، وها هنا يقف في وسطها جامعاً بينهما في تجربة حسية وحياة واحدة.. إرنست همنجواي.

هوامش على مصنف الرواية السورية



بقلم: وليد اخلاصي

طفل الرواية السورية ما زال يحبو، رغم شيخوخة مبكرة أصابت بعض ممثليها الذين تحاول أجهزة النقد والإعلام سد ثغرة النقص في تكوين الثقافة الإبداعية المعاصرة بهم وبأعمالهم المتفرقة والمتباينة في جودة تركيبها وموقفها الفني. وإذا كان الطفل قد أصابت بعضاً من أعضائه قروح النمو المعتاد، فإنه بمجمل تكوينه ما زال يتمتع ببراءة هي أقرب إلى براءة الفن المستحدث منها إلى سذاجة الخلق العشوائي.

إن لقب «**الروائي السوري**» هدف يجتذب أحلام العديد من الكتّاب البكر أو الذين أعطوا نتاجات مختلفة من قصة وشعر ومسرحية. هذا اللقب يوقظ في الذاكرة كل ما يتعلق بعظمة روائيين كبار مثل «**دوستويفسكي**» و«**بلزاك**» و«**ديكنز**» ومن المعاصرين «**همنغواي**» و«**لورنس داريل**» و«**نجيب محفوظ**» ولأن الرواية فن شعبي على النطاق العالمي، ويحترمها عدد هائل من القراء يدفع الثمن المطلوب، متفوقين بذلك وبأشواط كبيرة على قراء القصة القصيرة والشعر. ولأن فنوناً تكنولوجية معاصرة كالسينما والتلفزيون تقبل على الرواية بغية تحويلها إلى صور متحركة تسحر المشاهدين. ولأن الرواية بناء فني يشبه المجتمع أكثر مما تشبهه الأجناس الأدبية الأخرى، فإن التهافت على لقب «**الروائي**» والمحاولة في دخول عالم الرواية حلم مشروع في حين ومبتذل في حين آخر.

طفل الرواية هذا ينمو، وهذا يعني بالضرورة أنه سيشب عن الطوق ذات يوم ويصبح كائنا ثقافيا يلعب دوره الحضاري في الحياة القائمة. فما هي الآفاق التي يمكن لها أن تمتد أمام واقع الرواية السورية كي تأخذ الحجم اللائق بمكانتها، ثم ما هي المعطيات المتوفرة التي تستند إليها الرواية في وضعها الراهن؟

* * *

البداية

يبدو أن أول من كتب رواية فنية، قد توقف عن الكتابة لأسباب نجهلها. **فالدكتور شكيب الجابري** (١٩١٢م -) منذ روايته الأولى «**نهم**» التي نشرت في العام ١٩٣٧م، وانتهاء بروايته الرابعة «**وداعا يا أفاميا**» المنشورة في العام ١٩٦١م، كان قد قام بتأسيس فن روائي قد لا يكون أثر بشكل فعّال على من جاء بعده من كتّاب الرواية، إلا أنه وضع اللبنة الأولى في جسد الرواية السورية (نشر الجابري «**قدر يلهو**» في العام ١٩٣٩م، و«قوس قزح» في العام ١٩٤٦م).

رومانسية متألقة في اللغة وفي بناء الأحداث. تلك هي البداية والنهاية عند شكيب الجابري الذي تعلم في الغرب (**دكتوراه في العلوم**)، وتأثر به وأسقط على شخوص رواياته الغربيين في معظمهم أحلامه وتطالعاته وإعجابه.

إن شكيب الجابري الذي كان يمثل طليعة البورجوازية المتحضرة، حاول أن يكون بشكل ما جسراً بين الثقافتين العربية والإسلامية من جهة والغربية من جهة أخرى. وقد تجلى طموحه الفني عبر الرواية التي كانت صنعة غربية شبه صرفة يخالطها إحساس محلي يتجلى في الحفاظ على تراث اللغة، إلا أن طموحه الشخصي في تجسيد ذاته المتألقة وشخصيته الناجحة من خلال أعماله الروائية، كان طاغياً على البناء الغربي للرواية.

عصر التحرر الوطني الذي عاشه الجابري آنذاك، كان يبحث عن الشخصية المحلية، ولكن الرواية لم تكن ضمن أحلامه للتعبير عن تلك الشخصية، فالشعر هو الشكل الثقافي الذي كان المعول عليه في إحياء الشخصية الوطنية وفي تجسيد التراث الفني. **ولقد عاصر نشوء الرواية على يد الجابري تألق الشعر على أيدي شعراء كبار من أمثال**



★ فاضل السباعي ★



★ د. عبدالسلام العجيلي ★



★ عمر ابو ريشة ★



★ نجيب محفوظ ★

بدوي الجبل وعمر أبو ريشة ، من الذين استطاعوا تهييج الآذان وجعل القلوب تهفو وتحن إلى ماض من الفخر والعز . حضارة سمعية تكاد تستيقظ من سباتها بفضل الشعر ، فلا تفسح مكاناً لائقاً تحتله رواية محدثة .

وإذا كانت **الانتلجنسيا السورية** قد أعجبت بالجابري كنموذج غربي يتكلم العربية بفصاحة ، إلا أنها كانت ما تزال تقرأ الرواية الغربية المتكاملة في لغاتها الأصلية . لذا فقد كانت مغامرة الجابري ضرباً من التطوير الحقيقي للثقافة الإبداعية السائدة وسط مجتمع كان حسه الروائي ما زال يتجه نحو الغرب بحماسة .

ولقد جاء جيل الكتاب في الخمسينات والستينات فالسبعينات متأثرين بشكل متناقض بأدب الجابري الروائي ، في الوقت الذي كانت فيه روايات الجابري فناً حقيقاً كاد أن يلوي عنق الرواية لصالح مسار محض شخصي ولكنه متفرد . وبقدر ما لاقت أعمال الجابري قديماً ترفاً في التعامل ، فإنها الآن تلقى جحوداً في التقدم والدراسة والاهتمام بإعادة نشرها بعد أن فقدت نسخها تماماً وما عاد القارىء بقادر على تناولها في الوقت الذي يريد .

* * *

بضعة أسئلة وبضعة أجوبة :

* سؤال : **ما عدد الروايات السورية التي صدرت منذ بدايات الاستقلال أو منذ أوائل الأربعينات حتى يومنا هذا؟**

● **جواب :** إذا تقصينا كل ما هو مطبوع ويحمل اسم الرواية تجنياً أو عن حق ، فإننا لن نعثر على أكثر من مائة كتاب . وإذا ما تحرينا الدقة لوجدنا أن الأعمال الروائية لن تتجاوز السبعين بأي حال من الأحوال ، كتبها ما لا يزد عن الثلاثين كاتباً لم يتخصص إلا قلة منهم في الكتابة الروائية .

* سؤال : **أليس هذا بإنتاج روائي مقل لثقافة عربية سائدة ضربت بجذورها في جسد ثقافة عريقة كانت قد صنعت من الحدث أمثولة لا يمكن لها أن تنسى ؟**

● **جواب :** ليس في علمنا أن الثقافة تقاس بعدد الروايات التي تنتجها ، ولكن ما دام الأمر كذلك ، فلنعترف بأن الرقم المفترض أن الرواية قد وصلت إليه وهو سبعون رواية ، لا يمكن أن نعول عليه وذلك لسبب الاختلاف على قيمة الرواية نفسها والحكم على انتمائها الشرعي للفن الروائي .

* سؤال : **وكيف لنا أن نحكم على انتماء الرواية السورية إلى الفن الروائي ؟**

● **جواب :** إن القياس هو الأساس حتى هذه اللحظات الراهنة ، القياس بالأعمال الروائية العالمية يشكل المعيار الهام في التعرف إلى روائية الرواية . **والاحالة إلى الرواية العالمية سلاح ذو حدين يمكن بواسطته الاشادة بالعمل المحلي أو به يتم بخس حقه .** وهو سلاح إن دل على شيء فإنما يدل على افتقار إلى أدوات نقدية مستنبطة من واقع الرواية الحالي ، وفي كل الأحوال فإن السؤال الوارد هو : **هل نجح النقد أو التذوق العام في الوصول إلى تقويم سليم للحركة الروائية ، وكذلك هل استطاع أن يستخذم الأدوات الطبيعية في عمل النقد أو التذوق ؟**

* * *

دور النقد

ارتباط ظاهرة الفن بالبناء الاجتماعي وحركته ، تسمح لنا باستخدام استقصاء اجتماعي طريف قد يؤدي بنا إلى التعرف على الأدوات التي يكون بها سبر الفن أو الرواية بخاصة ، والاستقصاء هذا مبني على سؤال عدد من الآباء بعد استقبالهم لنبأ ولادة طفل جديد لهم ، وكيف يتعرفون على ذاك القادم وبأية وسيلة يصلون إلى ذلك النوع من المعرفة . ولقد وجدت شخصياً أن الآباء أول ما يقومون بواحد من العملين التاليين :

● **الأول :** ويكون بالتعرف على جنس الطفل المولود ، أهو أنثى أم ذكر ، وبظني أن مثل هذا القلق الذي ينتاب مجتمعات الذكورة السائدة أمر شرعي له ما يبرره في استمرار النسب والوجود العائلي والحاجة إلى اليد العاملة ، وفي أسباب نفسية واجتماعية أخرى لا يتسع المقام لاستعراضها كلها .

● **الثاني :** ويكون في تجاهل الأنوثة أو الذكورة في طبيعة الكائن المخلوق ، والإسراع في التعرف على سلامة ذلك القادم كتكوين إنساني بحثاً عن كماله . تعد أصابع الطفل مثلاً ، ويستوثق من تناسق أعضائه ، ويتم التأكيد من أن تشويهاً ما لم يصبه . ويهدف ذلك التعرف أساساً إلى تحقيق « الإنسانية الكاملة » في الطفل القادم إلى الحياة . إنه أسلوب التوق إلى الكمال الذي يقلق النفس البشرية أبداً .

إن مثل هذا الاستقصاء قد ينطبق بشكل ما على حركة النقد والتقويم المتخصصة أو العامة ، وقياساً على الطريقتين السابقتين في التعرف على الكائن المولود ، فإنه كثيراً ما تكون الطريقة الأولى هي السائدة والمعتمدة في صفوف

النقاد والمراجعين والمعلقين ، والقراء أحياناً . فعلى سبيل المثال يقال عن رواية ما إنها قد كتبت بلغة معينة بسيطة أم معقدة ، أو يحكم عليها بأنها مفهومة أو معقدة ،. وكثيراً ما يصار إلى البحث عن الأيديولوجية الكامنة فيها أهي (مع) أم (ضد) لتكون الأساس في الحكم على الرواية . ومما لا شك فيه أن زوايا رؤية تلك الطريقة في التقصي تفضل العنصر الهام في الرواية ألا وهو انتسابها للاسم الذي تحمله .

وإذا ما استخدمنا الطريقة الثانية فإنه من الممكن أن نبحث عن الرواية في الرواية . فالمنهج السليم لفهم عمل أدبي يبتدء من فكرة البحث عن الجنس الأدبي داخل تكوينه ، **وكما أن على الشعر أن يكون شعرا فعلى الرواية أن تكون رواية في المقام الأول ،** أي ان تحقق كمال الشرط الروائي . اللوحة الفنية هي هجوم إنساني على فراغ ما بغية ملئه بالوجود الفني ، كذلك الرواية معيار خاص يرتفع على أرضية هي بدونه شيء غير روائي ولا يحقق وجوداً فنياً .

وفي الفترة المرافقة لنشوء الرواية ، غلبت الطريقة الأولى على حركة التقويم النقدية ، فلم تناقش الرواية على أنها جنس يحمل خصائص ذاته الفنية . كان الاهتمام ينصب عادة على زوايا متفرقة وأجزاء متباينة من الرواية ، نوقش الشكل بمعزل عن المضمون ، وتم الحوار حول المضمون دون الشكل . أثيرت قضايا لغوية وسياسية وأهمل الكيان الروائي . إلا أن الآراء النقدية الجدية على أي حال انصبت على نقطتين رئيسيتين هما **الحدث** وما يحمل من تشويق ، ثم **المغزى الاجتماعي** للرواية .

الرواية العربية

الرواية العربية بعامة ، وحتى يومنا هذا ، ما زالت تدور في فلك تجسيد الحاجة الاجتماعية للفن ، كأنما في ذلك برهان على ارتباط الرواية بالمجتمع بطاقة فنية تفوق الأجناس الأدبية الأخرى . وبينما يرتبط الحدث المشوق الكامن في الرواية بالتعبير الخارجي عن تلك الحاجة المذكورة ، فإن المضمون الاجتماعي الذي تعبر عنه الرواية فهو التعبير الداخلي .

إن اقتراب الرواية من عملية التأريخ قد زادها قيمة لدى القراء الذين يحاولون البحث عن الموعظة والعبرة إلى جانب الصور المستعادة من عمق الزمن الفائت . فذاكرة القارىء العربي ما زالت تحترم مقولة « **يحكى أن** » أو « **حدث ذات يوم** » أو ربما « **كان ما كان** » وتقبل عليها وتعتبرها أحياناً المدخل الشرعي لكتابة الرواية . وهكذا فإن احجاماً أو اعراضاً أو تخوفاً قد أبداه القارىء تجاه الأعمال الروائية التي تسربت إليها الرؤية الفلسفية أو المداخلات النفسانية الملصقة بالرواية دون ولادة طبيعية من نسيجها ، وبخاصة في بداية الستينات .

ولقد كان واضحاً على عدد من الأعمال الروائية القليلة المكتوبة على يد كتاب أثقل كاهل أعمالهم الفكر الفلسفي والوجودي على وجه التحديد والتأملي بشكل عام . ومن النماذج التي طرحت آنذاك رواية « جيل القدر » **لمطاع صفدي** و« العصاة » **لصدقي إسماعيل** و« رياح كانون » **لفاضل السباعي** و« المهزومون » **لهاني الراهب** وغيرهم . وإذا كانت هناك من قيمة فنية لمثل تلك الأعمال ، فإنما ترجع إلى أسباب كثيرة ، من أهمها تفاعل الثقافة الوطنية مع التيارات الجديدة في الفكر الكوني ، أو لعوامل قومية اجتماعية فيها من التطلع إلى تحقيق الذات الفردية قدر ما فيها من همّ في رصد



الصراعات المتماوجة داخل المجتمع القائم على أرضية من التخاذل والبحث عن الهوية .

* * *

الرواية السورية .. والقارىء

منذ سنوات عديدة ورواية « **الموسيقي الأعمى** » للكاتب الروسي **كورولينكو** ، مقررة على طلاب الشهادة الاعدادية السورية ضمن مقرر اللغة العربية ، يؤدون بها امتحاناً يتعلق بشخوصها وأفكارها وأسلوبها ، ولقد تساءلت طويلاً ، وأنا أقرأ تلك الرائعة التي صاغها المرحوم **الدكتور سامي الدروبي** بلغة عربية جميلة ، تساءلت عن السبب الذي وقف في وجه المسؤول في وزارة التربية لاختيار رواية سورية تقرر على الطلاب نموذجاً لإبداع أدباء المجتمع . قد يكون للمسؤول عذره ، فهو إما قد أعجب بالنص المذكور لذاته فما عاد يرى غيره ، أو أنه أراد باختياره نصاً روائياً أجنبياً أن يفتح النوافذ الصحية على الثقافة الإنسانية الشاملة ، أو أنه لم يقتنع بعد برواية سورية واحدة تصلح نموذجاً للإبداع الأدبي ، أو أنه قرر اختيار رواية سورية ولكنه وقع في حيرة عندما فكر بكاتب سوري معين لأن معظم كتاب الرواية ما زالوا أحياء وهو يخاف اغضاب أي منهم ، أو أنه لم يجد بعد ذلك الكاتب الذي ينسجم وفكره السياسي إذا كان ينطلق من منظور سياسي معين .

مثل هذه الملاحظة ، تقودنا إلى التساؤل عن وجود الرواية كفن أدبي له علاقة بالجماهير . **فأي الروايات السورية المعروفة لدينا قد اكتسبت مثلا شهرة شعبية ، وبات هناك حديث عن أحداثها وأبطالها وأفكارها ومثلها وكانت أنموذجا مؤثرا في الحياة الثقافية بخاصة والاجتماعية بعامة ؟** بمعنى آخر يمكن التساؤل عن مدى الإقبال على اقتناء الأعمال الروائية ، وبمعنى أكثر تحديداً : هل استطاع روائي ما أن يعيش على دخل يأتيه من أعماله الروائية ؟

إن **نزار قباني** مثلاً ، استطاع بشعره أن يكون مقروءاً لدى أكبر عدد متصور من الناس ، وشعره هو الممول الرئيسي لمعيشته ، وليس هناك بين كتّاب الرواية السورية من يدانيه قدرة على غزو المكتبة المنزلية ، فهل ما زال المجتمع القائم مجتمع الشعر والرومانسية ؟

كاتب هام مثل **الدكتور عبد السلام العجيلي** له وجود متميز في القصة القصيرة والرواية والمقالة ، أو روائي معروف مثل **حنا مينة** ، لم يستطيعا رغم سمعتها الأدبية الواسعة وجديتها الملحوظة في الإبداع الفني ، لم يستطيعا أن يوزعا من كتبهما أعداداً تدخل المكتبة الخاصة بشكل يشابه الكتاب الشعري . ولقد حدث أن كتبت شاعرة رومانسية هي **كوليت خوري** روايتها الأولى « **أيام معه** » أعقبتها بأخرى هي « **ليلة واحدة** » ، وقد أحيطت روايتها بحملة إعلامية دعائية تقديراً لمكانة الأديبة الفنية والاجتماعية ، إلا أن أعمالها ظلت على درجة أقل في التوزيع من أي كتاب شعري أو سياسي مرموق . ولقد صنعت من أعمال العجيلي ومينة وخوري مسلسلات إذاعية وأفلام سينمائية . ولكن المكانة التي يحتلها روائي مصري كبير مثل نجيب محفوظ كصانع أول للرواية العربية ، لم يستطع أحد أن يحتل مثلها بعد في الانتشار والأثر وذلك بين الأجيال المتباينة والأقطار المختلفة . **فهل تلعب الجغرافيا دورها في تكوين الروائي ؟ أم أن سطوة الثقافة المحلية لقطر عربي قد أفسحت المجال أمام انتشار أعمال روائي معين ؟**

ليس هناك ما يجزم بأن المكان أو المناخ والطقس يلعب دوراً في نشوء الرواية وتطورها ، فالبيئة المصرية أخرجت عدداً من الروائيين المرموقين ، وهي تتسم بالاستقرار في الطقس والسهولة في التضاريس ، أما البيئة السورية فهي بيئة لا تتسم باستقرار طقس أو تجانس في التضاريس ، والقلق هو الصفة السائدة في الحياة التي تجمعت في المدينة السورية التي ما زالت المكان الوحيد لإنتاج الأدب والرواية على وجه التخصيص . إلا أن هذا القلق لم يمنع من تجمع الأسباب إلى خلق دوافع لأعمال روائية متميزة لبعض منها وليس في مجملها كمعمار روائي سوري متكامل . **وفي كل الأحوال فإن القصة القصيرة مثلا استجابت بفعالية ملحوظة لشروط البيئة القلقة أكثر مما فعلت الرواية** ، إلا أن هذا لا يعني عدم فعالية الرواية للبيئة الاجتماعية ومحاولتها المخلصة للتعبير عنها ، كملاحظة جانبية فإننا نلمس أثراً فعالا للوجود المصري التاريخي والاجتماعي والديني في انتشار الرواية المصرية الواسع إذا ما قيس بانتشار الروايات العربية الأخرى .



المعمار الروائي

المعمار الأدبي تكوين حضاري لا يختلف في كثير من الأحوال عن العمارة السائدة شكلاً ووظيفة . والمعمار الروائي أكثر الأشكال الفنية تعقيداً وامتداداً في الزمان والمكان ، باستثناء **المسرح** الأكثر تعقيداً في الحضور الاجتماعي . وبينما تشكل القصة القصيرة ، كجنس شبيه بالرواية ، وبناء بسيطاً ولكنه كثير الأعصاب الدقيقة ، فإن الرواية بناء شامخ متعدد الوظائف ومتنوع المرافق وتحكمه شبكة فائقة الدقة إلا أنها واضحة .

إن بناء مدينة لا يختلف عن بناء رواية ، والأخطاء التي يرتكبها مصمم المدينة قد تؤدي إلى خلل وظيفي وجمالي بنفس الحدة التي يؤدي إليها الخطأ في تركيب الرواية . إن استقبال الضوء وطرائق التهوية في المرافق المبنية في مدينة ما ، شيء أشبه بالتركيب اللغوي للرواية ، وشخصية المدينة وارتباطها بالتربة والطقس والتراث الثقافي هي الأسلوب بالنسبة للرواية . وفي كل الأحوال ، يبقى الأسلوب أو شخصية الروائي هو الشكل النهائي للمعمار الفني للرواية ، **فإلى أي مدى وصل نقاء المعمار الروائي السوري ؟**

الرواية السورية قبل البدايات الحديثة في أوائل الأربعينات ، لا شيء يذكر ، إلا أن المستودع العربي الإسلامي مليء بالحكايات والأقاصيص التي تحمل طاقة كامنة قادرة على شحذ الرواية الحديثة بأقصى درجات التفاعل والإبداع . إن من الموروث العربي أعمالا خطيرة مثل « **ألف ليلة وليلة** » و« **سيرة الظاهر بيبرس** » و« **سيرة علي الزيبق** » و« **سيرة الأميرة ذات الهمة** » و« **سيرة عنترة** » و« **تغريبة بني هلال** » و« **كليلة ودمنة** » وغيرها من الحكايات والسير الدينية وقصص الخلفاء والأمراء والحكام والأبطال والشعراء والأساطير الضاربة في القدم إلى جانب **المقامات والخرافات** ، إن مثل تلك الأعمال الفنية الجنينية أو الكاملة لم تدخل بعد في برامج التعليم وتثقيف الكتاب ، وقد تم تفاعلها مع الثقافة السائدة بشكل شفاهي ، ولم تظهر آثارها بعد في الإنتاج الروائي كخطوة نحو النقاء المحلي للرواية .

إن الرواية السائدة حتى الآن ، هي شكل من أشكال الرواية الأوروبية ، وقد لا يكون هذا التأثر مقتصرا على الرواية فحسب ، بل وينسحب على القصة القصيرة والمسرحية والشعر الجديد . وهذه المؤثرات الطاغية للأدب الغربي إنما هي شكل من أشكال السيادة التي نمت وترعرعت منذ **الانقلاب الصناعي** وحتى أيامنا هذه والتي انسحبت على مجمل الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، فباتت هرمونات تسريع للنمو في حين وفيروسات تثبيط في حين .

إن اليقظة القومية التي انتعشت في البنية الاجتماعية العربية منذ بدايات القرن الحالي ، قد أخذت نصيباً في الأدب المكتوب ، ولكن الشيء المحسوس بالنسبة للإبداع الأدبي كان قد تجلى في المضمون أكثر مما وضح في الأسلوب أو اللغة الأدبية التي تخص الكاتب وحده . والروائي السوري الذي اتخذ له مثلاً في الكتابة واحداً من عمالقة الرواية في العالم ، لم يستطع بشكل عام أن يتحرر من النسق المألوف في البناء الروائي ، بعكس ما جرى في القصة القصيرة والمسرحية والشعر . إذا استجاب كتّاب تلك الأجناس الأدبية للتأثيرات الثقافية الكونية فباتت هناك أشكال شبه متحررة وتجريبية تشير إلى إمكانات واسعة في الوصول إلى أشكال محلية وإن كانت لم تحقق بعد التحقق الكامل .

وقد لا تبتعد بعض محاولات التأليف الروائي عن الوصول إلى بعض من تلك النتائج التي وصلت إليها الأجناس الأدبية المذكورة إلا أن السمة العامة للرواية ما زالت ملتصقة بسمات الرواية الأوروبية . ولا يعيب هذا الأمر الرواية والروائي السوري في شيء ، قدر ما يفقدن المجال المتاح للأمنية في رواية محلية ذات خصائص متميزة . وليس من الضرورة أن تكون هناك رواية محلية بالشكل المتعصب الذي يتخيله المرء . إنما من الضروري أن يكون هناك روائيون حقيقيون تمتد جذورهم في الأرض التاريخية والبيئة المعاصرة .





الرواية .. بين الشعر والقصة القصيرة

القصة القصيرة والشعر على وجه التحديد ، من الفنون الأميل إلى الذاتية والفردية ، أما الرواية فهي من أكثر الفنون التصاقاً بالمجتمع كتكوين بشري واسع الانتشار على ساحة الزمان والمكان . والرواية عمل اجتماعي ، يرتبط بوظائف المجتمع وتكوينه ، بل هو أكثر تمثيلاً بنيوياً له ، ويملك القدرة على تمثله والافصاح عن أحواله والحديث بلسانه ، حديثاً قد لا يكون عاطفياً كالشعر أو مكثفاً كالقصة ، ولكنه حديث الخبير بالأحوال المشفقة على الآمال . إن الشعر مثلاً عزاء للإنسان يقدم في لحظات عابرة ، إلا أن الرواية عزاء طويل الأمد . وقد يصل الشعر إلى مرتبة الحكمة الخالصة ، إلا أن الرواية تريد أن تعيد بناء الأمور على طريقتها الخاصة لتكون تأريخاً وهي ليست بتأريخ ونفسانية وهي ليست بمؤلف طبي عن النفس . **الرواية فن الانسان الذي يرغب في حياة أغنى ، وقد لا يفرق بين الوهم والواقع كمصادر لغنى تلك الحياة .** وقد تكون القصة القصيرة « مجهراً » يدخل في التفاصيل الدقيقة ، إلا أن الرواية تجمع إلى فضيلة المجهر ميزة « التلسكوب » الذي قد يمتد بأنفه الحساس إلى مجاهيل المستقبل ووقائع الماضي .

فإذا ما استثنينا عملاً واحداً أو أكثر بقليل تجلت فيه الذاتية والقدرة على التحدي اللغوي للبلاغة ـ **فعبد الوهاب الصابوني** مثلاً في روايته اليتيمة « **عصام** » ـ إلى إبداع لغة أكثر من سعيه إلى بناء معمار روائي . فإن جميع الأعمال الروائية التي كتبت في الأربعين سنة الأخيرة كانت تدور في فلك الهموم الاجتماعية المتنوعة من وطنية وعاطفية وعائلية ، كما أنها لم تبتعد عن التيارات السياسية المختلفة في مظهرها والمتفقة في باطنها على بحث مستمر عن العدالة واحتلال مكان لائق وحر في منظومة العالم الدولية .

وإلى جانب شكيب الجابري والعجيلي وحنا مينة وكوليت خوري ومطاع صفدي وصدقي إسماعيل ، نشطت أسماء في السماء الروائية حاولت أن تتألق نجوماً ، منها ما شع ومنها ما خبا . ولقد كرس **فارس زرزور** حياته للرواية ، كذلك أنفق فاضل السباعي معظم جهده من أجلها ، ومن الكتّاب الذين تلونت حياتهم الأدبية بأجناس مختلفة نجد **صلاح دهني وعادل أبو شنب وعبد العزيز هلال وهاني الراهب وجورج سالم وحيدر حيدر وأديب النحوي وقمر كيلاني وممدوح عدوان ونذير عظمة وبشير فنصة وياسين رفاعية ونهاد رضا وعبد الله مرجانة ووليد حجار ووليد اخلاصي وغيرهم .**

ولقد كان من الرعيل الأول مساهمات في الرواية **كنسيب الاختيار ووداد سكاكيني** ، ولكن جيلاً جديداً برز في بداية السبعينات يحاول اكمال العمارة الروائية منهم **نبيل سليمان وعبد النبي حجازي وخيري الذهبي وأحمد داوود وأحمد يوسف داوود وعبد الله الأحمد وإبراهيم العلي وغيرهم .**



قد لا تكون الصياغة النهائية للعمل الفني ، وهي التي تتوجه عادة ، قد باتت ذات أهمية في الحياة الثقافية . وفي الوقت الذي تقاس فيه الصناعة الغربية مثلاً بمقدار ما وصلت إليه من دقة في اعطاء الشكل والوظيفة أقصى حالات تفوقهما ، فإن التخلف أو ضعف الخبرة في الثقافة المعاصرة العربية (الكتابة ، صناعة السينما والتلفزيون ، الخ . .) يقاس بضعف الصياغة النهائية أو ما يصطلح عليه أحياناً بالاكمال أو اللمسات الأخيرة .

نذكر الآن على سبيل المثال ذلك الصانع الإسلامي في الماضي ، يبدع آيات من الفن التشكيلي (زخارف ومزهريات وسيوف . .) . نذكره إذا ما قورن عمله بالصانع المعاصر عندما يريد أن ينتج نسخاً شبيهة لما صنعه الصانع القديم الذي تميز عمله بالكمال الناجم عن اهتمامه الصادق المخلص بوضع اللمسات الأخيرة التي تنبىء عن محاولة الاقتراب من الكمال .

وكثيراً ما لعب الإنتاج الواسع والمتكاثر دوره اليوم في اهمال تلك الصياغة النهائية المطلوبة في العمل الفني على وجه التحديد . وهذا ينطبق في كثير من الأحوال على الأعمال الروائية نفسها . فنجد فيها اهمالا أو تسرعاً أو خشونة أو تجاوزاً لأمور فنية ضرورية في البناء الروائي أو في استكمال بعض من العناصر اللازمة لكمال ذلك البناء . وقد يكون السبب مرده إلى داء العصر أو أنه يعود إلى الخبرة الضئيلة التي من المقدر لها أن تتراكم يوماً بعد يوم لتصل إلى حد يكون فيه التجاوز لتلك الهنات حتماً .

حتمية تراكم الخبرات في عالم الرواية أولا ، ثم التفاعل مع الثقافات الكونية ثانيا ، كما أن التطلع باحترام مدقق إلى الموروث الروائي والقصصي إلى جانب التأثر بواقع الثقافة الشعبية سيعطي للرواية السورية أملا في النمو والتكامل والمعاصرة .

ثمة آراء في العالم تؤكد على نهاية عصر الأدب المكتوب ، كالقصة والرواية والشعر ، إلا أن الأذن العربية التي أحبت الشعر ذات يوم وما زالت ، قد تمد العين بخبراتها المتذوقة فتحب الرواية كعزاء معقد التركيب لواقع متشابك الأحداث والأهوال والتغيرات المتسارعة .

إن طفولة الرواية السورية مؤهلة الآن أكثر من أي وقت مضى لأن تتحرر من عوائق تحد من نموها السريع ، وهذا رهن بثقافة متكاملة يبنيها الكتاب بصدق فني ويتقبلها القراء بحس سليم ، آنذاك يمكن القول بأن الرواية السورية تلعب دورا قياديا في نماء الثقافة الوطنية .

ندوة الشهر

اشترك في الندوة

- د. عبد الله العجلان - السعودية
- د. عبد الله الطيب - السودان
- د. عابد توفيق الهاشمي - بغداد
- د. عبد الحميد الهاشمي - سوريا
- د. محيي الدين عبد الشكور - أمريكا
- د. فاروق محمد صادق - مصر
- د. عبد الرحمن السبيت - السعودية

دور علماء المسلمين في نشأة علم النفس

اعداد: محمد مبارك

★ ساهم الأقدمون من علماء النفس المسلمين بالكثير من الأفكار والدراسات حول النفس الإنسانية من جميع جوانبها التي كان يدور حولها البحث في زمنهم، تناولوها من حيث أصلها، ومصدرها وجوهرها واستقلالها عن الجسم، ومصيرها بعد وفاة الإنسان، وكافة أحوالها من إدراكية ووجدانية ونزوعية. وكان الحديث عن النفس الإنسانية في ذلك الوقت لا يزال جزء من الفلسفة.

وقد أجاد علماء النفس المسلمون في عرض الأدلة على وجود النفس وقسموا الأدلة إلى شرعية وعقلية وحدسية.

فمن الأدلة الشرعية ما ورد عن النفس كثيراً في القرآن الكريم، حيث وردت بعض الآيات الكريمة في خلق النفس، وبعضها عن طبيعتها، وفي بعضها عن صفاتها.

كما أطال علماء النفس المسلمون في ذكر الأدلة العقلية على وجود النفس ونجدها عند ابن سينا والغزالي وابن مسكويه وغيرهم، وبعض هذه الأدلة مأخوذ عن الفلاسفة اليونانيين كأفلاطون وأفلوطين وغيرهما، وبعضها من اجتهاد العلماء المسلمين ★

وفي مجال **الدليل الحدسي** على وجود النفس الإنسانية يرى بعض العلماء المسلمين أن وجود النفس أمر بدهي لا يحتاج إلى برهان «**ابن ماجة**: النفس ص ٢٢»، ويعبر الغزالي في كتابه «**إحياء علوم الدين الحديث**» عن وجود النفس من ميدان علم المكاشفة، ويشارك علماء الإسلام في هذا كثير من فلاسفة أوروبا، نذكر منهم «**لوك**»، الذي يرى أن معرفة النفس حدسية، وأنه لا يبرهن على وجودها وعلى طبيعتها، ولكن جهلنا بذلك لا يخولنا الحق في إنكار وجود النفس، ونذكر أيضاً «**مالبرانش**»، الذي يرى أن إدراك النفس شعور بها.

وهناك اتجاه بين الكتّاب المسلمين في علم النفس يتمثل في إعادة قراءة التراث العربي في مختلف المجالات وخاصة ما يرتبط منها بموضوعات علم النفس الحديث، ونعني بالتراث هنا إنتاج العلماء المسلمين على مر العصور.

وفي سبيل الوقوف على ما خلفه علماء الإسلام من أفكار وآراء، ومدى مساهمتها في نشأة علم النفس الحديث، ومكانة الفكر الإسلامي في هذا المجال، نطرح من خلال ندوة هذا الشهر آراء عدد من العلماء والمهتمين بقضايا علم النفس، وتاريخه.

القرآن أساس الدراسات النفسية

بدأ الحديث الدكتور عبد الله العجلان (دكتوراه في الشريعة: أصول الفقه)، وكيل الرئيس العام للتعليم العالي للبنات بالمملكة العربية السعودية قائلاً:

«كانت أبحاث علم النفس في الثقافات السابقة لبزوغ **فجر الإسلام**، أبحاثاً متفرقة في ثنايا كتب الفلسفة، وليست علماً له ذاتية واستقلال أبحاثه.

ولما كان **القرآن الكريم** وهو المعجزة الخالدة قد أطلق العقل من أسر التقليد والمحاكاة والجمود، إذ دعا إلى التفكر والتدبر وتأمل آيات الله في الآفاق والكون والحياة والنفس الإنسانية. وهو إن كان كتاب هداية في أصله، فإنه قد أشار إشارات عابرة موجزة إلى جوانب متعددة في هذه الحياة. منها أهمية النفس الإنسانية التي تكون محك للهداية، وعرضة للزيغ، ويطلب من الإنسان أن يتعهدها بالخير ويزكيها بالطاعة ويباعد بينها وبين أي مؤثر قد يجرها إلى الهاوية، لتسمو بصاحبها عن الانحراف. ومن هذه الآيات قوله تعالى: **﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها، قد أفلح من زكاها، وقد خاب من دساها﴾.**

وقال تعالى عن النفس المهتدية: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾.

وعن نوع آخر من النفوس يقول تعالى: **﴿لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾**. ويقول سبحانه وتعالى عن النفس الهابطة: **﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾.**

هذه الاشارات العابرة الموصية في نفس الوقت، جعلت علماء المسلمين يتطرقون إلى الحديث عن النفس ويفردونها بأبحاث خاصة بها حتى صارت مادة مستقلة بذاتها غنية بأبحاثها عالجت موضوعات قائمة بذاتها، ومن هؤلاء العلماء **الغزالي وابن سينا والخطيب البغدادي** وغيرهم، وكل هؤلاء علماء شريعة لا صلة لهم بالفلسفة إلا بالقدر الذي يتربون به على الإسلام في عقيدته وشريعته، وكانت أبحاثهم في النفس الإنسانية مبتكرة وعلى جانب كبير من الصواب بل كانت لهم الريادة في السبق إلى أبحاث وموضوعات اهتم بها بعدهم علماء علم النفس المحدثون.

تكلم ابن سينا عن **قوى النفس**، وابن حزم في أصلها، والغزالي عن **أهمية دور المراهقة** وخطره، وتكلموا عن **أثر العوامل النفسية في الجسم وأمراضه وشفائه**، واستخدموا **طرق علم النفس في علاج الأمراض**، وتكلموا عن **الحفظ والذاكرة والنسيان والتعب**، وأهمية **الراحة والترويح عن النفس.**

ولا تزال أبحاث علماء المسلمين في علم النفس محل احترام الباحثين والدارسين على السواء.. ولكن من الحق أيضاً أن يعترف بأن هذه البحوث والدراسات منثورة في كتبهم، وهي في حاجة إلى جمع وترتيب وتبويب وتصنيف وفهرسة حتى يسهل الاطلاع عليها. وهو أمر نرجو أن تجدّ فيه جامعاتنا وكليات التربية فيها على وجه الخصوص للقيام بهذه المهمة».

علم النفس والفلسفة

ويدلي الدكتور عابد توفيق الهاشمي، الأستاذ المشارك بكلية الآداب بالجامعة المستنصرية ببغداد، برأيه حول علم النفس بمعناه المعاصر ولدى علماء المسلمين فيقول:

«إن علم النفس بمعناه المعاصر، هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني بمنهج البحث العلمي، الذي تتبعه العلوم الطبيعية **كالفيزياء والكيمياء**... والذي يعتمد على الملاحظات المنظمة والتجارب المضبوطة، لا على التأمل والبحث والملاحظات العارضة، كما لا يعتمد على ما يجري على ألسنة الناس من قصص وأساطير عن السلوك الإنساني، وليس علماً للنفس كذلك فلا يشغل بماهيتها أو نشأتها أو مصيرها، ولا شأن له بالروح ولا بالفلسفة، ولا يعنى بالبحوث الروحانية وما وراء الحس.

إن علم النفس بهذا المعنى لم يكن معروفاً لدى علماء المسلمين في الماضي، بل كان ممتزجاً بالفلسفة، وكان يعنى **بالنظريات الجدلية الفلسفية** المحضة في **النفس والروح** والاختلافات فيما بينها، وتأثر إلى حد كبير **بالفلسفة اليونانية**، لا سيما فلسفة **أرسطو** الملقب بأبي علم النفس، كذلك عُني علماء النفس المسلمون بمحاولاتهم دراسة الإنسان من خلال **النصوص القرآنية والأحاديث النبوية**، وقد أجادوا في كثير منها، وأخطأوا في بعضها في مجالات فهم النص وفهم الوسائل العملية لممارسة النص، كما أخطأوا في الاعتماد على كثير من الأحاديث النبوية التي لم تثبت صحتها، ومع ذلك فلقد كان الخط العريض لفهم الإنسان ـ صحته وسقمه وعلاجه بمستوى عال ـ يتفق مع أعلى ما وصلت إليه الدراسات الإنسانية في علم النفس الحديث.

ولقد أسهم الكثيرون من علماء النفس المسلمين في تطوير هذا العلم ولا سيما الإمام الغزالي وابن تيمية وابن القيم، وغيرهم كثير».

عالم النفس المسلم

ومن الولايات المتحدة الأميركية تحدث الدكتور محيي الدين عبد الشكور، أستاذ علم النفس بجامعة ولاية نيويورك، ملخصاً رأيه فيما يلي:

«إن عالم النفس المسلم يجب أن يكون مسلماً أولا، ثم يأتي العلم في المرتبة الثانية، وأرى أنه **يجب أن يجتمع العلماء المسلمون في كافة أنحاء العالم، وعلى فترات غير متباعدة لمعالجة هذا الموضوع، والبحث فيما خلفه لنا العلماء المسلمون الرواد في مجالات علم النفس وسائر العلوم.**

ويجب أن تشمل مثل هذه اللقاءات علماء في الدين بمختلف فروعه، وعلماء في مجالات الحياة الأخرى، ومنها علم النفس، لأن العلوم متشابكة ومرتبطة ببعضها البعض.


★ د. عبدالرحمن السبيت ★


★ د. عبدالحميد الهاشمي ★


★ د . عابد توفيق الهاشمي ★


★ د . فاروق محمد صادق ★


★ د . عبدالله الطيب ★


★ د . محي الدين عبدالشكور ★

إن على علماء المسلمين اليوم أن يجمعوا بين ما توصل إليه من سبقوهم من أفكار ونتائج في مجالات النفس البشرية المختلفة ، وبين ما يتفق مع ديننا الحنيف من العلوم المعاصرة » .

دعوة لدراسة مؤلفات علماء المسلمين

أما الدكتور عبد الله الطيب ، من السودان ، الأستاذ الممتاز بجامعة الخرطوم ، وأستاذ التعليم العالي بكلية الآداب ، بجامعة محمد بن عبد الله بفاس في المغرب حالياً ، يشارك برأيه قائلا :

« كان **الشعر** ، علم العرب في **الجاهلية** ، ولم يفقد كل ما كان عليه من منزلة بعد الإسلام لمقال **رسول الله** ﷺ : « إن من الشعر لحكمة » فينبغي أن يهتم العاملون في ميدان علم النفس بجمع ما للشعراء من حكم داخلة في صميم علم النفس ، من ذلك على سبيل المثال :

لا . . . العير والمكواة تأخذه قد . . . والمكواة في النار

محل النقط كلمة تدل على الصوت عند الحدث ، وضع مكانها « يجزع » ليستقيم الوزن وههنا معنى تجربة « **بافلوف** » ، الدالة على العمل العكسي المعدل كاملة ، إلا أن ههنا موضوع التجربة حمار لا كلب . . ولا أريد أن أطيل في هذا الباب ، ولا أقدر على ذلك في هذا المجال فهو باب واسع .

في الإسلام أقبل الناس على تعلم الدين من علمائه ، فقرأوا **القرآن الكريم** ، ورووا **الحديث** ، ودرسوا **التفسير والفقه** وهلم جرا ، **وعلى الباحثين في ميدان علم النفس أن ينظروا في كتب الفقهاء فإنهم قد تناولوا كثيراً مما يدخل في أبواب علم النفس الاجتماعي ، وكذلك في ما يتعلق بالأفراد** ، وأضرب لذلك مثلين ، الرجل الذي يوصي عند إحساس قرب الموت أو في مرض الموت ، والرجل الذي يغلب عليه الشك بالنسبة للطهارة ، وللفقهاء تعرض لأصناف مما يقع في حياة الأفراد والجماعات من الاضطراب النفسي ونظرات دقيقة ثاقبة من لدن أوائلهم كما في **مدونة مالك** إلى المتأخرين **كشراح الحواشي والمتون** ، وهذا أيضاً باب واسع وما أكثر ما يرد فيه الأسماء ، أسماء الكتب والرجال ، ومما يلحق بهذا الباب **علم الحديث** وما أفاض فيه العلماء من أمر التعديل ، ثم أسلوب شرح الأحاديث نفسها ومعالجة مسائل الخلاف ورد بعض ذلك إلى ما يعتلج من أحوال النفوس ، **فأرى ألا يغفل المتخصصون في علم النفس عن النظر في تاريخ البخاري ومقدمة مسلم وما ذكره ابن حجر والعيني في المقدمات وأصناف الشروح .**

وقد تناول أوائل الكتّاب أمثال ، ابن المقفع وعبد الحميد والجاحظ مسائل هامة متعلقة بالنفس والأخلاق ، وللجاحظ خاصة عجائب في هذا الباب ، أنظر مثلاً رسالته العثمانية ، وكتابي الأدب الكبير والصغير ، وكليلة ودمنة لابن المقفع . وكذلك رجال التصوف أمثال **المحاسبي والغزالي والمكي أبي طالب** . . وحسبي هذا القدر الآن »

علم النفس قديماً وحديثاً

من سوريا يتحدث الدكتور عبد الحميد الهاشمي ، أستاذ ورئيس قسم علم النفس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ، شارحاً قدم علم النفس ومساهمات العلماء المسلمين فيه :

« الواقع هذا بحث طويل ، ولكني أقول بايجاز إن علم النفس قديم حديث ، قديم حاولت الإنسانية منذ أوائل عهدها بالحياة أن يفهم الإنسان نفسه وأن يفهم ما حوله . وحديث لما استطاع أن يصطنعه من وسائل وأجهزة واختبارات .

والعلماء المسلمون ساهموا مساهمات كبرى ، وكان الفضل في ذلك للقرآن الكريم ، ذلك أن القرآن الكريم لمس لمسات ، وذكر مواقف نفسية رائعة في تصوير النفس الإنسانية . لنأخذ مثلاً ،**قصة ابني آدم** ، إذ قربا قرباناً ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، موقف يمثل الحسد ، وكيف كانت أول جريمة على الأرض هي جريمة قتل دافعها مشكلة نفسية ، أزمة نفسية دافعها الحسد بين شقيقين .

كذلك يصور لنا الإسلام مواقف الغيرة ، ومراحلها ، مبادئها ، وآثارها ونتائجها ، في **قصة يوسف عليه السلام مع إخوته .**

والعلماء المسلمون أسهموا مساهمات كبرى أذكر منهم الإمام الغزالي ، ولا سيما في كتاب إحياء علوم الدين ، وأذكر ابن الجوزي في كتاب الأذكياء ، وأذكر أيضاً بالتأكيد ابن طفيل الأندلسي الطبيب القيسي ، في كتابه حي بن يقظان ، الذي يعتبر الرائد للكتاب الذي يفتن به علماء النفس المحدثون أمثال ، جان جاك روسو في إميل .

وهناك كتب كثيرة في الواقع قدم فيها علماؤنا الأوائل آراء عن **الذكاء** ، وعن **المعرفة والعواطف والإدراك والحواس** ، وعن **العمليات العقلية في الدماغ** ، ولا سيما العالم المسلم الشهير **ابن سينا** ، الذي كانت له صولات وجولات في هذا المجال » .

ريادة علماء النفس المسلمين

ويدلي الدكتور فاروق محمد صادق ، رئيس قسم علم النفس ، بكلية البنات الإسلامية ، بجامعة الأزهر بالقاهرة ، برأيه حول دور علماء المسلمين في نشأة علم النفس المعاصر قائلاً :

« في الحقيقة أن علماء المسلمين كان لهم دور كبير في نشأة كثير من فروع العلوم الحديثة وتطوير العلوم المعروفة ذلك الوقت ، وأكبر فضل للعرب كان **تطوير المنهج العلمي والتجريبي** ، في كثير جداً من فروع العلوم ، حتى **اللغوية والأدبية والسلوكية** ، ولدينا أمثلة كثيرة جداً في (العلوم الطبيعية مثل ، **جابر بن حيان** في الكيمياء ، **والرازي** في الفيزياء ، وفي العلوم الأخرى .

ولو نظرنا لعلم النفس بمعناه المعاصر ، لوجدنا أن كثيراً من المفاهيم الأساسية قد ناقشها علماء المسلمين ، بالطبع دون أن تناقش بطريقة تجريبية معروفة كما هو متبع الآن . فمثلاً ، عن طريق دراسة **القرآن الكريم والسنة** ، نجد أن هناك كثيراً جداً من التقسيمات عن **الذات** وعن **النفس** ، هذه التقسيمات أخذها علماء المسلمين وحاولوا وضع نظريات لها .

أيضاً ثقة الإنسان في الله سبحانه وتعالى ، وثقته في نفسه ، كانت محوراً لدراسات وتنظيمات نسق ، وتخطيطات محددة من بعض علماء المسلمين ، وهذه الدراسات لو أردنا أن ننظر إليها نظرة عامة لرتبناها ترتيبات بسيطة دون تعمق .

إن معظم الدراسات حول الحس والإحساس والإدراك قام بها كثير جداً من العلماء المسلمين ، من أيام الغزالي وابن سينا .. الخ .

ومهما تشدق أهل علم النفس المعاصرين وخرجوا بنظريات حديثة مثل **التعلم الشرطي أو التعلم بالاقتران** ، أي إن الإنسان ، عندما يقترن فعل بفعل آخر ، ممكن أن يقوم بالفعل الآخر في غياب الفعل الأول ، فقد وجد أن هذه الأمور قد درست بواسطة **الغزالي** عن عمق ، حتى أنه استحدث لها بعض المصطلحات إلى الآن ما زلنا نتعمق في دراستها ، ولم نصل بعد إلى نفس العمق الذي اتجه إليه الغزالي . نحن قد اتجهنا تجريبياً حسياً ، وهو اتجه فكراً وعمقاً ، أي نظرياً .

أيضاً بجوار هذا نجد **ابن خلدون** ، قد وضع أسس كثيرة جداً لقواعد **التكيف الاجتماعي والتكيف النفسي** في المجتمع ، **ونظام الأسرة وعلاقات الجماعات ببعضها** البعض في المجتمع الواحد ، وأن مقدمة ابن خلدون لتعتبر ثروة لكل من يدرس علم النفس المعاصر ، وخاصة **علم النفس الاجتماعي .**

وهناك دراسات أخرى كثيرة في **العمليات العقلية والتفكير** ، ومع الأسف أننا لم نعطها حقها الكافي من الدراسة المتعمقة ، بل تركنا الفكر الأصيل الذي ينتمي إلى القرآن الكريم والسنَّة ، واتجهنا إلى التفكير التجريبي الذي يعتمد على الملاحظة والحس والاستنباط المباشر عن طريق الحواس المحدودة .

ويكفي أن أقول إن علماء النفس المسلمين الأوائل ، حين درسوا العلوم السلوكية اتجهوا بعمق إلى التفكير في سلوك الإنسان ونفسيته على ضوء ما جاء بالقرآن الكريم والسنة ، ولكن علماء النفس المحدثين اتجهوا أكثر إلى النواحي التجريبية وليس الى النواحي النفسية والروحية .

وخلاصة القول ، أرى أن علماء المسلمين الأوائل الذين درسوا علم النفس قد تركوا تراثاً يجب علينا أن نبدأ من جديد في دراسته ، وتدريسه لأبنائنا في المدارس والكليات ، **ونخرج من كل هذا** إلى ما يمكن أن يسمى « علم النفس الإسلامي » .

آثار فلاسفة المسلمين

ويوجز الدكتور عبد الرحمن السبيت ، وكيل كلية التربية بجامعة الرياض ، بالمملكة العربية السعودية ، وعضو هيئة التدريس بقسم علم النفس بها ، رأيه قائلاً :

« إن دخول علم النفس إلى مجموعة العلوم لم يتم إلا حديثاً ، فهو لم ينفصل عن شجرة الفلسفة إلا في أواخر القرن الماضي ، وعليه فإن **علم النفس كان جزء من الفلسفة .**

وكثير من فلاسفة المسلمين ومفكريهم لهم منزلة جليلة في تراث الإنسانية الفكري ، بما في ذلك بعض الآراء والأفكار النفسية ، فمع أن هؤلاء المفكرين لم يكونوا علماء نفس بالمعنى المعروف حالياً ، إلا أنهم أضافوا إلى الفكر الإنساني ، حين تطرقوا في كتاباتهم إلى كثير من **المبادىء والآراء النفسية .**

وعلى سبيل المثال ، فقد تطرقوا إلى مبدأ الثواب والعقاب ، والفروق الفردية ، ومراعاة استعدادات الطلاب في العملية التربوية .

كذلك قاموا بدراسة بعض **الظواهر النفسية** المختلفة كالإحساس والإدراك .

ومجمل القول ، إن هؤلاء الفلاسفة أمثال ، الغزالي وابن سينا وابن خلدون ، قد خلفوا لنا آثاراً لها أهمية كبيرة في تاريخ علم النفس .

تعقيب

من خلال الآراء المطروحة في هذه الندوة ، يتبين أن دراسات وأفكار ونظريات علماء الإسلام ، في مجالات النفس الإنسانية لم تنل حظها الكافي من الدراسة والتمحيص مع وجود دراسات رائدة لبعض العلماء المسلمين الأوائل مثل ، (الإمام الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين ، ابن الجوزي أبو الفرج في كتابه الأذكياء ، الشيخ الطبيب ابن سينا في أحوال النفس ، ابن طفيل الطبيب الأندلسي في حي بن يقظان) .

والمتأمل في كتابات علماء الإسلام في موضوعات علم النفس يجد أفكاراً وآراء ، ربما تكون نظرية بعض الأحيان ، إلا أن التجارب الميدانية في علم النفس أثبتت أصالة هذه الآراء والأفكار صدقها ، مما يدلنا على أن تفكير هؤلاء العلماء كان من العمق بحيث يجاري ، إن لم يفق كثيراً من الأفكار المعاصرة ، ولذا فمن المفيد وحتى تعطى لأفكار العلماء المسلمين حظها من التحقيق والدراسة لتتبوأ مكانتها اللائقة ، أن ننظر إلى الموضوعات الواقعة في دائرة علم النفس المعاصر ، وآراء وأفكار ونظريات العلماء المسلمين مثل ، موضوع التعلم ، والتفكير والإدراك والحفظ ، والاستظهار ، والعادات من حيث اكتسابها وتثبيتها والاقلاع عما هو غير مرغوب فيه ، وذلك لنحدد ما يمكن أن يكون منها موضوعاً لدراسة تجريبية تهدف إلى تحقيق أفكارهم ونظرياتهم .

ومن جهة أخرى يجب أن يكون القرآن الكريم وما ورد به من توجيهات وتحديدات وأوصاف حول النفس الإنسانية ، هي أساس الدراسات النفسية ، كما يجب الاهتمام بالفكر الإسلامي بصفة عامة ، وخاصة في موضوع علم النفس الذي يعتبره البعض من العلوم الحديثة ، في حين أن جذوره قد وجدت في أفكار وآراء ونظريات العلماء المسلمين » .



بمناسبة

عام الطفل

«يتمتع الطفل بالحق في التعلم ، ويكون التعليم مجانيا إلزاميا على الأقل في مراحله الأولى ، ويستهدف رفع ثقافة الطفل العامة ، وتمكينه على أساس تكافؤ الفرص من تنمية قواه وتفكيره الشخصي ، وشعوره بالمسؤولية الأدبية والاجتماعية ، ومن التطور إلى عضو مفيد في المجتمع . وتعتبر مصلحة الطفل العليا هي المبدأ الذي يسترشد به المسؤولون عن تعليمه وتوجيهه وفي طليعتهم والداه» .

المبدأ السابع من الإعلان العالمي لحقوق الطفل
الصادر عن الأمم المتحدة في ١٩٥٩/١١/٢٠م

نحو ثقافة عربية لأطفالنا

بقلم : عبدالرحمن شلش

ثروة قومية هائلة

لقد أقرت **الأمم المتحدة** عام ١٩٧٩م ، سنة دولية للطفل بمناسبة مرور عشرين عاماً على إصدار الإعلان العالمي لحقوق الطفل .

وتعتبر هذه الخطوة عملاً جليلاً على طريق رعاية الطفولة ، إذ تستهدف بالدرجة الأولى رفع مستوى الحقوق المكفولة لها ، إلى جانب مضاعفة الخدمات الواجب تقديمها لأطفال العالم .

وإذا كان العالم احتفل من قبل بمناسبات مماثلة **كالسنة الدولية للكتاب ، والسنة الدولية للمرأة** ، فإن المناسبة الحالية يجب أن تنال قدراً كبيراً من اهتمامنا بثقافة أطفالنا العرب . وتلك مسؤولية المؤسسات الثقافية في الوطن العربي ، ومسؤولية الجيل المعاصر من مثقفينا .

إن أطفالنا ، أو بسمات حياتنا ، يشكلون ثروة قومية هائلة لا تدانيها أية ثروة أخرى إذا ما أوليناهم الاهتمام اللازم والعناية الكافية من حيث التكون الجسمي والنفسي والعقلي . وهم أمل المستقبل وصناعه ، فسعادة أسرهم في سعادتهم ، **والأسرة السعيدة هي أسرة عرفت كيف تربي أطفالها تربية جيدة ، وتأخذ بأيديهم ليصبحوا عناصر بناءة في المجتمع .**

وثقافة الطفل جزء من مهمة الأسرة والدولة معاً ، لأن الأطفال أمانة في أعناق آبائهم وأمهاتهم وحكوماتهم .

ولا شك أن الطفولة أهم المراحل التي تمر بها حياة الإنسان ، ففيها تكون قابليته واستعداداته شديدة التأثر بكافة العوامل المحيطة به .

وباختصار يتأثر الطفل بكل ما حوله في البيئة من ظروف روحية ومادية .

ومن هنا تبرز أهمية **السنوات الخمس الأولى** في تشكيل شخصية الإنسان ، مما يجعل هذه المرحلة تترك بصماتها على شخصيته طيلة حياته .

والثابت علميا أن الطفل حتى سن الخامسة يكون أكثر استعدادا وميلا للتقبل والتعلم والابتكار ، فهو يرى ، ويسمع ، ويفهم ، ويتذوق ، ويتساءل على قدر نمو مستواه الادراكي والعقلي ، ويحاول اكتشاف العالم الذي يعيش فيه من خلال الأدوات التي تتوفر له ، وتكون في مستوى تفكيره .



★ تشكل السنوات الأولى للطفل ، شخصيته وتضع بصماتها على هذه الشخصية طيلة الحياة ★

وبالتالي ، فإن مرحلة الطفولة ليست أهم مراحل الإنسان فحسب ، بل أخطرها على الاطلاق بوصفها تكوّن شخصيته .

وهكذا تتضح لنا أهمية ثقافة الطفل في هذه المرحلة ، فالثقافة العربية ضرورة من أهم ضرورات الحياة لأطفالنا . . وهذا ما سنتناوله بالبحث والدراسة في هذا الموضوع .

فداحة التقصير

إذا عرفنا أن نسبة تعداد الأطفال في الوطن العربي إلى مجموع عدد السكان هي ٤٣٪ ، وعرفنا أن ما تنفقه الحكومات العربية على هؤلاء الأطفال يمثل ٠,٠٣٪ من ميزانياتها حسب دراسات الأمم المتحدة حول الطفولة في وطننا العربي[1] ، تبين لنا فداحة التقصير في حق أطفالنا .

ويجدر بنا أن نتعرف على بعض من اهتمام دول العالم بأطفالها .

ففي **إنجلترا** ثار أحد علمائها وحمل حملة شعواء على الحكومة حين رفعت مرة سعر (**الشيكولاته**) وصرخ يقول : « **قد تضطرنا الظروف لتوزيع الخبز بالبطاقات ونحن نقبل ذلك عن طيب خاطر ، وقد تسن الحكومة بعض القوانين التي قد تحد من حرية الكبار ونحن نقبل ذلك راضين . . لكننا نثور ونرفض أي قيد يمس سعادة الأطفال ورفاهيتهم** »[2] .

وفي **أميريكا** يجتمع في كل سنة مؤتمر المعنيين بالطفولة ، وكان الرئيس السابق **ريتشارد نيكسون** حريصاً على أن يحتفظ بعضوية المؤتمر والاسهام في جهوده برغم مهامه ، وكان من بين حديث له في افتتاح المؤتمر الحادي والعشرين قوله : « **يجب أن تكون الطفولة هي حجر الأساس في بناء مجتمعنا ، ويجب أن تتوافر لكل طفل عندنا عزته وكرامته ، وأن يتأكد فيه احترامه لنفسه وذاته ، حتى يشب محبا لبلده ، محبا للانسانية كلها ، وأن يمتلىء قلبه بالوفاء لوطنه ، وبالشعور بالانتماء إليه . . إذ يحس أن وطنه قد حقق له كل العزة والكرامة ، ولبى له كل حاجاته ، فاستحق منه بذلك كل الاخلاص والتقدير والحب** »[3] .

وفي **روسيا** يقول كبير الخبراء في التربية ورعاية الطفولة : « لقد ألغت بلادنا الألقاب والامتيازات ، ولم يعد لدينا أباطرة ولا قياصرة ، لكنا نؤكد دائماً أن في بلادنا قيصراً واحداً سيظل يتمتع بكل الامتياز والتقدير . . وذلك هو الطفل »[4] .

تلك ملامح من اهتمام بعض دول العالم بالطفل ، وتبين لنا مدى ما يقدم له من رعاية وعناية .

ومن المؤسف أننا لم نستطع أن نوفر كامل الرعاية والعناية لأطفالنا .

فلا يكفي أن تكون لدينا مراكز قليلة تعجز عن تقديم رعايتها وعنايتها للملايين من الأطفال العرب في وقتنا الحاضر .

ولا يكفي أن يكون عندنا عيد للطفولة توزع فيه الحلوى والهدايا التي ترسم الفرحة على وجوه البراعم الجديدة ليوم واحد أو لعدة أيام .

ولا يكفي أن تقام الاحتفالات والاجتماعات والمؤتمرات التي تقدم لهم كلمات لا تغني ولا تسمن من جوع .

أهم الوسائط

تتمثل ثقافة أطفالنا في وسائل أو وسائط متنوعة ، وهي : **الكتاب ، والجريدة ، والمجلة ، والاذاعة المسموعة والمرئية ، والمسرح ، والسينما ، والمعارض ، والمتاحف** ، وغيرها من الوسائط الثقافية التي تنقل ألوان الثقافة إلى الطفل .

وسنقتصر تناولنا على أهم هذه الوسائط الثقافية حتى لا يطول حديثنا :



★ الكتاب له دوره الكبير في التثقيف ، حيث يمنح الطفل مجالا للتخيل ★

١ ـ الكتاب

يشكل الكتاب أول وسيط ثقافي عرفه الإنسان منذ أقدم العصور ، وما زال للكتاب أهميته حتى الآن لما في القراءة من سحر وجاذبية بوصفها أعظم متع الحياة .

وليست القراءة ترفاً ، بل إنها ضرورة ، ولا غنى عنها لأي إنسان سواء كان كبيراً أم صغيراً .

ويقوم الكتاب بدور كبير في تثقيف الطفل ، لأنه يحتوي على زاد ثقافي ينمي لديه عادة القراءة ، والتخيل ، والاستيعاب مما يرفع من شأن ثقافته .

ولا أحد ينكر قيمة الكتاب الذي يجد فيه الطفل امتاعاً فكرياً ووجدانياً يصقل قدراته العقلية ، **فالكتاب جسر إلى القيم والمثل التربوية والحضارية وإلى المبادىء والتراث ، فهو ينقل إلى الطفل كل ذلك بأسلوب واضح مبسط ، وبشكل فني جذاب .**

والكتب والمكتبات مواطن للمعرفة ، ومنابع لا تنضب للثقافة .

وعلينا أن نعنى بطباعة كتاب الطفل وحسن إخراجه وتوزيعه على مستوى الوطن العربي الكبير ، وأن نهتم بابراز دور العرب الحضاري في تاريخ البشرية من خلال قصص إنسانية تشد أطفالنا دون اللجوء إلى ترجمة قصص المغامرات المسلية والمفسدة معا ، وكلها كتبت لبيئات تختلف تماما عن بيئاتنا العربية .

إن هناك فراغا في كتب الطفل في المكتبة العربية ، ولئن كانت لدينا بعض الكتب للأطفال ، فهي قليلة ، ولا تسد هذا النقص الذي تعاني منه مكتبتنا في هذا المجال الهام .

ودور النشر العربية مقصرة في طباعة كتب ثقافية جادة تشبع نهم أطفالنا للقراءة المفيدة في شتى موضوعات العلوم والفنون والآداب .

ونتساءل : لماذا لا تضاعف هذه الدور من اهتمامها بكتب الأطفال مثلما تهتم بكتب الكبار ؟



★ ألعاب التسلية . . ، من الوسائل الهامة لتنمية مواهب الطفل . . وتحديد اتجاهه ★

٢ ـ الجريدة والمجلة

هما من أهم وسائط ثقافة الطفل ، إذ تنقلان الكلمة والصورة إليه ، وتشاركان بدور مماثل للكتاب في تثقيفه .

فالجريدة اليومية ، والمجلة الأسبوعية أو النصف شهرية أو الشهرية ، دعائم قوية تسهم في إيجاد صحافة جادة لأطفالنا .

ولكن من المؤسف والمخجل أنه لا توجد لدينا حتى الآن جريدة يومية للطفل العربي .

وإذا كانت لدينا مجموعة من المجلات الخاصة بالأطفال تصدر في بعض الأقطار العربية ، فإنها لا تعدو أن تكون أكثر من محاولات تسعى لمخاطبة عقل الطفل العربي ووجدانه ، ولكنها لا تصل إلى كافة أطفالنا .

وتدعونا الحاجة إلى وجود جرائد يومية عربية ، فضلاً عن مزيد من المجلات ، حتى تلبي رغبة أطفالنا في صحافة عربية عصرية متطورة .

وأما **الترجمات الحرفية** لمجلات الأطفال الأجنبية مثل (**سوبرمان**) و (**لولو**) و (**الوطواط**) ، فإنها لا تصلح لأطفالنا الذين يعيشون في بيئات عربية مختلفة عن البيئات التي يعيش فيها الأطفال غير العرب .

٣ ـ الاذاعة المسموعة والمرئية

نعني بها **الراديو والتليفزيون** ، وهما من أخطر وسائط ثقافة الطفل بفضل سرعة تأثيرهما ووصولهما إلى الإحساس والوجدان .

فالإذاعة بشقيها المسموع والمرئي صارت الآن تدخل معظم بيوتنا ، إن لم يكن كلها ، فتخاطب الجميع كباراً وصغاراً من خلال برامجها الكثيرة التي تؤثر غالبيتها على نفسية أطفالنا وشخصيتهم .

ومن هنا اتجهت الهيئات المسؤولة عن الإذاعة إلى تخصيص برامج معينة كي يستمع إليها الطفل العربي ويشاهدها .

وبعض هذه البرامج ليست جيدة من حيث الإعداد السليم ، وتحتاج إلى تطوير . كما أن الحاجة ماسة إلى برامج عربية جديدة تفيد أطفالنا .

٤ ـ المسرح

يعتبر مسرح الطفل عالماً كاملاً مستقلاً ، فدراما الأطفال تختلف عن دراما الكبار ، حيث لها طابعها الخاص المميز .

يقول **مرسي سعد الدين** في مقال له حول مسرح الأطفال : « إذا درسنا نمو الطفل منذ ولادته لوجدنا فيه العناصر التي تكوّن الدراما في الحركة والصوت والبكاء والضحك والايقاع : حركات الأيدي والأرجل في المرحلة الأولى ، والمشي وملاحظة العالم ، ثم الدخول في الجو العائلي أي في النشاط الجماعي المشترك . وكل مرحلة من هذه المراحل تخلق في الطفل جزء من أخلاقه وطباعه المستقبلة ، فمغامرات المشي والحديث تخلق الثقة في نفس الطفل وتمنحه قوى جديدة ، وبمجرد أن يكتسب الطفل هذه القوى ويبدأ في استعمالها فتظهر مقاومته للكبار »[٥] .

وكتابة مسرحية الطفل فن قائم بذاته ، وينبغي أن نراعي فيه نفسية الأطفال وعقليتهم ومدى ادراكهم .

ويجب أن تكون مادة هذا النوع من المسرح نابعة من ديننا ، وتاريخنا ، وظروفنا ، وليست مستمدة من الخارج .

ويستهدف هذا المسرح تكوين جيل له ثقافة مسرحية عربية تؤهله كي يصبح متذوقاً للعروض المسرحية الخاصة بالكبار عندما يشاهدها فيما بعد .

٥ ـ السينما

تلعب السينما دوراً هاماً في ثقافة الطفل ، فهي مصدر من مصادر معلوماته وخبراته التي يكتسبها من خلال الصورة التي يشاهدها أمام عينيه مجسدة في شكل محسوس تعكس له مناظر من الحياة وعالم الحيوان والنبات والطيور .

وأصبحت قصص أفلام الأطفال تجيء محل الحكايات التي كانت تحكيها لهم جداتهم وأمهاتهم قبل النوم عن الساحرة العجيبة ومغامراتها .

وكانت هذه الحكايات تشد اهتمام الأطفال ، وتشحذ خيالهم لما فيها من سحر وجاذبية ، ولكنها في الوقت ذاته كانت تمثل خطراً على نفسية الطفل لما تزرعه فيها من خوف ورهبة .

ولم تعد الحكاية المسموعة هي شاغل الطفل الوحيد في وقتنا الحاضر ، بل أضيفت الصورة إلى جانب الكلام المكتوب في شكل كتاب مصور أولا ، ثم لم تلبث الصورة أن تحركت في شريط سينمائي من الأفلام العلمية القصيرة التي تخاطب عقول الأطفال .

ويشعر الطفل بمتعة بالغة حين يجلس كي يشاهد هذه الأفلام التي تستهدف توسيع دائرة ثقافته .

وليس كل ما يقدم من سينما الأطفال بالخارج ، صالحا لتقديمه لأطفالنا العرب .

وهذا يجعل إنتاج سينما عربية شكلاً ومضموناً لأطفالنا ، ضرورة ملحة من أجل النهوض بجانب من جوانب ثقافة الطفل .

اعتبارات رئيسية

ومن الأمور المتفق عليها أن مجالات ثقافة الطفل تختلف وتتباين سواء كانت قصة أم مسرحية أم فيلماً أم أغنية ، أم غير ذلك .

وينبغي أن تضيف هذه المجالات جديداً إلى عقلية الطفل بما تجمع بين المعلومات العامة والحقائق العلمية التي تترك تأثيراً في وجدانه .

ومن الضروري أن تحمل هذه المجالات مضمونا إنسانيا ذا انطباع أخلاقي في نفسية المتلقي .

ويجب أن نراعي ألا يكون ما يقدم من ثقافة للطفل ليست بقصد التسلية ، بل المهم أن يكون الهدف أولا وأخيراً هو المتعة والافادة .

إن الأطفال هم جمهور عريض مّن المتلقين الذين يقبلون على وسائل نشر الثقافة وتحقيقها للاستزادة بالمعلومة والصورة الجذابتين .

وأول ما يجب أن يعرفه المهيمنون على ثقافة الطفل العربي ، هو الجمهور الذي يكتب له ، وهم الأطفال الذين يتفاوتون في المستويات النفسية والعلمية واللغوية ، بالاضافة إلى المستويات البيئية والاقتصادية والحضارية .

وإذا لم يراعوا هذا التفاوت في المستويات ، فإن جهودهم تصبح عبثاً ، ومن الممكن أن تأتي بنتائج عكسية .

ولا جدال أن هناك **اعتبارات رئيسية** يجب أن تخضع لها ثقافة الطفل ، وقد حددها **أحمد نجيب**[٦] ، ويمكننا الاشارة إليها :

(أ) الاعتبارات التربوية :

تعد الكتابة للأطفال أياً كان نوعها ، لوناً من التربية على جانب كبير من الفعالية والتأثير ، وبالتالي فإن **كاتب الأطفال يعد مربيا بالدرجة الأولى قبل أن يكون مؤلف قصة أو رجل مسرح أو سينما** . ويجب أن تحتل هذه الاعتبارات مكان الصدارة في أي عملية موازنة بينها وبين غيرها بحيث لا يمكن التضحية بها ـ ولو بصورة جزئية أو مؤقتة ـ في سبيل تحقيق حبكة قصصية ممتازة أو في سبيل الوصول بالحدث المسرحي إلى قمة درامية مثيرة .



★ الرسم ، إحدى الوسائل التي تعطي الطفل مجالا للتخيل .. والابداع واكتشاف قدراته المستقبلية ★

★ طفل .. ونظرة للمستقبل .. ماذا يفعل الكبار للصغار ؟ ★



(ب) الاعتبارات الفنية العامة :

والمقصود بها **القواعد الأساسية في فن الكتابة** بصفة عامة سواء أكان الإنتاج الأدبي قصة أو مسرحية أو أغنية أو صورة فنية .

(ج) الاعتبارات الفنية الخاصة :

وهي الخاصة بنوع **الوسيط** الذي ينقل الثقافة إلى الأطفال ، وقد يكون **كتابا** أو **مسرحا** أو **أسطوانة** أو **فيلما** سينمائياً أو **جريدة** يومية أو **مجلة** أسبوعية أو شيئاً آخر ، ولكل وسيط ظروفه وامكاناته الخاصة التي يجب أن تراعى ، وتقديم العمل **الفني** الواحد يختلف من وسيط إلى آخر .

خطة طموح

إننا نتطلع إلى ثقافة عربية في المحل الأول لأطفالنا الذين يشكلون ما يقرب من نصف تعداد العرب ، ثقافة عربية تضع في اعتبارها التراث الفكري الاسلامي العربي ، على أن تكون ثقافة موجهة تدعمها الأسرة والمدرسة ، وتقدم لها الهيئات المختصة الوسائل والامكانات اللازمة .

ونرى أن تتحقق هذه الثقافة العربية للطفل من خلال وضع خطة طموح على المستوى العربي ، أي لا تكون خطة محلية ، بل قومية تشارك في إعدادها وتنفيذها **الحكومات والهيئات العربية .**

ويترك أسلوب التنفيذ لكل قطر عربي على حدة حسب ما تتطلبه البيئة والظروف .

ونتصور أن يبدأ تنفيذ هذه الخطة منذ تكوين الطفل في بطن أمه ، وبعد ولادته ، إلى أن يتم مرحلة الطفولة ، ثم نتعهده بالرعاية في ظل خطط أخرى حتى نقدم مواطناً عربياً سليماً ، صحيحاً ، سوياً ، معافى .

والبرامج التي تحقق التثقيف لبراعمنا الجديدة المتفتحة كثيرة ومتعددة .

فالطفل العربي في حاجة إلى وسائل عصرية تنمي من ذكائه ، وترفع من ثقافته ، وتسهم في بناء شخصيته بناء جيداً . فمنها الكتب والصحف والمجلات والمسرح والسينما والإذاعة والزيارات العلمية ولعب الأطفال والمعارض والمتاحف .

ولا ننسى دور الأم والأب ، فهما يشاركان بدور على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، وعليهما أن يشرفا على تربية طفلهما وتثقيفه إشرافاً تاماً .

وليست تربية الطفل قاصرة على الأم وحدها ، وكذلك ثقافته ، بل هي مسؤولية الأب كذلك .

وإذا كانت مشكلة الطفل في الماضي متعلقة بالمرأة ، فإنها الآن أصبحت تتعلق بالرجل أيضاً .

وهكذا ينبغي أن نهتم بايجاد ثقافة عربية متكاملة وفق قيمنا الروحية وتراثنا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا الأصيلة .

الهوامش

(١) جمال أبو رية . ثقافة الطفل العربي . سلسلة كتابك . دار المعارف بالقاهرة ، ١٩٧٨م ، ص (٧) .

(٢) المصدر السابق ، ص (٥) .

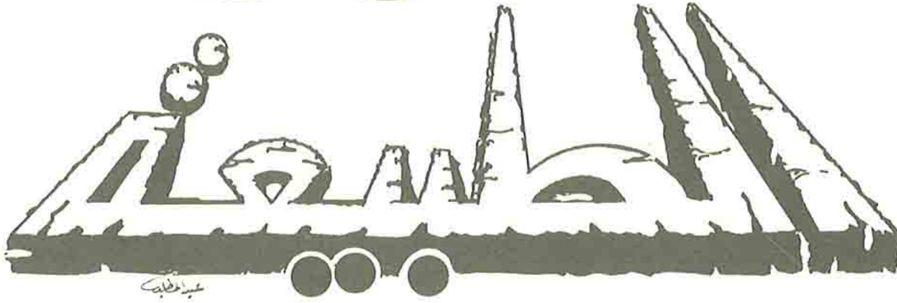
(٣) المصدر السابق ، ص (٤ ، ٥) .

(٤) المصدر السابق ، ص (٥) .

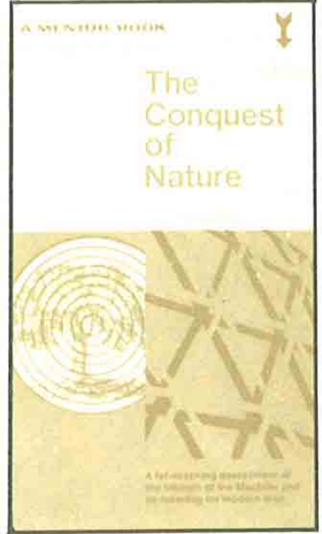
(٥) مجلة المسرح القاهرية ، العدد (٤٥) سبتمبر ١٩٦٧م ، ص (٤٥) .

(٦) في كتابه : فن الكتابة للأطفال . دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة ، ١٩٦٨م ، ص (٢٥) وما بعدها .





رحلة في



كتاب

تأليف :

ر . ج . فوربس

عرض وتحليل :

محمد الحديدي

● إن كل ما نعرفه وكل ما نخترعه ليس إلا تفاعلا بين نظام حياتنا كما وجدناه وبين قدراتنا كما وجدناها وهذا وذاك إنما هو من صنع الله .

● وفي هذا الكتاب "غزو الطبيعة" يدرس المؤلف موضوع التكنولوجيا ويحاول أن يصف لنا أثره على الحياة الانسانية ؛ وهل تظل الآلة أداة في يد الإنسان .

★ التحكم الأوتوماتيكي في عصر التكنولوجيا والتطور ★

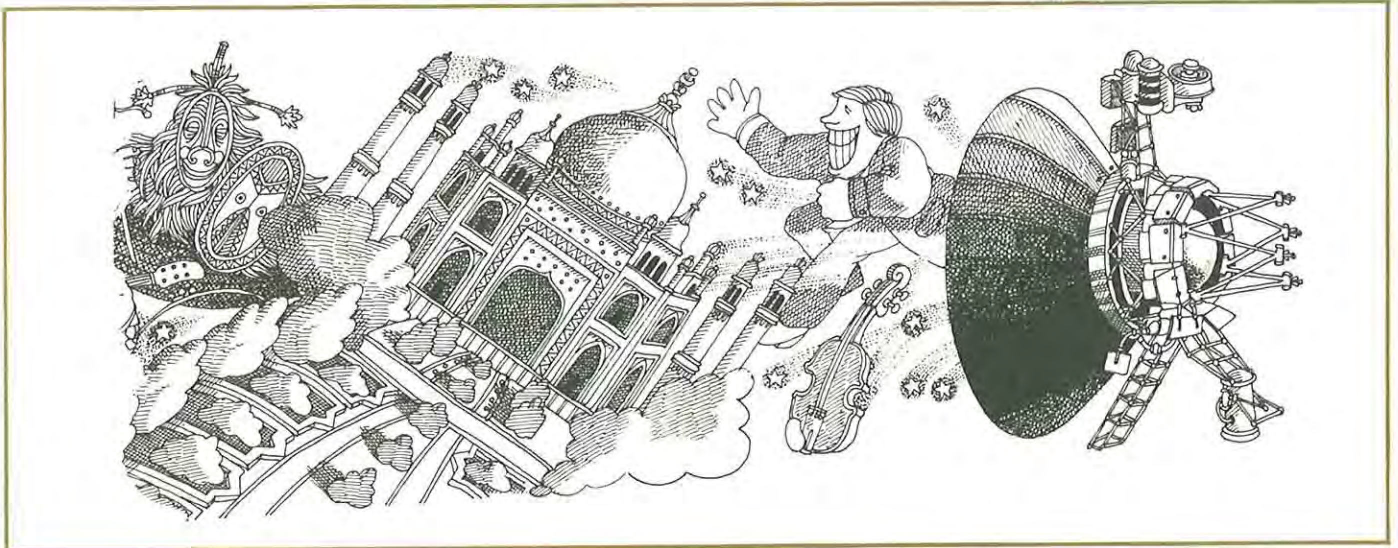
★ برتراند راسل ★



★ « في عصر حرب الاستقلال ، ولسنوات بعد انتهائها ، كانت **الولايات الأمريكية الجنوبية** على أتم استعداد للنظر في **إلغاء الرق** في المستقبل القريب ، وقد ألغيت العبودية في الشمال والغرب بقرار اجماعي سنة ١٧٨٧ م ، وكان **جيفرسون** محقاً في أن يأمل رؤيتها تحرم في الجنوب ، ولكن سنة ١٧٩٣ م ، اخترع **ويتني** حلاجة القطن التي أصبحت تمكن العامل الزنجي من تنظيف خمسين رطلاً في اليوم بدلا من رطل واحد فقط كما كان الحال أصلاً ، أدت وسائل الاقتصاد في الأيدي التي استخدمت في إنجلترا إلى اضطرار الأطفال للعمل خمس عشرة ساعة في اليوم ، وكانوا يضربون بالسياط ليظلوا مستيقظين ، وأدت وسائل الاقتصاد في الأيدي في أميريكا إلى ابتلاء العبيد بحياة من الكدح أقسى كثيراً مما كان عليه الحال قبل اختراع المستر ويتني . ولما كانت تجارة الرقيق قد حرمت في ١٨٠٨ م ، فإن التوسع الضخم في زراعة القطن بعد هذا التاريخ كان لا بد له من استيراد **الزنوج** من الولايات الأقرب إلى الشمال والتي لا يزرع فيها القطن ، وكان الجنوب الاقصى غير صحي والزنوج يقومون بأعمال تفوق طاقة البشر ، وهكذا تحولت هذه الولايات التي لم يكن قد حرم فيها الرق إلى معامل للتفريخ تغذي الجبانات الجالبة للربح في أقصى الجنوب ، ومن الجوانب المثيرة للاشمئزاز في حركة المرور هذه أن الرجل الأبيض الذي يمتلك إماء سوداوات كان يعمد إلى إنجاب الأطفال منهن ، هؤلاء يصبحون بدورهم عبيداً ، وعندما يعوزه المال فإنه يلجأ إلى بيعهم للمزارعين لينتهي بهم الأمر إلى أن يسقطوا ضحايا **للملاريا أو الحمى الصفراء** » ★

برتراند راسل : « أثر العلم في المجتمع »

أثر العلم ، والتطبيق العلمي ، على المجتمع الإنساني ، كان موضع توقعات وتأملات الكثيرين من الفلاسفة والأدباء . وعندما نرى مفكراً مثل **برتراند راسل** يصف أموراً بهذه البشاعة . ثم نرى كاتباً مثل **جورج أورويل** في رواية « ١٩٨٤ م » يتصور التكنولوجيا وهي تطبق على الناس فتحولهم إلى عبيد لا يستطيع الواحد منهم أن يخلو بنفسه دقيقة واحدة ، ثم **الدوس هكسلي** وهو يصف لنا التناسل الآدمي في المستقبل ويتخيل « **أطفال الأنابيب** » ينتجون بمواصفات تلائم مطالب رجال الاقتصاد والصناعة ، وكاتباً أمريكياً معاصراً يتخيل أنه باختراع الحاسب الالكتروني أصبح ممكناً توحيد العالم كله في دولة واحدة يسيطر عليها « **كومبيوتر** » واحد كبير . عندما نرى كل هذا فإنه لا يجعلنا نصدق هذه الكوابيس ، إنه فقط يجعلنا نزداد إيماناً بأن كل شيء في حياتنا يمكن أن يكون خيراً أو شراً ، وإن الله خلق هذا الكون وجعل له نظاماً هو الذي نكتشف نزراً يسيراً منه نسميه « **العلم** » ، وإننا نكتشف هذا بالامكانيات الحسية والذهنية التي أودعها الله فينا بالقدر الذي شاءه ، ولو شاء لأعطانا مزيداً من القدرة ولو شاء أعطانا ما يزيد قليلاً على نصيب القردة ، **وهكذا فإن كل ما نعرفه وكل ما نخترعه ليس إلا تفاعلا بين نظام حياتنا كما وجدناه ، وبين قدراتنا كما وجدناها وهذا وذاك من صنع الله** ، ولكن هذا لا ينفي حقيقة أخرى وهي أننا عندما نصنع منضدة ، فإن هذا الشيء الجديد الذي نصنعه لغرض محدد هو أن نضع عليه الطعام ، سيفرض نفسه على أسلوب حياتنا ، عندما يصبح تناول الطعام على المنضدة شيئاً مألوفاً ، يمكننا من أن ننفق وقتاً أطول وأن نستمتع بوجباتنا براحة أكثر . . الخ ، وفي النهاية فإن حياتنا تتخذ أشكالا جديدة وتقاليد جديدة ، ولا فرق بين صنع المنضدة وصنع الطائرات ، كلاهما نتاج لقوانين الكون وطبيعة المادة وقدرة الإنسان الذهنية واليدوية ، كل هذا ليس من صنعنا ، **كله من صنع الله** ، ولكن هذا لا ينفي أننا في الحالتين قد نجعل الأمر خيراً وقد نجعله





شراً ، وقد تصبح المنضدة سبيلاً إلى انفاق الحياة في الطعام والشراب ، وتصبح الطائرة وسيلة للدمار واراقة الدماء ، وقد تصبحان مجرد وسيلتين لجعل الحياة أسهل وأيسر وأكثر إثماراً وفائدة .

وفي هذا الكتاب « **غزو الطبيعة** » كما هو في كتاب **راسل** ، يدرس المؤلف ر . ج . فوربس موضوع « **التكنولوجيا** » ، ويحاول أن يصف لنا أثره على الحياة الإنسانية ، **هل تظل « الآلة » أداة في يد الانسان ؟** أم أن تطور التكنولوجيا سوف يستمر في تشكيل الحياة الإنسانية بآثاره العكسية ، نحن نصنع الآلة والآلة بدورها تؤثر في حياتنا . وبدلا من أن نظل أداة في يدنا يأتي يوم نصبح نحن فيه أداة في يد الآلة ، ويصبح الإنسان مجرد أشياء تكمل هذه الآلة ، مجرد « قطع » تسخر لخدمة التكنولوجيا ، كما يتصور **الدوس هكسلي !** .

والمؤلف : **ر . ج . فوربس** ، عضو بأكاديمية العلوم في **هولندا** ، وسكرتير الجمعية الهولندية للعلوم ، وكان أستاذاً لتاريخ العلوم والتكنولوجيا في جامعة **أمستردام** من سنة ١٩٤٧م إلى سنة ١٩٦٧م ، ثم عمل مستشاراً دولياً للجنة تاريخ التطور العلمي والثقافي للإنسان التابعة لليونسكو ، وله مؤلفات عديدة في هذا المجال منها : « **الانسان ، الصناع** » ، و « **دراسات في التاريخ القديم للبترول** » ، ثم مؤلف ضخم من تسعة أجزاء عنوانه « **دراسات في تكنولوجيا العصور القديمة** » ، وسنرى في رحلتنا معه إلى أي مدى تصل ثقافته في هذه المجالات المتنوعة التي تضم **التاريخ والأدب والفن والعلوم والهندسة والتكنولوجيا !** وإلى أي مدى نحن في حاجة إلى هذا التنوع الثقافي الذي يعرض له الروائي الشهير ذو الخلفية العلمية العميقة : **س . ب . سنو** ، صاحب « الثقافتين » ، مما يعرض له فوربس في كتابه هذا أيضاً .

ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء : « **الانسان والآلة** » ، ثم « **الانسان والبيئة** » ، ثم « **البيئة والانسان** » ، وسوف نتناول كلاًّ منها على حدة .

الانسان والآلة

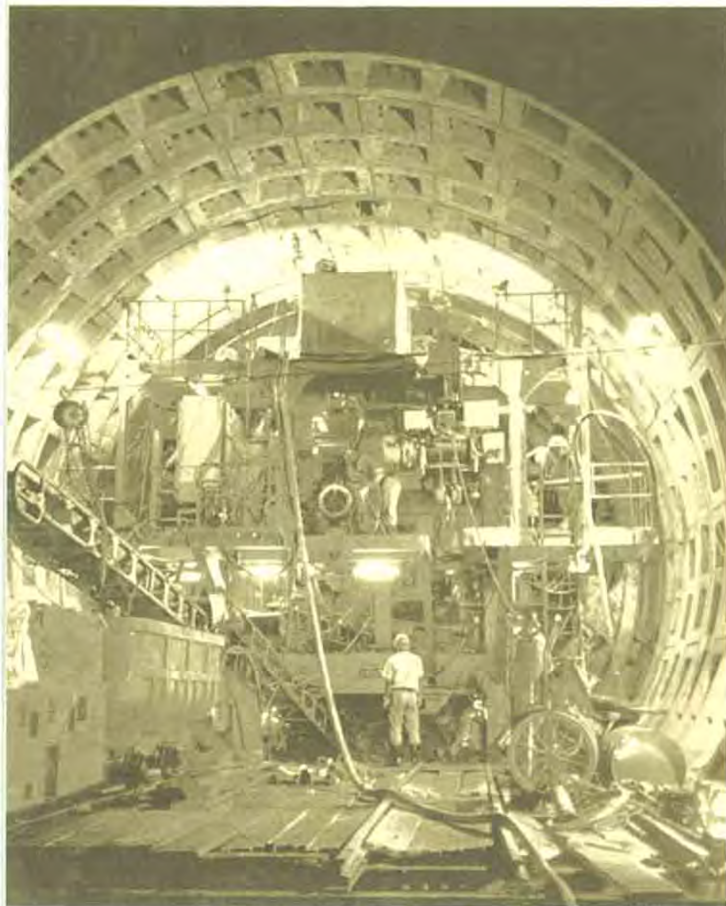
يعرض المؤلف في هذا الجزء لتاريخ الإنسان صانع العدد « **هومو فابر** » كما يسميه علماء **الانتروبولوجيا** ، ويقول إن اختراع أبسط أنواع العدد قد يرجع إلى خمسة وعشرين مليون سنة ، وإن بعض الكائنات التي هي أدنى من الإنسان قد تلجأ لاستخدام بدائي لشيء أو آخر تستخدمه في التغلب على صعوبة معينة ، ولكن الإنسان ينفرد بين الكائنات بقدرته على التفنن في صناعة العدة واستخدامها وقد حباه الله بيد وأصابع لا تماثلها تلك التي تمتلكها فصائل الحيوان ذات الأصابع ، وإن الحضارات كانت تقف حائلاً دون التقدم ، حتى بعد وجود المعرفة وانفتاح الطريق أمام التطبيق . ثم جاء **اكتشاف النار** فأحدثت تغيراً هائلاً في المجتمع الإنساني بإمكان شيئين : **الدفء ، وطهي الطعام** .

وجاءت النار أيضاً **بالضوء** ، ولكنه إلى عهد قريب كان يعتمد على **الشمعة** ، وهكذا ظل الاعتماد على ضوء النهار قيداً على حركة الإنسان إلى حين استحداث **الكهرباء** .

أما في **الفنون** فكانت عقائد سكان **مصر وما بين النهرين** هي رائدة كل أعمال النحت والتصوير ، وكانت هذه العقائد في أحيان كثيرة تحرم العبث بالمعادن أو محاولة الانتفاع بها . ولكن العائق الأساسي أمام تكنولوجيا العصور القديمة كان هو الافتقار إلى الآلة التي يمكن أن تستبدل بالجهد البشري أو الحيواني ، لم يكن هذا عائقاً أمام بناء **الأهرامات** ، ولكن هذا كان يستلزم بشراً كثيراً ، ويعد هرم **خوفو** أنموذجاً للبناء الشامخ الذي لم تستخدم فيه حتى أبسط أنواع آلات رفع الأثقال ، رغم أنه يضم ٢,٣٠٠,٠٠٠ مكعب من الحجر الجيري ، تزن كل منها أربعة أطنان ، تغلفها مكعبات من الجرانيت جيء بها من أسوان ، وكان هذا منذ أربعة آلاف وخمسمائة سنة ، ويقدر **هيرودوت** أن مائة ألف فرد كانوا يقيمون في موقع العمل بصفة دائمة ، مما يحتم المجيء إليهم بالطعام والشراب ومختلف الحاجيات .



★ حلم الإنسان في الصعود إلى القمر .. وقد تحقق ★



★ التقدم الصناعي ★

وقد استمر الجيش المصري يستخدم القسي والسهام المزودة بالحجارة في أطرافها ، إلى حين استحداث البرونز الذي جاء منذ ثلاثة آلاف سنة ، ومنذ هذا الحين وكل العدد تصنع من البرونز أو النحاس ، إذا شح القصدير اللازم لصنع سبيكة البرونز .

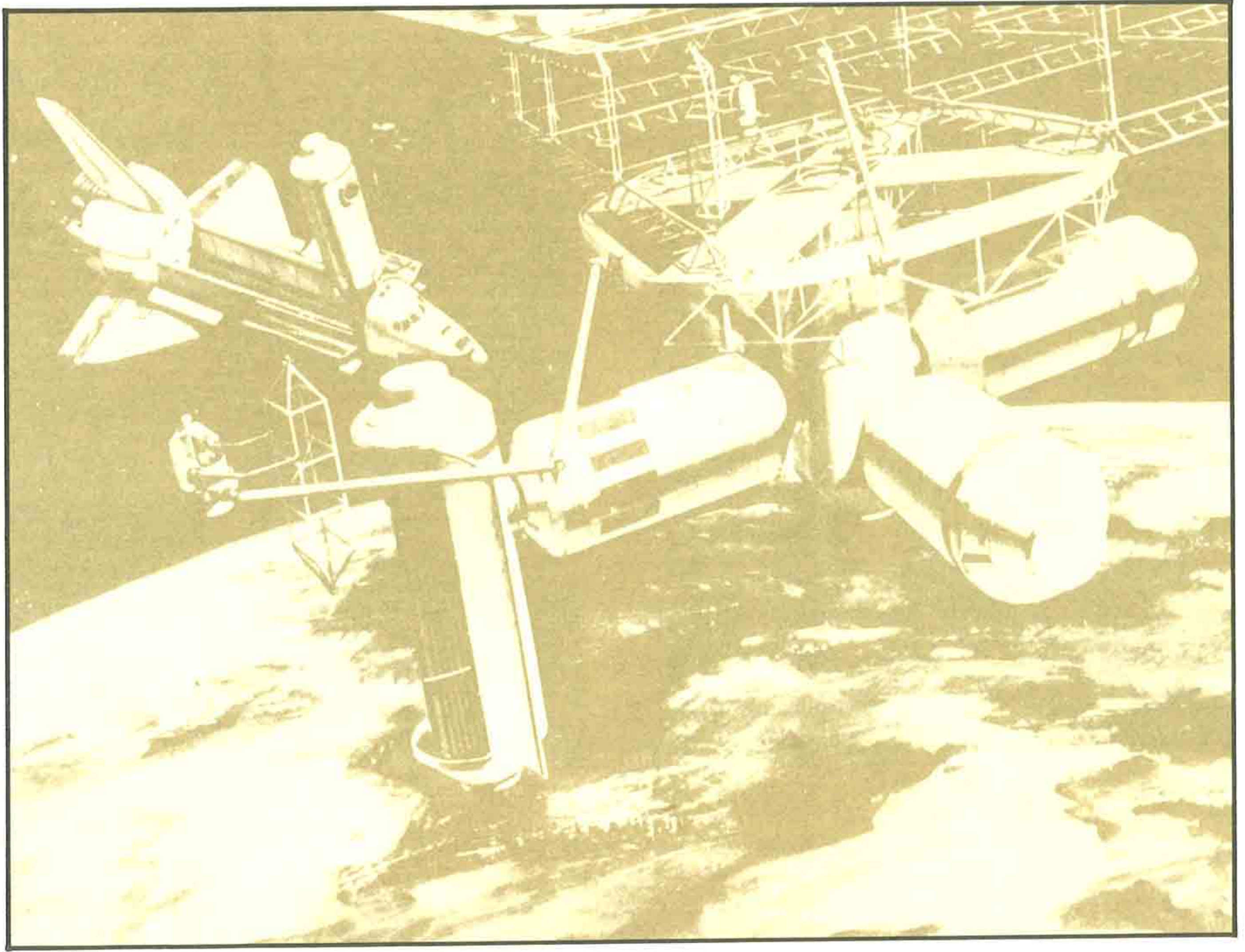
وعندما جاءت الميكنة تحولت « **الطوائف** » المهنية إلى النقابات وعندما تداعى المجتمع الاقتطاعي عمد التجار وأصحاب الأموال الذين أصبحوا أقوياء بفضل هذا التحول ، عمدوا إلى إنشاء علاقة جديدة غير طيبة بين العمال وأصحاب الأموال ، تطور هذا إلى « **المصنع** » كما نعرفه الآن .. وفي القرن السادس عشر والسابع عشر توالت تصورات الفلاسفة وخيالاتهم ، وتحمس **فرانسيس بيكون** للعلم والتطبيق العلمي ، وتخيل أن العلم هو مفتاح الكون والسبيل إلى معرفة أسراره ، وإلى حياة إنسانية هانئة .

وفيما بين سنتي ١٧٣٠ ـ ١٨٨٠ م ، جاءت التغيرات الدرامية ، والتي يمكن أن تعد مقدمات لـ « **الثورة الصناعية** » التي بلغت ذروتها سنة ١٨٨٠ م ، وقد اكتسبت دفعتها الأولى في الجزر البريطانية بظهور صناعات **اسكتلندا وميدلاند** ، وتبعتها **فرنسا** ثم **ألمانيا** التي تخلفت بسبب التفكك ، وبمجيء سنة ١٨٦٠ ـ ١٨٧٠ م ، كان المدق غطى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً .

وبانتشار فكرة احلال الآلة محل الجهد البشري والحيواني ، ظهرت الحدود الضيقة **لطاقة الريح والماء** ، اللذين يستخدمان في دفع **المراوح والعجلات** ، وبدأ **عصر البخار** بتطوراته ، وظهرت مشكلة المهارة المطلوبة في صناعة هذه الآلة بدقة تمنع التسرب الذي يحدد بدوره طاقتها ودرجة الضغط الممكنة . وفي بداية القرن التاسع عشر كانت هناك **٤٩٦** آلة صنعت بناء على تصميم المهندس الشهير **جيمس وات** .

وفي منتصف ذاك القرن كان قد استحدث **القطار** ووصلت الثورة الصناعية إلى أقوى أثر لها على حياة الإنسان حتى هذا الوقت ، وفي نهاية القرن كان قد تم توليد الكهرباء باستخدام مساقط المياه عن **شلالات نياجرا** ، وبمجيء عصر الكهرباء انحلت مشكلة نقل الطاقة من مكان لآخر دون الحاجة إلى الحركة .

وقد كان للتطور الجديد في مصادر الطاقة أثره العظيم على الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، وأصبح وجود الفحم والحديد هو العامل الأساسي في تطور المجتمعات ، وبمجيء الثلاثينات من القرن العشرين كانت أبحاث استخراج الطاقة من



★ غزو الفضاء بأساليب التكنولوجيا المتطورة ★

الذرة قد بدأت ، وفي منتصف الخمسينات كان قد تم بناء محطة توليد للطاقة الذرية في كل من إنجلترا وأميريكا .

وأصبح التقدم العلمي يعتمد أساساً على البحوث ، والبحوث تستلزم مالا لا تملكه إلا الصناعات الكبيرة ، وأثناء سنة ١٩٥٣ م ، أنفقت الولايات المتحدة ما يزيد على خمسة آلاف مليون دولار على البحوث ، نصفها من أموال الصناعات الخاصة .

أما التحكم الأوتوماتيكي فترجع فكرته إلى القرن التاسع عشر ، ولكن التطبيق الحقيقي جاء بعد **الحرب العالمية الثانية** ، وأمكن لعمليات الإنتاج أن تبدأ وتستمر وتتحاشى الأخطاء مع صيانة الآلات المنتجة ، كل هذا بضغطة زر لا يعقبها تدخل آدمي . وهكذا بدأت الآلة تقوم بعمل الإنسان وبدأ المهندسون يقلدون الحيوان والإنسان فيما يصنعونه من آلات ، وجاء هذا في النهاية بالكومبيوتر .

وليس **الكومبيوتر** فكرة جديدة ، فقد صنع **باسكال** أول أداة حاسبة سنة ١٦٤٢ م تقوم بالجمع فقط ، وجاء **لايبنتز** سنة ١٦٩٤ م فأدخل عليها عمليات الضرب ، **وفي سنة ١٩٤٤ م ظهرت أول آلة حاسبة حقيقية .**

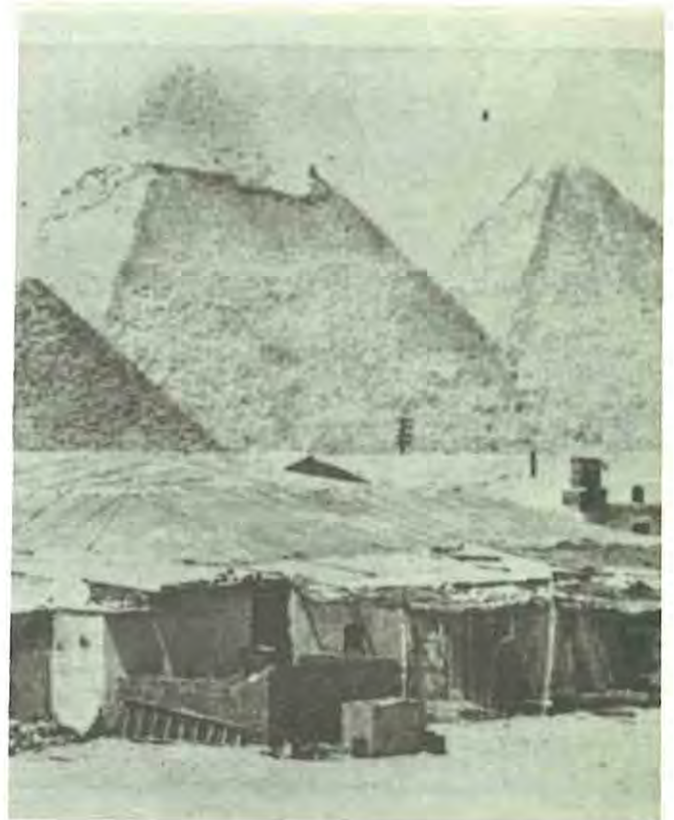
ولكن الكومبيوتر كما نعرفه الآن قد أدى إلى تطور جديد في دور الإنسان ودور الآلة في الصناعة ، وتصاعدت الإنتاجية إلى درجة أن إنتاج « **شمعة ضوئية واحدة** » ، **(وهي مقياس الضوء الكهربائي)** ، في بلد صناعي يتكلف الآن واحداً من ستين مما كان يتكلفه هذا منذ مائة سنة ، وفي مقارنة واحدة يقول لنا المؤلف إنه في مدينة **بتسبرج** في الولايات المتحدة يمكن بالوسائل الأوتوماتيكية والإدارة الكومبيوترية ، إنتاج القدر من المعدن الذي لا بد له من أربعين ألف رجل ساعة **(أي أربعين رجلا يعملون لمدة ألف ساعة مثلا)** لكي يتم إنتاجه في بلد إفريقي مثلاً ، حيث ما زالت وسائل العمل هي تلك التي كانت سائدة منذ أوائل عصر الحديد .

ولكن ، هل أدى هذا إلى تقوية مركز الانسان في هذا الكون ؟

النتيجة هي النفي القاطع .

الآلة ، والبيئة الانسانية

يقول المؤلف : **إن التكنولوجيا كانت شيئا شبيها بشجرة الأمل ، تأتي بالثمر الطيب ، وباللعنة التي تحل أيضا ، إنها على أية حال ، نتاج لذهن الانسان ، ويده !**



★ الأهرامات الثلاثة .. حيث يظهر هرم خوفو الأول من على اليمين ★



★ استخدام التكنولوجيا في تطوير الزراعة ★

لقد أدى تطور **نظرية الحرارة** إلى اختراع **التبريد**، وفي سنة ١٨٧٦ م، كانت **السفن** المزودة بوسائل التبريد تجلب اللحوم لأوروبا من **استراليا وأميريكا الجنوبية**، وسنة ١٩١١ م، تم التوصل إلى التجميد العميق، وفي سنة ١٩٢٥ م، بدأ تزويد ربات البيوت بالأطعمة المطهية سلفاً. وقد أدخلت الميكنة على الزراعة، وتحسنت وسائل الري بفضل التكنولوجيا، وبإمكان حفظ الأطعمة بالتبريد، وتحسين الإنتاج الزراعي، إلى جانب وسائل ترشيد التكاثر البشري، يتسنى قبل نهاية القرن العشرين القضاء نهائياً على الجوع، ولكن الذي يحدث للآن هو أن قلة قليلة تنعم بهذه الثمار، ما زالت مئات الملايين من البشر تتضور جوعاً.

ونتج عن هذا نقص عظيم في الأيدي اللازمة **للزراعة** في البلاد المتقدمة، وبدأ النزوح إلى المدن التي بدأت تتضخم، وفي الولايات المتحدة، كان ٧٢٪ من القوة العاملة يعيش على الأرض الزراعية سنة ١٨٢٠ م، وهم الآن ١٢٪ وباستحداث وسائل مكافحة الحشرات والآفات، وعلى رأسها د. د. ت.، الذي يملأ الآن المحيطات والأنهار وتأكله الأسماك ثم نأكلها نحن، وبتزايد نفايات الصناعة، بدأ تلوث البيئة يصبح خطراً يهدد البشرية.

جاءت المدينة الحديثة بنوع جديد من الحياة، وكانت الكثافة السكانية في أميريكا قبل الاستقلال فرداً في الميل المربع، وفي المدينة الأميريكية الكبيرة الآن يعيشون خمسة عشر ألف فرد في الميل المربع، وسبعون في المائة من الشعب يعيش فوق واحد في المائة من المساحة، وتعاني المدينة من **زحام المرور** وانتشار مناطق الحواري المتخلفة، ومن تلوث الهواء وتلوث الماء وقلته أيضاً، ومن الزحام **والضجة والاشعاع**، ويقدر التكنولوجيون أنه بمجيء سنة ٢٠٠٠ م، ستصل حاجة المدن من **الماء** إلى خمسة أضعاف ما كانت عليه سنة ١٩٠٠ م، وأن الحل الوحيد هو إعادة تنقية المياه المستهلكة والحد من الاسراف، ولن تكون التنقية سهلة لأن التوسع في استخدام المنظفات والكيمائيات مشكلة عويصة.

أما عن الطاقة، فالتقدير المتواضع أن الاستهلاك يتزايد بمعدل ٤٪ كل سنة، وأنه بمجيء سنة ٢٠٠٠ م، سنحتاج إلى استهلاك قدر من **الفحم** يصل إلى خمسة أضعاف القدر الحالي، ويقيس العلماء الطاقة على المستوى العالمي بوحدة قياس ضخمة إذا رمزنا لها بالرمز **ق**، فإن ق تعادل من الوحدات الحرارية البريطانية عشر، مضروبة في نفسها ١٨ مرة وهو ما يأتي من ٢٦ ألف مليون طن من **الزيت** أو ٣٦ ألف مليون طن من الفحم، ويقدرون أنه منذ عصر ما قبل التاريخ إلى سنة ١٨٥٠ م، استهلك البشر من ٦ إلى ٩ ق، وفيما بين ١٨٥٠ - ١٩٦٠ م، تم استهلاك ٥ ق، أما في القرن التالي فيقدر الاستهلاك بـ **١٠٠ ق!!**

والأمل معقود على **الطاقة الذرية**، فبرغم أخطارها، تبدو أنها المخرج الوحيد، وإذا تصورنا مدينة تعدادها نصف مليون تستخدم محطة توليد تقليدية تعمل بالفحم، فإن عشرة كيلوجرامات من الفحم تكفي لامداد هذه المدينة لمدة ثلث ثانية، ولكن عشرة كيلوجرامات من **الأيدروجين** تستخدم بالتحطيم الذري (**وهو ما يحدث في القنبلة الهيدروجينية**) تكفي لإدارتها لمدة ثلاثة أشهر، أما إذا أمكن تحويل المادة كلها إلى طاقة بطريقة **السحق**

النووي (وهو ما لم يتم للآن، ولكنه في الطريق) فإن عشرة كيلوجرامات من أي مادة، قد تكون ماء المحيط مثلاً، تكفي لامداد هذه المدينة بالكهرباء لمدة خمسين سنة !!

ولكن ٣٣٪ من سكان العالم يستهلكون ٨٢٪ من الطاقة !! ويصل معدل استهلاك الطاقة في الولايات المتحدة إلى عشرة أطنان من الفحم سنوياً للفرد، هذا المعدل هو سبعة في إنجلترا، وواحد في **إيطاليا**، ونصف في **الهند**، وخمسة وأربعون من المائة في **مصر**.

تصدير التكنولوجيا

يتطرق المؤلف بعد ذلك إلى واحد من أخطر الموضوعات في كتابه وهو: **هل يمكن تصدير التكنولوجيا**؟ إنه يجيب بالنفي على هذا السؤال، ويتخذ **الصين** التي عاصرت الثورة الصناعية مثالا، ويقول إن المجتمع الشرقي لا يؤمن بامكان «**غزو الطبيعة**» وإن حكام الصين في هذه الآونة كانوا بيروقراطيين وليسوا على استعداد لترك فئة أصحاب الأعمال تنمو كما حدث في الغرب، وهو لا ينفي أن المهارة والاستعداد للعمل التكنولوجي يتوفران، ولكن «التراث» يمنع ذلك.

نجد المؤلف هنا يبدأ الحديث - فجأة - بكلمة «**نحن**»، ويتخذ من نفسه متحدثاً باسم العالم الصناعي الغربي، وكيف «**أننا**» مطالبون بتصدير التكنولوجيا إلى «**هم**» ولكن البيئة هناك لا ينطبق عليها ذلك، وهذا هو الموضع الوحيد في الكتاب الذي يفقد فيه المؤلف قدرته على الاقناع ومعها أسلوبه العلمي، وبالتأكيد، لا ترد كلمة «**اليابان**» في هذا الكتاب من أوله لآخره، ولولا ما يعرضه المؤلف من علم زاخر بالعلوم والسياسات والتاريخ والفلسفة، لكان يمكن أن يظن القارىء أنه لم يسمع باليابان في حياته !!

وتحت عنوان «**التكنولوجيا والتطور**» يأتي المؤلف ببيان صادر من الجمعية الأميركية لتقدم العلوم، **وهو**: «إن القوى والعمليات التي أصبحت تحت تصرف البشر أصبحت الآن في حجمها وقوتها تمكنه من التأثير على البيئة، وأصبح ضرورياً الآن توجيه هذه القوة نحو خير الإنسان لأن احتمالات الشر رهيبة جداً».



★ فرانسيس بيكون ★



★ أندريه مالرو ★

صحيح هذا من الناحية العملية، ومن حيث المبدأ، ولكن المرء يشك شكاً كبيراً في أن سيطرة الإنسان على البيئة تصل إلى هذا الحد، مع ادراكنا أن مكانة الإنسان في الكون - كائنة ما كانت - هي، كما سبق، نتاج القدرة التي أودعها الله فيه ووجد نفسه عليها، ولكن ... هل هي حقاً كذلك؛ إن تزايد سيطرة الإنسان على البيئة يصاحبه «تلوث» هذه البيئة إلى درجة لا يعلم إلا الله عواقبها؟

يتطرق من ذلك إلى «**عواقب التحكم الأوتوماتيكي**» وما يصحبه من ضرورة التخصص، ويقول إن المهندس العسكري كان إلى عهد قريب صنواً للمهندس الإنشائي، وكان يمكن أن يترك الخدمة العسكرية ليشتغل إنشائياً، أما الآن فالمهندس العسكري أصبح يتخصص في أمور تجعله لا يصلح لشيء آخر، وسيأتي وقت يصبح فيه من يريد أن يكون مهندساً في فرع ما، متخصصاً إلى درجة تجعله لا يعرف أي شيء آخر.

يا لها من نكسة للثقافة والفنون لو أن هذا وقع حقا !!

يصحب ذلك أن التطور التكنولوجي أصبح يتبع الكشف العلمي بسرعة قصوى، وعندما أمكن العلماء أن يدركوا إمكانية صنع قنبلة ذرية، فإن سبع سنوات فقط مضت قبل تفجيرها فوق **هيروشيما**. ومضت ثلاث سنوات فقط بين اختراع **الترانزستور** والبدء في تسويقه تجارياً سنة ١٩٥١ م، وسنتان بين اختراع **البطاريات الشمسية** واستخدامها، (١٩٥٣ - ١٩٥٥ م) وثلاث في حالة **البلاستيك** (١٩٥٥ - ١٩٥٨ م)، بل إن التطبيق التكنولوجي أصبح يكاد يسبق الكشف العلمي، وفي حالة القنبلة الذرية يقول إن لصوص الخزائن فتحوا خزينة الذرة قبل أن يتمكن صانعو الأقفال من فهم نظام عمل القفل !

ويتنبأ المؤلف بتزايد عظيم في أهمية العمل الحربي، ويقول إن الرغبة في التفوق الحربي هي التي جاءت **بالأقمار الصناعية والهبوط على القمر**.

البيئة والانسان

في بداية هذا الجزء الأخير من الكتاب يعرض المؤلف لموضوع «**الثقافتين**» كما أسماه **س. ب. سنو**، ويستشهد بفقرة من كتاب **لآرثر كوستلر**، يصف فيه استعداد الفرد المعاصر ذي التعليم العادي، للاعتراف بجهله بكل ما هو تكنولوجي مع حبه للتظاهر بادراكه للفن والجماليات، ويخرج من ذلك بأن إنسان هذا العصر يعيش في عزلة فكرية وعاطفية عن التكنولوجيا التي تحيط به والتي لها كل هذا الأثر على حياته.

ويضيف أن الصحافة تتسبب في مزيد من تعقيد هذه المشكلة بجهل كتابها بحقائق التكنولوجيا، تسمية الكومبيوتر بـ «**العقل الالكتروني**» واطلاق اسم «**الذاكرة**» على وحدة تخزين المعلومات فيه، كل هذا يصور الأمور بصورة مخالفة للحقيقة، وتجعل عامة الناس تتصور أن هذه الأشياء لديها صفات تشبه صفات الحيوان أو الإنسان وهي بعيدة عن ذلك.

وينتقل من ذلك إلى أن النظرة الفلسفية المعاصرة تعد الإنسان «**ملتزما**» بالتكنولوجيا، التي أصبحت تتطور مستقلة عن إرادة هذا الإنسان إلى درجة تجعلها قادرة على استعباده، وأن «**النظام التكنولوجي**» أصبح هو البيئة الثابتة، هذه البيئة تتميز بأنها:

١ - مصطنعة.

٢ - مستقلة.

٣ - تنمو طبقاً لعملية عللية، **(من العلة، أو العلل)**.

٤ - تضع الوسيلة فوق الغاية.

٥ - تجعل أجزاء المشاكل تتشابك إلى درجة يستحيل معها فصل أي مشكلة عن النظام التكنولوجي المسيطر.

ويضيف أن الإنسان أصبح عبداً للشيء الذي استحدثه ليكون هو - هذا الشيء - عبداً له، وينقل عن **نيتشه**: قوله: إن إعادة تقدير القيم لا بد أن

تؤدي إلى أن العلاقة بين الغاية والوسيلة قد انعكست بتأثير التكنولوجيا ، وإن الإنسان لم يعد ينظر إليه على أنه « **غاية** » وإنما هو « **وسيلة** » مادية للجهاز الصناعي ، أو بعبارة أخرى ، الوسيلة التي يتحقق بها هذا النظام الاجتماعي الجديد .

وما تزال القنبلة الذرية أنموذجاً واضحاً لهذه الفكرة ، والذين يتهمون النظام التكنولوجي بخلق هذا الشيء المخيف وبداية عصر الرعب النووي ، يتجاهلون طبيعة القرار الذي اتخذ بشأن إنتاج أول قنبلة ، صحيح أن هذا القرار كان سياسياً ولكن العلماء الذين اشتغلوا بصنع القنبلة كانوا منساقين وراء اهتمام مجرد بالظاهرة العلمية ، هذا الاهتمام كان سابقاً بوقت طويل لاستخدام القنبلة في قتل إخوتهم في الإنسانية .

وبينما يمضي العلم مضطرداً في منطق تشحذه رغبة العلماء في كشف أسرار المادة ، فإن التكنولوجيا تفتقر إلى هذا التركيب الداخلي الذي كان يمكن أن يحدد تطوراتها المستقبلة . إن « **نظرية العمل** » التي تسير التكنولوجيا بمقتضاها ما هي إلا وسيلة براجماتية لمواجهة الحاجات الناشئة عن البيئة الإنسانية ، هذه الدوافع البشرية هي التي تحرك التطبيق التكنولوجي .

وتوفر التكنولوجيا مجالا واسعاً للاختيار ، فالإنسان يستطيع السفر على **قدميه** أو على ظهر **دابة** أو **بالقطار** أو **السيارة** أو **الطائرة** . . الخ ، كل هذه الوسائل ما عدا الأول والثاني جاءت بها التكنولوجيا ، ولا تقتصر الفوائد هنا على هذا . فهي أيضاً تخفض تكاليف السفر وتجعلها في مكنة أغلب الناس ، بعد أن كان السفر قصراً على الأغنياء أو المغامرين ، ولكن هذه القدرة على الحركة هي التي أدت إلى ازدحام المدن وبالتالي الحد من الحرية ووسائل المتعة . . . فهي تعطي ثم تأخذ ، وأما من حيث تأثيرها على تكوين الإنسان ، فإنها بمميزاتها وعيوبها ، بالضجة والزحام من ناحية ، وبالتكييف ووسائل النقل والخدمة الصحية من ناحية أخرى ، لا يبدو أنه قد أصبح لها تأثير على التكوين البيولوجي للإنسان ، **ويبقى هذا السؤال بدون إجابة : إلى أي مدى قد تأثر تكوين الانسان بفعل الأشياء التي تسبب هو في إيجادها ؟**

ولكن التأثير على الحياة الجماعية واضح جداً ، **القانون** مثلاً ، أغلب القوانين التي نعيش في ظلها الآن نتجت عن استحداث السيارة والطائرة والأسلحة النارية والذرية . . . الخ ، وهذا بدوره يؤكد قول بأن قدرة الإنسان على ممارسة التكنولوجيا تفوق قدرته على استخدامها بحكمة . ومن نتائج ذلك توسيع سلطة الحكومات وتدخلها في أخص أمور الشعوب ، وهذا هو موضوع رواية **أورويل** التي سبقت الاشارة إليها (١٩٨٤ م) ، والتي اقتربت الآن ، وهناك من يقول إنه إذا لم يصبح العالم بالصورة التي يرسمها **أورويل** في هذه الرواية فإن بعض الفضل في ذلك يرجع إلى تحذيره للعالم بكتابتها .

مجرد تضخم المدينة ووصولها إلى ما هي عليه الآن قد أدى إلى شكل جديد من أشكال المجتمع الإنساني ، بشكل تسوده الأنماط والقوالب وتختلف في العلاقات الاجتماعية والأسرية والأخلاقيات والعواطف ، وقد أدت حياة البذخ بمفهومها الجديد إلى عزلة الفرد عن المجتمع ، صحيح إن هذا كان دائماً هو الحال ، فقد كان الأغنياء في المجتمعات القديمة منعزلين عن بقية الناس ، **ولكن التكنولوجيا قد ساعدت على توسيع نطاق البرق إلى درجة أن أسلوب الحياة في المجتمعات التكنولوجية قد أصبح واحدا تقريبا ، فالغنى لا يجوز شيئا لا يناله الفقير .**

التكنولوجيا والفن

هذه الحلقة : الإنسان والآلة والبيئة ، تضم في داخلها النظام الاجتماعي الذي تأتي به التكنولوجيا ، ولكنها ـ هذه الحلقة ـ دائماً تتلقى النبض من المعنويات الإنسانية ، والذي يقال الآن هو إن التكنولوجيا سوف تدمر الثقافات ، وإنها ستقضي على الفن بأن تقسم الناس إلى أهل فكر قليلين ، وجماهير عريضة من مستهلكي الفن الذين يأكلون ما يعطى لهم بلا تمييز .

ولكن التاريخ لا يعطينا ما يدل على تعارض التكنولوجيا مع الفن ، وقد كانت التكنولوجيا على جانب عظيم من التقدم في أثينا **بيريكليس** ، وكانت فلورنسا في عصر **مديتشي** مركزاً صناعياً عظيماً ، وكذلك **باريس** أيام إنشاء الأكاديمية الملكية .

الواقع أن التكنولوجيا والفن شيئان متلازمان ، وإن كان الممارسون فريقين مختلفين ، وإذا كانت التكنولوجيا قد تسببت بالوسائل الجماعية أو الجماهيرية في الهبوط بمستوى الفن ، فإنها من ناحية أخرى قد نشرت الثقافة وجعلتها في صوت كل إنسان ، قد أوجدت ما أسماه **أندريه مالرو** « **المتحف الذي لا جدران له** » .

تعليق

إلى جانب ما أسلفناه عن إغفال المؤلف لدور اليابان في تاريخ التكنولوجيا ، وما يمكن استنباطه من هذه الحالة الفريدة ، فإنه قد أغفل أيضاً تجارب الصين وكوريا ، وكلتاهما تنتمي إلى تراث بعيد عن مهد التكنولوجيا في أوروبا وأميريكا .

كما نأخذ عليه أنه لم يعط للجوانب السياسية حقها من الدراسة ، وبصفة خاصة قدرة الحكومات على قهر الشعوب ، وقدرة أصحاب المذاهب العنصرية على استخدام التكنولوجيا ـ ولو في المستقبل ـ في تحقيق الكابوس المرعب الذي يتخيله الروائيون الذين أتينا على ذكرهم في البداية .

وفي هذا فإن كتاب **راسل** « **أثر العلم في المجتمع** » وهو يتعرض للعلم ولتطبيقاته (التكنولوجيا) يعد أوفى من هذا الكتاب ، إلا أن كتاب **فوربس** يحوي الكثير عن تاريخ العلم والتكنولوجيا وتطوراتها مما لا يأتي به كتاب راسل .

والحقيقة تبقى : سواء كانت التكنولوجيا شرا أكثر منها خيرا ، أو خيرا أكثر منها شرا ، فإن عالم اليوم ـ والمستقبل ـ ينقسم إلى نوعين من المجتمعات ، تكنولوجي ، وغير تكنولوجي ، وكلما كان المجتمع غير تكنولوجي ـ ومهما خيل لأهله أنهم ينعمون به من مميزات ـ فإنه سيكون هو الضعيف والفقير والمتخلف ، وبعبارة أخرى ، هو مخزن الخامات والأيدي العاملة الذي يمد السادة التكنولوجيين بما يحتاجونه . وأبسط ما يضاف لذلك : الحرب ، والحرب الحديثة لا تتسنى إلا للتكنولوجيين وحدهم ، والقنبلة عندما تسقط ، سواء كانت ذرية أم غير ذرية ، فإنها لا تفرق بين الشجاع والجبان ، ولا هذا وذاك تختلف ميتته بتأثيرها التكنولوجي .

موضوع خاص





المغاور عجائب الطبيعة



★ نفق في مغارة جعيتا ، حيث تظهر الرواسب الدقيقة على الجانبين ★

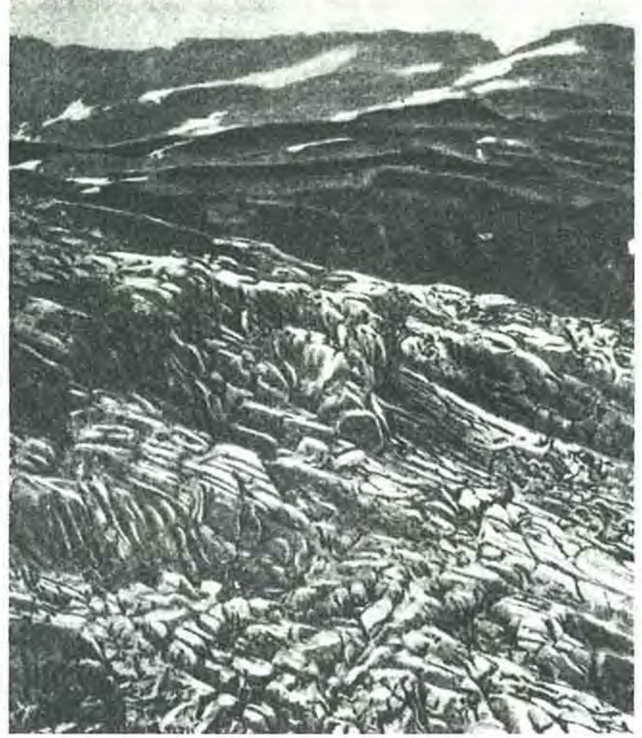




★ ميدان الجرود «الكارست» فوق جبال سيلبرن في سويسرا ★



★ صورة خفوس في كلس هضبة «يايلا» في القرم ★





★ لا تبعد مغارة جعيتا أكثر من بضعة عشر كيلو متراً عن بيروت العاصمة اللبنانية ، إذ يتفرع عن الطريق الشمالي الساحلي العريض درب معبد يذهب بك شرقاً ، مصعداً في الجبل ، ضمن واد مخضوضر بغابة غير كثيفة ، كتلك الغابات التي نجدها على كل سفوح الجبال المطلة على ذلك البحر اللازوردي ، أي البحر الأبيض المتوسط ، حيث تتناثر شجيرات السنديان والصنوبر والبقص ونبتات الأريقي والصعتر وسواها من النباتات العطرية ، ناشرة في الجو عبيراً يتمازج مع نسائم البحر الندية فيبعث في الإنسان إحساساً غريباً كله رشاقة في النفس وتسام في الروح ونسيان عابر لهموم الحياة ومشاكلها ★

ويفجؤك وأنت في هذه النشوة بناء صغير يقوم على الجانب الأيسر من الوادي يشتمل على مقصف وحانوت لبيع المصنوعات اليدوية السياحية ومكتب لبيع البطاقات للراغبين في زيارة المغارة الأعجوبة ، مغارة جعيتا ، التي تكشفت عن مكنوناتها لأول مرة قبل ربع قرن من الزمن .

وتدخل بعد قليل مع الداخلين ، من زوار وسياح وطلاب من مختلف المستويات وعلماء ، عبر دهليز مستقيم محفور في الصخر الأصم ، تنيره **مصابيح الكهرباء** بشكل ينم عن ذوق رفيع ، إلى أن تبلغ كهفاً ، يعرض تارة ويضيق أخرى ، إلى أن تصل إلى **المغارة الرئيسية** ، وهي مغارة جعيتا ، ومعناها بالسريانية «**خرير الماء**» .

وهنا يتدخل النور الكهربائي مرة أخرى ليمنح الأشكال الطبيعية التي تعرض نفسها أمام ناظريك انطباعاً فتاناً تحار في تشبيهها بما سبق لك وخبرته في حياتك من مشاهد وأشياء مصنوعة ، ومن نباتات وثمار ، وحتى حيوانات ، أو أعمدة رشيقة في هياكل أثرية متهدمة ، تشهد عليها جدرانها السامقة وأبراجها .

ثم يشير الدليل إلى **سلم حديدي** يمكنك أن ترقاه إذا كنت ممن لا يخشون الدوار بسبب الارتفاع ، فتصعد درجاته ، وأنت تمسك بالدرابزين الندي تحاشياً للانزلاق الخطر ، فتطل من عل على مناظر تسحر الألباب تحت قبة ترتفع لأكثر من خمسين متراً ، يتقطر الماء من جوانبها بصمت ، أو يسيل تحت قدميك في مجار معقدة ، فتقف متأملاً ، وقد تملكك الذهول أمام هذه العجائب الطبيعية ، التي لا تجد لها تفسيراً ، لا في النشرة السياحية الوصفية المقتضبة ، ولا لدى الدليل السياحي الذي يندر أن يسمح له وقته الضيق أو حصيلته العلمية المحدودة ، تفسيراً يروي غليل فضولك للمعرفة ، وتعطشك لاستشفاف مكنونات أحشاء الأرض .

رحلة مع قطرة الماء

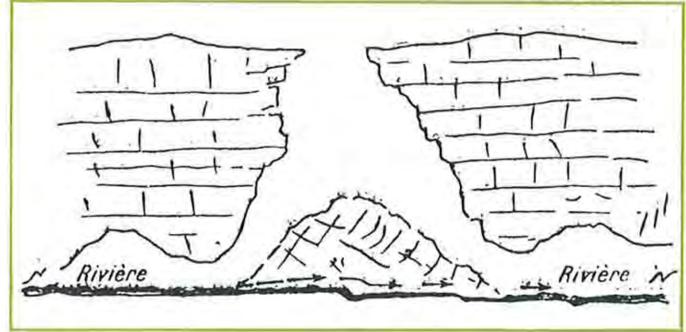
ما نراه داخل المغارة هو نتيجة عمليتي هدم وبناء تجريان بصورة أبدية ، سرمدية ، تحت أبصارنا ، ولكن أعمارنا المتناهية في القصر بالنسبة للزمن الذي يستغرقه تشكل هذه التكوينات الصخرية ، هي التي تجعلنا عاجزين عن أن ندرك كنه هذه الأشكال المستغربة . ولا مندوحة من العودة مؤقتاً إلى سطح الأرض كي نتتبع خطى **قطرة الماء** ، مقتفين أثرها ، مرحلة فمرحلة . فهي المسؤولة عن كل ما تراه عيوننا ، من مشاهد لا يكفي أن نقف أمامها مشدوهين مأخوذين ، بهذه **اللوحات** التي لم تمسها يد مخلوق ، والتي نراها بكل بهائها ورونقها دفعة واحدة ، والتي استغرق صنعها مئات الآلاف ، ولربما بضعة ملايين السنين الطوال .

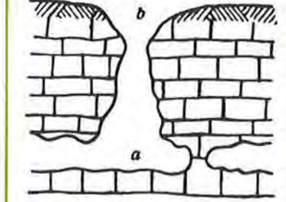
نعم لنعد إلى سطح الأرض ولنخرج ، إلى حين ، لنرى سطح الجبل وكل الهضبة التي تقع فوقها ولا سيما إلى الشمال منها .

الجرود .. أو الصحارى الكارستية

من المعروف لدينا جميعاً أن لدى الماء قدرة كبيرة على الإذابة ، فمن السهل مثلاً أن نذيب قليلاً من السكر أو الملح أو الصودا في كوب من الماء ، حتى ولو كان

★ شكل رقم «٢» ★





★ شكل رقم «٤»
تشكيل قمع في صخور قابلة للذوبان
تجويف باطني «A»
قمع .. أو عقن «B» ★

★ صورة لدحل هيت، قرب مدينة الرياض، وتعطي صورة السيارة التي داخل الدائرة، فكرة عن أبعاد الخفس ★

بارداً . ولكن هذه المواد ستذوب بسرعة أكبر فيما لـو كان هـذا الماء سـاخناً . فمـاء بعض الآبار وكل العيون المعدنية يبرهن على أن الماء يـذيب في الـطبيعة بعض المواد التي يصادفها أثناء مسيرته الباطنية ، ولا سيما ماء الينابيع الحارة ، وأفقر أنـواع الميـاه بالمواد المنحلة هو ماء السدود المتجمع على أثر الأمطار أو السيول الشديدة .

ولكن غالبية الصخور غير ذوابة ، حتى ولـو كانـت في الماء السـاخن الـذي لا يستطيع أن يستخلص منها سوى جزيئات ضئيلة للغـاية . بيـد أن هنـاك صـخوراً أخرى ، **كالملح الصخري والجبس والصخور الكلسية** ، تكون قابلة للذوبان بصورة متفاوتة حتى أن الماء ليستطيع أثناء تسلله من خلال شـقوقها أن يـأتكل منهـا شيئاً فشيئاً ، وجزيئة فجزيئة ، فيزيد من عرض الفصمات التي يسلكها فيشـكل فيهـا تجاويف مختلفة أبعادها .

ويعمل ماء الأمطار الحاوي على **غاز الكربون** ، والـذي امتصـه مـن الجـو بكميات زهيدة أثناء هطوله ، والذي جعله حامضاً ـ بلغة الكيماويين ـ أقـول يعمـل بنشاط أكبر ، لا سيما بعد أن زادت حموضته أثناء تسلله بين جـذور النبـاتات والمواد العضوية الأخرى ، فيؤثر في الصخور الكلسية وعلى فحمات الكلسيوم الـداخلة في تركيب بعض الصخور . أما الملح الصـخري فيـذوب بسرعـة ، ويـذوب الجبس SO_4Ca2H_2O ، أو كبريتات الكلسيوم المائية ، بصورة أكثر صعوبة ، ولكن بصـورة أسرع من الأنهيدريت SO_4Ca أو كبريتات الكلسيوم ، ويظهر طعمـه في ميـاه هـذه الصخور الذي يصيب الكثيرين باسهال شديد كمياه **عيون الخرج وخفس دغرة جنوب شرقـي الرياض في المملكة العربيـة السـعودية ، أو عـين الحمام جنوب شرقـي حلب في سورية** . ولكن يظل ذوبانه على كل حـال أفضـل مـن الصخور الكلسية .

ويمكن التأكد بسهولة من ذوبانية الصخور الكلسية في الجبال المرتفعة ، أي فوق نطاق النباتات كما في منطقة **مغارة قاديشا في لبنان** ، قرب غابة الأرز الشهيرة . فهناك نجد سفوحاً صخرية مائلة ينساب من فوقها ماء المطر وذوب الثلـوج **(شكل ١)** . ونرى عندها أن سطح هـذه الـطبقات الـكلسية ، الـذي كان في الماضي صقيلاً ، مستوياً ، منسجماً ، وقد أصبح مشوهاً قد خـددته تحـزيـزات متفـاوتة في عمقها ، تنفصل عن بعضها بأعراف وبحافات حادة . وقد يبلغ عمـق هـذه الأتـلام نصف متر ، وربما أكثر من ذلك . أما الأعراف فتكون عبارة عن سروات مصغرة لها شكل أسنان المنشار . وهذه الأشكال هي نتيجـة لعمـل الماء الجـاري على سـطح الصخور الكلسية والتي يعمل فيها تذويباً . وتغطي هذه الأشـكال الغـريبـة الـتي تتخذها هذه السطوح ـ التي تدعى **« لابييز »** في اللغـة اليـوغوسلافية ـ تغـطي مساحات كبيرة أحياناً وعرة للغاية مما يجعلها خالية من الـدروب ولا سيما إذا كانـت الأعراف والأتلام نامية جداً . وتسمى هذه الرقع القمرية المظهـر ، والعـاريـة مـن النبات والتربة ، الجرود في أعالي **جبل لبنان** وجبل الزاويـة **في سوريـة** ، هـذا يطلق الجغرافيون على هذه المساحات الخالية **« الصحارى الكارستية »** لاستحالة إقامة البشر فيها لأن الماء يفور فيها ، أي هي بلاد عطش رغم كثرة أمطارها . وهكذا لا يجري الماء هنا على السطح ، أي لا ينساب بشكل مائل حسب الانحدار بل يفـور عمودياً بين شقوق الصخر الرأسية والأفقية .

ويبرهن لنا الكارست ـ نسبة لجبال الكارست اليوغوسلافية ـ أن الماء ، الـذي يجري تحت سطح الأرض سـالكاً في فصمات الصـخور الـكلسية ، أو الجبسـية ، يستطيع أن يذيب الصخور المذكورة لأنه حامض يعمل في وسط قلوي ، فيشكل فيها تجاويف باطنية ، كما يعمل السوس في الخشب . فإذا كانت هـذه التجـاويف كبيرة الأبعاد وقريبة من سطح الأرض ، فإن الطبقات العليا منها قد تنخفس تلبيـة لنـداء الفراغ تحتها ، فتشكل هـوته في خفس ، مثـل **خفس المذنـب في القصيـم في السعودية** ، أو أكثـر عمـقاً وأقـرب للشكـل الأسطوانـي حيث يظهـر المـاء فـي قـاع الخفس مثل عيون الخرج وخفس دغرة جنوب شرقي الرياض .

ويكون الخفس عموماً على شكل قمع ، أو محقـن ، أي ضيـق الفـوهة بـالأعلى وعريضاً بالأسفل ويظهر في منخفض من الأرض أو على خاصرة جبـل مثـل **دحـل هيت الواقع شرقي الرياض** بمسافة ٢٠ كم تقريباً . **(شكل ٢و٣و٤)** .



★ أشكال سجف.. وأشكال قطرية ★

وإذا كانت هذه الخفوس، أو الدحول، عديدة في المناطق ذات الصخور الكلسية، كما في أواسط **شبه جزيرة قطر (شكل ٥)**، فإن من الخطر الجسيم تشييد العمارات الضخمة فوقها أو تمديد السكك الحديدية، إذ تكون أمثال هذه المناطق عرضة لخفوس جديدة تحت جدران العمارات أو تحت قضبان سكة الحديد مما يؤدي لكوارث. هذا كما يحتاج بناء السدود التخزينية، في مناطق ذات صخور كلسية، لدراسات متعمقة يشترك فيها المهندسون مع علماء **الجيولوجيا والجيومورفولوجيا**، وأكبر دليل على ذلك ما عاناه المهندسون الأتراك والألمان قبل حوالي عشرة أعوام عند بناء **سد كيبان** على نهر الفرات في **تركيا**، حيث تسربت مقادير هائلة من المياه المخزونة من بحيرة السد، من خلال الشقوق والتجاويف الصخرية الجانبية، مما اضطر القائمين على بنائه إلى اللجوء لعمليات ترميم وحقن كميات كبيرة من الأسمنت أدت لنفقات إضافية ضخمة.

أما في الأقطار ذات المناخ الرطب، مثل **يوغوسلافيا**، فإن الخفوس الصخرية، الناجمة عن وجود تجاويف باطنية مسبقاً، سرعان ما تمتلىء بالماء وتشكل بحيرات أو مستنقعات. وقد تغور أنهار بكاملها في مغاور باطنية، تاركة أوديتها السابقة جافة، ولكن على مسافة ما، تعود هذه الأنهار للظهور على شكل ينابيع فوارة تثير ضجيجاً هائلاً **كنبع الهرمل** الذي يؤلف رأس **نهر العاصي** في شمالي لبنان، أو **عين الزرقاء** التي تصب في نهر العاصي شمالي بلدة **جسر الشغور**، والتي هي عبارة عن مياه منخفض الروج التي تختفي في كهف البالعة. وقد تظهر هذه الأنهار أحياناً ضمن الأقماع الناجمة عن الخفوس ذاتها، أو تتلاقى الأقماع فيما بينها باطنياً بفعل شدة عملية التحلل، فلا تنفصل عن بعضها بأكثر من جسور طبيعية صخرية كلسية مثل جسر القوس **(بون دارك)** الذي يعتبر أحد الأعاجيب الجيولوجية في العالم. ويقع في **منطقة سيفين، جنوبي فرنسا**، وهو جسر طبيعي يخترقه **نهر الأرداش**. ويمر النهر كله من تحت القنطرة الطبيعية حيث يبلغ عرضه أربعين متراً وارتفاعه ٣٥ متراً وسمك الكتلة الصخرية ٦٥ متراً **(شكل ٦)**.

أما في المناطق ذات المناخ الأكثر جفافاً، ولا سيما في الجبال ذات المناخ الأكثر جفافاً، خاصة في الجبال ذات الصخور الكلسية، فينمو ويتطور ما سميناه **بالكارست**، والناتج عن عمل الماء التذويبي في باطن الأرض. وتتميز هذه الأشكال الطبيعية بكثرة الأقماع والخفوس والأودية العمياء حيث تغور مياه الأنهار فجأة. ففي جوار **زحلة، في لبنان** يقع، **فوار عين الدارة** المتشكل في الصخور الكلسية الجوراسية على ارتفاع ١٦٠٢ متر. وقد أثبتت تجربة تلوين الماء بمادة الفيلورسيين أن هذا النهر الباطني يغذي عين **فوار انطلياس** الذي يبعد عنه بمسافة ١٨ كليو متراً ويقع قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط، والذي ينخفض بحوالي **١٥٤٠** متراً عن مستوى قاع فوار عين الدارة حيث يغور الماء، مثلما تتميز هذه المناطق بندرة الأشجار لانجراف التربة مع المياه الباطنية. وينجم كل هذا عن تسرب ماء الأمطار بسرعة في مغارات باطنية مما يؤدي لتجفف سطح الأرض في معظم المناطق، وبظهور مستنقعات في مناطق أخرى في نفس الوقت.

وتكثر هذه الأشكال الكارستية في **جبل لبنان** وفي **جبل الأطلس الأوسط في المملكة المغربية جنوبي فاس ومكناس**، وفي **جبال الديناريك اليوغوسلافية**، ولا سيما تلك الجبال التي تحمل اسم الكارست والذي منحته لكل البقاع المماثلة في العالم.



★ مدخل مغارة (جعيتا)، حيث تظهر الرواسب الدقيقة على الجانبين ★

المغاور

وتكون المغاور في أغلب الأحيان نتيجة تحلل الصخور الكلسية بفعل المياه الباطنية المشحونة بغاز الفحم . وهكذا تكون مناطق الكارست غنية بالمغاور ، مثل **مغارة جعيتا ، ومغارة قاديشا ومغارة الرويس في قضاء جبيل في لبنان ، ومغارة الضوايات في منطقة صافيتا في سورية .**

ولكن هذه الكهوف قد تظهر في مناطق غير ذات صخور كلسية ، فنجدها في صخور الأنهيدريت كمغارة دحل شرقي الرياض ، أو في الصخور الجبسية كما في منطقة عيون الخرج وخفس دغرة الذي نضبت مياهه بعد ضخ مفرط . وبنيء شكل الكهوف ذاته على أنها ناجمة عن العمل التذويبي الذي تقوم به المياه الباطنية . فنحن لا نكون هنا أمام تجويف منعزل في الجبل بل نجد أمامنا في أغلب الأحيان بضعة قاعات أو كهوفاً متفاوتة الأبعاد ذات سقف قبابي الشكل ، تتواصل فيما بينها بواسطة ممرات ضيقة ومنخفضة على شكل سراديب ، تهبط أو ترتفع ، أو بواسطة أروقة عريضة .

وقد تكون منظومة الأروقة والممرات والقاعات على نفس المستوى ، أو حسب سطح مائل ، أو على عدة مستويات متطبقة فوق بعضها البعض ، وتكون أخفض القاعات هي أغناها ببرك الماء أو بالأنهار الباطنية ، وتنتج جميعاً عن شبكة شقوق كان يجري الماء فيها ، والذي راح يعمل حثيثاً على تعريضها وذلك حسب قابلية الصخور التي يسري فيها للذوبان . ففي بعض الكهوف لا تزال تجري أنهار باطنية حقيقية ، كما في مغارة قاديشا ، في حين نجد في الأخرى بحيرات متباينة الأبعاد ومليئة بماء راكد (**شكل ٧**) ، كما في مغارة جعيتا .

اكتشاف مغارة جعيتا

★ لقد اكتشفت جعيتا بطريق الصدفة على يد شخص يدعى طومسون عام ١٨٣٦ م ، وكان في رحلة صيد في هذه المنطقة فوجد نفسه فجأة عند مدخل المغارة وفي عام ١٨٧٣ م ، دخلها الأخوان ماكسويل وويلسون وهكذا توالى عليها المستكشفون إلى أن افتتحت رسمياً عام ١٩٥٦ م ، وتشير إلى ذلك لوحة رخامية عند المدخل .

وعند مدخل المغارة درج يتجه إلى أسفل تسير عليه قبل بلوغ بداية المغارة عند سفح الجبل . وفي مدخل المغارة تقع بداية النهر الذي يسمع له هدير شديد .وتمتد مجاري المياه الباطنية لمسافة بضعة كيلومترات ، ويقدر علماء الجيولوجيا أن تكويناتها استغرقت أكثر من مليون سنة لكي تأخذ شكلها الحالي .

وتتدلى الرواسب على الجانبين لتقدم مشاهد تأخذ الألباب ، فبعضها يتخذ شكل عناقيد ، والبعض الآخر على شكل زهور متباينة ، في حين تبدو الأخرى على هيئة حيوانات ، وبينها ما يبدو على شكل أقمشة ملونة مدلاة بشكل متناسق ومنها ما يشبه الطيور ، وآخر على شكل أشخاص ، وقد تم صنع هذه الأشياء في معزل عن مفهوم الزمن لأن تكوين سنتيمتر واحد من هذه الرواسب قد يتطلب مائة عام .

وزينت وزارة السياحة اللبنانية بعض السواقي بثريات كهربائية ملونة تحت الماء ، وعند اقتراب القوارب منها تنعكس هذه الأنوار عليها وعلى الركاب فتعطي منظراً خلاباً كله ألوان زاهية هي ألوان قوس قزح وقد اكتسى الماء من أضواء الثريات الملونة بريقاً خاصاً يبعث على الذهول لفرط روعته وبهائه ★



★ شكل «٦» جسر القوس «بوان دارك» جنوبي فرنسا والذي يخترقه نهر الارداش ★

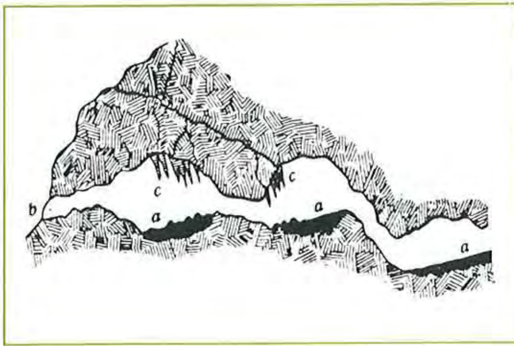
وتنفتح هذه الكهوف على سطح الأرض بواسطة مدخل، ضيق أحياناً، وعريض تارة، واقع على سفح جبل أو على خاصرة واد (**شكل ٨**)، وغالباً على جانب جروف شبه قائمة، وأحياناً على مستوى البحر. ومن هذه الفتحة يدخل السائح، أو المكتشف، إما إلى القاعة الأولى مباشرة، وربما تكون هي الوحيدة، أو

★ النوازل بالأعلى.. وكساء إحدى الصخور، برواسب صاعدة ★





★ شكل رقم «٧» و «٨»، بحيرة صغيرة في مغارة جعيتا ★



★ شكل رقم «٩» مقطع طولاني رسوبات قاع الكهف «A» المدخل «B» قاعات «C» ذات صواعد ونوازل ★

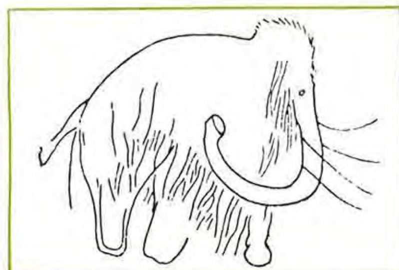
يكون عليه أن يسلك ممراً ضيقاً ومتعرجاً، يرتفع تارة وينخفض أخرى كي يؤدي به إلى قاعة كبيرة، ولبعض القاعات مخارج إضافية تكون أحياناً على شكل آبار عمودية.

هذا وتكون أبعاد المغاور متفاوتة جداً، تتراوح بين قاعة قريبة من سطح الأرض وبين تيه لا يكاد ينتهي من القاعات والممرات. وهكذا فإن **مغارة الماموت** الهائلة في **ولاية كنتكي في الولايات المتحدة** تحوي ٢٠٠ رواق يبلغ طولها الاجمالي ٢٥٠ كم، ولكن المسافة لا تتجاوز ١٦ كيلو متراً على خط مستقيم بين مدخل هذا التيه ونهايته ويبلغ ارتفاع القاعة الرئيسية ٣٠ متراً.

أما في مغارة جعيتا، فإن المسافة المكتشفة فيها لا تتجاوز ستة كيلو مترات، ولكن الجزء المستغل سياحياً لا يزيد طوله عن ٦٥٠ متراً فقط، أو عشر طول المغارة المكتشف. ويعود ذلك لوجود فواصل صخرية مرتفعة، فضلاً عن وجود **شلالات** تحول دون الاتصال بين البحيرات والقاعات الرئيسية، وما خفي من المغارات الداخلية أكثر بهاء وأبعاداً من جعيتا نفسها، إذ يبلغ طول **قاعة ألف ليلة وليلة** قرابة كيلو متر ونصف بعرض يقارب ٦٠ متراً، ويبلغ ارتفاع قبتها إلى ثمانين متراً، أي **أعلى قبة جوفية معروفة بالعالم** مثلما تشتمل على زمر من الصواعد والنوازل متناهية في صفائها وجمالها والتي تتخذ أشكالا غاية في الإبداع والجلال. (**شكل ٩**)

ويبلغ طول **مغارة كونغور** في جبال الأورال الروسية ٢,٥ كيلو متر وتقع معظم المغاور الأخرى في **شبه جزيرة القرم وفي جبال القفقاس وفي جبال الطائي** المحاذية للحدود الأفغانية والصينية.

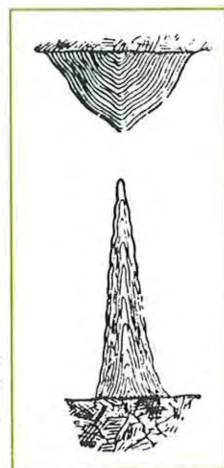
وتكون أرضية المغاور مفروشة على الغالب بأنقاض الصخور المتساقطة من السقف ومغشاة بطبقة رقيقة من غبار. وترقد هذه الفتات الصخرية فوق أرضية



★ شكل رقم «١٠» ، رسم يمثل فيل الماموت المندثر ، من تنفيذ إنسان بدائي ★



★ شكل رقم «١٢» ترسيب على هيئة زهرة القرنبيط ★



★ مقطع لصاعدة ونازلة ★



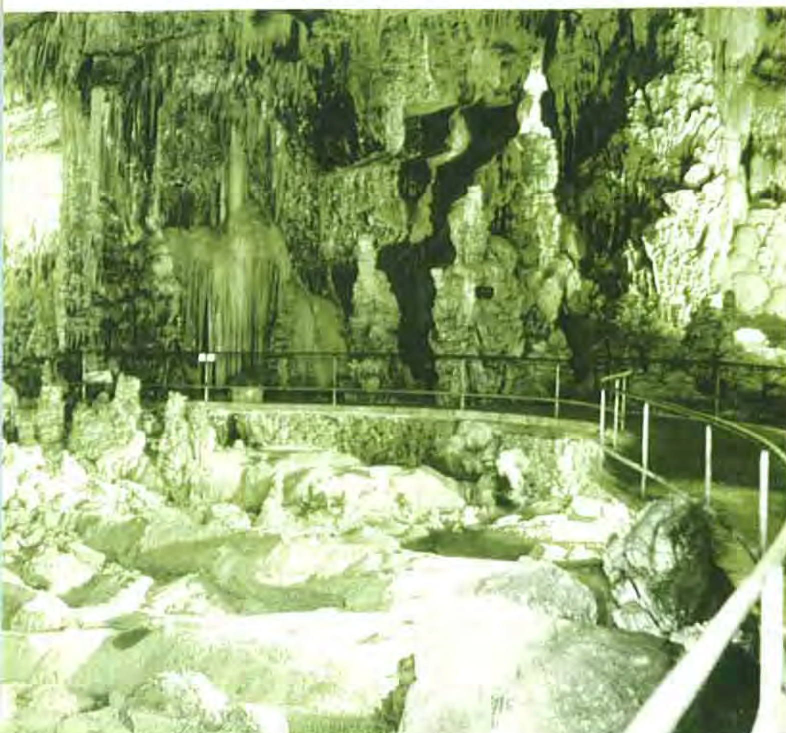
★ شكل رقم «١٤» مغارة الألماس ، كهف «كونغور» في الاورال ★

المغارة مباشرة أو فوق طبقة من غرين خلفه الماء الجاري في المغارة أو نقله الريح على شكل غبار . ويعثر المكتشفون وعلماء المغاور في هذه الرواسب على عظام سكان الكهوف القدامى من بشر وحيوانات : **كالدببة والأسود والنمور والضباع والذئاب وأبناء آوى والثعالب** ، فضلاً عن فرائس هذه الوحوش . ونذكر من بين سكان المغاور الأخرى **الخفافيش** وبعض الطيور **كالبوم والحمام** ، التي لا تظهر هياكلها العظمية إلا في الكهوف القريبة من سطح الأرض . وقد ترك الآدميون البدائيون الذين كانوا يقطنون هذه الكهوف عظامهم وعظام الحيوانات التي كانوا يعتمدون عليها في غذائهم ، ورماد مواقدهم ، وبقايا الأشياء التي كانوا يصنعونها من أدوات حجرية وعظمية وسواها ، مثلما ترك الإنسان القديم على الجدران رسومات لحيوانات كان يطاردها أو يخشاها كالماموت . **(شكل ١٠)**

ولهذا يكون لعدد كبير من المغاور أهمية تاريخية تسمح بالتوصل لدلائل جزيلة الفائدة عن العالم الحيواني في الأزمنة القديمة وعن مستوى معيشة البشر البدائيين . ولكن من الواجب أن تتم دراسة هذه البقايا بصورة منهجية وباشراف علماء ، وإلا تعرضنا لخسارة مادة علمية على قدر كبير من الأهمية . وهكذا قضي على العديد من المواقع الأثرية على أيدي هواة غير مختصين أو غير مؤهلين .

هذا ، وفضلاً عن التوضعات الهشة التي ذكرناها ، فإننا نعثر فوق أرضية العديد من المغاور ، على تكوينات قاسية ناجمة عن رواسب المياه المتسربة من الأعلى والمترشحة من قباب القاعات . وهكذا يترسب جزء من الكلس الموجود على شكل محلول أثناء بقاء القطرة معلقة قبيل سقوطها ويترسب القسم الآخر في الأسفل بعد سقوطها . وهكذا تتشكل تدريجياً وببطء شديد ، ولكن بصورة دؤوبة ، وبعد مضي

★ أعمدة صاعدة من «الكلسيت» النقي ، فحمات الكلسيوم ★





★ إحدى البحيرات ، وتظهر من فوقها الرواسب الدقيقة جداً في مغارة جعيتا ★

عشرات الآلاف من السنين ، أقول تتشكل النوازل التي تتدلى من الأعلى والصواعد التي تسمو نحو العلاء تدريجياً . وإذا كان الماء يترشح من عدة نقاط في سقف القبة فتتشكل غابة حقيقية من أعمدة هي الصواعد والنوازل ومع توالي الزمن تنمو هذه الأشكال الصاعدة والهابطة إلى أن تتلاحم أعمدة كاملة صخرية .

ويمكن الحصول على مناظر ساحرة بجمالها بعد تسليط الأنوار الاصطناعية الملونة عليها (**شكل ١١**) ، وهذا الترسب الذي يعتري مادة كربونات الكلسيوم المنحلة يعطي أشكالا أخرى مثل زهرة القنبيط (**شكل ١٢**) ، أو الستائر والسجف المخملية المتطبقة بشكل أنيق ، كأنها من صنع **أمهر الصناع** ، وذلك باختلاف أحجام وأشكال الصخور التي تترسب فوقها على أرضية المغارة . . ولا غرابة في ذلك فهذه المادة الكلسية هي التي تترسب حول حبة الرمل في جوف المحار **فتعطي اللؤلؤ الطبيعي أو الاصطناعي الياباني المزروع** ، أو تدخل مع عناصر أخرى كالصوديوم عند اختلال عملية الاستقلاب في جسم الإنسان لتؤلف الحصاة في الكلية أو المرارة أو المثانة ، أو تترسب في داخل الفم عند قاعدة الأسنان من الداخل فتشكل ما يسميه أطباء الأسنان **القلح** ، وهي المادة البيضاء التي نراها حول فوهة



★ أعمدة صاعدة من «الكلسيت» النقي ، فحمات الكلسيوم ★

صنبور الماء ، أو تشكل مع الملح حبيبات بيضاء حول عيدان القش في المكيف الصحراوي .

عودة إلى مغارة جعيتا

ولنعد الآن ، بعد هذه اللمحة العلمية ، لنتأمل هذه الأعجوبة الفريدة في أبعادها ، والمتميزة في سائر عالمنا العربي حتى الآن ، على الأقل ، والتي تعتبر بحق من أكثر المغارات الكارستية في العالم جمالا ، هذا إذا لم نقل إنها أجملها قاطبة ، فحيثما تجولت فيها تراءت لك مناظر متباينة تتنافس في إبداعها وبهائها ، كأنك تطوف قاعات متحف أثري ، متعدد الأجنحة ، صنعت معروضاته من مادة واحدة ، هي **الكلسيت** ، ولكنّ بأشكال ومظاهر شتى ، مما يسمح لخيالك أن يسرح طليقاً ليتصور أشباه هذه الأشكال من سابق مرئياته وذكرياته ، فهو يمثلها تارة بالزهور ، وتارة أخرى بالحيوانات ، أو بالمعابد ، أو بالستائر ، أو بالثريات (**النجف**) المدلاة من السقوف ، إذ ما عليك إلا أن تترك لتصوراتك العنان كي تتمثل من الصور ما

يحلو لها وتشاء، ولكي تمجد في قلبك ولسانك مبدعها الفعال لما يشاء.

وقد ظلت مغارة جعيتا التي اكتشفت، علمياً، واستغلت، سياحياً، منذ حوالي ربع قرن من الزمن، ظلت تستأثر بأكثرية السياح الذين يقصدون لبنان، وفي عام ١٩٥١م، بدأت عمليات الكشف عن مكنوناتها من بحيرات جوفية ودهاليز وممرات ضيقة متعرجة متعددة المستويات بفضل الهواة والعلماء المختصين.

علم المغاور Spéléologie

إذا كان هناك هواة ومختصون في رياضة تسلق الجبال alpinistes، وهي رياضة لها قواعدها ومخاطرها، فإن **علم المغاور هو رياضة وعلم قائم بذاته في آن واحد. فهو علم يهتم بتشكل وباكتشاف الكهوف الطبيعية في باطن الأرض**، وقد عرفت أوائل الحملات للتنقيب عن المغاور وكشفها على يد **العالم مارتل** Martel الذي اكتشف وارتاد بعض كهوف **منطقة سيڤين في جنوبي فرنسا** بين عامي ١٨٨٣ و١٨٨٧م، وقد قام بعمليات ارتياد جريئة في **هوتات** ظلت مجهولة حتى ذلك التاريخ.

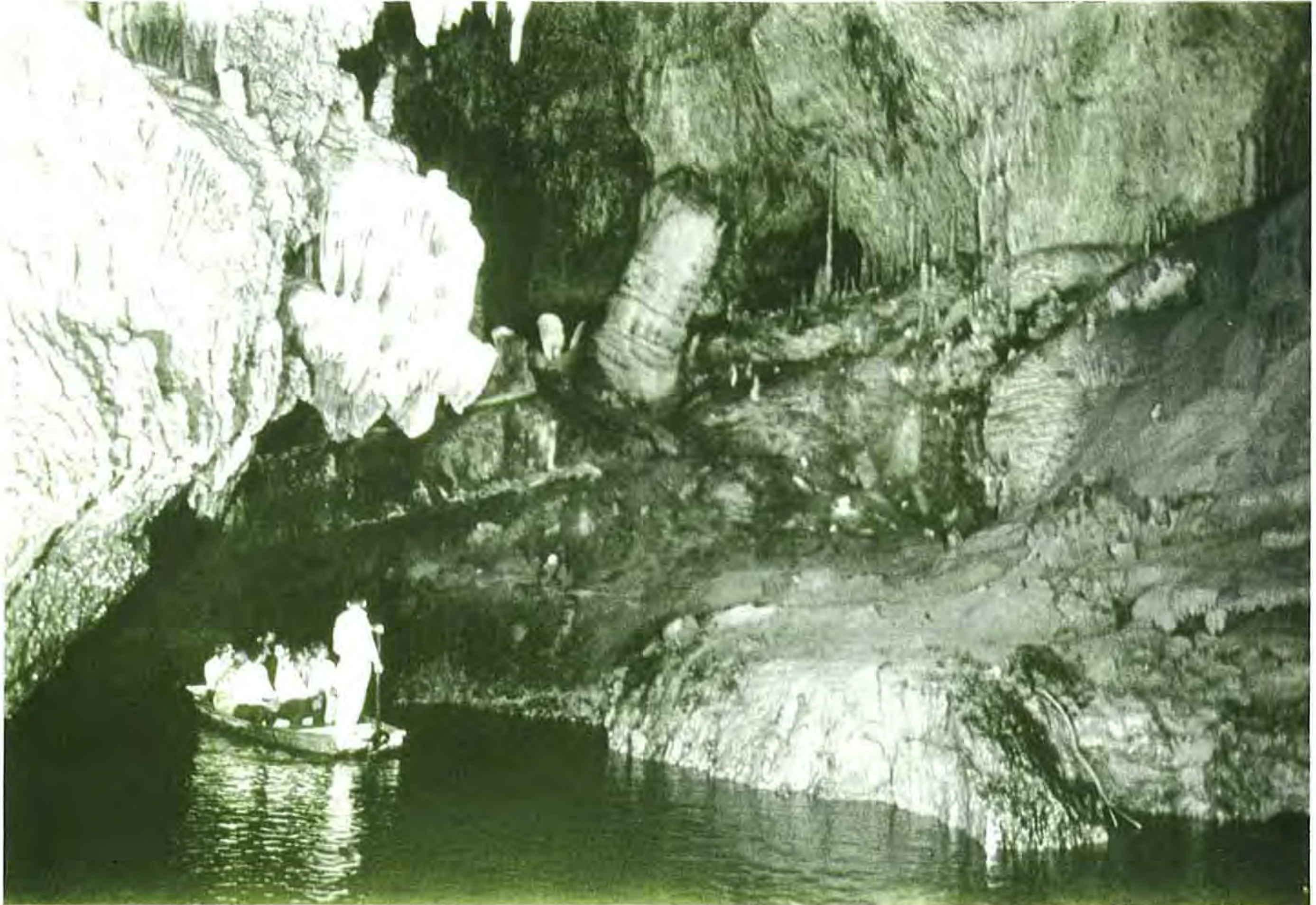
وابتداء من عام ١٨٨٨م، أخذ رواد المغاور باستعمال أدوات علمية مدروسة كالسلالم المعدنية الخفيفة، والتنوير بمصابيح كهربائية، واستعمال أدوات ارسال واستقبال الراديو، وتتالت الاكتشافات في مناطق أخرى من العالم، ولا سيما **أكبر مغارة في العالم، وهي مغارة الماموت في الولايات المتحدة الأميركية،** وأمكن الحصول على معلومات أثرية قيمة تعود لفترة ما قبل التاريخ، من رسوم ملونة أو محفورة ومصنوعات بشرية بدائية.

المغارة الجليدية

هذا وتستأثر الكهوف الجليدية بجاذبية من نوع آخر، إذ يكون تأثير التنوير أشد فعالية وتوهجاً لتعدد أوجه بلورات الجليد التي تتألف منها الصواعد والنوازل. فتكون الحرارة هنا منخفضة سواء في الشتاء أو الصيف. ومن جهة أخرى فإن الرطوبة على جدران المغاور وعلى سقوفها، وحيث لا يتقطر الماء، تشكل بلورات من الجليد الجميلة والكبيرة، والتي تعكس نور الشموع أو المشاعل على وجيهاتها التي لا تحصى وكأنها ثريات الكريستال.

ومن أشهر الكهوف الجليدية في العالم نذكر **مغارة تشاتيرداغ** في شبه جزيرة القرم، وفي منطقة أورنبورغ في الأورال. أما **مغارة كونغور** فتضم زمرة من القاعات لكل منها اسمها، وتتصل فيما بينها بممرات تشكل في مجموعها متاهة طولها كيلو متران ونصف، وأقرب كهف من المدخل هو **مغارة الجليد (شكل ١٤)**، التي تحوي صقيعاً في سقفها وصواعد ونوازل. أما في الجزء الداخلي الأقصى من المغارة، وحيث لا يدخل الهواء البارد مطلقاً، فتظل الحرارة دوماً أعلى من الصفر. وفي هذه المغارة عدة بحيرات صغيرة لا يتجمد ماؤها مطلقاً. وتبلغ مساحة أكبرها ٧٥٠ متراً مربعاً ويصل عمقها إلى ستة أمتار. وهناك فتحات عمودية تصل بعض هذه القاعات مع السطح وهي المسؤولة عن تجمد مياه بعض الكهوف لأنها تتسبب

★ احدى البحيرات.. وبرج بيزا المائل، القريب الشبه بينه وبين بيزا المشهور ★





★ كهوف قارة في الاحساء بالمملكة العربية السعودية وعلى اليمين تظهر كتل صخرية منهارة من الأعلى ومحصورة بين جداري العج ★

بنشوء تيار هواء شديد في فصل الشتاء . أما في الصيف فإن الهواء البارد يخرج من هذه المغاور ، ولكن ليس من الفتحات العلوية بل من فوهة مدخل المغارة . ونظراً إلى أن تفريغ هذا الهواء يكون بطيئاً جداً فلا يكون لدى هذه الكهوف ما يكفي من الوقت لكي ترتفع الحرارة فيها بصورة محسوسة .

وهناك مغاور جليدية في بعض أقطار أوروبا الأخرى ، ومن أهمها **مغارة دبشاو في هنغاريا** التي ينتشر فيها الجليد على مساحة يبلغ ٧١٧١ متراً مربعاً ، ويبلغ حجم الجليد فيها ١٢٠٠٠٠ متر مكعب ، ويصل ارتفاع بعض جدران الجليد فيها إلى ١٥ متراً .

انواع اخرى

وهكذا نخلص إلى أن هذه المغاور المعقدة الأشكال والتي أصبح اكتشافها ورسم مخططاتها علماً قائماً بذاته ، إنما تنحصر في تكوينات جيولوجية معينة هي الصخور الكلسية النقية القليلة الشوائب . **فالصخور الكلسية الدولوميتية** CO_3CaM_5 لا تسمح بإعطاء كهوف جميلة بل تتصف بأشكال تشبه من بعيد أطلال مدينة تعرضت لغارة جوية عنيفة . كما أن سرعة ذوبان الصخور الجبسية لا تؤدي لنشوء أكثر من خفوس عريضة القعر تعد عيون الخرج من أجمل نماذجها . ولا تؤلف **صخور الآنهيدريت** بعد ذوبانها سوى مغاور ضئيلة الأبعاد من القاع مثل دحل هيت القريب من الرياض .

أما الصخور الكلسية الرميلة كتلوينات **جبل قارا في منطقة الأحساء في السعودية** ، والمؤلفة من كثبان رملية ساحلية ، بيضاء قديمة تلاحمت حباتها فيما بينها بملاط من أملاح الكلسيوم ، فتعطي مغاور طريفة ، دون صواعد أو نوازل ، مغاور منيرة هي عبارة عن فجوج عميقة ضيقة جداً ، ناجمة عن تحلل الملاط الكلسي بفعل مياه الأمطار وتحرر حبات الرمل من رباطها ، فينفرط عقدها لتعود كثباناً متحركة بيضاء اللون نجدها في شمالي شرقي جبل قارة **(شكل ١٥)** .

الخلاصة

تقدم لنا المغاور الكلسية ، ومنها مغارة جعيتا ، الواقعة على السفح الغربي من جبل لبنان ، تقدم لنا مادة للتأمل ، تبهر نظر السائح ، وتلهب خياله برؤى لا يجد لها تفسيراً لأول وهلة ، بل يقف مشدوهاً ، لتتلاشى انفعالاته وأحاسيسه في خضم الحياة الصاخب بعد قليل .

أما العالم فله موقف آخر ، إنه يفكر قبل كل شيء في الزمن الذي استغرقته عمليتا الهدم والبناء ، أي إذابة كتل صخرية كلسية هائلة بفعل قطرات الماء الدائبة ، وكيف استطاعت أن تشيد من هذه الأملاح المنحلة فيها ، والتي تشعر بطعمها ، فنقول إن هذا ماء ثقيل على المعدة وذاك ماء خفيف عذب فرات . . وكم من الزمن استغرق بناء هذه الأشكال العجيبة ، وسيجد تفسيراً مرضياً ذلك حينما يعود لمعلوماته في الجيولوجيا ، إذ **سيرى أن عمر كوكبنا الأرضي يمتد على أربعة مليارات ونصف من السنين** . فلو افترضنا أن تاريخ الأرض هذا قد اختصرناه وضغطناه في سنة واحدة ، فسنجد أن الإنسان ظهر في الساعتين الأخيرتين ، ولا تحتل كل الفترة التي انقضت بين هجرة رسولنا الكريم ﷺ ووقتنا الحاضر أكثر من عشر ثوان من آخر السنة المذكورة ، وبعبارة أخرى لا يعادل عمر الإنسان ـ هذا إذا مد الله تعالى في عمره وبلغ السبعين ـ سوى ستة أعشار الثانية من تلك السنة التي اعتبرناها هي عمر الأرض التي عليها نعيش .

لوحة و فنان

المصير



★ لوحات هذا الفنان عموماً ، تشع بالاثارة « **الشكلية** » التي ترغمك أن تقف أمامها طويلاً في حالة من الدهشة ، فهو يعتمد في أسلوبه على الفكرة التي تحمل أكثر من وجه واحد . . ومستوى واحد ، بالنسبة لعين المشاهد .

★ وفي لوحته « **المصير** » ، التي نراها على الصفحة المقابلة ، نلاحظ رؤية جديدة في اللعب بالخط واللون في هارموني متناسق الايقاع ، حيث تسيطر الخطوط على كل مساحة اللوحة وكأنها تركض في كل اتجاه كـ« **الأخطبوط** » الذي يحاول السيطرة على أكبر مساحة لاقتناص فريسته .

★ في اللوحة ، يظهر لنا تأثره بأعمال « **الديكورات** » المسرحية التي تحاول تجسيد فكرة ما عن عالم المجهول . . وعن خطر ما يتهدد الكون . . ، وذلك من خلال الأشكال الثابتة في خلفية اللوحة ، في هدوء يعطي الإحساس بالركود والانكماش ، ثم تعزف الخطوط الدقيقة في مساحاتها الكبيرة ، عزفاً جماعياً ، مسيطراً على كل المساحة .

★ في أسلوبه يتجه إلى الرمز والسريالية والتجريد ، ولكنه يحتفظ بألوان البيئة التي يعيش فيها ، محاولا بذلك طرح فكرة ما عن موضوع ما يمس بيئته .

★ يحاول في هذه اللوحة أن يؤكد رؤية كالحلم المفزع ، تلك الرؤية التي تنظر إلى الخليج كمصدر ثروات كبير ، تريد أن تستنزفه قوة هائلة ، تشبه ذلك « الأخطبوط » الذي حاول تجسيده وسيطرته الطاغية على مساحة اللوحة ، ثم يقابله في ذلك ، الهدوء والطمأنينة في خلفية اللوحة ، لشعوب تلك المنطقة التي تنعم بالسلام . .

وربما حاول في لوحته . . تجسيد فكرة أكبر . . ، **فكرة سيطرة الحرب على العالم بجميع أسلحته الفتاكة ، على مجتمعات وشعوب آمنة .**

عبد الرسول سليمان



★ من مواليد الكويت عام ١٩٤٦ م .

★ خريج دار المعلمين ـ الكويت التربية الفنية

★ مدرس بمدرسة الصديق المتوسطة للبنين .

★ عضو مجلس إدارة الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .

★ عضو الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب .

★ عضو جماعة الصحافيين الكويتيين .

★ عضو الاتحاد العام للصحافيين العرب .

★ مؤلف كتاب « بداية مسيرة الفن التشكيلي في الكويت » .

★ اشترك في أكثر من ٦٠ معرضاً فنياً داخل الكويت والدول العربية وأمريكا . . وفرنسا وإيطاليا وألمانيا ويوغسلافيا . . والهند .

★ صمم وأشرف على أول نصب تذكاري (للمعلم) لجمعية المعلمين الكويتيين .

★ الجوائز التي حصل عليها : الجائزة الثانية عام ١٩٧٤ م ، المعرض العام للجمعية الكويتية للفنون التشكيلية .



المنجزات العلمية في الحضارة الاسلامية وأثرها في حضارة أوروبا

بقلم: د. حمد محمد العرينان

لم تقتصر منجزات العرب الحضارية على المجال النظري من العلوم، حيث استطاعوا أن يسيروا قدماً في كل اتجاهات هذا المجال، إلى جانب ابتكارهم عدداً من العلوم التي نبعت من طبيعة دينهم ولغتهم، وحاجتهم إلى فهم الأول فهماً صحيحاً وتطوير الثاني، واستحقوا بذلك أن يدون لهم التاريخ هذا السبق الحضاري. وفي نفس الوقت لن ينسى لهم التاريخ أيضاً منجزاتهم الحضارية في المجال العلمي، والذي نعترف أن العرب اعتمدوا في بداية الأمر، وفي بعض العلوم، على الرصيد الحضاري الموجود في البلاد التي تم فتحها على أيديهم، إلا أنهم لم يقفوا عند هذا الحد، فلم يكن ذلك سوى نقطة بداية لسجل حافل بالمنجزات العلمية التي أثرت الحضارة الانسانية بشكل لم يسع مؤرخوا الحضارة إلا أن يقفوا مشدوهين أمام هذه الظاهرة الخلاقة. فيقول أحدهم، وهو المستشرق (روم لاندو): «وحين نتذكر كم كان العرب بدائيين في جاهليتهم يصبح مدى التقدم الثقافي الذي أحرزوه خلال ٢٠٠ سنة انقضت على وفاة الرسول (ﷺ) ليس غير، وعمق ذلك التقدم، أمر يدعو إلى الذهول حقا»[١].

هذا الذهول في الواقع قاد المستشرق روم لاندو إلى البحث عن تفسير لهذه الظاهرة، فطرح سؤالا مهماً للغاية، اختلف حول الاجابة عليه كثير من كتاب الحضارة الأوروبيين، وخاصة المستشرقين منهم، بين متعصب ومنصف ومتجاهل. فقد تساءل عن الدوافع الرئيسية وراء هذا الخضم من المنجزات العلمية عند العرب؟

وقد لخص لاندو هذه الدوافع بما يلي: «رغبة متقدة في اكتساب فهم أعمق للعالم كما خلقه الله، وقبول للعالم المادي لا بوصفه دون العالم الروحي شأناً ومقاماً ولكن باعتباره صنواً في الصحة والرسوخ، واقعية قوية تعكس في صدق واخلاص طبيعة العقل العربي اللاعاطفي، وأخيراً فضولهم النهم الذي لا يعرف الشبع، فقد كان إيمانهم بأن كل شيء في الوجود صادر عن الله ابتداءً بقرصة البعوضة إلى الطاعون الذي يقضي على بلاد برمتها، فإن كلاً من هذا يكشف عن قدرة الله، ومن هنا فهو جدير بالتأمل والدرس. ففي **الاسلام** لم يول كل من الدين والعلم ظهره للآخر، ويتخذ طريقاً معاكساً، بل الواقع أن الأول كان باعثاً من البواعث الرئيسية للثاني»[٢].

هنا نجده يشير إلى حقيقة غاية في الأهمية، قليل من المستشرقين يعترف بوجودها، تميز الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات، تلك هي دور الدين الإسلامي، ليس فقط في عدم كونه حجر عثرة أمام التقدم العلمي، بل باعتباره أساساً لهذه العلوم يقرر طبيعة منجزات العرب ومداها.

ذلك الرباط الوثيق بين تعاليم الإسلام ومبادئه والرصيد الضخم من المنجزات العلمية في **الحضارة الاسلامية**، عبر عنه المستشرق روم لاندو بشكل أكثر وضوحاً حيث يقول: «والظاهرة المذهلة حقاً في اسهام العرب الرياضي هي الصلة الوثيقة ما بين مكتشفاتهم في هذا العلم وبين مبادىء الدين وأوامره، فلأغراض الدين أمسى من الأمور المهمة جداً على المسلم أن يضبط موضع **الكعبة** وأن يحدد على وجه الدقة مواقيت شروق الشمس وطلوع القمر.. ولانجاز هذه المهام المختلفة كلها اضطر

العرب إلى إنشاء طرائق رياضية كان لابد لها ـ إلى جانب شرطي البساطة والصفة العلمية ـ أن تكون بالغة الدقة»[٣] ويقول أيضاً مؤكداً هذه الحقيقة: «إن تطوير الرياضيات من مرحلتها الإغريقية البدائية إلى مرحلتها العربية العالمية لتقدم لنا مثلاً فاتناً على الطرائق التي تستطيع بها المعتقدات الدينية الراسخة لشعب من الشعوب أن تكيف وتشكل حتى الجهود الدنيوية التي ينطوي عليها حقل علمي خالص كحقل الرياضيات. ذلك **أن الفرق بين الرياضيات الاغريقية والرياضيات العربية ليس فرقاً علمياً فحسب ولكنه يدل أيضاً على تغاير عميق في ضروب الاستشراف الروحي والأيديولوجي»**[٤].

تأثير الإسلام

فالإسلام، كعقيدة وتعاليم، هيأ كل السبل من أجل نهضة علمية شاملة لكل جوانب الحياة وربط هذه النهضة العلمية بالدين مما أضفى عليها تلك اللمسة الإنسانية التي تضمن لنتاجها أن يكون بهدف خدمة البشرية. فقد كان السلف يبتغون بالعلم والإنتاج رضا الله تعالى، قبل أي شيء آخر، ومن شروطه أن يكون بناءً لا هادماً وأن يكون متقناً مخلصاً يبذل فيه أقصى الجهد. هذه الرغبة الحقيقية في كون العمل متقناً، خاصة عندما استوجب البحث في ميادين الشريعة وعلوم الدين واللغة، دفعت العلماء المسلمين إلى البحث عن منهج يضمن الدقة ويقلل من احتمال ورود الخطأ، قادهم هذا إلى إرساء **قواعد مناهج البحث العلمي المبني على الرصد والتجربة**، والذي ندرك الآن أهميته القصوى في التقدم الحضاري. **فإلى العرب يعود شرف ادخالهم هذا المنهج الذي أملته عليهم رغبتهم في فهم دينهم فهما صحيحا وتحقيق ما جاء في الشريعة الاسلامية من أحاديث نبوية وأقوال سلف.** أفادوا من هذا المنهج، الذي طبق أساساً على العلوم الدينية، وعندما التفتوا إلى الميادين العلمية، كان له الأثر الفعال في منجزاتهم العلمية، انتقل هذا المنهج فيما بعد إلى أوروبا ليكون لبنة أساسية في بناء صرح حضارتهم.

اعترف بعض المستشرقين المنصفين بسبق العرب في هذا المجال وأكدوا أهميته، فيقول المستشرق **ديورانت**: «**تطبيق الطرائق التجريبية العلمية في علم الكيمياء**، التي اكتشفها العرب، هي من أهم أدوات العقل الحديث وأعظم مفاخره، ولما أعلن **روجر بيكون** هذه الطريقة إلى أوروبا بعد أن أعلنها **جابر بن حيان** بخمسمائة عام كان الذي هداه إليها هو النور الذي أضاء له السبيل من **عرب الأندلس**، وليس هذا الضياء نفسه إلا قبساً من نور المسلمين في الشرق»[٥].

ويقول المستشرق «**هل**»: «وإن تفوق العرب الواضح على الاغريق في هذا الميدان يعزا إلى استخدامهم للتجارب العلمية في استجلاء الغموض والمظاهر المبهمة في دراسة الطبيعة في حين اعتمد الإغريق على التأملات البحتة»[٦].

وتقول المستشرقة **هونكة**: «لم يأخذ العرب العلوم التي ورثوها عن طريق الاقتباس، كما أنهم أيضاً لم يأخذوا الآلات العلمية ومواد العلم القريب دون مناقشة أو تحقيق، فمنذ البدء ادهشوا العالم بالحرية الموضوعية، والشجاعة العلمية اللتين استبقوا بهما نتائج السالفين وأقوالهم ليشبعوها نقداً وبحثاً وتفنيداً»[٧].

ويقول المستشرق **سيديو**: «فللمنهج التجريبي، الذي هو أساس التقدم العلمي، ظل هذا المنهاج طوعاً بين العلماء العرب، وفي مدرسة بغداد تجلت الروح العلمية المبنية على عدم التسليم بما لا يستند إلى التجربة، هذا المنهج وهذه الروح أصبحت أداة بيد علماء الزمن الحديث قادتهم إلى الوصول إلى أجمل اكتشافاتهم»[٨].

ما إن رسم الهدف أمام العلماء المسلمين، وحرر الإسلام العقل بعقيدة تخاطب العقل والقلب معاً، واكتشفوا الوسيلة، وهي مناهج البحث العلمي، حتى شرعوا في تشييد صرح **الحضارة الاسلامية** في مختلف جوانبها، والتي ظلت ـ كما يعترف المستشرق ديورانت ـ على مدى خمسة قرون تتزعم العالم كله في القوة والنظام، وبسطة الملك، وجميل الطباع والأخلاق، وفي ارتفاع مستوى الحياة، وفي التشريع الإنساني الرحيم، والتسامح الديني، والآداب، والبحث العلمي، والعلوم والطب والفلسفة»[٩].

ولن أدعي بأنني أستطيع استقصاء جميع منجزات العرب العلمية، فليس من اليسير الاحاطة بأعمال العلماء العرب في هذه الميادين، وذلك مطمح صعب يحتاج إلى تضافر جهود متكاتفة. لذا فاكتفي بأن أعرض لها بشكل عام محاولا **تبيان قيمة هذه المنجزات وأثرها في نهضة أوروبا**، معتمداً في اقرار هذه الحقائق على اعترافات المستشرقين المنصفين أنفسهم، والذين لم يعمهم التعصب الأعمى عن اثبات قيمة هذه المنجزات وأثرها البالغ في أوروبا، وجدير بنا أن نبحث عن شواهد من أقوال علماء الغرب، نظراً لوجود اتجاه التظليل وحجب الحقائق حول طبيعة منجزات العرب وعلاقتها بنهضة أوروبا.

علم الرياضيات

نبدأ بعلم الرياضيات، باعتبارها أم العلوم التجريبية، هنا نجد أنفسنا أمام اعتراف تاريخي لا تنصل منه، ذلك **بأن العرب تعين عليهم أول الأمر أن يعتمدوا في المقام الأول على رصيد المكتشفات والمعلومات التي ترجموها عن الاغريق، ولكن الحقيقة أن العرب ما لبثوا أن وجدوا أن الرياضيات الاغريقية لا تلائم غرضهم، وعلى أيديهم عرفت الرياضيات ذلك التحول الذي مكنها آخر الأمر من أن تصبح الأساس الذي قام** عليه العلم الغربي الحديث[١٠].

نالت الرياضيات الشيء الكثير من اهتمام العلماء العرب وعنايتهم وبرعوا فيها ووضعوا فيها مؤلفات كثيرة ترجم معظمها الغرب وأفادوا منها بطرق مشروعة أحياناً وملتوية في أحيان أخرى. **يقول قدري طوقان**:

«لقد كانت كتب العرب في **المثلثات** معيناً للغربيين، نهلوا منها واقتبسوا عنها، وتمادى بعضهم فنسب لنفسه نظريات وبحوثاً بينما هي مأخوذة عن العرب، فقد ظهر حديثاً أن **ريجيو مونتانوس** مثلاً قد نسب لنفسه موضوعات في المثلثات ثبت أنه أخذها عن كتب العرب. ويعترف **كاجوري، وسمث، وسيديو، وسارتون وسوتر**، بأن بعضاً من النظريات والبحوث نسبت في أول الأمر إلى ريجيو مونتانوس وغيره ثم ظهر بعد البحث والاستقصاء أنها من وضع العرب وإنتاجهم»[١١].

ولتبيان أهمية علم المثلثات في المجال العلمي، ودور العرب فيه، نقتبس قول قدري طوقان حين يقول: «**لولا العرب لما كان علم المثلثات على ما هو عليه الآن، فإليهم يرجع الفضل الأكبر في وضعه بشكل علمي منظم**... ولا يخفى ما لعلم المثلثات من أثر في الاكتشاف والاختراع وفي تسهيل كثير من البحوث الطبيعية والهندسية والصناعية»[١٢].

اشتهر علماء مسلمون كثيرون اعتبر عدد منهم رواداً لهذا المجال الدقيق من العلوم، وعلى رأس هؤلاء **الخوارزمي**، الذي بقيت مؤلفاته في الجبر والحساب مرجعاً للعلماء والتجار والمحاسبين، وظلت ولمدة طويلة أيضاً مؤلفات علماء أوروبا في **الحساب** لا تخرج في مادتها عن كتاب الخوارزمي.

ولم تكن مؤلفات العرب في هذا الحقل مرجعاً للعلماء الأوروبيين، وأساساً لمؤلفاتهم فقط، بل استخدمت متناً تعليمياً أساسياً في الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر. يقول المستشرق بارتولد: «**وظل الخوارزمي ثقة في أوروبا حتى عصر النهضة**»[١٣].

ولخص المستشرق **روم لاندو** اسهام العرب في مجال الرياضيات بما يلي: «نقل علم الحساب الإغريقي وتبسيطه وجعله أداة طيعة للاستعمال اليومي عن طريق



★ صفحة من ترجمة لاتينية وضعها بيترا أرجيلاتا عام ١٥٣١م ٩٣٨هـ لمقالة الزهراوي في الأدوات الجراحية والطبية، أثنى فيها عليه ووصفه بأنه جراح عظيم ★

اصطناع الأرقام العربية والنظام العشري، واختراع علم الجبر في مفهومه المعروف في العصور الحديثة، ووضع أسس حساب المثلثات وخاصة الكروية منها»[١٤].

ويقول المستشرق «هل»: «ومن تراث العرب علم حساب المثلثات **ونظريات الزوايا والتماس**. ولم يكن في استطاعة (كبار علماء الغرب) أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه دون أساس من علوم العرب، وما ساهموا به في ميادين الرياضيات، ذلك أن العرب أحبوا تدعيم نظرياتهم بنماذج عملية»[١٥].

ويقول أيضاً: «ألف الخوارزمي كتاباً لتدريس الجبر ودعمه بالأمثلة، وظل الغربيون يستخدمون تلك المقالة الأولى التي ترجمت إلى اللاتينية حتى القرن السادس عشر الميلادي»[١٦].

وتقول المستشرقة هونكة: «**إن علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربي ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات، وهذا ميدان لم يخضه الاغريق البتة، ولم يعرفوا عنه شيئاً، ولقد تابع الأوروبيون تطويرهم لهذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب أكثر مما ورثوه عن ديكارت نفسه**»[١٧].

وتقول أيضاً: «والحقيقة التي لا مرية فيها هو أن العلماء العرب قبل غيرهم من العلماء بمئات السنين، وعلى وجه التحديد بسبعمائة سنة، وقبل أن يوجد إنجليزي أو ألماني حسابها الفرقي، قد وفقوا إلى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهامة في العلوم والرياضيات عالجوا فيها قضايا أساسية»[١٨]. ويقول **حيدر بامات**: «وترى علوم الحساب والهندسة والجبر مدينة لعلماء المسلمين بما انتهوا إليه من اكتشافات أساسية فيها»[١٩].

وقام المستشرق **سيديو** بسرد عدة أمثلة تثبت مدى التقدم الذي أحرزه العرب في العلوم الرياضية، مؤكداً بأنهم سبقوا الأوروبيين إلى أغلب الاكتشافات التي نسب الغربيون شرف اكتشافها إلى أنفسهم ظلماً وبهتاناً، ويقول بعد هذا السرد: «**نستطيع أن ندعي بأننا كلما أمعنا وتعمقنا في دراسة المخطوطات العربية القديمة زادت لدينا الشواهد الدالة على التقدم الذي أحرزته العلوم الرياضية عند العرب**»[٢٠].



★ البرهان على نظرية فيثاغوراس ★

العلوم الطبية

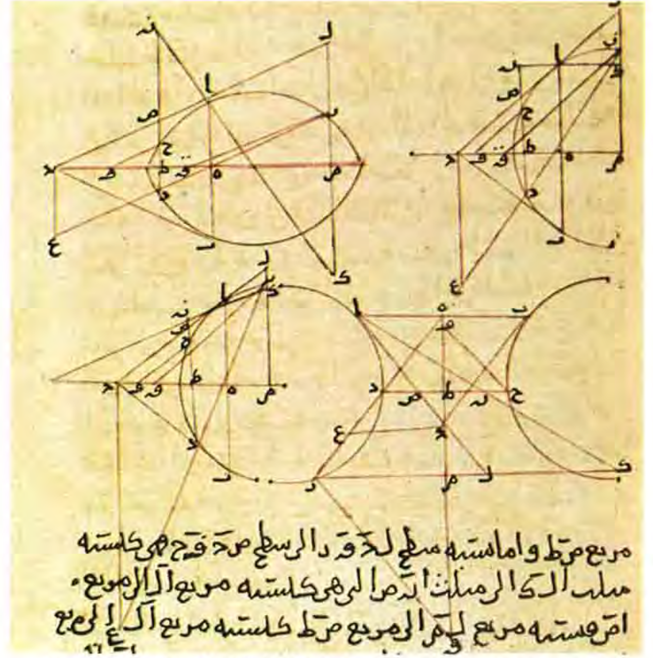
العلوم الطبية نجدها أكثر ما شغل العلماء المسلمين بجانب الرياضيات والكيمياء، فمنذ القرون الأولى للإسلام كانت دراسة الطب تؤلف قسماً مهماً لثقافة أحكم أمرها[٢١]، أثرى العلماء المسلمين الحضارة الإنسانية ببحوثهم وابتكاراتهم في هذا المجال، منطلقين في هذا على الأسس الإسلامية حيث إننا نلمس هنا دور الإسلام كدافع رئيسي لتقدم علم الطب عند العرب، أدرك هذه الحقيقة أحد المستشرقين فأثبت قائلاً: «صحيح أن بحوثهم الطبية كانت ذات طبيعة علمية بالمعنى الدقيق، ولكن الروح التي دفعتهم وحركتهم كانت عميقة الجذور في إيمانهم كمسلمين»[٢٢].

وسوف نتلمس قيمة منجزات العرب في هذا الحقل المهم في حياة الإنسان، وذلك من خلال اعترافات بعض المستشرقين الذين اعترفوا بقيمة هذه المنجزات وأثرها في نهضة أوروبا، فالمستشرق روم لاندو يقول: «وإذا كان من واجبنا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزاً لأروع المنجزات العلمية في منتصف القرن العشرين، فلن يبدو من مجرد المصادفة أيضاً أن تكون جهود المسلمين الطبية المبكرة قد قادتهم إلى اكتشاف لا يقل عن هذا الكشف الذري ثورية، ولن يكون في أغلب الظن أكثر منه نفعاً»[٢٣].

ومن أشهر رجال هذا العلم **الرازي** الذي ألف العديد من الكتب الطبية والتي ترجم معظمها إلى اللغة اللاتينية وطبعت عدة مرات كانت أولاها عام ١٥٠٩ من الميلاد، ظلت أوروبا تعتمد على كتبه زمناً طويلاً[٢٤]. عن كتاب «**الحاوي**» للرازي يقول المستشرق ديورانت: «وكتاب الحاوي للرازي في عشرين مجلداً ويبحث في كل فروع الطب، ترجم إلى اللاتينية، وظل عدة قرون أعظم الكتب الطبية مكانة وأهم مرجع لهذا العلم في بلاد الرجل الأبيض»[٢٥].

وعن **ابن سينا**، العالم العربي الآخر، يقول **جوستاف لوبون**: «وكانت كتب ابن سينا قد نقلت إلى أكثر لغات العالم وظلت مرجعاً عاماً للطب على مدى ستة قرون، وبقيت أساساً للبحوث الطبية في جميع جامعات فرنسا وإيطاليا»[٢٦].

ويقول **حيدر بامات** عن كتب العالمين الرازي وابن سينا: «**ومن التوفيق**



★ رسم ايضاحي من نسخة بخط ابن الهيثم ، للترجمة العربية لكتاب « المخروطات » لأبولونيوس ★



★ رسم تخطيطي لتركيب العين في إحدى رسائل حنين العشر في العين ★

أن تفلت أثر علماء المسلمين الطبي من يد التخريب فترجم في جميع أوروبة وطبع ولاقت كتب كثير منهم كالرازي وابن سينا وأبي القاسم وابن زهر وغيرهم انتشاراً عجيباً ، حتى أن مؤلفات هؤلاء بقيت في قرون كثيرة أساساً لتعليم الطب في جميع جامعات الغرب »[27] .

ويعترف المستشرق **ويسلر بأن علم الرمد** علم مستحدث إسلامي ، ظلت شهرة أطباء رمد العيون العرب وتعمق معرفتهم ـ على حد قوله ـ بطرق أنواع العلاج لا تجارى[28] . وإلى العرب يعود فضل آخر في علم الطب ، والذي اعتبرته المستشرقة هونكة فتحاً مجيداً في عالمه ، وهو معالجتهم **للأمراض العقلية والعصبية** وتعمقهم في دراستها وكيفية علاجها[29] . وقام المستشرق ديورانت بعمل إحصائية لعدد أطباء بغداد في العام ٩٣١م حيث وجد أنه كان هناك حوالي **٨٦٠ طبيباً مرخصاً في بغداد وحدها**[30] .

وعن **الجراحة** وطول باع العرب فيها يقول جوستاف لوبون : « إن أهم تقدم للعرب في عالم الطب هو ما كان في الجراحة ووصف الأمراض وأنواع الأدوية والصيدلة ، وظهرت للعرب عدة طرق يعود الطب الحديث إلى بعضها بعد اهمالها قروناً كثيرة »[31] . ويقول أيضاً : « وعلم الجراحة مدين للعرب ، أيضاً ، بكثير من مبتكراته الأساسية ، وظلت كتبهم فيه مرجعاً للدراسة في كليات الطب إلى وقت قريب جداً »[32] .

ويروي حيدر بامات قول العالم الفزيولوجي الشهير **هالر** بأن كتب **ابن القاسم القرطبي** كانت هي المصدر العام الذي استقى منه جميع من ظهر من الجراحين بعد القرن الرابع عشر الميلادي[33] . وينقل لنا المستشرق ريسلر اثبات مؤرخ علم الطب نوبرجير في أن تنظيم المستشفيات هو أحد المستحدثات التي قدمتها الحضارة الإسلامية[34] .

كما عني العلماء المسلمون **بعلم الصيدلة** عناية فائقة وذلك باعتبارها تابعة بالضرورة لعلم الطب ، ألف فيها الأطباء العرب العديد من الكتب ، التي أصبحت نواة وأساساً لعلم الصيدلة الحديث[35] . وأثبتت المستشرقة هونكة بأن **العرب هم أول من افتتح الصيدليات العامة**[36] .

وقد صح من الباحثين الغربيين أن العرب هم الذين ابتدعوا في الصيدلة ، وأنهم أول من اشتغل بتحضير الأدوية الطبية ، وقد جدوا في البحث عن **العقاقير** في مظانها المختلفة وابتكروا الكثير جداً من أنواعها ، ولا يزال الكثير منها يحتفظ في اللغات الأجنبية بأسماء العرب[37] .

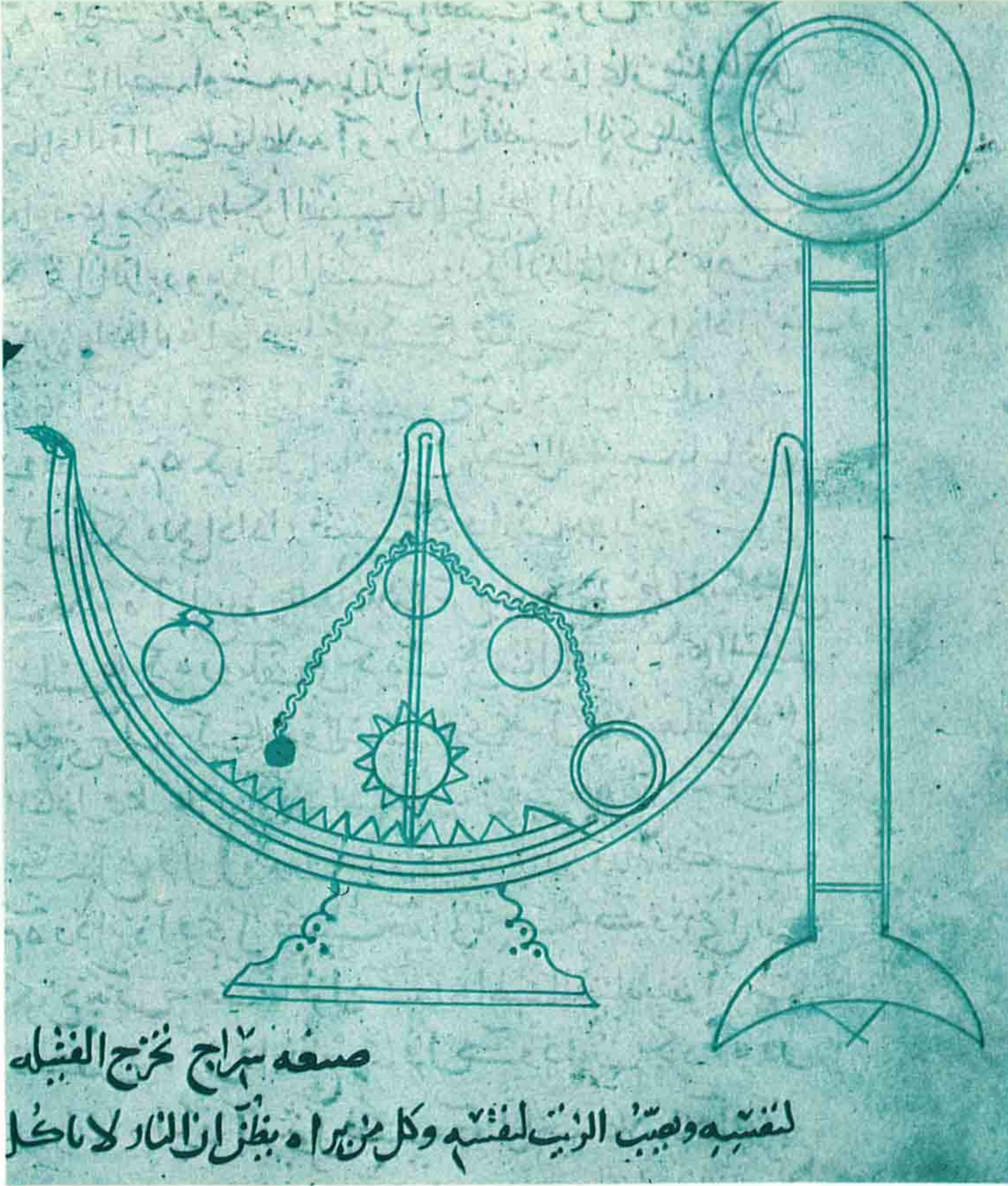
هذا قليل من كثير من منجزات العرب في الحقل الطبي ، والتي بلغت شأواً عظيماً مما دفع بعض العلماء الأوروبيين إلى أن ينسبوا كتبهم إلى أسماء عربية لرفع قيمتها . تقول المستشرقة هونكة في هذا الشأن : « **لقد احتلت الأسماء العربية مقاماً كبيراً ولجأ بعض الأطباء من شمالي إيطاليا إلى جمع كتبهم ناسبيها إلى أسماء عربية ، وذلك بغية رفع شأن هذه الكتب وإعلاء كلمها** »[38] .

العلوم الطبيعية

أما منجزات العرب في حقل **العلوم الطبيعية** فقد كانت واسعة النطاق مما جعل **دوهنبولد** يعلن بأنه يجب أن يعتبر العرب هم المؤسسون الحقيقيون للعلوم الطبيعية[39] . **وابن الهيثم** ، العالم العربي ، يعتبر في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور والأحقاب ، وهو من أئمة علماء الضوء ، ربت تأليفاته في علم الطبيعة على الأربعة والعشرين كتاباً[40] .

وعن تأثير هذه العلوم في الغرب تقول المستشرقة هونكة : « **لقد كان تأثير هذا النابغة (الحسن بن الهيثم) العربي على بلاد الغرب عظيم الشأن ، فسيطرت نظرياته في علمي الفيزياء والبصريات على العلوم الأوروبية حتى أيامنا هذه** »[41] .

وتقول أيضاً : « وعلى أكتاف العرب ارتفع نجم العظماء الخمسة في القرون الوسطى في ميدان الطبيعة »[42] . ويقول المستشرق سيديو : « اتفق للعلوم الطبيعية عند العرب مثل ما اتفق للعلوم الرياضية من الرقي »[43] . ويقول جوستاف لوبون : « بحث علماء الطبيعة في النباتات وفي تطبيقاتها على الطب على وجه الخصوص ، وأنشأوا حدائق زرعوا فيها أندر النباتات وأكثرها طرفة »[44] .



★ رسم بياني من السرج المتبرقشة تلقائياً من «كتاب الحيل» لأحمد بن موسى ★

علم الكيمياء

وكما برع العرب وقدموا المنجزات العظيمة في حقول الرياضيات والطب والعلوم الطبيعية ، كذلك كانت اسهاماتهم في **علم الكيمياء** بالغة في التوسع والعمق ، مما يجعلهم بحق مؤسسي هذا العلم ، وهذا ما اعترف به المستشرق ديورانت قائلا : « ويكاد المسلمون يكونون هم الذين ابتدعوا الكيمياء بوصفها علماً من العلوم ، ذلك أن المسلمين أدخلوا الملاحظة الدقيقة والتجارب العلمية والعناية برصد نتائجها »(٤٥) .

ويشير المستشرق « **هل** » إلى قيمة هذه المنجزات في هذا الفرع المهم من العلوم بقوله : « وتجلت المجهودات الرائعة التي قام بها العرب في ميادين الكيمياء في زيادة أنواع المواد المجهزة تجهيزاً صناعياً ، وفي تحسين الطرق التي وصلتهم من الإغريق تحسيناً تاماً ، وتطبيقها على معظم المواد المختلفة ، وإن تفوق العرب الواضح على الإغريق في هذا الميدان يعزى إلى استخدامهم للتجارب العملية في استجلاء الغموض والمظاهر المهمة في دراسة الطبيعة وذلك على حين اعتمد الإغريق الأول على التأملات البحتة »(٤٦) .

ويقلل المستشرق جوستاف لوبون من شأن المعارف التي انتقلت من اليونان إلى العرب فيما يتعلق بعلم الكيمياء ويعزو معظم الاكتشافات إلى العرب ، وذلك مثل المركبات المهمة **كالكحول والتقطير** ، والتي تعتبر أهم أسس الكيمياء(٤٧) . ويقول : « ويظهر لنا مدى اكتشافات العرب الكيميائية من كثرة ما كان مجهولا قبلهم من المركبات التي وصفوها لنا في كتبهم »(٤٨) .

علم الفيزياء

وعلى الرغم من ضياع كتب العرب المهمة في **علم الفيزياء** ، والتي لم يبق منها إلا أسماؤها ، إلا أننا نستدل ـ على حد تعبير جوستاف لوبون ـ على أهمية هذه الكتب في الفيزياء من القليل الذي وصل إلينا منها ، والتي نقلت إلى اللغات اللاتينية والإيطالية فيما بعد(٤٩) .

وذكر حيدر بامات عدداً من الاختراعات ذات النفع الصناعي ، والتي تمت على أيدي العرب ، خص بالذكر منها **اختراع البارود وصنع الورق من القطن والكتان** ، بينما اقترن اختراع البارود بأسماء **روجر بيكون والبرت الكبير** زمناً طويلاً(٥٠) .

علوم الميكانيكا

وبلغ العرب في **علوم الميكانيكا** درجة رفيعة من المعرفة والاتقان مما جعل المستشرق سيديو لا يرى ضرورة في الاسهاب في إيضاح درجة الكمال التي انتهت إليه الفنون الميكانيكية ، فيكفي لتمثلها أن نرجع البصر إلى **الساعة المائية** التي أرسلها **هارون الرشيد** إلى **شارلمان** فوصل إلينا وصفها ، والهدايا التي قدمت إلى عاهل **الصين** ، فهي تغنينا عما جاء في كتب المؤرخين عن تفاصيل جميع العجائب المماثلة التي اشتمل عليها قصر الخلفاء ببغداد(٥١) .

ويقول جوستاف لوبون : « كما أن معلومات العرب في مجال الميكانيكا العملية واسعة جداً ويستدل على مهارتهم في هذا الحقل من بقايا الميكانيكا التي انتهت إلينا وعن وصفهم لها في مؤلفاتهم »(٥٢) .

وهكذا ظلت الأمة الإسلامية حاملة لواء النهضة في مختلف جوانبها وكل أبعادها ولعدة قرون ، وفي الوقت الذي كانت فيه أوروبا غارقة في الظلام أغرق العلماء المسلمون جميع نواحي المعرفة بمؤلفاتهم وابتكاراتهم . ولنتبين مدى تأثير هذه العلوم عموماً في حضارة أوروبا نذكر وصف المستشرق سيديو الذي يقول :

« **إن التأثير الذي بثه العرب في الغرب عبر عن نفسه ، وبدت مظاهره في جميع فروع الحضارة الحديثة ، ولقد رأينا أنه تكون منذ القرن التاسع حتى القرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف الأدبية في التاريخ ، وظهرت منتوجات ومصنوعات ثمينة ، تشهد بالنشاط الذهني المدهش في هذا العصر وجميع ذلك تأثرت به أوروبا بحيث يؤكد القول بأن العرب كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة** »(٥٣) .

ويقول في مجال آخر : « ونحن إذ نرى شوق العرب إلى العلم قد حفزهم إلى النهوض بمختلف فروع المعارف البشرية طلباً للحقيقة وحدها ، لا يسعنا سوى الإعجاب المطلق بجهود الشعب العربي الذي أدى بمثاله النبيل إلى بعث الآداب والفنون في أوروبا »(٥٤) .

ثم يعترف بمحاولات الغرب الجادة في إنكار هذا الدور ورفضه ذلك بقوله : « لقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب ، ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء ، وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلاً أو آجلاً »(٥٥) .

وعن فضل العلم بصفة عامة يقول **بريفو** : « العلم هو أجل خدمة أسدتها **الحضارة العربية** إلى العالم الحديث ، **فالاغريق** قد عمموا ووصفوا النظريات ولكن روح البحث وتركيم المعرفة اليقينية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظة الدائبة المتطاولة التي كانت غريبة عن المزاج الإغريقي ، إنما كان العرب هم أصحاب الفضل في تعريف أوروبا بهذا كله ، وبكلمة : **كان العلم الأوروبي مديناً بوجوده للعرب** »(٥٦) .

ويقول المستشرق « هل » : « وعندما نفكر في الحضارة العربية يتبادر إلى الذهن مباشرة نشاط العرب وإنتاجهم في تلك الميادين من العلوم إذ لعب العرب ، ونستعمل اللفظ في أوسع معناه ، دوراً عالمياً ، فقد تناولوا ما وجدوه بالدرس ، ووضعوا ثمرة جهودهم بين يدي الأجيال التالية كأساس يبنون عليه »(٥٧) .



المراجع

١ ـ بارتولد ، ف « تاريخ الحضارة الإسلامية » ترجمة حمزة طاهر ـ دار المعارف بمصر ١٩٦٦م / الطبعة الثانية .

٢ ـ بامات ، حيدر « مجالي الإسلام » ترجمة عادل زعيتر ـ دار إحياء الكتب العربية / القاهرة ١٩٥٦م .

٣ ـ ديورانت ، و . ل « قصة الحضارة » ترجمة محمد بدران ـ لجنة التأليف والترجمة والنشر / الطبعة الثانية ١٩٦٤م .

٤ ـ ريسلر ، جاك « الحضارة العربية » ترجمة غنيم عبدون ـ الدار المصرية للتأليف والترجمة .

٥ ـ سيديو ، ل . أ « تاريخ العرب العام » ترجمة عادل زعيتر ـ عيسى البابي الحلبي / الطبعة الثانية ١٩٦٩م .

٦ ـ طوقان ، قدري حافظ « تراث العرب العلمي » دار القلم بالقاهرة / الطبعة الثانية ١٩٦٣م .

٧ ـ الطويل ، توفيق « العرب والعلم » دار النهضة الحديثة .

٨ ـ لاندو ، روم « الإسلام والعرب » ترجمة منير بعلبكي ـ دار العلم للملايين ، بيروت / الطبعة الأولى ١٩٦٢م .

٩ ـ لوبون ، جوستاف « حضارة العرب » ترجمة عادل زعيتر ـ عيسى البابي الحلبي / الطبعة الرابعة ١٩٦٤م .

١٠ ـ منتصر ، عبد الحليم « تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه » دار المعارف بمصر / الطبعة الخامسة ١٩٧٣م .

١١ ـ هل ، ي « الحضارة العربية » ترجمة د . إبراهيم أحمد العدوي ـ مكتبة الانجلو المصرية / القاهرة ١٩٥٦م .

١٢ ـ هونكة ، سنفريد « أثر الحضارة العربية في أوروبا » ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ـ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر / الطبعة الأولى ١٩٦٤م .

الهوامش

(١) الإسلام والعرب ، ص ٢٤٦ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٦ .
(٣) المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .
(٤) نفس المصدر ، ص ٢٤٨ .
(٥) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ٤ ، ص ١٩٦ .
(٦) الحضار العربية ، ص ١١١ .
(٧) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ١٤٣ .
(٨) تاريخ العرب العام ، ص ٣٣٩ .
(٩) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ٤ ، ص ٣٨٢ .
(١٠) الإسلام والعرب ، ص ٢٤٩ .
(١١) تراث العرب العلمي ، ص ١٩ .
(١٢) المصدر السابق ، ص ١٨ .
(١٣) تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ٨٠ .
(١٤) الإسلام والعرب ، ص ٢٤٧ .
(١٥) الحضارة العربية ، ص ١٠٨ .
(١٦) نفس المصدر ، ص ١٠٩ .
(١٧) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ١٥٩ .
(١٨) نفس المصدر ، ص ١٦٢ .
(١٩) مجالي الإسلام ، ص ١٣٤ .
(٢٠) تاريخ العرب العام ، ص ٣٧٨ .
(٢١) مجالي اسلام ، ص ١٤٥ .
(٢٢) الإسلام والعرب ، ص ٢٥٨ .
(٢٣) الإسلام والعرب ، ص ٢٥٨ .
(٢٤) حضارة العرب ، ص ٤٨٩ .
(٢٥) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ٤ ، ص ١٩١ .
(٢٦) حضارة العرب ، ص ٤٩٠ .
(٢٧) مجالي الإسلام ، ص ١٤٦ .
(٢٨) الحضارة العربية ، ص ١٩٨ .
(٢٩) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ٣٢٧ .
(٣٠) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ٤ ، ص ١٩٠ .
(٣١) حضارة العرب ، ص ٤٩٤ .
(٣٢) نفس المصدر ، ص ٤٩٤ .
(٣٣) مجالي الإسلام ، ص ١٤٨ .
(٣٤) الحضارة العربية ، ص ١٩٦ .
(٣٥) تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٤٩ .
(٣٦) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ٣٢٩ .
(٣٧) العرب والعلم ، ص ٤٣ .
(٣٨) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ٣٣٢ .
(٣٩) مجالي الإسلام ، ص ١٥٠ .
(٤٠) تاريخ العلم ودور العلماء العرب ، ص ٢٣٣ .
(٤١) أثر الحضارة العربية في أوروبا ، ص ١٥٠ .
(٤٢) نفس المصدر ، ص ٣٣٣ .
(٤٣) تاريخ العرب العام ، ص ٣٨٠ .
(٤٤) حضارة العرب ، ص ٤٨٧ .
(٤٥) قصة الحضارة ، ج ٢ ، مجلد ٤ ، ص ١٨٧ .
(٤٦) الحضارة العربية ، ص ١١٨ .
(٤٧) حضارة العرب ، ص ٤٧٥ .
(٤٨) نفس المصدر ، ص ٤٧٧ .
(٤٩) حضارة العرب ، ص ٤٧٣ .
(٥٠) مجالي الإسلام ، ص ١٤١ .
(٥١) تاريخ العرب العام ، ص ٣٣٥ .
(٥٢) حضارة العرب ، ص ٤٧٣ .
(٥٣) تاريخ العرب العام ، ص ٢٦٥ .
(٥٤) نفس المصدر ، ص ٣٤٨ .
(٥٥) نفس المصدر ، ص ٣٧٠ .
(٥٦) الإسلام والعرب ، ص ٢٤٥ .
(٥٧) الحضارة العربية ، ص ١٠٥ .

أغنية إلى تبوك

شعر : خليل خلايلي

★ عين الشاعر موجها للغة العربية في (تبوك) لكن ظروفا عائلية قاهرة منعته من الالتحاق بوظيفته . فكتب هذه الأبيات تحية للمدينة ★



كانت (تبوك) ولم تزلْ في خاطِري
أملاً يَرفُّ على رقيقِ مَشاعِري
أحببتُها من فَجْر عُمْري واحةً
فيحاءَ تنشر كلَّ ريح عاطر
وعشقتُها غيلاً ومَسْرَح عانةٍ
وظِلالَ باسقة ونغمة طائر
ولذكرُ غزوتها يُهدْهِدُ خافقي
بالكبرياءِ وكل زهو آسر
ويُعَطِّر التاريخُ في صفحاتِه
ألقاً يفيض لكابر عن كابر
من للمفاخر والمروءة والنّدى
إن لم تكوني أنتِ ظئر مفاخر
يندى بمخضلِّ الرّواءِ جبينُها
ويتيه عَطْفَاهَا ببيض مآثر



يا ظبيةً بين النفودِ ومدين
رتعت فأبهجت الغداة نواظري
هل للمتيمّ في لقائِكِ حيلة
ترْجَى لوصلٍ أو لعقدِ أواصر
فأنا على عهدِ المودّةِ لم أزل
أرنو إليك بكل طرفٍ حائر
لكنما هيهات أنت عصيّة
وأنا أنوء بفعل جد عاثر
فلأهلك الأبرار ألف تحيّة
تهدى إليهم من محبٍ شاعر



جان دومرسون



العلاقة المتقاربة المتعارضة بين الصحافة والأدب!

★ عينان براقتان وأنف مدبب وذكاء حاد ورقة بالغة .. هكذا وصف أحد الصحفيين الأديب الصحفي «**جان دومرسون**» الذي تولى إدارة تحرير الصحيفة اليومية الفرنسية الشهيرة «**لو فيجارو**» في نفس الوقت الذي قبل فيه عضواً بالأكاديمية الفرنسية .. كان ذلك في عام ١٩٧٣ م، عندما كان «**دومرسون**» موزعاً بين الصحافة والأدب، كلاهما يجذبه وكلاهما لا غنى عنه في حياته العملية .. من هذا المنطلق قال «دومرسون» ذات مرة: «**مهنة الصحفي كمهنة الكاتب تحتاجان ممن يمارسهما أن يعطي نفسه كلية وبغير حساب**».

وفي عام ١٩٧٧ م، ضاق «**دومرسون**» بالإدارة، فتخلى عن منصبه كمدير للتحرير، واكتفى بانتمائه الصحفي للصحيفة، فاختير سكرتيراً عاماً للجنة الفلسفة والعلوم الإنسانية بهيئة اليونسكو العالمية .. وعاد إلى الكتابة باصدار مذكرات شخصية تحمل عنوان «**المتشرد**»، أخذت مكانتها في دنيا الأدب الفرنسي .. **فمن هو «جان دومرسون»؟!** ★

بين الصحافة والأدب

● **ما هي مهنتك الحقيقية؟**

★ أحاول أن أكون كاتباً.

● **وعلى جواز سفرك؟**

★ كاتب.

● **وعندما كنت مديرا لتحرير «الفيجارو»؟**

★ كانت تكتب الكلمة التي لا زلت أعتز بها «**صحفي**».

● **إذن غيرت المهنة؟!**

★ كلا، ولكن صفحات الجواز امتلأت، وعند تجديد الجواز، كتبوا كلمة «**كاتب**» التي أعتز بها أيضاً.

● **ولماذا هذه الازدواجية؟**

★ **ليس في الأمر «ازدواجية»**



فالكتابة الصحفية والكتابة الأدبية، كلاهما كتابة .. وفرق كبير بين الكاتب الصحفي والمحرر أو المخبر الصحفي .. أما الصحافة فمهنة يبدأ صاحبها من الصفر ثم يتدرج بالممارسة والخبرة، بينما الأديب يولد أديبا، صغيرا ثم يكبر لا يهم .. وقصتي مع الصحافة كانت قصة عادية، أما قصتي مع الأدب، فقد بدأت بالرفض .. بعثت بروايتي الأولى إلى الناشر «جاليمار» فلم يرد، فبعثت بها إلى الناشر «جوليار» الذي اتصل بي في اليوم التالي ليخبرني بالموافقة ويبشرني بأن الرواية ستحدث الدوي الذي أحدثته رواية «فرنسواز ساجان»

الكتابة لاتعطل الصحافة ، بينما تعوق الصحافة انطلاق الكاتب .

الأولى .. وأخذت أنتظر هذا الدوي بعد نشر الرواية الأولى والثانية والثالثة والرابعة ولكن شيئا لم يحدث ، ولم يكف « جوليار » في كل مرة عن ترديد بشرا .. المهم أنه وفر علي جهد الاتصال بالناشرين وانتظار قراراتهم وتحمل رفضهم .. ونتيجة اليأس من تحقق البشرى كتبت بعنوان « شكرا وإلى اللقاء » شكرا للأدب وإلى لقاء معه .. وهكذا اقتنعت بأن تعرف القراء على اسمي لم يكن من خلال الكتب التي وزعت منها عدة آلاف ، وإنما تحقق ذلك من خلال خمسمائة ألف نسخة توزع يوميا من صحيفة « الفيجارو » .. حتى جائزة الأكاديمية الفرنسية التي حصلت عليها عام ١٩٧١ م عن رواية « مجد الامبراطورية » لم تحقق لي أي نوع من أنواع الشهرة إلا لدى بعض الكتاب والنقاد والمثقفين ..

● **والآن ، هل ينظر إليك القراء على أنك صحفي أم كاتب روائي ؟**

★ كاتب صحفي .

بين الادارة والأدب

● **وهل عطلت إحداهما الأخرى ؟**

★ **الكتابة لا تستطيع أن تعطل الصحافة ، بينما العكس صحيح .. ومن الصعب أن تتيح الادارة الفرصة كاملة للكاتب ، أية إدارة وأي كاتب .. بل كثيرا ما تقف الادارة حائلا دون تطور الموهبة وازدياد عطائها .. ومن خلال هذه الرؤية ، فقد أقدم على قراءة رواية كتبها « سائق تاكسي » أو « عامل مقهى » وأعزف عن قراءة رواية كتبها قائد جيش أو وزير أو مدير .**

● **وكيف أصبح « شاتو بريان » كاتبا ؟!**

★ لكل قاعدة استثناء ، وفي التاريخ استثناءات ثلاثة : **يوليوس قيصر** ، الذي كان إمبراطوراً وكاتباً متميزاً . . . **وسان سيمون** ، الذي كان قديساً وأديباً كبيراً . . **وشاتو بريان** ، الذي كان سفيراً ووزيراً للخارجية وصاحب مؤلفات أدبية مرموقة .

● **وكلوديل وسان ـ جون بيرس .**

★ **وجيرودو ، وموران ، ولامارتين** . . كلهم كانوا شعراء . . ولم أقل إن مهنة السفير تعطل عن الأدب . . ولأعتذر **لجاك فوتيه** (مدير تحرير الموند) **وفيليب تيسون** (مدير تحرير باريس) فلقد عطلتهما الإدارة عن الأدب . . ولك أن تعرف أن والدي كان سفيراً للجبهة الشعبية .

بين الدراسة والحياة

● **وماذا عن دراستك ؟!**

★ درست كل شيء ولم أدرس شيئاً . . ففي المدرسة العليا تخصصت في دراسة **الفلسفة** ، ولكن الفيلسوف « **التوسير** » قال لي : « **يمكنك أن تعد رسالتك في أي فرع آخر غير الفلسفة ، فلست تصلح لها ولا هي تصلح لك** » . . وقال لي والدي : « **عش حياتك بالعرض لأنك لا تحتمل السلم الوظيفي** » . . وعملت بالنصيحتين ، تركت الفلسفة وتخصصت في دراسة الأدب ، وبرغم تعييني مديراً لتحرير « الفيجارو » تركت الوظيفة لكي أتفرغ للكتابة . . وقلت لنفسي : « **إن العقل الجاد تماما لا يمكن أن يفرز أدبا** » فتخليت عن عقليتي الجادة وأنتجت أدباً جاداً .

● **وهل عشت حياتك بالعرض فعلا ؟!**

★ عشتها بالعرض الأدبي وليس بالعرض الدنيوي . . عشت لأكتب ما أشاء لا لأكتب ما يطلب مني ، ولكني لم أعش حياة الرقص والحفلات والاحتفالات والسهرات المنزلية ، فتلك أشياء تزعجني وتؤرقني ، لا أحبها



الكاتب يقول أحيانا مالا ينبغي أن يقال ويخفي في أحيان أخرى ماكان ينبغي أن يظهر

ولا أعرف حتى كيف أمارسها لو اضطررت أو عنت لي .

الأدب والتاريخ

● هل من حق الكاتب أن يضفي مسحة أدبية على التاريخ ؟ .. أذكر مثالا قدمته أنت في رواية « مجد الامبراطورية » ، فقد صورت العلاقة العاطفية بين الليدي آن كنجستون والكولونيل فيتز- جيرالد تصويرا أعتقد أنه من خيالك .

★ **أولا** ، من حق الكاتب بل لا بد وأن يضفي مسحة أدبية على التاريخ ، إذا كان عمله أدبياً ، وإلا تحول إلى مؤرخ ولم يعد أديباً .. **ولكن ليس من حق الأديب أن يغير في الوقائع والأحداث التاريخية ، فهي ملك للتاريخ وحده .**

ثانيا ، لست معك في اعتقادك الخاص بقصة الحب المعروفة بين **آن كنجستون وفيتز- جيرالد** ، فلم أضف أي شيء من عندي ، كل ما هنالك أني صورت القصة بشكل روائي وبأسلوب تتطلبه الأحاسيس والعواطف .. كذلك لا ينبغي أن يتطرق إلى ذهنك كما حدث لبعض النقاد ، ارجاع أحداث أسرة « فودروي » في رواية « **في حب الله** » - التي عرضت بالتليفزيون مؤخراً - إلى حياتي الخاصة ، فهي أسرة عادية تعرفت إليها وراقني أن أفيد من أحداث حياتها الغريبة إلى حد بعيد ، لأن تلك الأحداث تشكل مادة روائية خصبة وتحتوي على عناصر فنية صالحة تماماً للفن الروائي شكلاً ومضموناً .. وأعتقد أن الأدباء جميعاً قد خاضوا مثل هذه التجربة مرات ومرات ، فليس كل ما يكتبه الأديب أحداثاً خاصة به أو حياة عاشها بنفسه .. أليس كذلك ؟!

الواقع والخيال

● كذلك .. ولكن ما هو الحد الفاصل بين الواقع والخيال في الأدب وبعيدا عن التاريخ ؟

★ هو الفرق بين « **نابليون** » و« **راستينياك** » .. الشخصيتان ذكرهما التاريخ ، التاريخ المجرد من ناحية ، والتاريخ الأدبي من ناحية أخرى .. ومات الاثنان ، ولكنهما ظلا في ذاكرتنا .. أليس كذلك ؟! ..

أقول لك الحق ، إن شخصية « **راستينياك** » لا تزال وستظل عالقة بذهني أكثر من شخصية « **نابليون** » ، لأن «**أونوريه دو بلزاك**» رسم الشخصية الأولى - وهي شخصية خيالية وليست واقعية - بدقة بالغة وبتفاصيل تكاد تقترب من التصوير الفوتوغرافي ، لما عرف عن « **واقعية بلزاك** » ، بينما كتب المؤرخون عن « نابليون » كتابة صماء بكماء لا حياة فيها ولا أبعاد .. رحل الاثنان ولكنهما بقيا في ذاكرتنا بقاء مجرداً ، لا نرجعه كل مرة إلى الواقع والخيال .. وتلك هي قدرة الأدب ومقدرة الأديب .

● ولكنك عندما تكتب اليوم عن شخصية واقعية ، شخصية موجودة بالفعل ، فعلى أي نحو تكون هذه الكتابة ؟ .. أذكر مثلا « سارتر » أو « ديستان » أو « ساجان » ؟



★ **الكاتب يقول أحيانا ما لا ينبغي أن يقال ويخفي في أحيان أخرى ما كان ينبغي أن يظهر .. المهم هو أن يتفق القول ورؤيته الخاصة ، ويكون الاخفاء من مقتضيات العمل وليس لمزاج خاص .. وأنا أقول الحقيقة أيا كانت ولا أميل إلى الخداع أو الاثارة أو خدمة الموضوع على حساب الواقع . هكذا علمتني الصحافة وهكذا فعلت في كتاباتي الأدبية .. ولا يخفى عليك أن في الصحافة مدارس فكرية وفنية كثيرة منها ما يسمى « بمدرسة الاثارة » ..** وكذلك في الأدب .

وأعود إلى النماذج الانسانية التي طرحتها أمامي كمثال ، فأقول إن كل شخصية من هذه الشخصيات لها جوانب عديدة ، والكاتب الذي يتناولها ليس مجبرا بأي حال على تناول كل هذه الجوانب ، لأنه ينطلق من مفهوم عام ، عليه أن يختار ما يؤكد هذا المفهوم ويدعمه ، ولكن بأمانة وصدق حتى لا

لقاء مع:

● الخلود الأدبي من ورق .. فماذا يبقى من الأديب غير الكلمات ؟!

يطغى جانب على آخر فيضر بالشخصية ككل .. وبمعنى آخر ، فلا يجوز تغليب جانب ضعيف على جانب قوي ، حتى ولو كان ذلك التغليب يخدم تلك الرؤية .

« **سارتر** » ينبغي التركيز على « **فلسفته** » أكثر من « أدبه » وعلى « **حياته الاجتماعية** » أكثر من « حياته الدينية » وعلى « **ضعف بصره** » أكثر من « قصر قامته » .. « **ديستان** » ينبغي التركيز على « **سياسته الداخلية** » أكثر من « سياسته الخارجية » وعلى « **طول قامته** » أكثر من « نحافة جسمه » .. « **ساجان** » ينبغي التركيز على « **أسلوبها** » وليس « موضوعاتها » وعلى « **حيويتها** » وليس « جمالها » .. وهكذا .. وأهم من هذا كله ما يسمى « **بمفتاح الشخصية** » ..



وفي النهاية أشير إلى حقيقة هامة ، هي أن كل « شخصية » مهما بلغت من عظمة أو من جوانب عظيمة لا تصلح بالضرورة لأن تكون شخصية روائية .. وقد يعثر الكاتب على « شخص » عادي يصلح تماما « شخصية فذة » في عالم الأدب .. وقد يكون الكاتب ملامح لشخصيته من عنده ، تفوق كل الشخصيات الواقعية .. وأذكر هنا مرة ثانية « شخصية راستينياك » .

هل الأدب .. كارثة ؟!

● « الأدب كارثة تحل على الانسان الذي تجعل منه أديبا » هذه عبارة لك ، فما هو تفسيرها ؟

★ الأدب عشق ، والعشق مرض ، والمرض كارثة ، خاصة إذا كان مزمناً .. والأديب على هذا النحو السيكولوجي ، إنسان مهموم بالأدب وبقضايا الحياة .. والغريب في الأمر أنه يسعد بذلك الهم ويستمتع به ، ويرفض تماماً أن يشفى منه .. إن الأديب بطبعه « **مازوشي** » أي يسعد بتعذيب نفسه ، وهذا أفضل من « **السادي** » الذي يسعد بتعذيب الآخرين ، وهو « **غيري** » يهتم بالآخرين ، وهذا أفضل من « **الأناني** » الذي يهتم بنفسه .. هذا هو تفسيري لتلك العبارة ، وقد قلتها ولم يكن في ذهني هذا التفسير ، ولذلك أترك لغيري يفسرها كيفما شاء ، ربما فسرها أفضل مني ، وهذا هو دور النقد والنقاد .

ماذا عن خلود الأدب ؟!

● هل تؤمن بالخلود ؟! .. أعني خلود الأدب والأديب .

★ الخلود من ورق .. فماذا يبقى من الماضي غير الكلمات ؟! .. وهذا هو سر تمسك الأديب بالأدب أو كما سميته منذ قليل « **كارثة الأدب** » .. **فالذي يبقى ليس الكاتب وإنما ما كتب** .. ومع أننا نعيش عصراً زاخراً ومزدحماً بالأدب ، بحيث تصعب التصفية ويصعب البقاء ، فإن كل أديب يتصور أن أعماله باقية وسط هذا الزحام وخالدة بالتالي ، هذا الخلود الذي ينسحب عليه ليخلد اسمه وليس شخصه ، وهذا أمر طبيعي .. **أوسكار وايلد** أو شاتو بريان أو غيرهما ، خلد كل منهم كلماته لأنه كإنسان لا يمكن أن يخلد .

دعني أقول لك إن قصة الخلود أتيحت وسوف تتاح لكبار الكتاب الذين أنتجوا أعمالهم قبل الحرب العالمية الثانية أو خلالها ، أما من جاءوا بعد ذلك ، فإن فرصة الخلود أمامهم أضعف بكثير ، نظرا لكثرتهم



لقد تراجعت أهمية الكلمة المكتوبة أمام وسائل التثقيف والإعلام المتطورة!



ونظرا لتراجع أهمية الكلمة المكتوبة أمام وسائل التثقيف والاعلام المتطورة والمؤثرة، الميسرة والميسورة، كالراديو والتليفزيون والمسرح والسينما بل وأشرطة الكاسيت والفيديو وما يمكن أن يظهر في المستقبل القريب أو البعيد.

ودعني أقول لك أيضا إن «الأدب الفرنسي» لم يعد وحده في الساحة العالمية، فقد أخذت آداب أخرى طريقها إلى الساحة مثل «أدب أمريكا اللاتينية» وأبرزه الأدب الأرجنتيني والأدب البرازيلي والأدب الكوبي، وكذلك «الأدب التركي» و«الأدب الافريقي» وخاصة المكتوب باللغتين الفرنسية والانجليزية وكذلك «الأدب المغربي» المكتوب باللغة الفرنسية.. بينما آداب أخرى كانت قد أخذت مكانها في أعقاب الحرب العالمية الثانية مثل «الأدب الأمريكي» و«الأدب الاسباني» و«الأدب الايطالي».. أما «الأدب الروسي» فلم يبق غير «الكلاسيكي» منه.. ولكي أكون شاملا وصادقا فإني لا أعرف عن «الأدب العربي» شيئا، وربما كان ذلك تقصيرا مني!..

فإذا انتقلنا إلى أنواع الأدب ذاتها، وجدنا أن لكل عصر نوعه ونوعيته، من الأدب، **فالملاحم** كانت من نصيب الأباطرة والقياصرة والحكام القدامى، **والتراجيديا** ارتبطت بالطبقة الأرستقراطية، أما **الرواية** فقد صاحبت الطبقة البورجوازية.. ولقد ولت الإمبراطوريات وانقرضت الأرستقراطية، فهل تبق البورجوازية طويلاً؟!.. إلا أن أدباً بلا رواية يعد أدباً ناقصاً ومبتوراً.

وماذا عن نفسك؟!

● هل لك أن تصف نفسك بصفات ثلاث، على الرغم من أن الذين كتبوا عنك وصفوك بخمس عشرة صفة؟!

★ مرح.. ساخر.. متسامح.

● هل تعتقد أن لعينيك الزرقاوين دخل في شهرتك؟!

★ ولو طالت قامتي عشرة سنتيمترات؟!

● ولو كان لك أن تختار بين مهنة ديجول ومهنة بروست.. أو بين ديجول وبروست؟!

★ بروست.. بروست.. بدون أدنى تردد.. ومع هذا فأنا أقدر ديجول تماماً وأحترمه.

● أصدرت خمس روايات هي «الحب متعة» و«حب للاشيء» و«خداع البحر» و«مجد الامبراطورية» و«في حب الله».. وأصدرت ثلاثة كتب بين المذكرات والدراسات هي «إلى جوارجان» و«شكرا وإلى اللقاء» و«المتشرد».. أليس كذلك؟!

★ كذلك.. حتى الآن!

نقلا عن مجلة «LIRE» الفرنسية



★ ثبت عضوية المجلس ★



★ شعار المجمع ★

مجمع اللغة العربية

الطريق إلى مجمع اللغة العربية في دمشق ، بل الخطوة الأولى التي يخطوها المرء إليه ، تثير في النفس مئات الذكريات ، وتفتح أمامه صفحات شيقة ومثيرة من التاريخ .

لا بد لك ، حين تريد الذهاب إلى المجمع من أن تمر بأكبر وأقدم سوق تجاري في عاصمة الأمويين ... السوق الذي لا تقل شهرته عن شهرة دمشق نفسها ، بل لعل اسمه يقترن باسمها ، ونعني به « **سوق الحميدية** » ، هذا السوق الطويل ، الذي لا تدخله السيارات ، ولا وسائل الركوب الأخرى ، يعج بالحركة ، ويضج بالنشاط .. فأنت مضطر أن تقطعه سيراً على الأقدام ، بخطوات وئيدة ، لكي تتحاشى صدام زحام المارة ، من الزوار والسائحين ، وصغار الباعة .

وحين تنتهي من سوق الحميدية ، يطل عليك سوق صغير جميل ، يدعى سوق « **المسكية** » ، وهو خاص بالوراقين وباعة الكتب المدرسية ، وينتهي بالباب الغربي للجامع الأموي الكبير .. ولكن علينا أن ننعطف يساراً من آخر سوق الحميدية ، إلى طريق ضيق صغير ، شديد الزحام ، يدعى « **باب البريد** » . ولا علاقة حالياً لهذا الطريق بأي بريد ... ولكن باب البريد هذا ، ذكره أحد الشعراء القدامى ، المغرمين بدمشق فقال :

ما بين جابيها وباب بريدها
قمر يغيب وألف شمس تطلع

وينتهي بنا باب البريد ، الذي كان يغيب فيه قمر الشاعر ، لتطلع ألف شمس من الحسان والفاتنات ـ على حد قوله ـ ببناءين شامخين ، شموخ قاسيون وبردى .. بناءين أثريين متقابلين من الحجر الضخم المنحوت ، شيدا في عهد **الملك العادل** ، منذ مئات السنين . ويشغل



★ العلامة محمد كرد علي مؤسس المجمع ورئيسه الأول ★



★ (د. حسني سبح) رئيس مجمع اللغة العربية ★



★ شاعر الشام خليل مردم ★



★ صورة قديمة لاعضاء المجمع العلمي العربي في أوائل عهد تأسيسه : الجالسون من اليمين : أمين سويد أنيس سلوم محمد كرد علي (الرئيس) طاهر الجزائري سعيد الكرمي والوقوف : متري قندلفت عيسى اسكندر المعلوف عبد القادر المغربي عز الدين التنوخي ★

بعد ستين عاما من تأسيسه

بقلم : عبد الغني العطري

الواحد - إلى اليمين - **المكتبة الظاهرية ، أكبر مكتبات سورية** حيث يرتادها كل يوم مئات من رواد العلم ، وطلاب المعرفة .. أما البناء العظيم الآخر ، فيشغله **مجمع اللغة العربية** موضوع حديثنا هذا .

نشأة المجمع

نحن الآن أمام مبنى المجمع العلمي العربي في دمشق ، هذا المجمع الذي تأسس في الثامن من حزيران (يونيو) من العام ١٩١٩م ، بينما صدر مرسوم انشاء مجمع اللغة العربية في القاهرة في ١٩٣٢/١٢/٣م ، ولم يبدأ عمله إلا في مطلع العام ١٩٣٤م ، كذلك تأسس المجمع العلمي العراقي في ١٩٣٧/١١/٢٦ م .

مدخل بناء المجمع يدعو للدهشة والتأمل . والبناء كله ، كما أسلفنا ، من الحجر الأثري الضخم ، والمدخل كبير ومرتفع جداً ، ينتهي بك ، بعد خطوات ، إلى باب خشبي جميل .. فإذا ما تجاوزته ، أطلت عليك باحة كبيرة ، تتوسطها بركة ماء كبيرة ، تتدفق فيها المياه بهدوء - شأن بيوت الشام القديمة - ويحيط بهذه البركة عدد من أشجار الكباد والليمون والأزهار ، والطيور تتنقل فيه آمنة مطمئنة ، لا يعتدي عليها صياد ، ولا يفكر بإيذائها أحد . وحول باحة المجمع تتوزع مجموعة من الغرف ، إحداها قاعة كبرى تدعى قاعة الرئيس الراحل محمد كرد علي مؤسس المجمع ، وهي مخصصة للمحاضرات والحفلات واستقبال الأعضاء الجدد .. تقابلها غرفة واسعة أخرى مخصصة للاجتماعات . وهناك عدد آخر من الغرف ، خاصة بأعمال المجمع وموظفيه القدامى الطيبين ، الذين تجاوزوا على الغالب سن الشباب ، وأولعوا بالعلم والمعرفة .. ويعلو الطابق الأرضي ، طابق آخر ، وزعت غرفه على أمين سر المجمع وكبار موظفيه .

قصة المجمع منذ تأسيسه

حين قامت الثورة العربية سنة ١٩١٦م ، وانتهت بتأسيس الحكومة الفيصلية العربية في ديار الشام ، يوم الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) ١٩١٨م ، واجهت الدولة قضية اللغة العربية ، لأن اللغة التركية كانت لغة البلاد الرسمية ، والأتراك يتولون معظم رئاسات الدوائر . وكان الموظفون العرب أنفسهم يجهلون الانشاء العربي . أمام هذا كان على الحكومة أن تتدارك الأمر ، وتستبدل التركية بالعربية في الدور والمدارس .وتم ذلك في وقت قصير .

فقد أنشأت الحكومة شُعَباً إدارية وفنية ، لمختلف أعمال الدولة . منها الشعبة الأولى للترجمة والتأليف ، مهمتها نشر الثقافة بين الموظفين ، واستبدال المصطلحات التركية بالعربية . وكان أول الأعضاء العاملين في شعبة الترجمة والتأليف السادة : أمين سويد ، أنيس سلوم ، عز الدين علم الدين ، عيسى اسكندر المعلوف ، سعيد الكرمي وغيرهم .

ثم رأت الحكومة بعد ذلك ، أن تجمع فروع الثقافة في دائرة واحدة ، فضمت أمور المعارف العامة إلى شعبة الترجمة والتأليف . وجعلتها كلها « ديوان المعارف » ، وأسندت رئاسته إلى العلامة محمد كرد علي . وكانت مهمة الديوان النظر في أمور المعارف ، وتأسيس دار للآثار ، والعناية بالمكاتب . واتسعت أعمال ديوان المعارف ، فقامت الحكومة بتقسيمه إلى قسمين : الأول يعنى بأعمال المعارف العامة ، والثاني يختص بأمور اللغة والمكتبات والآثار . ومن أجل هذا أصدر الحاكم العسكري رضا الركابي أمراً بتسمية ديوان المعارف بالمجمع العلمي . وكان ذلك في الثامن من حزيران (يونيو) عام ١٩١٩م . وهكذا استقل المجمع العلمي عن ديوان المعارف ، وعهد برئاسته إلى الأستاذ محمد كرد علي . وكان أول من سمي من أعضائه الأساتذة : أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ،

عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متري قندلفت . عز الدين علم الدين . ثم انضم إليهم الشيخ طاهر الجزائري .

غايات وأهداف المجمع

كان أعضاء المجمع يعقدون جلساتهم في إحدى الغرف العلوية من دار الحكومة . ثم صدر الأمر بتسليم المجمع بناء المدرسة العادلية في باب البريد ، وعقد المجمع أولى جلساته في مقره الجديد في الثلاثين من تموز (يوليو) ١٩١٩م ، الموافق للثالث من ذي القعدة ١٣٣٧ هجرية . وأصدر المجع بعد ذلك منشوراً حدد فيه غاياته وأهدافه التي تتلخص بما يلي :

١ ـ النظر في اللغة العربية وأوضاعها العصرية ، ونشر آدابها ، واحياء مخطوطاتها ، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون .

٢ ـ جمع الكتب مخطوطة ومطبوعة ، وتأسيس دار كتب عامة .

٣ ـ جمع الآثار القديمة ، عربية وغير عربية ، وتأسيس متحف لها .

٤ ـ اصدار مجلة خاصة بالمجمع ، تنشر فيها أفكاره وأعماله .

وقد وجه المجمع معظم عنايته ، وجل اهتمامه في بدء تأسيسه إلى اللغة العربية ، وعمل على انقاذها ـ في الدواوين والمدارس والمجالات العامة ـ من الكلمات الدخيلة ، التي لصقت بها ، وأضعفتها ، وعمل على ابعادها واستبدالها بكلمات عربية أصيلة مشرقة .واستطاع بذلك أن يحقق كثيراً من النجاح .. وقاد المجمع حملة تعريب شاملة في بلاد الشام ، واستطاع من خلالها أن يعيد للغة العربية اشراقها ووجودها .. وروحها .

محاضرات المجمع

أقر المجمع إقامة محاضرات دورية في قاعة المحاضرات ، التي أطلق عليها فيما بعد اسم الرئيس المؤسس محمد كرد علي . وكانت المحاضرة الأولى في السابع عشر من نيسان (إبريل) ١٩٢١م ، من نصيب الشيخ عبد القادر المغربي عن معلقة طرفة بن العبد .. وكانت المحاضرات تلقى مرة كل أسبوعين ، فلقيت من الاقبال ما دفع المجمع إلى جعلها أسبوعية . وكان المستمعون يقفون على الأبواب .. ويتعلقون بالنوافذ ... وشاء المجمع أن يوسع رسالته الثقافية .. فقرر القاء محاضرات على السيدات في موضوعات علمية وأخلاقية وأدبية ، واشترط أن يكون بناء المجمع خالياً من الرجال والموظفين ، وأن تقوم بتنظيم المحاضرات النسائية إحدى المعلمات .

احتفالات المجمع ومهرجاناته

اهتم المجمع بالأحداث الأدبية ، فكان يقيم حفلات تأبينية وتكريمية ومهرجانات عامة ، تتناول الشخصيات الأدبية الكبيرة ، حتى صارت هذه المناسبات معرضاً للفكر العربي ، سواء في المحاضرات التي تلقى ، أو في الشعر الذي ينشر ، وأسهمت في دعم اللغة العربية وتحبيب الناس بها .

وكانت أولى حفلات التأبين التي أقامها المجمع للعلامة الراحل الشيخ طاهر الجزائري في الخامس من كانون الأول (ديسمبر) ١٩٢٠م . ومنها أيضاً حفلة أخرى لتأبين المرحومين محمود شكري الألوسي ومصطفى لطفي المنفلوطي . وأقام في صيف ١٩٢٥م حفلة تكريم كبرى لأمير الشعراء أحمد شوقي ، تكلم فيها رئيس المجمع والأساتذة شفيق جبري ، فارس الخوري ، خليل مردم بك ، وأخيراً ألقى الأستاذ نجيب الريس قصيدة أمير الشعراء المشهورة في مديح دمشق .

كما أقام المجمع بعد ذلك حفلات أخرى لتكريم الشعراء الشبان ، ثم أقام حفلة لتكريم الشاعر حافظ إبراهيم عام ١٩٢٩م . وعاد المجمع ليقيم حفلة تأبين لحافظ إبراهيم بعد ثلاثة أعوام ، وحفلة تأبين في العام نفسه لأمير الشعراء أحمد شوقي . وأقام المجمع مهرجاناً في العام ١٩٣٦م لمناسبة مرور ألف سنة على وفاة الشاعر المتنبي استمر أسبوعاً ، وتكلم فيه عدد كبير من أعلام الأدب والفكر العرب والمستشرقين .

وبمناسبة مرور ألف عام على ولادة أبي العلاء المعري ، أقام المجمع مهرجاناً آخر في العام ١٩٤٤م ، شاركت فيه وفود أدبية وعلمية من مختلف البلاد العربية ، وتنقل المهرجان من دمشق إلى معرة النعمان ومدينة أبي العلاء ، ثم حلب واللاذقية وانتهى في دمشق مرة أخرى .

مجلة المجمع العلمي العربي

ظهرت فكرة اصدار مجلة خاصة بالمجمع منذ أن تم تأسيسه . إلا أن المجلة لم تصدر إلا في بداية العام ١٩٢١م حيث ظهر العدد الأول ، حاملاً



★ الباب الرئيسي لقاعة محمد كرد علي ★



★ مدخل دار المجمع العلمي ★



★ القبة الظاهرية ، وتبدو فيها بعض المخطوطات وصورة الشيخ طاهر الجزائري ★

اسم « مجلة المجمع العلمي العربي » ، وكان صدورها بـاثنتين وثـلاثين صفحة . وقد تضمن العدد الأول منها عدداً مـن المقـالات والموضـوعات بأقلام أعضائه .

صدرت المجلة شهرية ، وجابهت صعوبات مادية حادة ، إذ لم تـرصد لها المبالغ الكافية ، كما لم يكن لها العدد الكافي من المشـتركين . وكانـت ترسل إلى بعض كبار الموظفين بصورة شبة الزامية . وكان ما يـطبع منهـا خمسمائة نسخة ، يرسل منها مئتان إلى الأعضـاء المؤازريـن ومعـاهد الأدب والمجامع العلمية . وكان بدل الاشتراك فيها ليرتان سوريتان سنوياً . ويقول رئيس المجمع العلمي في تقرير له : « إن المجمع ربح كثيراً من مجلتـه مـن الناحية المعنوية ، فقد كانت المجلة تـرسل إلى أشـهر الجـامعات والمجـامع ودور الكتب في القارات الأربع : آسـيا وإفـريقيا وأوروبـا وأمـيريكا .

وبذلك زادت شهرة المجمع في الأندية العلمية ، فصـارت المجـامع تهاديـه بكتبها ومجلاتها » .

وكانت المجلة تصدر كل شهر ، ثم صارت منذ العام ١٩٣١م تصـدر كل شهرين مرة . . ومنذ العام ١٩٤٩م أخـذت تصـدر أربـع مـرات في السنة رغبة في التركيز واتاحة وقـت أكثر لمشروعـات المجمـع وأعمالــه الأخرى .

مطبوعات المجمع ومنشوراته

كان من المفروض أن يزاول المجمع العلمي العربي نشاطاً ملمـوساً في طبع الكتب لأعضائه ، وينشر المخطوطات المفقودة ، التي يقوم كبار الأدباء



★ المدخل الخارجي للمجمع ، علقت فوق بابه لوحة من الرخام تشير إلى المدرسة العادلية التي كانت تشغل هذا البناء ★



★ صورة أثرية ، نادرة تبدو فيها باحة المجمع بشكلها القديم ، حيث كانت تلقى فيها المحاضرات صيفاً ★

بتحقيقها . لكن المجمع ، في بداية تأسيسه ، كان عاجزاً عن الاقدام على هذه الخطوة ، لأنه كان ينفق معظم موازنته على عناصر مقوماته الأولية ، كاصلاح البناء ، وشراء الكتب ، واخراج المجلة . من أجل هذا لم يتمكن من الالتفات إلى طبع الكتب ونشر المخطوطات . لكنه منذ العام ١٩٤٤م بدأ نشاطه في المطبوعات ، حيث تمكن من طبع مئات الكتب في الأدب والتاريخ واللغة ، أحيا بها مخطوطات قديمة ، وجد بعضها في المكتبة الظاهرية ، وقارنه بالنسخ الشرقية والغربية ، وسلك الطريق الحديثة في تصحيحها والتعليق عليها .

ومن أبرز مطبوعات المجمع ثلاثة أجزاء تحوي عدداً كبيراً من المحاضرات التي ألقيت في ردهته ، ودواوين الشعراء علي بن الجهم ، ابن عنين ، وابن الخياط ، وابن حيوس ، وقد حققها رئيس المجمع الراحل خليل مردم بك ، ورسالة الملائكة للمعري ، والمستجاد من فعلات الأجواد ، وكتاب الأشربة ، وقد حققها مؤسس المجمع ورئيسه الأول محمد كرد علي ، وخريدة القصر وجريدة العصر وقد حققه الدكتور شكري فيصل .. ويطول بنا الحديث كثيراً لو رحنا نعدد كل ما طبعه ونشره المجمع في سنواته الأخيرات .

دار الكتب الظاهرية

هي المدرسة الظاهرية ، وقد بناها الملك الظاهر بيبرس البندقراري عام ٦٢٠هـ ، لتكون مدرسة وتربية ، وقد استخدمت مدرسة ابتدائية حتى العام ١٩٢٧م .

في العام ١٢٩٦ للهجرة ، قام فريق من العلماء فجمعوا كتب الوقف والرسائل الموجودة لدى متولي الوقف فوضعت في خزانة في قبة المدرسة الظاهرية . وقد جمعت من مكتبات وقفية عديدة . وبلغ عدد الكتب المجموعة في المرحلة الأولى ٢٤٦٥ كتاباً . وألحقت المكتبة بديوان المعارف ثم بالمجمع العلمي . ولا زالت يد التطور والتجديد تتناول دار الكتب الظاهرية حتى اليوم ، وأحدثت فيها دائرة لتصوير المخطوطات ، عين لها موظف مختص .

ومن المخطوطات القيمة النادة التي ضمتها هذه المكتبة على سبيل المثال : «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» ويرجع تاريخها إلى سنة ٢٦٦ للهجرة .. «سنن النسائي» ويرجع تاريخها إلى سنة ٣٥٥هـ .. «الموطأ» رواية سويد بن سعيد بن مالك بن أنس ويرجع تاريخها إلى سنة ٤٣٣هـ .

وقد بلغ عدد المخطوطات فيها ١١١٩٦ مخطوطة ، وعدد المطبوعات ٥٠٣٨٨ ، منها ٣٨١٤٨ كتاباً عربياً و١٢٢٤٠ كتاباً أجنبياً ، وعدد المجلدات ٥٧٤٨٧ ، وعدد المجلات ٣٤٥٠٥ العربية منها ٤٧٧٥٩ والأجنبية ١٥٧٤٦ . وفي المكتبة ستون نوعاً من الصحف .

رؤساء المجمع

قلنا في سياق الحديث إن العلامة محمد كرد علي أسس المجمع ، واستطاع بلباقته ونفوذه أن يقنع المسؤولين إبان الحكومة العربية ، بانشاء ديوان للمعارف ، وكان ذلك في مطلع العام ١٩١٩م ، ولكنه ما لبث أن استصدر قراراً بتحويل «ديوان المعارف» هذا ، إلى «المجمع العلمي العربي» فكان رئيساً له ، وإلى جانبه أعضاؤه المرحومون : محمد أمين سويد ، أنيس سلوم ، سعيد الكرمي ، عبد القادر المغربي ، عيسى اسكندر المعلوف ، متري قندلفت ، عز الدين علم الدين ، طاهر الجزائري .

كان محمد كرد علي ـ رحمه الله ـ واسع العلم والاطلاع ..وكان يتمتع وهو في سن السبعين ، بحيوية ونشاط ، لا يجاريه فيهما كثير من

★ صورة نادرة لقاعة كرد علي رئيس المجمع في شكلها القديم .. وقد وضعت فيها مقاعد مدرسية ★



★ قاعة المخطوطات في المكتبة الظاهرية ★





★ جانب من باحة المجمع وتبدو فيها غرفة رئيس المجمع وقاعة الاجتماعات ★



★ قاعة المحاضرات ★

الشبان .. وقد كرس معظم وقته للمجمع، ووهبه علمه وكفاءته وحماسته وصحته إلى أن استطاع أن يقفز به إلى مصاف المجامع الكبرى في العالم، وظل محمد كرد علي رئيساً للمجمع حتى وفاته في العام ١٩٥٣م.

بادر المجمعيون بعد وفاة الرئيس المؤسس، إلى انتخاب شاعر الشام الراحل خليل مردم بك رئيساً للمجمع، وهو رفيق الأستاذ كرد علي وصفيّه ونائبه في الرئاسة، فانتقلت بذلك رئاسة المجمع من النثر إلى الشعر. كان محمد كرد علي ناثراً عريقاً، وكان خليل مردم بك شاعراً محلقاً، فهو الشاعر الرقيق، والعالم، الذي ما زالت كتبه ومخطوطاته يتوالى صدورها، بفضل عناية ابنه الشاعر المسرحي عدنان مردم بك.

ووهب شاعر الشام المجمع، كل عنايته، وكل رعايته، وكل اهتمامه، فكان يتردد عليه كل يوم، ليشرف على شؤونه ومجلته، ويدير أعماله بعلمه الواسع، وهدوئه وصحته، وظل رئيساً له إلى أن اختاره الله تعالى إلى جواره في العام ١٩٥٩م.

وانتخب العالم الأمير مصطفى الشهابي رئيساً للمجمع، عقب وفاة الأستاذ خليل مردم بك، فحمل المسؤولية .. وتابع الرسالة، وبذل في خدمة المجمع نفسه ونفيسه، وتوج خدماته الجلى باهداء المجمع أنفس ما في مكتبته من مطبوع ومخطوط، بالاضافة إلى اهداء قاعة استقباله الخاصة في داره، وظل الأمير الشهابي رئيساً للمجمع إلى حين وفاته في أواخر الستينات، حيث خلفه في الرئاسة الطبيب العالم الدكتور حسني سبح رئيس المجمع الحالي.

أثر المجمع وخدماته

لا ريب في أن مجمع اللغة العربية قد أدى لسورية خاصة، وللوطن العربي عامة، وللغة العربية بشكل أخص، خدمات جلى، تذكر فتشكر، فقد أنشىء المجمع، وسورية تطوي صفحة الاحتلال التركي، الذي استمر مئات السنين، واستهدف، فيما استهدف، إضعاف اللغة العربية، واستبدالها بالتركية، فجاء المجمع واستبدل جميع الألفاظ التركية الشائعة والمستعملة في أجهزة الدولة، وفي كل مكان، بكلمات عربية فصيحة. ونشر المجمع مجلته، وأقام المحاضرات، وطبع الكتب، وحقق المخطوطات، وكرّم عظماء الأدب، وأمراء الشعر، ورثى وأبّن الراحلين الأعلام، وأقام مهرجانات أدبية ضخمة لبعض رجالات لغة الضاد. وكان المجمع - ولا يزال - صرحاً من صروح العلم والأدب واللغة .. وقد ضم بين أعضائه عدداً طيباً من رجالات الفكر والأدب والشعر العرب، أمثال شوقي، وحافظ، والعقاد، والمازني، وطه حسين، والزيات، وتيمور، وأحمد أمين، والمنفلوطي، ومحمد الجاسر، والزركلي، وبشارة الخوري، وأمين نخلة، وشكيب أرسلان، والرصافي، والزهاوي، وساطع الحصري، بالاضافة إلى مؤسسه ورؤسائه وأعضائه السوريين.





● اليونان الحديثة حارس يقف لحماية اليونان القديمة
● وجدنا في المكتبة التركية مصحفاً أثرياً وكتاباً في الفقه والحديث

في جزيرة رودوس

سمعت أصوات الديكة من ساحل الشام

بقلم: عبد الله جفري

●● لا شيء إلا هذا المساء...

أو كأن هذا المساء الفريد.. قد جُمِّعت فيه كل النجوم المنتشرة على صفحة السماء في نجمة واحدة تمنح الضياء لروح صدية ظمآى، وترسل النغم البعيد فيمتزج بالنفس المتعبة من مشاوير العمر المموه في الأخذ والعطاء!!

وخلف تلك النجمة العروس.. لاحقت نظراتي ذلك اللامدى الممتد، وأنفاس الغريب في صدري تركض نحو أبعاد تتوهج بالرؤى، ونحن في كل رؤية!!

كان هو المساء الأول تحت سماء «**أثينا**».. كنت فيه أنغمر وأطفو على صفحة البحر الهادىء جداً في ليالي سبتمبر (أيلول) الهامسة ببوح صيف مترف باللقاء، وأتلفت فيما حولي من الغموض المنتشي بفرح الإنسان القادم إلى إجتلاء ما وراء التاريخ من ضوء **الفلسفة اليونانية**، وتحمس شعور يتجدد بالاغتسال في رحمة الطبيعة.. فكأن انغماري وطفوي على صفحة البحر يعيدني إلى ما قبل ذلك الزمان.. عندما كانت أشعار «هوميروس» تأخذ الإغريق نحو البحر، وتجسدالبحر «**جنية**» تغزل الحب بهمسها.. فإذا البحر هو «**عشق**» اليوناني منذ بدء تاريخه وحتى الآن!!

في هذا المساء الأول.. جمعت خفقاتي بدون صعوبة، وتركتها تفر من صدري إلى حفافي البحر، ثم تنزلق إلى داخل الماء.. لتزول ملوحة العواطف في ملوحة البحر، أو يمتزجا!

وكأنني لحظتها أنفض عن جوانحي غبار التعب، وترسبات حزن الزمان الجديد الذي أخذ إنسانه إلى ماديات تلوكه وتصهره وتسخره لمزيد من الرغائب والأنانيات.. وأتقهقر إلى الوراء.. حيث ذلك الزمان القديم الذي سطعت منه **الحكمة**، وأضاء العقل بمنجزات حضارية تبلورت من حصيلتها أم اشرأبت إلى نعماء الحياة من قدرة الإنسان على إنطاق الفضيلة، **والفضيلة في سلوك الشعوب هي إدراك العقل لحقائق الحياة، وهي إحساس الوجدان بعاطفة تمنح السلام للنفس الصادية دائماً إلى المعرفة، وإلى التوادد!!**

أو كأنني لحظتها أستعيد قطرة من محيط.. من تلك الحكمة المتواصلة التي سار بها الفيلسوف «**سقراط**» ليمزجها بإدراك وعاطفة إنسان ذلك الزمان.. وكانت القطرة تقول:

● «**إن هناك حقائق عقلية ثابتة يمكن استنباطها من الحالات الجزئية المتغيرة.. والانسان إذا أدرك بعقله فضيلة سلك بمقتضاها.. فالعلم والفضيلة شيء واحد لا يختلف باختلاف الأفراد**»!!

ومن الحقائق ينطلف المستقرىء لتاريخ اليونان الحضاري الطويل..

ولا بد أن يطوف عبر هذا التاريخ بالعديد من الأساطير والقصص.. فكأن اليونان قصة متكاملة تحكي حضارة زمن بكامله.. يحفل بالمجد وبالوعي وبالعاطفة وبالتراث الرائع.. وكأن اليونان أسطورة ضخمة تجمعت وتآلفت من مئات الأساطير التي تشير إلى أن **تاريخ اليونان هو: بناء وتقوض.. ابتسامة ودمعة لا تنسى.. أغنية وآهة !!**

ويحضن كل هذا التاريخ العريق.. نعمة الجمال التي وهبها الله.. جمال الطبيعة.. جمال المخلوقات.. جمال البحر.. جمال النفس التي تقوى على طرد الكآبة في عمق الحزن لتتجاوز هذه الوهدة، وترتقي إلى اجتلاء كل ما هو يمنح الايحاء بالجمال!

ولعل أم الأساطير عندهم.. هي تلك الأسطورة التي تتحدث عن الهة الحكمة عند الإغريق: أثينا، أو «**بالاس أثينا**» تلك التي خرجت إلى الحياة عذراء من رأس أبيها **زيوس** بعد أن ابتلع أمها **ميتس**، واختار لها الرومان اسم «**ميزفا**... راعية السلم والحرب، وحامية المدن. وأقيم **معبد البارثنون** لعبادتها وأقيمت **أعياد الباناثينيا** لتمجيدها»!!

أما القصص عنها.. فأهمها وأبرزها هي: «القصة التي تتحدث عن - **تسيوس** - الذي وحد مدن **أتيكا** وكوّن دولة واحدة»... وهي قصص كثيرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالحضارة اليونانية وتاريخها الذي يرجع إلى **ثلاثة**

★ في «مهرجان أثينا» الذي يقام سنوياً مع بداية شهر يوليو من كل عام ★





★ ثلاثة وجوه من المهرجان في الملابس التقليدية ★



★ من مظاهر الطبيعة في «رودوس» ★

★ منظر عام للأكروبول



آلاف سنة قبل الميلاد .. وتدل على هذا التاريخ الكبير كل الاكتشافات الأثرية التي حصلوا عليها في : كريت ، وميغينس ، والبيلو بونيز ، وأثينا .

واليونان في تقسيمها .. قد شطرها برزخ «كورنثوس» إلى شطرين :

● **الشطر الشمالي :** يضم العاصمة أثينا ، وميناء بيرايوس وسالونيك ، وهو الشطر الذي يكتظ بالسكان ومزدحم ويمتاز سكانه دون **الشطر الجنوبي** بالرفاهية والثراء . وتعتبر أثينا ، أو« أتيكي أثينا » هي البوابة المؤدية إلى منطلقات رحبة وجميلة تخلب لب السائح ، فهي تؤدي إلى أجمل جزر اليونان المعروفة وأشهرها : **رودوس ، وكورفو ، وكريت ، وسالونيك** ـ العاصمة الثانية لليونان ـ والمناطق الأثرية في **ديلفي وميكينس ، وأولمبيا وايبيدور !**

ومعروف أن اليونان جبلية .. لكنها تحتضن تلك الأنهار القصيرة ، والوديان الخصيبة ، والمناطق المغطاة بالشجر على شكل غابات .. حينما تدخلها فأنها لا بد أن تنسيك خارجها .. ذلك العالم المتوتر .. المفجوع بتهديد الحروب .. المهدد بتوتر الإنسان المطحون بمادياته .. وفي إمكانك أن ترفع يدك إلى الشجرة التي تنحني تحتها لتعبر فتقطف ما تشاء .. ولذلك فإن من أهم صادراتهم : **العنب ، والزبيب ، والتين المجفف .**

وحينما كانت العربة تصعد بنا ذلك الطريق الجبلي الممتد في حضن الأشجار والغيوم .. متجهين إلى ما يشبه المنتجع .. أو الغابة المعلقة على رؤوس الجبال وعلى أذرعتها ، وتسمى « **بترفلايز** » في جزيرة رودوس ... كنا نشاهد العربات الكبيرة المحملة بكميات هائلة من العنب ، **وفي داخل تلك الغابة تستطيع أن تجلس في وسط شجرة ، أو على أحد جذوعها العتيقة ، وترى أن الزمن قد جوف جسد الشجرة وما زالت أقوى من الزمان تخصب وتطرح وترتوي وتظلل .** وحاولت في صعودي المتواصل لمعرفة نهاية هذه الغابة المعلقة .. أن أعرف أيضاً المنبع الأصلي لتلك **الشلالات** الهادئة من المياه التي لا تتوقف .. فلم أقدر على المتابعة .. بعد أن بلغت صخرة كبيرة كالجبل ورأيت المياه تنبع من أسفلها وتتدفق شلالات حتى نهاية المنحدر ، ولا بد أن « هوميروس » كانت له « قعدة » على كف شجرة من أشجار تلك الغابة .. فصاغ ذلك الشعر المحلق في أجواء رحبة بلا مدى !!

عن التاريخ القديم

●● **إن الدارس لتاريخ اليونان الكبير .. لا بد أن يتوقف المتصلة أيضاً بالفكر والروح :**

● أولا : تعرضت لحكم ثلاثة جبابرة .. أرهقوا ترفها وحضارتها وتفتحها على الحياة والجمال ، وأولهم اسمه : « **بايسسترانوس** » ، ومن بعده ابنيه : **هيبياس ، وهيبارخوس** (٥٦٠ ـ ٥١٠) .. حتى جاء « **بريكس** » الذي يعتبر عصره هو العصر الذهبي ... وفيه ازدهرت الفنون والآداب والعمارة ـ القرن الخامس ق . م ـ وهو الذي شيد « **البارثنون** » وحتى الآن يتجه السواح إلى « **الأكروبول** » في أثينا .. حيث يشاهدون أطلال « البارثنون » ، و« **البروبيلا** » و« **الأرخثيوم** » .. وهناك تنظم أثينا كل عام وفي فترة الصيف بالذات احتفالات زاهية ، وأهمها « **مهرجان أثينا** » وموعده يأتي مع بداية شهر يوليو (تموز) وينتهي في سبتمبر (أيلول) ولذلك .. فقد خسرنا في رحلتنا هذه التي ابتدأت مع بداية سبتمبر ، أن نشاهد ذلك المهرجان وأن نستمتع بالعروض المتعددة في الموسيقى ، والرقص الشعبي ، والعرض المسرحي .. وكلها تقدم فوق المسرح الأثري هناك المسمى « **أيروديون** » أسفل الأكروبول . وفاتنا أيضاً أن نشاهد عرض « **الصوت والضوء** » في منطقة « **دافنى** » !

■ ثانياً : استطاع فلاسفة اليونان : **أفلاطون ، وأرسطو ، واريستوفان ، وديموسثينس ..** أن يحافظوا على أمجاد اليونان الأدبية والفكرية ، وعندما جاء « **برمكيس** » بادر إلى نشر فلسفة سقراط أو أعطاه الفرصة لنشرها ، وأفسح المجال لكل من « **أسخيلوس** » و« **سوفوكليس** » و« **يوربيدس** » لإرساء دعائم الدراما الإغريقية !

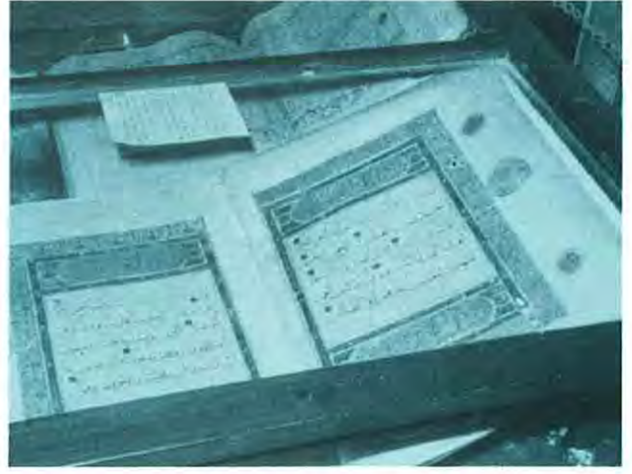
■ ثالثاً : بعد ١٤٥٨ م عانت « أثينا » من التدهور في عهد الحكم العثماني .. حتى استطاعت أن تقف على أقدامها من جديد ، وحرصت على بناء المستقبل .. وفي حرصها أن تحافظ على ملامحها الحضارية التي أهدت للعالم فكراً وفلسفة وجمالا !

■ رابعاً : في عام ١٩٦٤ م تولى **الملك قسطنطين** العرش بعد وفاة والده « **بول** » ولكن حمى القلاقل ، والشروخ التي أصابت العالم الحديث استطاعت أن تصل الى أمان وهدوء اليونان ، وخرج الملك من بلاده وهو يعرف أن تجربة حكم القلاقل لن تستمر .

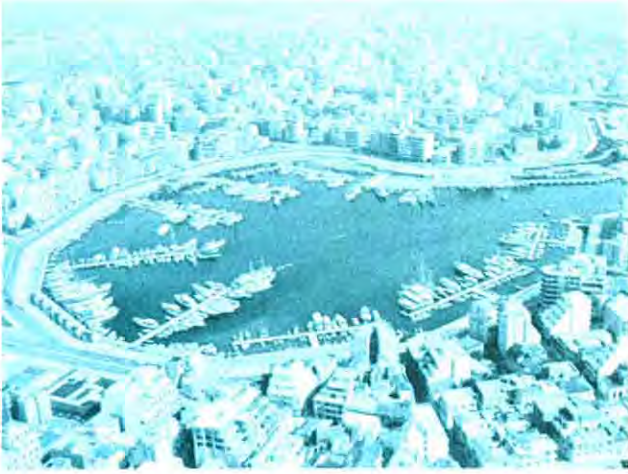
■ خامساً : يشير تاريخ اليونان القديم إلى ما استطاع أن يفعله « أرسطو » ومعه أفلاطون ، وهو ما يعرف بنظام « **دساتير ١٥٤ مدينة** » أو باصطلاح : دولة المدينة ... « بسبب أن اليونان من بدء تاريخها لم تكن دولة تجمعها رابطة الوحدة السياسية وإنما كانت تنقسم إلى عدد كبير من الدويلات أو المدن الحرة ... فجاء نظام أرسطو وأفلاطون ذاك يهدف إلى جعل النظام نجاحاً يحقق الاستقرار للحضارة الإغريقية » !!

★ جامع سليمان في خلفية الصورة .. ثم بعض محلات البيع المنتشرة ... والتي تروج دائماً بتدفق السياح على الجزيرة ★





★ نسخة من القرآن الكريم، بالمكتبة التركية ★



★ ميناء بيرايوس ★

السياحة

●● تعتمد اليونان بشكل ملحوظ على السياحة، فهناك مجموعات تصل إليها من أوروبا وأميركا في فصل الصيف، وأخذ العرب منذ العام الماضي يتدفقون على اليونان.. في ملامحها بعض من اللون الشرقي، وستشعر في بعض مناطق أثينا أنك تتجول في بيروت.. حتى في أشكال عماراتها. والأوروبي يأتي إلى أثينا بحثاً عن الشمس والبحر، والعربي... لا بد أنه يأتي إليها الآن لاكتشاف جزرها الجميلة الفاتنة، ولمستوى المعيشة المتوسط فيها، ولمناظرها الخلابة، ولوسائل الترفيه العديدة الملونة !!

وفي تلك الليالي الأولى من أمسياتي في أثينا.. كنت أرى البحر والشمس في ذلك العناق الحميم.. كأنه عشق يتجسد فوق صفحة البحر بين الشمس والمياه.. وكانت المنطقة التي أسكنها اسمها «**فولياغميني**» وتمتاز بنسمتها الحنون، **فإذا كانت «أثينا» البلد حارة.. كانت منطقة «فولياغميني» مانحة الحنان من النسمة**، وتعتبر هذه المنطقة.. من المناطق الراقية في أثينا، وذات سحر يلمس شغاف النفس، وتشترك معها في الميزة مناطق: **غليفادا، لاغونيسي، أنافيسوس**، وكلها تكتظ بالفنادق والمطاعم والمقاهي، والمعارض، وغير ذلك.. وبالشاطىء الجميل الممتد على الطريق الساحلي.

وتشتهر هذه المناطق بروعة المناظر وسحر الطقس.. فهي شواطىء تطل على بحر «**سارونيكوس**» وعلى بحر «**ايفويكوس**» وهناك تستطيع أن تلتقي بالعديد من السواح من كل جنسية ولون.. والفنادق ملأى لا تخف حركتها إلا في الشتاء.

ومن مناطقها التي يرتادها السواح.. ويركضون إليها للاستمتاع بمناظرها وسحرها.. هذه المناطق التي إذا لم يشاهدها السائح فكأنه لم يذهب إلى اليونان:

● أولا: **تل ليكافيتو..** وارتفاعه ثلاثمائة متر ويطل على العاصمة أثينا. ويؤدي إلى تل ليكافيتو.. (تليفريك) يوصل السواح إلى مطعم للعشاء.

● ثانياً: كازينو فندق «**المون بارنيس**» وهو يتربع على قمة جبل يسمى «بارنيثا» ويرتاده السواح من اللاعبين والباحثين عن الاستمتاع.

● ثالثاً: ميدان «**سينداغما**»..وفيه الازدحام والحركة بلا انتهاء.. لأنه أكبر ميادين العاصمة وأشهرها.

● رابعاً: حي «**البلاكا**» - بقايا من أثينا القديمة - حي شعبي تبدأ الحركة فيه والضوضاء والزحام بعد الساعة الثامنة مساء، ويقبل عليه السواح من أجل طابعه الأثري، ولأنه مركز للفن الشعبي اليوناني، وتشاهد فيه الرقصات الشعبية الصميمة، وتستمع إلى الأغاني اليونانية الفلكلورية المشهورة. وهي تسمى «**البوزوكا**» والتسمية مأخوذة من الآلة الموسيقية المعروفة بالعربية باسم «**البزق**»، وهي آلة متداولة هناك، وأغلب الشعب اليوناني يجيد العزف عليها، ونغمتها تجدها في كل أغانيهم القديمة والحديثة، وأسطوانة «البزق» هذه تجدها في كل مكان.. حتى في الفندق الذي تسكنه.. فهي تعطي للإحساس اليوناني تعبير الحب والعشق، وتعكس الذكريات القديمة.. فأنغامها دمعة وفرحة لا ينتهيان أبداً من وجدان المواطن اليوناني، وأغلب ما يقدم على مسارحهم وفي نواديهم الليلية هي الألحان اليونانية.. إنهم يعتزون بطابعهم كثيراً، ولا يطربهم إلا «البزق» أو البوزوكا..

وقد نبهني الصديق الأستاذ «**صالح العيدان**» هناك إلى ملاحظة شدتني، وأخذت أصغي إليها.. في بعض ألحانهم تستمع فكأنك تصغي إلى لحن أغنية عربية، وتساءلت: ما هو اللحن الأكثر قدماً، أو الذي ظهر قبل الآخر.. هل هو لحن هذه الأغاني اليونانية، أم هو لحن الأغاني العربية ؟!

وقال أحد المصريين الموجودين هناك في اليونان بكثرة: طبعاً.. لقد سرقوا من مصر هذه الألحان !!

ولكن المواطن اليوناني يقول لك: إن التجديد عندنا ينبع من الاحتفاظ الحريص بتراثنا الفني وبفلكلورنا.. فنحن لا نأخذ من الغير ولكننا نجدد ما توارثناه، ولو أننا أخذنا من الغير لفقد فننا وفلكلورنا ملامحنا الأصيلة !!

● خامساً: ميدان «**كولوناكي**» ويعتبرونه الحي الأرستقراطي.. لأن أغلب الذين يقيمون فيه هم من الأثرياء، وأصحاب رؤوس الأموال، والأجانب المقيمين في اليونان من أعضاء السفارات ورجال الأعمال، وهو حي هادىء.. وكان من الممكن أن يكون منتجعاً للشعراء والفنانين.. لأنه لا يلتئم وقلق أصحاب رؤوس الأموال.. إلا من جاء إليه مستجماً أو هارباً من حماته !!



★ شارع قديم
حيث تظهر البيوت القديمة
وقد علقت عليها
المنسوجات الشعبية ★

جزيرة رودوس

●● عندما وصلنا إلى هذه الجزيرة . . قلنا جميعاً : سنبق أسبوعاً ، وكان في تقديرنا أن نشاهدها في يومين فقط . . لكنها جزيرة كبيرة . . أكبر جزر «**الدوديكانيز**» ومركز التصييف السياحي ، وإقبال السواح عليها . . من أجل رحلات السفن واليخوت ففيها ميناء كبير لليخوت ، وقد قيل عن شعب اليونان هذه العبارة :

ـ إنه من الممكن أن تقول عن أي مواطن في أوروبا أو أميريكا أو أي منطقة من العالم إنه يمتلك سيارة واثنتين ، ولكن عن المواطن اليوناني لا يمكن أن تقول سوى إنه يمتلك يختاً واثنين . فعشق اليوناني للبحر جعله من أكبر محبي اليخوت ، ولا أدري ماذا يقال عن الذين يقتنون السيارات !!

وفي رودوس . . كانت الفترة التي وصلنا فيها إلى الجزيرة حامية بأخبار «**كامب ديفيد**» ، وحاولنا أن نعثر على صحف عربية فلم نستطع ، ولكنني وجدت نفسي في لحظة تأمل للبحر أتذكر «**الكونت برنادوت**» الذي عينه مجلس الأمن في عام ١٩٤٨ م ، وسيطاً بين العرب واليهود ، وكان في «رودوس» عندما طلبوه لتلك الوساطة ، وقالوا له : اترك الآن رئاستك **للصليب الأحمر السويدي** ، فما الذي كان يشاهده برنادوت في رودوس لحظة وجوده آنذاك ، وهل كان متفائلاً بالوساطة . . وهل كان يعرف طبيعة اليهود ؟! . . لقد قالوا عنه : إنه كان يرى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وتكوين دولتين ـ عربية ويهودية ـ واقامة اتحاد فيدرالي بينهما ، ولكن ما كان يراه لم يعجب العرب في حماستهم ، ولم يرض عنه اليهود بأطماعهم ، وفي ١٦ سبتمبر (أيلول) ٤٨ ، قتله اليهود في القدس . واكتشفت أيضاً أن هذا اليوم الذي أجلس فيه في رودوس وأتذكر برنادوت كان تاريخه ١٦ سبتمبر (أيلول) ٧٨ ، ورودوس ما زالت هي الجزيرة الرائعة الموحية بالشعر والجمال والحب ، ولا بد أن أحاول أن أنسى التاريخ الصعب . . ابتداء من «برنادوت» الإنسان المغدور ، وانتهاء بكامب ديفيد .

إن رودوس كما تصفها رؤية اليونانيين لها ، تعتبر لوحة تشكيلية مكونة من مدينتها القديمة الباقية محتفظة بطابع القرون الوسطى عودة إلى عصر الفرسان . . ويحوطها السور القديم الذي يفصل المدينة القديمة عن الجديدة ولا يباعد بينهما . . «وترى المدينة القديمة بجدرانها كأنها أبراج القرون الوسطى بفتحاتها المخصصة للقتال ، والخنادق المحيطة بها ، والجسور المرفوعة التي يتم انزالها لدخول القصر» . .

وهناك مبنى «**كاستيللانيا**» ويعود بناؤه إلى القرن السادس عشر قبل الميلاد . . ثم مبنى المركز التجاري للفرسان ، والمكتبة التركية ، وهي رغم صغرها . . الا إنها تضم العديد من المؤلفات الدينية في الفقه والحديث والتاريخ مكتوبة باللغة العربية ، ونسخة من القرآن الكريم في حجم كبير يطابق حجم مصحف سيدنا عثمان الذي قتل أمامه . . حتى السيدة العجوز التي ترعى هذه المكتبة وتخدمها هي تركية الأصل ، وقد فرحت بنا عندما علمت أننا مسلمون . وهناك أيضاً **جامع سليمان** ، وبعض **المساجد** التي ما زالت مآذنها مرتفعة . . فكانت تلك المنطقة . . إسلامية بحتة ، وقد كتبت لوحة عند مدخل جامع سليمان دونت عليها تواريخ البناء وفترة تواجد **الحكم الاسلامي** ، وهناك معبد «أكروبول» رودوس وبه مسرح دائري ، وحديقة «**روديني**» المميزة بكثرة نافوراتها وبحيراتها الصغيرة ، وكل ذلك تجده داخل سور المدينة القديمة . . وهي مدينة مريحة للنفس كثيراً . . ربما لشعورنا أن طابعها يميل كثيراً إلى روحنا الشرقية ، ويحتفظ أكثر بالمآثر الإسلامية المتعددة والباقية شاهداً على التاريخ ، وعلى صانعي التاريخ !!

وفي رودوس ايضاً . . تذكرت اصوات الديكة التي تسمع على ساحل الشام . . فحفزت معاوية بن أبي سفيان أن يغزوها بذات الصواري !!

وبعد . . .

فإنك أينا تنظر ، وإلى أي مكان تذهب ، وفي كل لحظة تتأمل فيها ما حولك وما أمامك في اليونان . . فلا بد أن ترى الماضي والحاضر والمستقبل يتعانقان . . ولاتجد انفصاماً بينهما . . فكأنما الحاضر يكمل الماضي ، وكأنما الماضي هو قاعدة هذا الحاضر العريض والراكض والمزدحم !!

ولكنك كسائح ، أو مكتشف ، أو متعرف ، أو مستجم . . في كل أحوالك لا بد أن لا تبق في وسط اثينا كثيراً ، وإنما هذا البحر يستهويك لتمخر عبابه ، وتتجلى الرؤية عندك . . فالمساء له نكهة ومذاق ، والصباح له تباشيره وصفاء طلعته ، وكل جزيرة تدخلها ستجد أنك تدخل إلى تاريخ قديم يذكرك بعالم استطاع أن يبني امجاداً هائلة بالفكر والعمل وبالحضارة ، وأن هذا التاريخ القديم يحثك أن تتفاءل بواقعك ، أو بحاضرك . . فالشعوب لا بد أن تصنع المستقبل . . طالما كان لها تراث ، وطالما حافظت على أصالتها .

واليونان سياحيا لا تستفيد إلا من اليونان القديمة الحافلة بالحضارة ، وبالفكر وبالثقافة وبالتراث وبالفنون . . . أما اليونان الحديثة فهي ليست أكثر من حارس يقف لحراسة كل هذا التراث . . كل اليونان القديمة !!

فن الخزف المعاصر



بين الضرورة والاحتياج

بقلم: د. صالح رضا

قال **أرسطو** من قديم الزمن انه يمكن ادراك معنى الفن على خير وجه إذا قورن بالطبيعة . إن الفن ذكاء إنساني يقوم بدوره فوق مسرح الطبيعة ويحركها في صدق واخلاص إلى تحقيق أهداف إنسانية .

والحضارة الكاملة كما علمنا قد تتلاقى وتتطابق مع الذكاء والعقل الكامل ، كما أن الحياة في مثل هذه الحالة قد تناظر الفن ، **وبقدر ما تكون الحضارة مختلفة النظام ، بقدر ما يكون ذلك دليلا على المدى الذي لا تزال الدوافع العشوائية والعادات التي تجافي العقل تتحكم في أفعالنا وتدبر حياتنا** . على أن فنون الحنكة السياسية والمجتمع الإنساني ما زالت بدائية على نحو يبعث على الدهشة ، فما زال التحامل والرجم بالغيب والمصالح الخاصة والمخاوف الوهمية تهدد منذ وقت طويل باغتصاب المكان الذي ينتمي للعقل في المسائل الاجتماعية .

غير انه حدث في المراحل الأولى لتاريخ الحياة الانسانية أن أخذ العقل (الذكاء) مكان الاستجابة الحيوانية المجردة . وبدأ الفن يوجه الطبيعة من جديد . ولقد كان تحطيم العصا واشعال النار واستئناس الحيوان ، وبذر الحبوب وبناء كوخ وحفر مغارة ـ كلها

كانت تدخلاً من الإنسان في شؤون العالم كله كما وجده . . كانت الأمثلة الأصيلة والأساسية لذلك الفن الذي سخره الإنسان في بادىء الأمر للحصول على الغذاء والمأوى ، **وبمعنى أعم يمكن القول ان الأمثلة الرئيسية للفن يمكن العثور عليها لا في قاعة الموسيقى أو المتحف ، وإنما في الحقل والمرعى والمحراث** ، وفي عالم مليء بالمخاطر والشكوك .

كان على الإنسان أن يتعلم كيف يعيش قبل أن يتعلم كيف يحيا حياة جميلة ، أو أن يشغل ذاته بخلق أشياء جميلة مثلاً . **على أن علماء الانسان الذين تعمقوا في دراسة الحياة البدائية قد أشاروا مرارا إلى أنه ليس واضحا على الاطلاق أن الضروري سبق الجميل أو أن الأساسي سبق الزخرفي الخالص** ويبدو في الأغلب أن المخيلة البدائية - في غمرة الأعمال التي كان على الإنسان أن يؤديها وجدت أو اصطنعت الفراغ لتضيف طلاوة لا تكلفه شيئاً وسحراً لا لزوم له . ومن ثم لم يكتف بصنع الأواني والسلال ، وإنما صممها . ولم يكتف الرجال بأن يحفروا لأنفسهم كهوفاً ومغارات ، بل زينوا جدرانها بالرسوم . وبدأ الصانع البشري الذي أغراه ما في الألوان والخطوط من متع محتملة - يحوم حولها متأنياً .

وإذا نحن تأملنا صناعة الخزف والسلال البدائية لتعذر علينا التميز فيها بين عمل الصانع وعمل الفنان على الاطلاق .

لذلك يعتبر الفخار من أقدم الصناعات اليدوية في العالم ، فمنذ نشوء الانسان إلى وقتنا هذا ، كانت أوعية الفخار تعتبر في الغرب وفي الشرق الأوسط من الوسائل المتواضعة للاستعمال اليومي ، ولم تكن - إلا في نطاق ضيق - لوناً من ألوان الفنون غير ان هناك استثناءات لهذه القاعدة مرت خلال بعض العصور وبرزت للعيان عندما أصبح الفخار بمستوى أعلى . وهكذا كان الحال بالنسبة إلى اليونانيين **وفي عصر النهضة الايطالي** عندما أصبح الفخار مجالا طيباً لغايات الرسامين .

أما في **الشرق وفي** الصين خاصة ، فقد كان الفخار يقف على قدم المساواة مع فنون النحت والرسم والشعر والخط . . الخ .

لهذا قدمت الصين مقياساً كلاسيكياً في عصور **(تك وسانك)** وتركت لنا فخاراً ممتازاً .

وإذا نظرنا إلى الوراء نجد أن لكل شعب متبقيات من عصوره ، فالعراق ومصر مساهمان كبيران في الخزف في العهود الاسلامية الأولى

وتعد صناعة الفخار أبسط الفنون جميعاً وأكثرها صعوبة في آن واحد . **هي أبسط الفنون لكونها أكثر أولية ، وهي أكثر الفنون صعوبة لأنها أكثر تجريدا .**

وصناعة الفخار من الناحية التاريخية من بين أوائل الفنون التي ظهرت على الأرض . . وحتى في المرحلة التي سبقت قدرة الإنسان على الكتابة وما زال في امكان الأواني التي صنعت في ذلك الزمن أن تحركنا بشكلها المؤثر .

إن فن الحياة إلهام وإبداع وليس تاريخاً أو حقيقة . لقد كان على الفنان بحكم الأمر الواقع أن يعالج قطاعات من التجربة ، ولو أنه قد يوحي بها أو يضمنها كلها . والتجربة بغض النظر عن الفن والادراك ، متقلبة ومشوشة . **إنها مادة بلا شكل ، وحركة بدون اتجاه** فالأصوات العابرة ضوضاء مبهمة لا يصغي إليها أحد أو يرغب في الانصات إليها والألوان والأشكال من حولنا تمر دون أن تلحظ أو تستساغ .

والحضارة ذاتها شكل من أشكال الفن وبقدر ما يكون للحياة شكل تكون فناً ، وبالقدر الذي يكون للفوضى الثابتة في الحضارة بعض التماسك تكون عملاً من أعمال الفن ، وكل ما يسمى **« عادة »** أو كل تطبيق فني Technique أو نظام System هو عمل من أعمال العقل أو ربما تراثه المبدد . وإن دولة الفن تماثل الجمال الذي يعمل الإنسان فيه سيطرته المتبصرة الحازمة على عالم المادة والحركة الذي يتعين عليه أن يتخذ فيه مقامه وعلى عالم الخفقات العشوائية الداخلية والعمليات التلقائية التي تؤلف كيانه الداخلي . **إن كسر عصا أو بناء كوخ أو ناطحة سحاب ، أو استعمال اللغة كوسيلة للتخاطب ، وبذر الحبوب ، أو جمع المحصول ، وتربية الأطفال وتعليمهم ، وصياغة شريعة للقانون أو الأخلاق ، ونسج كساء أو حفر منجم - لتتساوى جميعا في كونها أمثلة للفن لا تقل عن صياغة نقش بارز أو تأليف سيمفونية .**

ومن ثم فمن أهم وظائف الفنان أن يجعل التجربة أخاذة بأن يمنحها الحياة ، إن الفنان سواء أكان شاعراً أم رساماً أم مثالا أم مهندساً معمارياً يتناول الأشياء كما يتناول الشاعر والقصاص الأحداث على نحو يجبر العين على التوقف ونشدان المتعة في الرؤية ، كما يجبر الآذان على الاستماع بمجرد الاستماع ، والعقل على التلهف بحثاً عن لذة الاكتشاف التي لا تسعى إلى نفع ، أو الحيرة أو الدهشة . عند ذلك لا يصبح المقعد مجرد اشارة لمن يرغب في الجلوس ، إنما يصبح جزءاً ونقطة في تكوين وبؤرة لون وشكل يتخذ في الرسم مغزى تصويرياً ، **وبمعنى آخر يصبح شيئا حيا** . وعند ذاك لا يكون الوجه العابر مجرد شيء يغري أو يسيطر عليه أو ينسى ، بل يصبح شيئاً يستحق أن ينظر إليه ، فقد أصبح موجوداً وموضوعاً ذا أهمية تصويرية يرضي ويثير في آن واحد . إنه يتجرد عن كونه حدثاً أو ادارة . ذلك لأنه ليس دافعاً أو معجلاً للحركة ، وليس اشارة للغضب أو النزوة . إنه لحظة مفعمة بالحيوية وممتلئة بالنظام . إنها معرفة شيء حي ، منظم ، معرفة لذاتها الحلوة . إنها بهية الطلعة - كما نقول - والنظر إليها متعة

إن الفن الجامع (الشامل) - كما سبق أن ألمحنا - من شأنه أن يجعل الوجود كله ينبض بالحياة وتصبح تفاصيل الفعال والمعاناة اليومية بهيجة سواء في خلتها المباشرة أو في المعنى الذي انطوت عليه ، كما تتخذ علاقاتنا بالآخرين بعضاً من سمة الصداقة والمحبة . ويصبح ما فعلناه محركاً لنا كما هو محرك ودافع لقاء

للكاتب لأن يكتب، وللرسام لأن يصور، حتى يبدو ما لاقيناه وكأنه لقاء مع الموسيقى أو التصوير أو الشعر، وعندئذ تكون الحياة عملاً لـه إبـداعياً وتذوقاً جمالياً مستمراً، ويصبح كل ما فعلناه فناً، وكل ما عـانيناه تـذوقاً ومتعة، وتصبح الحياة مرتبة وتلقـائية لا ادعـاء فيهـا، وفي نفس الـوقت خاضعة لنظام، وحرة طليقة .

الخزف ومقتضيات المجتمع الحديث

لا شك أنه عند الحديث عن الخزف ـ كفرع من فـروع الفـن ، أن نكون منصفين في القول بأن الخزف يشمل كثيراً من الفروع المتعـددة . . . علماً بأن الخزف هو الكلمة أو التعريف العام ـ فيوجد أنواع كثيرة ـ مثل **الخزف الصناعـي والخزف الفنـي** ـ وهذا الانقسام قد عرف حديثاً عندما انفصل الخزف عن جوهر التعبير الـذاتي (الفـردي) نـظراً للتـطور الصناعي في بداية القرن الثـامن عشر والقـرن التـاسع عشر ـ وكان مـن جراء هذا الانفصام ـ أو الاختلاف حول تصنيع الفن ودخول عصر الآلة أو عصر الماكينة ـ الذي أدى إلى تغرب الفنـان الخزاف عـن احتيـاجه للآلة ـ ورأى فيها مساساً بجوهر مكنون الطينة، كأداة تعبير عن الأشكال الجمالية البحتة (**أو أشكال الزينة**) الـتي ارتبـطت بـالتطور رغـم ان الخزف كان في بدايته الأولى يعتبر من الفنون الحرفية التي كانت لهـا صـفة الانتاج الكمي من حيث تكرار الأشكال الخزفية اليدوية ـ **وكانـت اليـد هي البديل عن الآلة** ـ أي إنها ابتـدأت بـالاحتياج الـكمي، نـظراً لمقتضيات المجتمع في ذاك الوقت .

والذين يثورون اليوم على تصنيع الخـزف كفـن وصـناعة تنـاسوا أن الخزف لم يكن الغرض الأساسي منه هو التعبـير فقـط ـ بقـدر احتيـاج المجتمع للنفعية الناشئة من استخدامه لخامة الطين، ولم يكن القصـد منـه التعبير عن رغبة جمالية فقط بقدر مـا كان الهـدف الحقيقـي منـه هـو استخدامه لهذه الخامة رغبـة منـه في الاحتيـاج للشرب وحفـظ الماء والمأكولات . **إذ لم يكن الغرض هـو التعبـير بقـدر مـا كان الغرض هو النفعية ـ وليسـت الجمالـيـة فقـط. ولـكن في استخدامه لهذا النوع ارتبط بالشكل الجمالي .**

ونظرتنا نحن اليوم لهذه الأعمال على انها فـن بحـت نـظرة خـاطئة، لاعتبارات كثيرة من أهمها ان نظرة المؤرخ أو الفنان اليوم هـي إلى القيمـة الجمالية التي يحويها هذا الإناء من شكل ابداعي تتوافر فيه هـذه القيمـة ـ متناسياً انه عندما صنع هذا العمل لم يصنه من أجل الزينة فقـط ـ بقـدر ما كان الغرض الأساسي الذي من أجله صنع هـو النفعيـة والـرغبة في الاستخدام . هذه حقيقة لا بد من الاعتراف بها .

وقد نكون مجافين للحقيقة إذ لم نعترف بوجود الآلة الخزفية في بـداية الحضارات الأولى عندما فكر الإنسـان الأول في صنـع أول عجلـة دوارة (**دولاب الخزاف**) ـ وهي عجلة الخزاف الـتي اشتقت منهـا الحـركة الدائرية ـ وأخذت منها بعد ذلك الحركة الـدائرية في صـنـع عجـلات الركوب، التي تطورت إلى عصرنا هـذا ـ واسـتخدمت في كثـير مـن الأغراض الأخرى ـ فإذا أردنا اثبـاتات تـاريخية فتـاريخ الإنسـان مليء بالحجج والبراهين المؤكدة لهذا التطور .

وفي بعض العصور عندما استخدمت الآلـة في **التصـنيع الخـزفي الكمـي** انحرف الشكل الخزفي عن وجهة النظر الجمالية، مضحياً بـالشكل الجمالي على حساب الوظيفة، وهذا لا يعتبر خطأ الآلة بقدر ما كان خـطأ الخزاف لعدم معرفته وادراكه لامكانية الآلـة في اسـتخدامها وتـطويعها لغرض الشكل الجمالي ـ وفي بعض الفترات ظهرت فيها نوعيات سيئة من التصميم ليس في فن الخزف فقط بل في العديد من فروع الفن .

ولكن علينا أن نـكون منصفين للحقيقـة اليـوم، وأن نكون على وعـي كامل بـالمواجهة الحقيقيـة لـرغبات المجتمـع واحتياجاته الأساسية وأن لا ننحرف بالفن إلى طريق آخر عن طبيعته الحقيقية متلمسين في ذلك الأعـذار الفنيـة ـ بـوجهة النظر القائلة بأن فن الخـزف هـو فـن محض، إذ لم يعـرف تاريخ الخزف بكل عصـوره وأزمـانه السـابقة والـلاحقة ـ إن كان الخزف فنا محضا، وإن الدوافـع الدينية والاجتماعيـة هـي فقط، التي تسببت في وجوده وليس الطين إلا وسيلة تعبـير فقـط . . إن مثل هذا القول خاطيء من أساسه ـ وما أثبتـه تـاريخ الإنسان وأقـوال فلاسفة الجمال والمهتمين بأمر الفنون ان الفن في شموله ـ هو افراز اجتماعي صنع من أجل الإنسان، ليس فقط للتعبير عن المشاعر بقدر مـا كان هـو الاحتياج الحقيقي لأغراض المجتمع، حـتى في حـالات التعبـير بـالطين (**الفخار**)، إذ لم يكن المقصود بالطين التعبير بقدر مـا كان يقصـد بـه كخامة لها غرض أساسي في تواجدها وكشف احتوائها من حيث أنها خامة لدنة، يستطيع الإنسان بأن يشكل بها أغراضه بالنسبة لعصره فهي الخامة الطبيعية الموجودة .

وأعتقد أن الفن ليس هبة خارقة تتسم بـالاعجاز، بـل إن الفنـون نمت من طرائق ما قبل التاريخ، القائمة على المنفعة إلى حد كبـير، وإن لم تخل من بعض النواحي الجمالية، نتيجة عمليـة متـدرجة مـن التفـاضل واعادة التكامل، ومن التكيف الاجتماعي، ومـن القـوة المتزايـدة، وممـا تتسم به الوسائل والغايات من دهاء وحذق وتعقيد .

ويجب علينا أن نسلم في الوقت الحاضر، بـأن هـذه القـوة المحولة التي يرمز إليهـا مـظهرها، ويـدل عليهـا ذلك الشيء النحاسي الحديدي الذي نسميه الماكينة، وقـد كبرت بـدرجة توجب على الفنان أن يتقبلها ولا يعارضها، فلا بد أن تسـود العبقرية العمل الابتكاري الذي نبدعه .



مخلوقات غريبة

في تصورات بعض الناس أن المخلوقات القادمة من الفضاء ذات حواس لم يمتلكها البشر على هذا الكوكب ، فترى الفنان مثلا يعبر عن ذلك بتصور هوائي (ايريال) حي ، أو قرن (أو قرنين) من قرون الاستشعار ملتصق بالرأس ليلتقط موجات كهرومغناطيسية ، ثم يرسلها إلى أمخاخ هذه المخلوقات الفضائية ، فتفك رموزها ، وتعرف مضمونها ، ونصبح نحن بجوار هذه الكائنات المتطورة كالصم البكم العمي الذين لا يفقهون !

لكن هذه المخلوقات الغريبة موجودة معنا على كوكبنا ، وتحمل في جسمها محطات ارسال واستقبال حية ، وتستطيع أن تتفاهم مع بعضها من خلال مجالات لا نستطيع لها احساسا ، ولا بها شعوراً . . . ذلك أننا لا نملك حاسة كهربية حية لتطلعنا على بعض أسرار عالمنا ، ومن هنا التزمنا حدودنا ، إذ لا نستطيع أن نتخطاها ، لقصور في بعض حواسنا ، أو لعدم امتلاكنا لحواس امتلكتها كائنات أخرى ، لتدرك بها ما لا ندرك !

ولا تحسبن أن هذه الكائنات « **الكهربية** » التي تتخاطب بلغة النبضة والفولت والأمبير قد أتت من الفضاء ، واختفت في مجاهل الأرض ، لترقب حركاتنا ، وتدرس سلوكنا دون أن نحس أو ندري ، ولا هي من مخلوقات **الأطباق الطائرة** التي قالوا عنها إنها تأتي بين الحين والحين لتزور أرضنا ، فهذه المخلوقات الأسطورية الزائرة إنما هي إحدى خرافات القرن العشرين ، لكن ذلك ليس موضوعنا الذي نود أن نقدمه هنا ، بل علينا أن نعود لنقول : **إن مخلوقاتنا الكهربية التي «تتحدث» بالموجات تسكن ماء هذا الكوكب ، وإنها ظهرت على الأرض قبل أن يظهر الجنس البشري بعشرات الملايين السنين ، وإنها امتلكت في أجسامها «محطات إذاعة» من لحم ودم وأعصاب ، وبها «تتكلم» فيما بينها بموجات لا يفهمها إلا جنسها أو نوعها ، ولقد سجل بعض العلماء لها تلك الموجات ، وعرفوا بعض مضمونها !**

هذه المخلوقات الغريبة **نوع خاص من الأسماك** الذي يسكن في بعض **أنهار إفريقيا وأميريكا الجنوبية** ، ولقد ظل سره مطوياً ، إلى أن اكتشف علماء الحيوان أمره في النصف الثاني من القرن العشرين ، ومن هنا طوروا معلوماتنا عن الحواس التي ندرسها ، ونظن أنها خمس ، وما هي بخمس ، بل إن هناك حواساً أخرى يجب ان تضاف إلى الحواس التقليدية المعروفة ، ومن هذه الحواس تبرز **الحاسة الكهربية** المثيرة التي حيرت العلماء أعظم حيرة !

البداية

منذ حوالي عشرين عاماً فقط ، نشر **الدكتور هـ . ليزمان** الأستاذ **بجامعة كمبريدج الشهيرة بحثا ممتعا في المجلة العلمية للبيولوجيا التجريبية** ، وفيه قدم سمكة من ذلك النوع المعروف باسم **سمك المدية** أو السكين Knlfe Fish ، وهي من الأسماك التي تعيش في قنوات وأنهار جنوب إفريقيا ، وقد تبلغ من الطول حوالي متراً ونصف المتر ، ويذكر أنه عندما رأى هذا النوع من الأسماك يسبح بالقرب من قاربه ، التقط بهدوء مغناطيساً قوياً ، وبحرص شديد أخذ يدليه نحو سطح الماء ، حتى إذا ما أصبحت المسافة بين المغناطيس والسمكة حوالي نصف متر ، « تسمرت » السمكة في مكانها ، وكأنما هناك قوة خفية قد سيطرت عليها وجذبتها ، وطبيعي أن أحداً لا يستطيع أن يترجم لنا شعور السمكة حيال هذا المجال المغناطيسي الذي ملك زمامها ، وكأنما هي تأتمر بأمره ، بدليل أنها كانت تتحرك يميناً وشمالا ، وإلى الأمام أو الخلف ، كلما تحرك المغناطيس في أي اتجاه من هذه الاتجاهات .

لكن . . ماذا يعني ذلك حقا ؟ . . وهل تمتلك السمكة في جسمها مغناطيسا حيا ، أو أن هناك حديدا ينتشر في جسمها بصورة أو بأخرى بحيث يتأثر بالمجال المغناطيسي الذي يحركه ليزمان يمنة ويسرة ، فيجعل السمكة أسيرته ؟

الواقع أن السمكة تمتلك محطة توليد كهربي ، فتنشر به حولها مجالا لتتخاطب به مع الأسماك الأخرى ، وليصبح لها هذا المجال بمثابة عينها التي ترى بها ، وأذنها التي تسمع بها ، « ورادارها » الذي يوجهها إلى سواء السبيل !

علاقة الكهربية بالمغناطيسية

● وما دخل الكهربية هنا بالمغناطيسية ؟

لها دخل . . فالمجال الكهربي يولد حوله مجالا مغناطيسياً ، كما أن المجال المغناطيسي يخلق مجالا كهربياً ، أي كأنما هذا يرتبط بذاك كارتباط الروح بالجسد ، أو الليل بالنهار ، فكلاهما ينبع من الآخر أو يخلقه . . فالمجال الكهربي في الجرس يولد مجالا مغناطيسياً متقطعاً ، فيرن الجرس تبعا لذلك ، كما أن الحركة في الدينامو (به ملفات تولد مجالا مغناطيسيا) تولد تياراً كهربياً . . وهكذا .

إذن فالمغناطيس يؤثر في الكهرباء ، والكهرباء تؤثر في المغناطيس ، ولهذا فعل المغناطيس في يد الأستاذ بالسمكة ما فعل . . فهذا المجال من ذاك بدون ريب !

بمجالات كهربية مثيرة

بقلم: د. عبد المحسن صالح

لكن مما لا شك فيه أن سمكتنا هذه قد قدمت لنا زاداً فكرياً وعلمياً جديداً، وكأنما الحياة تضع لنا النقط فوق الحروف، وكأنما هي تشير إلينا أن أفكارها لا تنضب، وأن الحواس التي زودت بها بعض كائناتها أغرب مما نتصور.. فلكل كائن ظروفه وبيئته، فما ينفع معنا، قد لا ينفع مع غيرنا، أو العكس، ولهذا قدمت الحياة لتلك السمكة هذا «التاكتيك» المثير، وطورته وصقلته واستخدمته، فظهرت أصالته ودقته، بدليل أن هذا النوع من الأسماك قد اعتمد عليه -أي على «التاكتيك»- منذ عشرات الملايين من السنين، ولا يزال، وهذا يعني أن الفكرة صالحة وفعالة، إذ لو لم تكن، لانقرضت هذه الأنواع منذ زمن طويل، لكنها لا زالت معنا، لتطور مفاهيمنا، وتضعنا في مكاننا الصحيح!

إذن فالسمكة تمتلك حاسة غريبة لا تعرف أجسامنا عنها شيئاً، وهي -أي السمكة- لا تكتنزها كنوع من الرفاهية أو للتسلية أو ما شابه ذلك، بل هي وسيلتها للحياة في بيئة مضطربة قد لا تصلح فيها الحواس التقليدية، فالمياه التي تعيش فيها عكرة هادرة مندفعة في أغلب الأحيان، ولهذا فإن العين أو الأذن أو الأنف قد لا تنفعها في هذه المتاهات، ولا بد من فكرة جديدة للتغلب على تلك المشاكل، فكانت فكرة محطة إذاعة صغيرة حية تنتشر في جسمها، وتغذيها مولدات كهربية صغيرة على هيئة بطاريات أربع حية تمتد اثنتان منها من نهاية ذيلها إلى الثلث الأخير من جسمها، والثالثة حتى وسطها، والرابعة تمتد حتى رأسها، ويتراوح فرق الجهد فيها ما بين ٣-١٠ ڤولتات، ويتوقف هذا الفرق -بطبيعة الحال- على حجم السمكة ووزنها.

وكما تنبض القلوب فينا لتدفع الدم في عروقنا، كذلك تنتاب هذه البطاريات الحية نبضات خاصة، لتخلق حولها مجالا كهربياً نابضاً، إلا أن سرعة هذه النبضات الكهربية أكبر بكثير من سرعة نبضات القلوب، فحيث تنبض قلوبنا (مثلاً) ما بين ٧٠-٨٠ نبضة في الدقيقة، نجد عدد النبضات الكهربية في هذه الأسماك تقع في حدود ١٨ الف نبضة في الدقيقة، أو بمعدل ٣٠٠ نبضة في الثانية الواحدة، وهذه لا تتوقف أبداً، اللهم إذا توقفت الحياة في السمكة.

والواقع أن لكل سمكة مجالها، فإذا سارت، كونت حولها خطوط قوى كهربية تمتد من رأسها حتى ذيلها، تماما كما يمتد المجال المغناطيسي حول قضيب ممغنط، ولقد تبين أن القطب الموجب يكمن حول رأسها، وأن القطب السالب يحيط بذيلها، أضف إلى ذلك أن مجالها الكهربي المصاحب لها أينما سبحت، هو مرشدها الأساسي في عالمها، أو هو بمثابة «رادارها» الذي اخترعته الحياة من ملايين السنين!

العلاقة مع البيئة

لكن سلوك هذه السمكة مع مجالها ومع بيئتها التي تعيش فيها يدعو حقاً إلى العجب، وقد يثير هذا السلوك تواضع خبراء الحروب والاتصالات والاليكترونيات ومهندسي الإذاعات وما شابه ذلك، لأن السمكة تتلاعب بموجاتها أو نبضاتها بطريقة قد يحسدها عليها الخبراء والمتخصصون، خاصة فيما يتصل بالتشويش أو تداخل الموجات والنبضات.

فلو أن سمكتين سابحتين قد اقتربتا من بعضهما إلى الدرجة التي تتداخل فيها المجالات الكهربية النابضة لهذه مع تلك، فإن ذلك سيؤدي حتماً إلى حالة من العمى أو الصمم أو طمس «الرادارات» أو التشويش عليها، ونعني بهذه الرادارات تلك المجالات الكهربية التي توضح للأسماك ما يجري حولها من أحداث، وما يدور من أخطار، وما ينعكس إليها من معلومات توضح لها كيف تقدر لزعنفتها قبل العوم موضعها!

لكن مشاكل ذلك التشويش أو التداخل بين مجالات الأسماك قد أمكن حلها منذ زمن طويل، فما إن تحس سمكة بأنها دخلت في مجال سمكة أخرى، فإنهما يتوقفان للحظة عن الارسال، وفي اللحظة التالية تغير كل منهما «**موجة**» محطة ارسالها بسهولة يحسدان عليها، وبحيث يؤدي ذلك إلى الإذاعة على موجة مختلفة، فلا يحدث تداخل ولا تشويش، وبهذا تعرف كل سمكة كيف تبث، وكيف تستقبل.

★ ★ ★

على أن هذه المجالات العجيبة هي الهادي والمرشد للسمكة في وسط تغم فيه الرؤية، ويطمس السمع، لكنها لا تبتئس لذلك كثيراً، فما إن تدخل بمجالها الكهربي المنتشر حولها في صخرة أو حجر أو نبات أو سمكة أو عدو أو صديق، إلا وترتد إليها «صورة» متقنة لما حدث في هذا المجال من تجمع خطوط القوى أو انفراجها، ففي الوسط المائي تختلف المواد الحية والميتة في درجات تعاملها مع تلك المجالات، فالمواد الرديئة التوصيل تباعد بين خطوط القوى، في حين أن الحسنة التوصيل تضمها، وهذا من شأنه أن يغير في كثافة مجالها، وكل هذا يرتد إلى جهازها العصبي فتميز بالمجالات الكهربية، ما نميزه نحن بعيوننا المهيأة للرؤية في المجالات الضوئية.. أي كأنما مجالها الكهربي هو «عينها» التي تريها الأشياء.

والواقع أن هذا المجال يمتد أمامها وحول رأسها ما بين متر أو مترين ، وبهذا تستطيع أن تحس بكل ما يعترضها بمجرد أن تقترب منه بمثل هذه المسافة . . ثم إنها تستطيع - كما دلت التجارب التي أجريت عليها - أن تعرف الفرق بين قضيب من الزجاج لا يزيد سمكه عن ملليمترين ، وقضيب آخر من الحديد أو الخشب أو الفورمايكا له السمك ذاته ، وعلى مسافة تزيد عن المتر من رأسها !

ثم إن حساسية هذه الأسماك للانخفاض الحادث في جهدها الكهربي - نتيجة لمرورها في عوائق شتى - قد يصل إلى حدود يصعب علينا تصديقه ، فهي تستطيع أن تشعر بنقص في الجهد يصل إلى أقل من ثلاثة أجزاء من مائة مليون جزء من الفولت لكل سنتيمتر واحد لا غير ! . .

وهذا من شأنه أن يغير شدة التيار الكهربي إلى أربعة أجزاء من مائة مليون جزء من الأمبير على كل سنتيمتر مربع ، وهذه الأرقام الصغيرة للغاية قد تخلق صداعاً لمصممي الأجهزة الكهربية ولعلماء الأحياء كذلك ، إذ كيف يتسنى للسمكة أن تحس بهذه الفروق رغم أنها تتكون من شحم ولحم ودم ؟

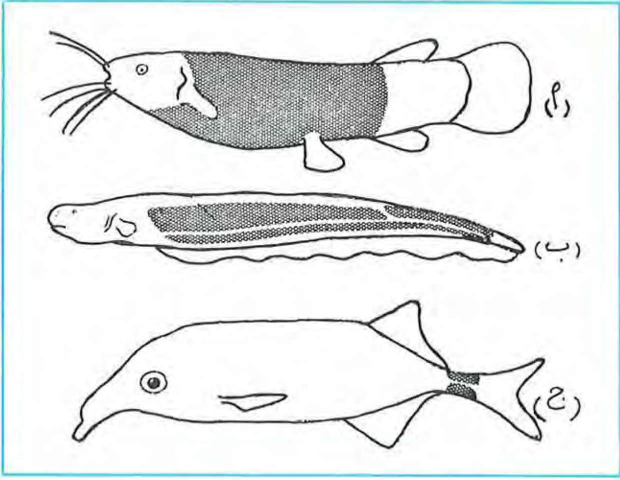


★ ثلاثة أنواع من الأسماك التي تستخدم النبضات الكهربية كحاسة لترشدها في عالمها إلى سواء السبيل ★





★ تردد النبضات الكهربية ، ٣٠٠ نبضة في الثانية الواحدة ★



★ رسم توضيحي لتوزيع البطاريات الكهربية الحية في ثلاثة أنواع من أسماك الاتصالات الكهربية ، أ - سمكة القط الكهربية ، ب - سمكة الثعبان ، ج - سمكة المدية الكهربية ★

السر الكبير

الواقع أن السر يكمن في **المخ** ، فمعظم الجهاز العصبي للسمكة قد تطور وتضخم ليساير هذه الحاسة الجديدة ، أي الحاسة الكهربية التي تناسب بيئة هذه المخلوقات وطرق حياتها .

لكن السر الكبير لا يزال حتى الآن غامضا : إذ كيف يتسنى لهذه الأسماك أن تنتج تياراتها ونبضاتها الكهربية وتغير في شدتها ، ثم كيف تستقبل أحاسيسها الكهربية من وسطها الذي تعيش فيه ، وتحولها إلى صور أو علامات تعرف بها عالمها ؟

لقد قام **دكتور ليزمان** بالإجابة على جزء من هذا السر الكبير ، فعندما فحص جسم السمكة فحصاً دقيقاً ، لاحظ وجود فتحات جد صغيرة تتوزع على جسمها ، ولا يفصل كل فتحة عن الأخرى إلا مسافة قصيرة لا تزيد عن المليمترين ، ثم بمزيد من الفحص تبين أن كل فتحة تؤدي إلى أنبوبة قصيرة للغاية ، ولا يزيد طولها عن عشرة ملليمترات ، وبهذه الأنبوبة سائل هلامي تبين فيما بعد أن له تركيباً خاصاً يساعد على توصيل التيار الكهربائي ، ثم تنتهي الأنبوبة بفجوة واسعة (نسبياً) ومستديرة ، وفيها تكمن عدة خلايا حساسة لأي تغير في الجهد الكهربي أو شدته ، ثم تصب هذه العشرات من ألوف الأجهزة الدقيقة في «**كابلات**» عصبية تتصل بالمخ ، وتؤثر فيه باشاراتها أو نبضاتها ، فيحل رموزها ويعرف مضمونها بطريقة لسنا ندري عنها شيئاً حتى الآن . . وما أكثر ما لا ندري !

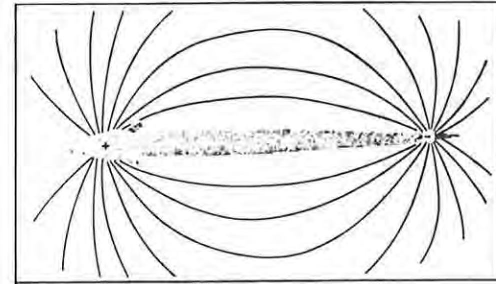
أنواع السمك الكهربي

ولقد أحصى العلماء حتى الآن أكثر من مائتي نوع من

الأسماك التي تستخدم الحاسة الكهربية إذا ما تأزمت الأمور أمام حواسها الأخرى التقليدية الضعيفة.

ففي **أميريكا الجنوبية** مثلاً تعيش أنواع من أسماك المدية، وهي تختلف فيما بينها - أو عن رفيقاتها **الافريقيات** - في الحجم وشدة الفولت والشكل وعدد النبضات.. فنوع منها قد يبعث بتياراته بمعدلات بطيئة قد لا تتجاوز نبضتين في الثانية الواحدة، في حين أن نوعاً آخر قد ضبط «محطاته» على حوالي ١٥٠٠ نبضة في الثانية، وما بين هذين الحدين تكون معدلات البث الكهربي في الأنواع الأخرى.

فبطيئات البث أو النبض لا يوافقها إلا المياه الهادرة في لطف، في حين أن سريعات البث تستطيع أن تثبت وجودها في كل الظروف الصعبة.. فمهما كانت المياه مضطربة وعنيفة ومندفعة، فإن البث الكهربي السريع كفيل بالتغلب على ما يقابلها من عوائق ومآزق.. وكأنما نحن هنا - مرة أخرى - أمام محطات إذاعة حية، ولكل منها موجة مختلفة، فمنها ما يذيع على الموجة القصيرة أو المتوسطة أو الطويلة.. الخ، وطبيعي أنه كلما قصرت الموجة، زادت شدتها، وارتفع ترددها.. أي كأنما هذه الأسماك قد سبقتنا إلى هذه التكنولوجيا قبل أن نظهر نحن على هذا الكوكب بعشرات الملايين من السنين!

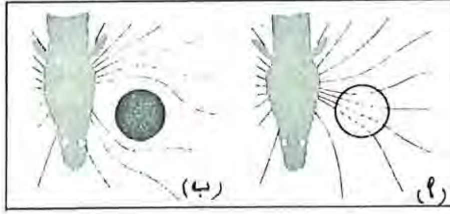


★ توزيع مجالات القوى الكهربية بين رأسي السمكة وهو يشبه إلى حد بعيد توزيع المجال المغناطيسي ★

وبمزيد من الدراسة، تبين أن لكل نوع من هذه الأسماك قوة بث كهربية خاصة، وذلك بغرض تيسير الحياة على الأنواع، فتصبح السرعة المحددة من النبضات للنوع الواحد بمثابة لغة خاصة تؤلف بينها، أو تجمع شملها.

إلا أن البروفيسور فرانز بيتر موهرز من جامعة توبنجن بالمانيا يقدم لنا صوراً طريفة عن استخدام الأسماك لمثل هذه المجالات في المناورات التي قد تقوم بها **الذكور** بغرض أن يحمي كل ذكر أرضه أو وطنه من أي دخيل تسول له نفسه أن يقتحم «حرمات» غيره، فيقول:

لو حدث أن دخل ذكر إلى منطقة يسكنها ذكر آخر، يبدأ هذا الأخير - في تسجيل النبضات التي يبعثها الذكر الدخيل، وعندئذ يرد عليه بموجات كهربية أخرى، وطبيعي أن حدة هذه الموجات تزداد قوة كلما اقترب الذكر



★ تتعرج المجالات الكهربية إذا عاقها موصل رديء كما في «ب» وتجمع وتجتمع خطوط المجالات إذا صادفها موصل جيد للكهرباء كما في «أ» ★

من الذكر، لكن معدلات تردد البث تزيد شيئاً فشيئاً، فلعل أحدهما ينسحب ويترك المكان لغيره، وقد يصل العناد إلى منتهاه، إلى أن يصطدم الذكر بالذكر، وعندئذ يدخلان في معركة حقيقية تشتغل فيها الأفواه عضاً وتقطيعاً، ولا بد للضعيف بعد ذلك أن يترك الميدان للقوي لكي يصول فيه ويجول!

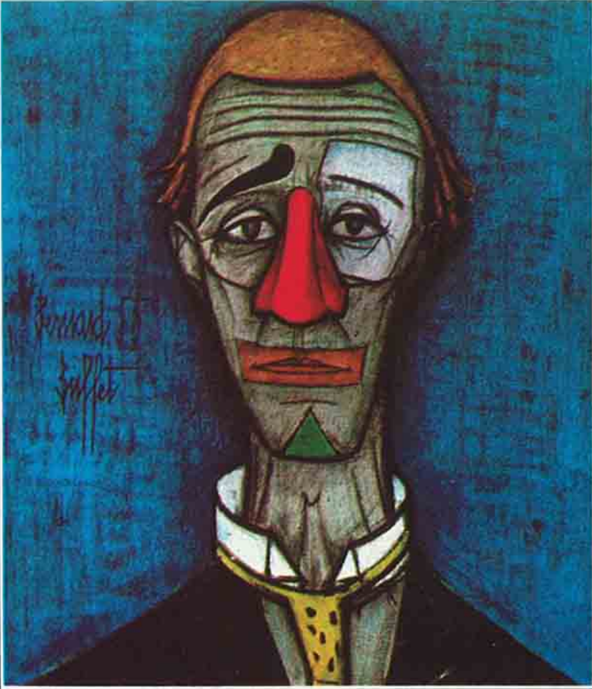
وكما تدور المناورات «الحربية» بين الذكور، وتستخدم فيها هذه النبضات كنوع من إبراز العضلات، يحدث أن تصبح هذه النبضات لغة لجذب الجنس الآخر، لكي يحدث **التزاوج وانجاب الذرية**، كما أن لذكور وإناث النوع الواحد لغة لا يشاركهما فيها أي نوع آخر، ومن هنا يهتدي طالبي التزاوج كل إلى الآخر دون حدوث خلط أو خطأ في «الأنساب»، أي كأنما هذه الاشارات أو النبضات أيضاً هي بمثابة صك أو وثيقة زواج غير مسجلة بين أفراد النوع الواحد.

هذا ويشير **دكتور ويلهلم هاردر** إلى أن بعض هذه الأنواع تستطيع أن تتحكم في موجاتها إلى الدرجة التي تجذب بها الأسماك الأخرى إلى مجالاتها الكهربية، فإذا دخلتها، أحست كأنما هي سكرى، وعندئذ يمكن اصطيادها بسهولة، وتصبح لها لقمة سائغة، علها تشبع بطونها الجائعة!

وإلى هنا يسدل الستار على لغة جديدة، أو حاسة مثيرة، أو فكرة عجيبة من أفكار الحياة التي لا تنضب، ووسائلها البديعة التي تجعلنا نراجع أنفسنا في كل ما نستنبط ونبتكر، رغم أن الابتكار كان لعبة الحياة من قديم الزمن.. ولا جديد تحت الشمس لو كنتم تعلمون.

★ « جورج روو »
القضاة
الثلاثة ★





★ ماكس بيكمان ـ بورترية ، يلاحظ الغرابة في استعمال اللون ★

لغة "الفن الحديث"★ وإنسان العصر

بقلم : مجدي نجيب

★ إن لغة الأدب .. والألفاظ المتداولة في الحياة اليومية ، جعلت بعض الناس يتعودون على نوع من «**التقريرية**» في كل ما يحيط بهم في حياتهم الخاصة والعامة .. وفي النماذج التي يشاهدونها من لوحات وأعمال فنية .. أو ما يسمعونها من خلال الكاسيت والراديو .. وأيضاً في أوقات عملهم .. وفي أثناء القراءة .. والحديث مع الغير .. والمشاهدة المتأملة العادية ★

ولذلك فإن **الفن الحديث يأتي صدمة عنيفة ، وكأنه عاصفة هادرة قاصدة إلغاء هذه «التقريرية» التي لا تتناسب مع ايقاع العصر .**

وهذه النماذج الإنسانية التي تنظر إلى كل شيء **في تقريرية مباشرة دون أن تفتح نافذة للفكر والتخيل والتحليق .. والحلم الذي يستطيع أن يرفرف ، رغم صعوبة الوقوف على أرض الواقع** ، إنهم ينظرون إلى الفنان التشكيلي المعاصر على **أنه مجرد حامل لـ«علبة» كبيرة من الألوان ، يلقي بها عابثا ، بلا مبالاة على القماش** .. وتصبح لطخاً غير متناسقة ، وكأنما هي نوع من الأوساخ التي تنتج بعد هدوء زلزال أو عاصفة أو مذبحة دار فيها القتال بلا هوادة ، حتى هذا لا يستطيع أن يدركه الفنان المبدع :

«أبدأ أحيانا في رسم لوحة بألوان زاهية ، متوهجة .. ثم أنتهي منها ... وقد تحولت الألوان إلى رماديات»[1] .

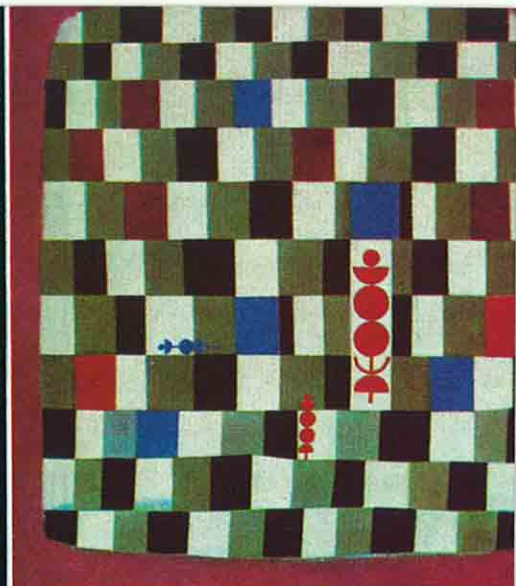
وعندما نتأمل رؤية الفنان المعاصر للحياة ، وهي تنعكس على بعض المشاهدين ، فإننا بلا شك نتذكر هذه النظرية القديمة التي تقول بأن الفنان في «**عصره**» غير مفهوم من قومه أو قارئيه ومشاهدي أعماله ، فهو دائماً يسبق عصره كما يقول «دنكان ف . كاميرون»[2] .



★ «فيكتور برونية» السمر ★



★ «روبير ديلوني»
أقراص ★



★ بول كلي ـ، لعبة الشطرنج ★





★ جورج روو.
رأس امرأة.. وكأنه قطع من الزجاج المعشق ★



★ ماكس بيكمان. صورة ذاتية، فيها نظرة إلى المجهول الغامض،
ربما هذا المجهول هو تلك اللحظة الواقعية التي يعيشها الفنان ★



★ «بابلو بيكاسو»
رأس امرأة ★

«يوجد فاصل زمني مدته خمسون عاما .. بين الابتكارات الخلاقة الجديدة .. وبين تقبل الجمهور لهذه الابتكارات بسنوات عديدة» .

ولكن الفنان لا يمل العمل .. ولا يتوانى في ابتكاراته وافرازاته الفنية رغم ما يقابله من صعوبات واعتراضات المشاهدين لأعماله ومحاولة النظر إليها باهمال ومعاملتها بفظاظة وسلبية .. أو إعلان التمرد على تقبلها بروح المحاولة للفهم .

«سوف نعمل حتى الموت ... فماذا نفعل في الدنيا غير ذلك؟! وسوف تأتي اللحظة التي لا يمكن أن ترتفع فيها الحقيقة إلى مستوى الحلم»[٣] .

وهناك موضوعات مختلفة ، يطرحها الفنان التشكيلي الحديث بألوانه على القماش ، يراها الناس مألوفة ، وذلك راجع للتآلف **النفسي** .. بين اللوحة بألوانها .. وبين المشاهد لها .

إلا أن بعض اللوحات تثير الفزع في النفس .. وبعضها يجعل الإنسان يحلق على شراع أجنحته الحالمة .. والبعض الآخر ، المتأمل لها .. يستخرج ما في أعماقه من أشجان وذكريات ، مرة دافئة ، مليئة بالتعابير المدهشة .. **وأخرى تفيض باللوعة على ماض شد رحاله بأحلامه الخضراء .. وذهب مختفيا في الزمن .**

ولهذا ، فإنه ينطبق هذا القول :

«الألفة .. تولد الصداقة»[٤] .

فمن هذا المنطلق .. يبدأ الإنسان في التعاطف مع اللوحة التي يراها تهز مشاعره .. أو تعزف على وتر حساس في أعماقه .. أو تحلق به في آفاق من الدهشة الحالمة دون أن يجد الوسيلة للتحليق .

إلا أن « **القواعد** » المتعارف عليها .. أو الأشكال الروتينية المألوفة في حياتنا اليومية ، لا تجد أمامها العوائق لكي يتمكن الإنسان من التخيل :

« القواعد .. لا تعطل تدفق الرؤيا »[٥] .

ونحن نلاحظ دائماً في أعمال « **بابلو بيكاسو** » ، أنه كان دائم التغيّر .. وكثيراً ما كان يميل إلى « **تشويه** » الأشكال الطبيعية وتحطيم « **القواعد** » المنطقية للأشياء والمساحات ، حيث استطاع في الكثير من لوحاته أن يصور عالمنا بشكل ممسوخ ، وكثيراً ما اعترضت عين المشاهد .. ولكن « **بيكاسو** » مع ذلك ، **ظل مسيطرا على عالم الفن الحديث لأكثر من نصف قرن** .. ، فارضاً - بفنه - رؤياه الخاصة التي لم يخجل من زرعها على لوحات القماش ، متوهجة بألوانها المتصارعة والمخادعة الجذابة .

الفن .. لغة عالمية

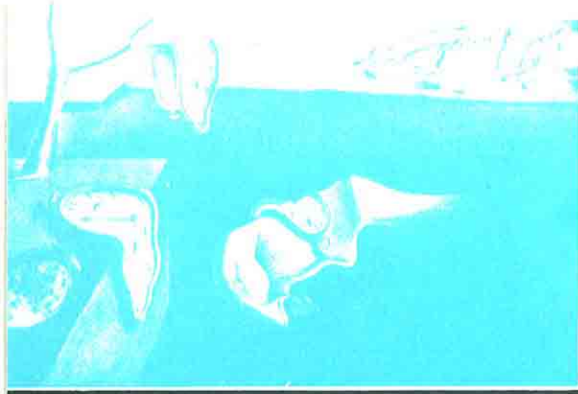
ولأننا نعيش في قلب الحضارة .. وفي غمار هذا العالم الحديث المتطور .. **أصبح للفن في هذا العصر لغة عالمية واحدة ..** وتتضح هذه اللغة بسماتها الواضحة والتي تميزها عن كل اللغات الفنية السابقة .



★ «جوان ميرو» الطائر الصاروخ ★



★ «فرانز مارك» دورة الجياد الزرق ★



★« سلفادور دالي » دوام الذاكرة ★



★ « جان دوبوفيه » .. اللحية الشعثاء ★



★ « فيديريكو كاستيلون » .. شخصية سوداء ★

فنظرة الإنسان إلى الحياة والطبيعة والعلاقات الإنسانية .. والتحول من المجتمعات الزراعية والحرف اليدوية ، إلى حضارة القرن العشرين ... ، **تلك الحضارة الصناعية ، استطاعت أن تحدث انقلابا خطيرا في حياة الشعوب وأفكارها ومعتقداتها وقيمها** .. ونظرتها الحديثة من خلال ارتباطها بهذا العصر الصناعي الرهيب .. والتي تركت آثارها على الفنان .. وعلى لغة « الفن الحديث » ، بحيث جعلت ذلك الفنان المعاصر يسعى إلى التعبير عنها وعن تأثيرها وردود الفعل المختلفة في وجدانه .

ولكن ..

المتأمل للفن المعاصر ، تحاصره الحيرة ويرتبك قليلا ... ، فهو أمام عدد كبير من المذاهب والاتجاهات التي يتميز بها كل فنان .

وقد ذابت الفوارق والفواصل بين فروع الفنون التشكيلية .. وهذه سمة من سمات العصر الحديث .

واستطاع هذا العصر بكل مكوناته الحديثة والتكنولوجيا والصناعة والاقتصاد والسياسة ، أن يلعب دوره الواضح في التأثير على إنتاج الفنان ... ، **فقد أصبحت لغة الرمز ، لغة مشتركة بين جميع الفنانين .. كما أصبحت التجريدية كذلك والسريالية ..**

فالإنسان يحيا في قلق متوتر .. يعزف على أوتار حيرته وتردده وهو يواجه غربته في الحياة .. وبالمسافات الشاسعة لانتمائه إلى شيء واضح المعالم ، متقن التفاصيل ، مقنع للعقل والروح في بعض الأحيان .. فزعاً .. متوتراً .. يعبّر عن حالته بتلك النماذج التي نراها في إنتاج الفنان المعاصر .

إلا أنه فيما بين عام ١٩٢٢ م ، وعام ١٩٤٥ م ، استطاع « الفن الحديث » أن يحمل لواء المقاومة ضد العدوان والدفاع عن حريات الانسان .. وقد تمثل هذا بوضوح في حركة « المقاومة التلقائية » التي نذكر منها أعمال كل من **بيكاسو وهنري مور وبول كلي وشاجال وهنري ماتيس وسلفادور دالي ..** وغيرهم .

هوامش

---

١ ـ الفنان ألبير ماركيه .

٢ ـ المدير الأهلي لجمعية المؤتمر الكندي للفنون ... ، وهي جمعية تهدف إلى تشجيع الجمهور على تذوق المصادر الفنية والثقافية بطريقة موسعة .

٣ ـ أوجين دولاكروا .. فنان تشكيلي .

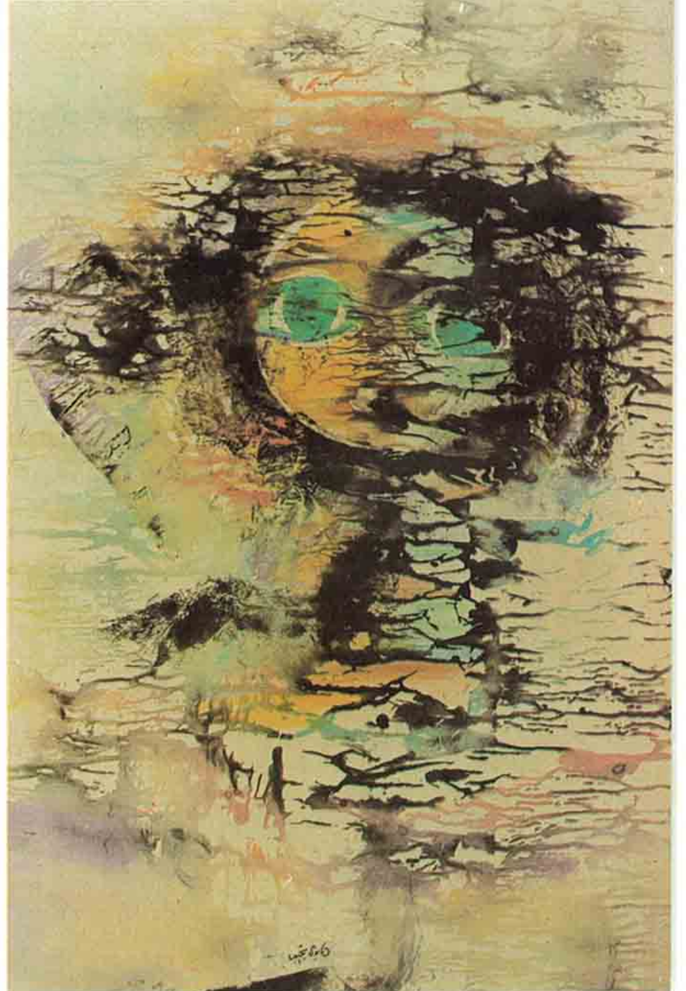
٤ ـ دافيد س . أبيي .. عالم نفساني .

٥ ـ دافيد سوتير .



يامتاع الغرور

شعر: محمد المجذوب



ثقُلَ الحملُ يـا صـديقي ، والـزا
د زهيـد ، والـدرب وعـر طـويل
وازدهـاك الغـرور لما (تمليـنـتَ)
فـأوشكت لا تعـي مـا تقـول
وهـوى المال يـا أخـيّ بـلاء
بل وبـاء تضـلُّ فيـه العقـول
فَتَخَفَّفْ . إن المخِفَّ هـو النـا
جـي إذا آذَنَ الحسـابُ المهـول
وتـذكرْ أن الـكفاف هـو الخـير
وكل الـذي عـداه فضـول
قـد بلـونا عسر الحيـاة زمـاناً
ثم وافى يسـارُها المأمـول
فـإذا مـرُّها وحلـو جنـاها
محض حُـلْم بقـاؤه مسـتحيل
فـإلامَ الشـقاءُ في طلـب الـوهم
ونـدري أن المقـام قليـل
ولعمري مـا أنـت أحـوجُ مـني
لنصـيح يقـول لي مـا أقـول
كلنـا واردُ السراب وكلٌّ
يـدعي الـطبَّ وهـو ذاك العليـل



.. يا متاع الغرور حسبك ما أسـ
لفت بي مـن جـراحة لا تـزول
زنـتَ لي الضربَ في الـظلام إلى أن
خـار عـزمي وأرهقتـني الـكبول
وشـبابي نـزفته في ضـباب
من ضياع قـد حـار فيـه الـدليل
فـدع الشـيب لي أكفِّـره بـه المـا
ضـي فقـد آن أن يثـوب الجهـول
وإذا الشيـب لم يـزعني عـن الغـيّ
فمـا لي إلى النجـاة سـبيلُ



تأليف: أندريه روشان
ترجمة: فتحي العشري



بمناسبة
عام الطفل



المهرج

كل عام كان يصل إلى مارسيليا سيرك «رانسي» ويقيم خيمته على الساحة الرئيسية بالمدينة والتي كانت تسمى بالسهل. وكان والدي وهو فارس قديم يحب الجياد، وقد كانت هي الفقرة المثيرة في برنامج هذا السيرك والتي كان «العجوز نابليون رانسي» يحرص على تقديمها بواسطة ابنه هنري على أعلى مستوى.

كان والدي يصحبنا صباح كل أحد لمشاهدة التدريبات التي كان يسمح للجمهور بمشاهدتها . وكانت هذه الحفلات التي تضم عدداً قليلاً من الهواة ، تعطيني إحساساً بالمتعة ، فلم أكن أشعر بالملل وأنا أرقب الجياد الجميلة السوداء والبيضاء ، بذيولها وأعرافها ، المقيدة بجوافها حيث الردف يظهر مربعات منسقة . كنت وقتها في الثامنة أو التاسعة . ولم أكن أبلغ الرابعة أو الخامسة عندما اصطحبت لأول مرة إلى السيرك نفسه مع مجموعة الخميس أو الأحد مساء ، فلم أنس بعد ذكرى هذه العروض ، وبصفة خاصة ذكرى فقرتين إحداهما كانت تصيبني بالهلع وكانت أمي تجد صعوبة بالغة في تهدئتي بعد ذلك . . كانت الفقرة تتعلق باثنين من المهرجين ، يقوم أحدهما ، وهو يرتدي ثوباً فاخراً ، بدور النحلة ويطوف الحلبة بسرعة مذهلة مقلداً بذراعيه جناحي الحشرة المتذبذبة . وهنا يصيح المهرج الآخر بأنفه الأحمر وثيابه الفضفاضة : « أوه ! النحلة ! أنظروا جميعاً إلى النحلة الجميلة التي تفرز عسلاً ! » بينما المهرج الأول بوجهه الأبيض وثوبه الفاخر المزركش يؤدي حركاته الطائرة . فيصيح المهرج الثاني وهو يتابعه : « اعطيني عسلاً يا نحلتي الجميلة » وتستمر اللعبة على هذا النحو فترة طويلة فوق سجادة تسحب ببطء تمهيداً لإعداد أدوات الفقرة التالية ، بينما يعلن المهرج الثاني توسلاته الأخيرة : « اعطيني عسلاً » فيستدير المهرج الأول وينفث في وجه الآخر وعلى هيئة رذاذ خفيف ، الماء الذي ظل محتفظاً به في فمه أكثر من خمس دقائق . وقد كان هذا السيناريو ، كما هو واضح ، بسيطاً وحياً . وأعتقد أني لم أضحك في حياتي مثلما ضحكت في هذا اليوم ، وأنا المعروف بالضحكات الهيستيرية . ولكن كل شيء تغير عندما دخل رجل بالغ الأناقة يرتدي قبعة رفيعة المستوى براقة المظهر وثوباً أسود اللون ينتهي بذيل ، كانت الحلبة تضم مائدة كتلك التي في مطبخنا وعدداً كبيراً من المقاعد .

تناول الرجل مقعداً وبدلا من أن يجلس عليه ، رفعه ووضعه بإحدى قدميه على ذقنه وأخذ يطوف الحلبة والمقعد على وجهه . ثم تناول عدداً من المقاعد ووضعها على أطراف أصابعه وعلى طرفي حذائه ، وقد بدت تلك المقاعد وكأنها مثبتة بمسامير في أماكنها التي وضعها فيها . وكان يترنح ولكن لكي يحافظ على توازنها وليس على توازنه هو ، وتحين اللحظة التي يضع فيها الرجل مقعداً على المائدة ويقفز فوقه ، ويقدم إليه مقعداً آخر يضعه فوق المقعد الأول ثم يقفز أيضاً فوقهما ، بينما الموسيقى تزداد هدوءاً . ومن مقعد إلى آخر يصل الرجل إلى ارتفاع مخيف تتوقف عنده الموسيقى ليعلو إيقاع الطبل . ويستقر بين يديه مقعد جديد عن طريق خيط رفيع وقد أصبح يقف على عشرة أو اثني عشر مقعداً بحيث لم تعد وقفته ثابتة تماماً فوق هذا البرج من المقاعد . وكان عليه أن يضع هذا المقعد الأخير فوق كل هذه المقاعد ليصعد أيضاً . هذا ما شرحته لي أمي وأنا أتشبث بيدها ولا أتوقف عن سؤالها طوال الوقت مستفسراً عن سير الأحداث وأنا أحس بحلقي ينقبض مع حركات البرج المتمايلة .

سمعت أمي وهي تهمس بصوت منخفض في أذني والدي : « من الغباء عرض ذلك أمام الأطفال . إن يدي الصغير متجمدتان . إنه يموت خوفاً » ، وأضافت بقولها : « وأنا أيضاً أكثر منه » لم أكن أجرؤ في الحقيقة على النظر إلى أعلى ، وعندما كنت أجازف بالنظر بإحدى عيني في اتجاه البرج ، أراه وهو يهتز بعنف . وفجأة توقف صوت الطبل تماماً واختفى العازفون جميعاً وأخذ الحاضرون يصفقون . ورفعت عيني فرأيت الرجل وهو يحيي بقبعته . وبعد أن اطمأن إلى نجاح فقرته ، أتمها بمأثرة أخيرة ، أشاع حركة في عمود المقاعد انتزعت صيحاتنا جميعاً ، فتوقف إيقاع الطبل من جديد ، وانفرط عمود المقاعد في اتجاهنا ، وانطلقت صرخة جماعية . ألقيت وجهي ناحية أمي حتى لا أرى الرجل وهو يصطدم بالأرض ، ولكن أمي همست إليَّ بقولها : « فعل ذلك عن عمد » وركزت بصري فرأيت الرجل الذي لم يصطدم على الاطلاق يقف وسط الحلبة ويلوح بقبعته يميناً ويساراً يغمره إحساس كامل بالسعادة قالت لي أمي : « لم يكن يسقط بالفعل ، هل تفهم ؟ » .

لا أعرف ما فهمت ، أعرف فقط أن كابوساً ظل يغزو أحلامي لسنوات طويلة : برج يتمايل أمامي ثم يسقط فوقي . كم من أمسيات لم يكن عليَّ أن أسهر فيها ! وكم من أمسيات لم تجد معها المهدئات التي تنقذ المرء في العادة من رعب الظلام ! وأتذكر الآن ذلك الملل الطويل في ساعة النعاس ، وقد تجمدت قدماي ويداي خوفاً من هذا البرج الذي جاء في تلك الليلة أيضاً مقتحماً البيت كله وسهادي المروع .

كانت أمي على حق : فقد كان ذلك غباء ومع هذا فخرافة السيرك قائمة داخل كل الأسر ، بحيث يصطحب الطفل بمجرد تعلمه المشيء لمشاهدة « المهرجين » ، اعتقاداً بأن المهرجين « من أجل الأطفال » . وإلى جانب المهرجين توجد الأسود التي تزأر وتطلق صيحات مرعبة ، ثم المروضين الذين يلهون وهم يفتحون أفواه تلك الأسود ويدخلون رؤوسهم فيها ، ويوجد البهلوانات الذين يخاطرون بحياتهم في كل حركة ، ولاعبو المتوازيين الذين يرتفعون فوق أهرامات غير آمنة بعيداً عن الأرض بخمسة عشر متراً ، والسكاكين الحادة الموجهة إلى لوح من الفلين حول وجه سيدة جميلة . فما الفائدة من ارهاب طفل ، أي طفل ، بإعطائه جرعة من الكوابيس المرعبة يصبح من الصعب التخلص منها بعد ذلك . لكن التقليد مستمر : اصطحاب الأطفال إلى السيرك والتأكد من أنهم سيلهون فيه . « حقاً بالتأكيد ، والصغار أيضاً ! فهناك يوجد المهرجون ! » .

أندريه روسّان

- ولد عام ١٩١١م ، بمارسيليا وعمل بالصحافة اليومية الفرنسية .
- كتب أولى مسرحياته للأطفال بعنوان « آم ـ ستram ـ جرام » ومثلت في باريس عام ١٩٤٤م .
- عرف ككاتب عالمي لأدب الأطفال بعد صدور قصة « الكوخ الصغير » عام ١٩٤٧م ، وترجمت إلى معظم لغات العالم .
- كتب بعد ذلك « عندما ظهر الطفل » و« بوبوس » و« بيض النمسا » و« هيلينا أو سعادة الحياة » و« نينا » و« العرافة » و« القطار » و« العلبة الملونة » وكلها قصص للأطفال .
- و« أندريه روسّان » من الكتاب الذين يكتبون للطفل من خلال رؤية عاقلة وتربوية وليس من قبيل اللهو والمتعة . . ولكنه لا ينزلق إلى هوة الحرص على التلقين التعليمي والاجتماعي الجاف الذي ينفر منه الأطفال هرباً من مضمونه المدرسي وشكله التدريسي . . فهو يعمد دائماً إلى تغليف دروسه الأخلاقية بورق من السوليفان من خلال شكل أدبي مريح وكلمات متداولة سهلة وعبارات مختصرة ومركزة . . ولذلك تشغل كل قصة من قصصه مساحة صغيرة لا تتطلب جهداً في القراءة ولا تدعو إلى الملل . . ومن هنا أصبح « صديقاً للأطفال » !

قصة قصيرة

بقلم: عبد اللطيف الأرناؤوط

الثور العاشر

منذ زمن بعيد، منذ أن كانت طفلة، اعتادت ان تبدأ نهارها عند أشجار الصفصاف النابتة على شاطئ النهر بجانب الينبوع. وكان لون الاشجار يتغير بحسب الفصول وأشعة الشمس، عندما كانت طفلة رمت حصاة الحظ في المياه، فنبت رجل في صباها وهذا الرجل صار زوجها بعد ذلك.

فوجئت هذا اليوم بأغصان الصفصاف المتهدلة الباكية. وكانت النسمات الباردة الخفيفة تلامس الاوراق النحيلة، لقد سمعت النواح من بعيد، نواحاً متناغماً رتيباً احسته ينبت من الخشب الحي. فوجئت لانها قبل عشرين عاماً اعتادت ان ترى الاغصان كخصلات شعر امرأة جميلة .. تداعب سطح الماء ولكن اليوم .. جلست القرفصاء امام طرف النهر لتملأ جرتها .. وتحرك سطح الماء الساكن وتكسر وجهها قطعاً قطعاً كالهشيم. ولكنها استطاعت ان تتبين اخاديد الأرض المحروثة فيه .. ارض دون عبق .. وفجأة تحول هذا الوجه الى صبية يانعة تبتسم، رفعت (ام سليم) عينيها .. واستدارت الى الوراء .. ها هو ذا .. شاب ينبت كما يفعل السحر .. وشعرت بضربات قلبها تخفق. واحمرت وجنتاها.

– صباح الخير يافاطمة.

– صباح الخير يا(أبا سليم)

– سيكون موسمنا هذا العام جيداً، وسأشتري البقرة الرابعة.



تذكرت فجأة انها انتظرت اربعة اعوام. كل عام كان يشتري بقرة .. وهذا العام سيكتمل مهرها الذي حدده والدها. حدقت بعينيها جيداً. لكنه كان قد اختفى. تتالت صور متلاحقة .. وعادت حرارة الشمس تميع رأسها ايام الحصاد الطويلة. وفي ذاكرتها اشياء لا تمحى .. تشقق يديها وسال الدم من الشقوق .. الولادة .. رأس طفل يخرج .. انه صبي .. وتعالت الزغاريد متغلغلة في شعرها .. في حبات العرق المصبوبة بسخاء على وجهها .. سنسميه سليم .. ابنها البكر ولادات اخرى متلاحقة .. عشرة أبناء لم يعش منهم الا سبعة .. وسليم ترك المنزل دون عودة. الليلة الاولى التي شاركتها به امه وامها وامرأة القرية العجوز .. ثلاثة اشخاص وهي على السرير .. ينتظرون دليل الطهارة .. اللحاف الجديد المورد كالربيع .. كان يدفئها .. لم تزل الى الآن تغطي نفسها به. اضحى مهترئاً ولم تستطع الرقع والاضافات ان تخفي بعض الثقوب فيه .. وو ... و ... عاد الوجه واخاديد الارض الى سطح الماء الجرة لم تمتلئ بعد.

— تعساً لك ياام سليم .. الوقت سيفوت وطفلك الرضيع سيبكي وسيوقظ أباه بعد لحظات كانت تضع الجرة على كتف مهدودة وتعود شبحاً تتآكله أولى اشعة الشمس الوردية.

* * *

دخلت المنزل المكوّن من غرفة واحدة وفسحة سماوية كبيرة واصطبل.

—آخ .. ياماما .. يا .. ماما .. ماما .. ما...

—لا تعرف كيف تسكت اخاك **ياابن الملعونة**. لقد ايقظتني من أحلى احلامي

—وحياتك يا أم نبيل.. لم أستطع الانتظار اكثر.. الا يكفي تسعة ثيران؟؟ وتسللت بدلال وغنج وجلست على السرير وبحركة مقصودة تركت ثوبها يسقط الى ذراعها معريا كتفا ممتلئة.

—ولو .. اترى عشرة ثيران كثيرة علي؟؟

—مال الدنيا كلها ليس كثيرا عليك.. ولكن..

—عد اذن الى ام سليم فهي تناسبك اكثر

—قبحها الله لماذا تذكريها ..

واقتربت منه.. وهي تتمايل.. جفَّ ريقه.. وبصعوبة استطاع ابتلاعه.

—كي تعرف الفرق.. بين اربع بقرات وعشرة ثيران.. ولو.. لكل بضاعة ثمن. وبقفزة من الحلم هاهوذا ينقلب الى وحش. كان ابنها الذي لا يتجاوز السنوات السبع قد تكوم في زاوية الغرفة كصرة ثياب عتيقة تحت ركلات أبيه تحت هاتين القدمين الكبيرتين جداً... كان يبدو عملاقاً هائجاً. أما بقية أولادها فقد تكوموا في زاوية الغرفة الاخرى.. ينظرون وهم يرتجفون.. ووليدها بحركة هستيرية وعانقته بتشنج دون أن تحاول أن تتفادى عدة ركلات على جنبها وكتفها. وعلا صوت زوجها:

—انت أم المشاكل .. دلليه .. دلليه .. ياحبيبي .. ياعين أمك .. لن يكون أفضل من سليم ... ابننا البكر ..

وزمجر وتفوه بكلمات لم تعد تفهمها.. لم تعد تعي شيئا أذناها طافحتان بعويل الطفل .. بنواح الصفصاف.. بلهثات الكتلة التي تضمها.. وتنفست الصعداء وهي تراه يعود الى فراشه.. ويتمدد على السرير الخاص به.. لكنه على حين غرة رفع وسادة ورماها على الرضيع.

—وأنت الآخر.. ألن تسكت.. إذهبوا الى الجحيم ..

لم تعرف كيف لملمت أطفالها وخرجت من الغرفة.. وهناك على المصطبة مضى وقت طويل ساده الصمت.. كانت تنظر خلاله

الى التراب.. الى شجرة التفاح التي لم تعد تحصل الى وجوه أطفالها وأقدامهم العارية، وجاءها صوت طفلتها كثغاء خروف صغير:

—ماما ألن تخيطي لي ثوبا جديدا

(ثوب جديد.. باللمصيبة) قفزت الفكرة في رأسها لكنها تابعت:

—اننا لا نملك نقوداً

واقتربت الطفلة منها وحدقت في اخوتها.. ثم الصقت شفتيها باذن أمها وهمست:

—لا يا ماما في جيب بابا الكثير من النقود.

نظرت الى طفلتها نظرة وجلة «كيف لا تعلم هذا وهي زوجته.. لم تجرؤ طوال عمرها ان ترى ما إذا كان زوجها يملك نقودا أم لا؟؟»

وتابعت الطفلة ببراءة:

—عندما كان نائما كنت أريد أن أتأكد هل نحن فقراء كما يقول دوما.. ولقد وجدت كثيرا من النقود في جيبه.

عبست الأم برهة فتابعت الطفلة بخوف وهي تتراجع مبتعدة عن وجه أمها:

—لكنني لم المسها يا أمي.. سمعت صريرها فقط...

وفكرت: هل نحن فقراء.. ايه.. الرجل هو الذي يملك فقط.. وبصقت على الأرض (اذهب وقل للأستاذ ان أبي لا يستطيع دفع ثمن الكتب...) جملة كالقدر تفوه بها الأب ذات يوم قبل ثمانية عشر عاما فحكم على ابنها الكبير البكر سليم أن يبدأ حياته الدراسية بنقل الكتب المقررة كلها على أوراق قديمة.

ثوب جديد.. يا الهي.. ولكن لا بأس هناك ثوب عرسها ستخيطه لابنتها، لقد ظلت محتفظة به طيلة السنوات الماضية ولم تلبسه الا مرة واحدة.. ليلة عرسها.. سرعان ما قفزت الفكرة هاربة من رأسها.. لا.. انه سيجر الشؤم على ابنتها.. لن تورثها مثل هذا الكفن..

الاولاد جائعون.. أحضرت لهم قليلا من الخبز والزيتون.. فتجمعوا حوله كخلية النحل يتخاطفون حبات الزيتون وقطع الخبز.. وجلست تنظر اليهم.. فجأة أحست بعضة طرية في ثديها. مرت بيدها على قدميه.. آخر العنقود.. نعم.. انه لكذلك.. اذ يبدو لها أن عمرها لن يتيح لها أن تأتي بطفل آخر بعده.

* * *

وضعت وليدها تحت شجرة تين بجانب الحقل. ووقفت تحزم خصرها.. ثم مشت نحو الحقل برفقة منجلها المشحوذ الذي سرعان ما أخذ بالتهام السنابل. كان اطفالها من بعيد يبدون كبقع ملونة ممسوحة على سطح ذهبي.. وهي منحنية يضج حولها حفيف السنابل الجافة وهي تتكسر. أخذ الضجيج يتعالى.. ضجيج يشعرها بالجفاف.. كانت الشمس قد توسطت السماء أحست بتمييع بطيء في رأسها.. بعض الطيور البرية تخفق بأجنحتها فيترامى اليها الصوت شبيها بلهثات من يحتضر رفعت يدها الى رأسها وأصلحت من وضع القياط السميك وعادت الى المنجل الذي تحسه الآن يحرق أصابعها. لم تعد ترى الا اللون الذهبي للسنابل وانعكاس أشعة الشمس عند حد المنجل.. والضجيج صار الآن مبهما.. ودون مصدر يتعالى ويغرقها ..

من بعيد وفجأة جاءها صوت اعتادت ان تسمعه من عشر سنين

—يا أم سليم.. يا.. أم.. سليم....

وحلّ بعد صمت خانق، رمت المنجل جانبا ووقفت وهي تلهث وتمسح حبات العرق بيدها الهزيلة فتترك آثار الغبار على وجهها الذي سرعان ما يتحول الى لطخ سوداء. ومن بعيد كانت

صديقتها/حميدة/تتقدم نحوها.. بقعة سوداء تنمو بسرعة عجيبة في عينيها ..

-أين أنت يا أختي ...

-أهلاً حميدة ..

-وجلست حميدة على الأرض.. ورفعت عينيها الى أم سليم ..

-الله يا أم سليم.. من يصدق انك صرت هكذا.. ايه ..

-هذا هو العمر ..

-عمر نحس.. ايه... هكذا الرجال.. يمتصون الثمرة ثم يرمونها مسكينة يا أم سليم ...

تمتمت أم سليم في نفسها: الموضوع نفسه.. الاشاعات تدور في القرية حول محاولة أبي سليم الزواج من هذه الأرملة ..

-وأنت حتى الآن ساكتة ...

-ايه.. وماذا استطيع أن أفعل؟؟

-تغمضين عينيك والاشاعات تكبر ...

اقتربت منها وتابعت.. تريد عشرة ثيران كمهر

تمتمت أم سليم بوجوم: «عشرة ثيران»

-نعم.. هذا ما عرفته اليوم.. وأهل القرية يقولون أنه سيشتري الثور العاشر اليوم. وكأن أم سليم لم تسمع شيئا من كلام حميدة الأخير.

-حقا.. كنت اتساءل لماذا يعتني بالثيران ولماذا يشتريها.. وهي لا تفعل شيئا سوى التهام العلف.. والله يا حميدة انها تأكل أفضل من الأولاد ..

-قلت لك من زمان.. اكتبي له عند الحاجة حجاباً..

-ولكن أنت تعرفين القصة.. لقد طلبت الكثير.. وأخيرا رضيت بصندوقي الخشبي الصغير كأجر لها.. واعطتني حجاباً مازلت أحمله.. ولكن.. ما الفائدة؟..

-استغفري ربك ياحرمة.. من لايثق بالله لا يستفيد.. كل أسرة في القرية على ما يرام هه -.. ولو بحثت تحت قميص كل امرأة لوجدت حجاباً معقوداً..

-لن أذهب اليها ثانية ولو قطعوا رأسي.. وليذهب هو وأم نبيل الى الجحيم ..

-تقولين ذلك فقط.. الآن.. ولكن غدا.. عندما يتركك.. الأمر مختلف تماماً. ثم لا تنسي نظرات أهل القرية.. لا تنسي أطفالك الحفاة العراة ..

-انه لا يفعل شيئا على الاطلاق على أية حال.. ولكن..

حقاً.. الأمر مختلف، ارتفع صوت الطفل بكاء.. ذهبت اليه وحملته وهي تهدهده.

—ثم ما أدراك أن الملعونة قد كتبت له؟؟

هزت أم سليم كتفيها.. وجلست على الأرض.. ومالت على الطفل ولم تنبس ببنت شفة ..

وتابعت حميدة:

—انه كالخاتم في أصبعها.. ويجب أن تتدبري أمرك.. فالأمر سيكون أسوأ مما هو عليه. تعالى بكاء الطفل.. ولفظ ثديها. امتدت يدها ولمست جبهته.. أحست بلسعة.

—يا الله.. يبدو أنه مريض ..

—طبعاً مريض.. نحن الكبار لا نستطيع احتمال هذه الشمس.. الله ما اسعد نساء المدن يا أم سليم.. انهن يضعن القبعات.. ويركبن السيارات ونحن هنا لا نستطيع ركوب حمار .. والله لن أزور المدينة مرة أخرى ..

* * *

كانت على موعد مع الشمس، الشمس ساعتها، عندما تقترب من التلة الغربية تحزم ما تبقى من السنابل.. وتضعها جانباً.. ثم تحمل طفلها وتعود الى المنزل.

انقطع بكاء الطفل منذ فترة ولم تعد تسمع الآن سوى صوته الخافت الشبيه بأنين قط ولد حديثاً.

وصلت الى البيت.. وضعت الطفل على المصطبة وذهبت لتسقي الثيران ..

وفي الاصطبل جمدت فجأة كان هنالك ثور أسود جديد.. ولكن.. لا.. لا.. واحد ..اثنان.. خمسة.. ثلاثة واحد.. ولم تستطع العدّ.. نسيت تسلسل الأعداد تمتمت: ثور جديد يعني ثورا عاشرا.

جربت أن تعدها مرة أخرى.. فاختلطت الاعداد بالدموع ..

—محمد...... يا محمد ..

وركض إبنها

—ما عدد هذه الثيران يا محمد؟؟؟

وانطلق الطفل بحماس وإبتسامة النصر على وجهه، لأول مرة أمه تسأله كما يسأله الأستاذ:

—واحد.. اثنان.. ثلاثة...... ثمانية.. تسعة.. عشرة.. عشرة ثيران يا أمي. وتهاوت على الأرض.. ورائحة الزبل والقش الجاف تملأ رئتيها.. وأخذت تبكي بصمت.

* * *

في المساء لبس زوجها ثيابه بعد أن غسل وجهه ويديه بعناية.. سرّح شاربيه ووضع طربوشه الجديد.. وعلق الساعة الفضية بصداره.. وبالرغم من أنه لا يستعملها الا في المناسبات الرسمية جدا فهي تعطلت منذ زمن بعيد.. وجمدت عقاربها منذ سنين ..

كانت تتأمله بصمت وهي تهدهد الطفل الذي لم يعد يبكي.

—الطفل مريض يجب أن نأخذه الى الدكتور غداً.

—ليذهب الى الجحيم.. ليس معي نقود لأنفقها على أولادك المرضى.

—لقد أثرت حرارة الشمس عليه ..

انطلق بضحكة قميئة وتابع:

—حرارة الشمس أم المثل القائل: القشة لا تنبت زهرة.؟

ساد صمت مدمر بعد إغلاقه الباب.

جميع أولادها الآن نائمون متناثرون في أرجاء الغرفة، عيناها فقط مفتوحتان تحدقان في خشب النافذة الصغيرة.. في أعمدة السرير الفارغ ..

سيذهب اليها.. سيقضي الليلة عندها.. ترى.. ترى هل يضربها؟؟ وأحست بأعصابها تجف شيئاً فشيئاً.. عشرة ثيران... وهو سيكون ثورها الحادي عشر.. الثور المدلل الذي يشاركها غرفتها النتنة عشرة ثيران ستستخدمهم في حراثة الأرض.... في نقل الماء من السواقي.. الا يكفيها عمالها العديدون الذي تشتريهم بثمن بخس وتضيف اليه ابتساماتها وغنجها؟؟.....

لم تستطع النوم مطلقاً.. كانت عيناها فقط تحومان في العتمة.. وأذناها تسمعان حركة الثيران في الاصطبل وتنفس أولادها

.....

—ستفعلها .. ستفعلها أخيرا.. أنها .....

تمتمت بذلك ونهضت من فراشها.. فقد تراءى لها فجأة شروق الشمس.... ومازال سرير زوجها فارغاً. عليها أن تذهب برفقة منجلها للحصاد. لكنها ما أن خرجت من الغرفة حتى فوجئت عيناها بعتمة لا حد لها بالرغم من بصيص القمر الذي يتأرجح بين أغصان شجرة التفاح الهرمة ....

مشت كالمسحورة نحو الاصطبل.. وفتحت بابه على مصراعيه.. وأحست بتدفق النور الفضي على جلود الثيران الملونة وتحول فجأة الثور الأسود أمام عينيها الى ثور فضي مسحور ...

لا ريب أن أم نبيل تحمل حجابا. إقتربت من الثور ولمست جلده... كان حاراً كجبين طفلها. كان ينظر اليها بعينين واسعتين متألقتين، والق عينيه تحول برهة الى أشعة شمس مجهولة تنعكس على حد المنجل ركضت بجنون.. وكان يتابع الاجترار وينظر اليها.. وهي تركض.. وهي تمسك بالمنجل.. وهي تشحذه تلمس طرفه.. الحصاد.. الحصاد.. وضحكت.. يا للحصاد.. ذهب السنابل يتحول الآن الى فضة جنائزية إقتربت منه فأغمض عينيه بهدوء.. ثم عاد ففتحهما.. لمست قرنيه.. جلده.. عنقه الضخم الذي تحول أمامها الى ساق سنبلة.. وعاد ضخما.. ضخما.. ملأت عينيها مساحته السوداء فلم تعد ترى سواه.. رمت بالمنجل فوق القش.. وجلست تنتحب... ماذا يفعل المنجل أمام هذا القدر الجاثم أمامها والذي يجتر؟؟؟ القدر الذي لا تراه الآن سوى مساحة سوداء ولا تسمع الا صوت اجتراره؟؟؟

ركضت.. ولم تعرف أين... داخل الاصطبل كالمجنونة... ركضت دون أن تعرف أين... وصارت فضة القمر حولها بحرا هائجا.

* * *

تخاذلت يداها بعد الضربة التي أودعتها قوتها كلها.. وسقط الفأس على الأرض فجأة وتدفق الدم غزيراً فوقها وبين قدميها.. وتخبط الثور الأسود يتشنج ثم همد فجأة بلا حراك وابتعد قرنه عن بعضهما لأول مرة.. وابتعدت عيناه لأول مرة، مسافة طويلة تفصل بينهما خمسة أشبار.. وبدا العظم واللحم ممرغين بالدم.. داخل الشق الذي فصل الرأس كالتفاحة. ظل عنق الثور سليماً.. وما بين المنخار وقمة الرأس كان الشرخ العميق الذي قسم الجبهة يلخص حياتها أمامها.. حياتها التي لم تكن الا شرخا انفتح فجأة.... ثم بدأ يتشقق أكثر.. وعلى مهل ..

ظلت عيناه مفتوحتين تحدقان فيها من زاويتين مختلفتين.... غاصت قدماها بالدم انها تغرق في هذا السائل الأحمر اللزج.. تغرق.. تغرق ...

آ.. آ.. وبدأ يعلو صوت ضحكاتها المجنونة.. وانطلقت كشبح مسعور في أزقة القرية تهمهم أحياناً.. تصرخ أحياناً... تغني أحياناً:

لقد كنتَ شرخاً

فلتكن أنت الثور العاشر.





•• وأحلام الجياع

بقلم: د. محمد نبهان سويلم

الإمام علي كرّم الله وجهه سبق الفكر العالمي المعاصر وفلاسفته وعلماء اجتماعه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، عندما أدان الفقر كأحد أخطر الأمراض الاجتماعية المتفشية في كل العصور، والإمام من خلال نظرته الثاقبة ورؤيته الشفافة وفهمه العريق للمشاكل الإنسانية.. استطاع بلورة جوهر المشكلة في كلمات حاسمة تحمل من المضمون ما تعجز عنه صفحات المجلدات وأمهات الكتب، ففي بساطة شديدة وفي كلمات موجزة صارمة، قال الإمام: «**لو كان الفقر رجلا لقتلته**»، وهي قولة صدق ومرادف حق، فالفقر بلا ريب بؤرة الخطر، ومنطلق الاغلال النفسي والخلقي والاجتماعي في كل المجتمعات إسلامية كانت أو غير إسلامية العقيدة.

إن قسوة الفقر وشدة الحاجة تبدو أول ما تبدو في عجز الإنسان على إكفاء نفسه وعائلته مغبة الجوع، حقيقة لا سبيل إلى نكران استطاعة الفقراء شراء قدر من طعام، لكن **من قال إن كل الطعام يصلح للتغذية السليمة**. فالآلة الإنسانية - إن صح التعبير - هي أعقد الآلات قاطبة إذا أعملنا إليها نظرة من زاوية الوقود أو الغذاء التي تستهلكه. **السيارة** مثلاً تحتاج إلى البنزين ولا سواه، **والطائرة** تستهلك نوعا محدداً من الوقود دون غيره.. وكل آلة اخترعت لها غذاؤها المنفرد، أما **الانسان** فإنه يحتاج إلى مائدة متنوعة، لا يشترط أن تكون مائدة حافلة عامرة بأطيب وأشهى المأكولات، لكنها على الأقل تحتوي على نوعيات مختلفة من الأطعمة حددها علماء التغذية وطالبوا كل الناس بتناولها يومياً بكميات معلومة، حتى يتمكن الإنسان من تأدية وظائفه الحيوية بما يتناسب مع نوعه.. وعمره.. وعمله الذي يؤديه.

ويفترض **علماء التغذية** احتواء الوجبات الصحية على مواد **الكربوهيدرات** مثل النشويات وذلك لامداد الجسم بالطاقة الحرارية اللازمة، كما يجب احتواء الوجبات على **الدهون والزيوت** كذلك تحتوي على **البروتينات** مثل اللحوم والبيض واللبن حتى يتمكن الجسم من بناء خلاياه الحية، كل ذلك إلى جانب **الماء والفيتامينات والأملاح المعدنية**.

وقد استطاعت بعض الدول تحقيق إكفاء مواطنيها من الغذاء الصحي، بينما حالت ظروف وعوامل متعددة دون تحقيق ذلك الهدف في دول أخرى، وتداعت الأمور فيها لدرجة أوصلتها إلى حافة الجوع وأحياناً إلى قلب المجاعات، بحيث لا يتعدى غذاء كثير أو معظم مواطني هذه الدول.. بعضاً من النشويات والحبوب.

إن العالم على هذه الصورة انقسم إلى النقيضين، **شبعى متخمين من الطعام، وجوعى يتضورون جوعا**.. ولا يندى جبين الإنسانية اليوم - للأسف - من تعاظم أعداد الجائعين يوماً تلو الآخر وسنة بعد سنة، وكأنه لا بارقة أمل في إنهاء هذه الوصمة.

خطر الجوع على التوازن الاجتماعي

البطن الجائع.. لا يشك عاقل في ضحالته، ولا يسد رمق صاحبه، ولا يكفي متطلبات كيانه الإنساني على مواجهة الحياة.. يتحول صاحبه، بالضرورة والاجبار الذاتي، إلى إنسان عاجز عن التفكير السوي، وعن تقديم نوايا الخير على بوادر الشر، **فالغذاء ليس حاجة بيولوجية فقط - بل - أسلوب اجتماعي ينتظم به الفرد في عقد المجتمع**، ومتى تحققت احتياجات الإنسان الأساسية من الغذاء، فإن الإنسان يعمل وينتج ويمنح ويزاول أنشطته البشرية بكفاءة واقتدار. أما الجائع فلا يحمل على كتفيه وفي أم

رأسه سوى فكر شرس ، وعقل مشوش ، ولا يرى لـه في الحياة مـن هـدف سوى الحصول على الطعام مهما سلك من مسالك وعرة ، وطرق مـن سـبل خطرة . إن عقل الجائع وقلبه تغلفهما سحابة ضبابية من الحقد الأسود تحيط بهما أيما احاطة ، ولا يقدر على الفكاك منهـا ، لا يـرى إلا مـن خلالها ، ولا يتعامل مع مجتمعه إلا عبرها . . دائماً تسبق يـده عقلـه ممتـدة بـالاضرار والضرار . . سرقة . . قتل . . عنف . . لا تعقل ، وكيف السبيل إلى التعقـل وصرخات بطنه تطارده والصداع في رأسه يكاد يصم أذنيه .

ومأساة الجوع اليوم ليست محدودة الساحة ، بـل تنتشر في العـالم قـاطبة ، وتعمل على تغيير كثير من ركائز الإنسـانية الحميـدة ومعتقـداتها السـمحة وأخلاقياتها الراسخة . وتهب المأساة كرياح السموم . . تحيـل الجـوعى إلى عصف مأكول ، ويصرخ أهل الجوع في أهـل التخمـة . . لـكن لا مغيث ولا مجيب . . الكل في غيهم يعمهون .

سبب الجوع العالمي

إن سبب الجوع العالمي أمر ليس سهل التناول ، ويمكن وصفه أو الوصول إليه في كلمات موجزة ، بل الأسباب كثـيرة ومتشـابكة ومعقـدة الجـوانب والأطراف . وربما يقع الإنسان في حيرة من أمره عندما يتطلع إلى حـال الـدنيا وأحوال الجياع .

هل يرجع الأمر إلى سوء توزيع الموارد المتاحة أم إلى سفه الاستهلاك العالمي ؟

فليس من المقبول أو المنطقي في هذه الأيـام ، أن حـوالي ٦٨٪ مـن جملـة الإنتاج العالمي يستهلكها ترفاً ١٨٪ من سكان العـالم ، بينما ٨٢٪ مـن أهـل الأرض لا ينالون سوى ٣٢٪ من خير هذه الـدنيا . أهـذه هـي المشـكلة في نطاقها العام ، أم إنها في جوهرها عبارة عن محصلة الصراع غير المتكافىء بـين زيادة السكان وبين قدرة نفس هؤلاء السكان على الإنتـاج عـامة والإنتـاج الزراعي بصفة خاصة ؟ . . وبعدما فشلت الجهود في تحقيق نـوع مـن التـوازن بين عاملي الصراع طغت مشكلة الجوع ونقص الأغذية المتاحة ، وتحول العـالم من وفرة الغذاء إلى الندرة ثم ندرة الندرة ، بحيث تحـول فـائض الأغـذية إلى سلاح في يد من يمتلكونه أشد فتكاً من القنابل والنيران ومختلف الأسلحة .

وتقص علينا كتب تـاريخ الأحـداث الـكبرى في العـالم ، أن مشكلة الجوع ليست حديثة العهـد ، ولم تفـاجىء النـاس ، فقـد سبقتها مجاعات في سنوات متعددة ، لكن مشكلة اليوم سعت إلى العالم سعيا حثيثا حتى أحاطت بـالقوم فـأصابتهم بلبـاس الجـوع والخوف .

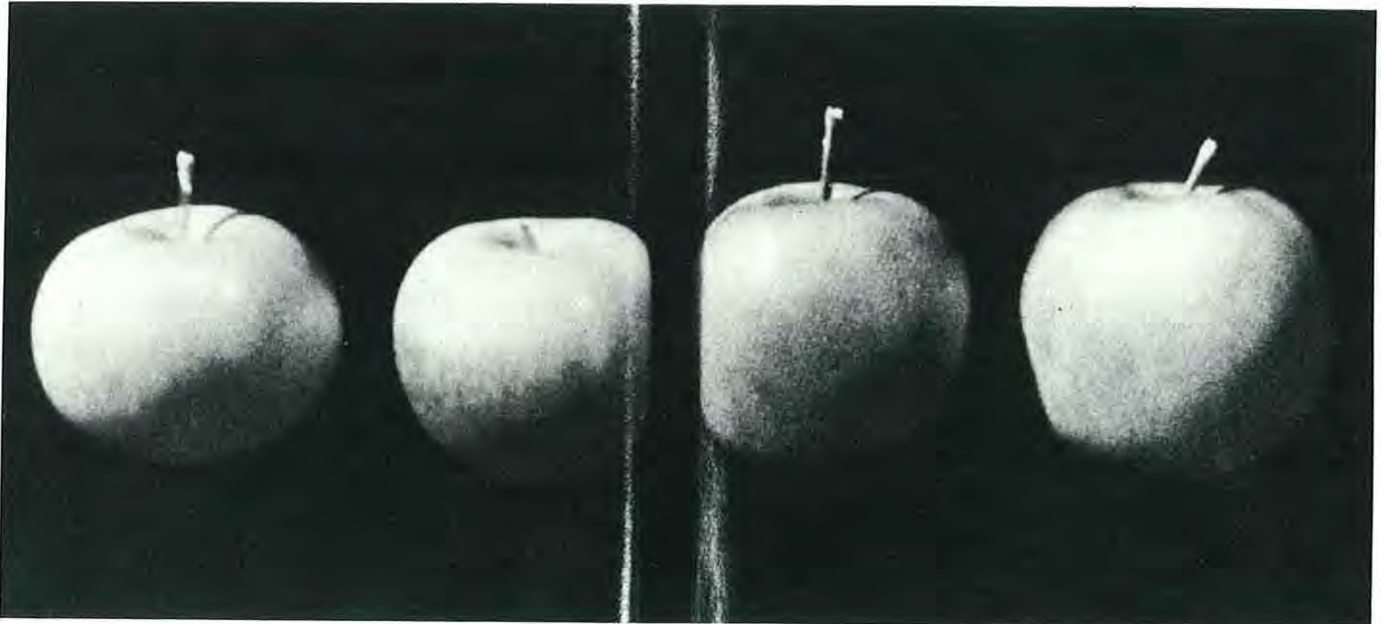
والحق يقال إن قدرة الانجاب تنطلق اليوم إلى مـداها بخطى مسرعـة مثلما تنطلق سيارات السباق ، بينما قدرة الإنتاج الـزراعي تسـير الهـوينا مثلما تسـير السلحفاة ، ومن هنا لا يجول بخاطر أي منـا أن هنـاك تـوازناً آت ، بـل على النقيض سيظل الجوع مسيطراً على دول كثـيرة لم تـكبح جمـاح تلك السـيارة المنطلقة على هواها حاملة على مقدمتها لافتة « مزيداً من الانجاب . . مزيداً من الجوع » .

والواقع أن البحث العلمي أثبت بما لا يدع مجالا لقول آخر أن معـدلات زيادة السكان تسعى على هيئة متـوالية هنـدسية تمثلهـا الأرقـام (٣٢/١٦/٨/٤/٢/١) ، بينما الإنتاجية الزراعية تتبع من تقدمها متوالية عـددية بسيطة بطيئة الحركة تمثلها عددياً (٦/٥/٤/٣/٢/١) ، ويبدو الفارق مريعاً بـين الترددين ، ومهما كان القارىء على درجة طيبـة مـن التفـاؤل ، فلـلأسف في الهندسة والرياضة لا تبالي الأرقام بحالات النفس الإنفعالية . . ومن ثم سـيظل الجوع مطلاً بوجهه المشوه طالما استمرأنا سير المعادلتين والمتواليتين .

وننتقل من المتواليات إلى الأرقام وتذكرنا الإحصائيات بـأن سكان العـالم عام ١٩٣٠ م ، لم يتجاوز ملياري نسـمة ، وفي عـام ١٩٦٠ م ، بلـغ إجمـالي السكان ٣,٥ مليارات نسمة ، وفي عام ١٩٧٥ م ، قفز العدد إلى حوالي ٤,٢ مليارات بزيادة ٧٧ مليون فرد عن تعداد عام ١٩٧٤ م ، **وينتظر أن يصل عدد سكان الأرض إلى ٧ مليارات نسمة في غضون عـام ٢٠٠٠ م .**

وتذكر إحصائيات منظمة الأغذية والزراعة التابعة للأمـم المتحدة أن عالم اليـوم لم يحرز تقدماً في الإنتاجية بنفس المعدلات كما أن الإحصائيات تضم بين دفاتها

★ استخدام هرمون الجبرالين في زيادة حجم ثمار التفاح ★



مفاجآت غير سارة . . وكيف يكون السرور وهناك ٤٥٠ مليون جائع ، وأكثر من ٢٠ ألف إنسان يموتون جوعاً كل يوم . . !!

جغرافية الجوعى وسبب جوعهم

يتفرد **العالم الثالث** دون غيره من بقاع العالم بكونه مركز الجوعى في العالم . فبينما استطاعت الدول المتقدمة السيطرة على معدلات الانجاب والانطلاق في الإنتاج مسلحة بالعلم والرغبة على التطوير في مجالي الزراعة والري . . اليابان مثلاً ، رفعت إنتاجية فدان الأرز من ١/٣ طن إلى ٦ أطنان ، دولة صغيرة أخرى في الشرق الأوسط ضاعفت إنتاجها الزراعي في خلال ٢٥ سنة ثماني مرات ، بينما في معظم دول العالم الثالث حدث العكس تماماً ، وأضحت المأساة تعزى إلى اعتماد هذه الدول على الدول المتقدمة لامدادها باحتياجاتها الغذائية .

والحال لم يكن على النحو السابق منذ بضع وثلاثين عاماً ، فقبل عام ١٩٤٠م تولت مزارع دول العالم الثالث امداد الدول المتقدمة بكل ما تحتاج إليه من حاصلات الحقول . ومنذ عام ١٩٤٨م ، تحولت موانىء التفريغ بالدول المتقدمة إلى مراكز شحن للأغذية والحبوب المصدرة إلى دول العالم الثالث ، ففي هذا العام حملت السفن حوالي ٤ ملايين طن من الأغذية ، وفي عام ١٩٦٤م تم شحن ٢٥ مليون طن ، وفي غضون عام ١٩٧٢م تعدى المصدر من الأغذية أكثر من ١٠٠ مليون طن ، مما دعى أحد المفكرين الأمريكيين إلى القول : «**لقد فقد العالم الثالث قدرته على تغذية نفسه**» .

ويبقى السؤال الوارد . . هل زيادة النسل هي أم الداء وسبب البلاء . . أم هناك عوامل أخرى تزكي نيران المأساة ؟ والاجابة نعم هناك أسباب نعرضها في تركيز شديد في النقاط التالية :

● تقلص الإنتاج الزراعي كرد فعل مباشر نجم عن تفتيت الملكية الزراعية ، وسوء وتخلف أساليب الزراعة المستخدمة مع ما صاحب ذلك من سوء تخزين الحاصلات . وقد قدرت بعض الإحصائيات جملة الفاقد من محصول الأرز في دول العالم الثالث ـ نتيجة سوء التخزين ـ بما يكفي تغذية سكان أميركا لمدة عام .

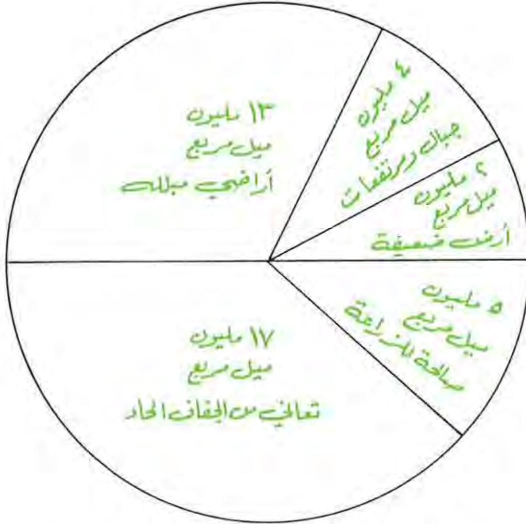
● استمرار مزارعي العالم الثالث في زراعة أنواع رديئة وسلالات سيئة من البذور مع تعرض المزروعات دواماً للآفات الزراعية والهجمات الحشرية .

● استهلاك غير اقتصادي لمياه الري مع تخلف شديد في وسائل الصرف .

● ترتب على زيادة السكان محاولة بعض الدول اللحاق بركب الصناعة على حساب الزراعة ، تحت دعوى تطوير البيئات الزراعية وتصنيعها . وقد استطاعت بعض دول العالم الثالث تحقيق الهدف من خلال خطة واضحة المعالم تهتم بالتفاصيل الدقيقة قدر اهتمامها بالخطوط العريضة ، لكن كثيراً من الدول فشلت في تحقيق الهدف ، وتحول الأمر إلى داء المظهرية ـ أنكى أمراض العالم الثالث ـ وأضحت المحصلة اعتداء سافراً على الأرض الزراعية واقامة مبان ومنشآت تصلح فقط في التصوير الدعائي . وقد صحب هذه المرحلة هجرة العمال الزراعيين وتركهم الحقول والمزارع ، وتحولوا إلى عمالة دون المدربة في مجالات الصناعة ، مما أثر على إنتاجية الأرض ، وأضحى العمال الجدد عبئاً ثقيلاً على الصناعة ذاتها ولم يحققوا شيئاً ذا بال . ويرجع سبب فشل هذه المشاريع إلى تطلع مخططيها إلى الأحلام أكثر من النظر إلى أرض الواقع ، وتوهمهم مقدرتهم على استعواض الأرض الذبيحة باستصلاح أراض جديدة من الصحراء ـ وهو أمر لا تقدر عليه دول كثيرة ـ ومن ثم تصاعدت أسعار المنتجات الزراعية .

● زحف الصحراء على الأراضي الزراعية في الدول النامية نتيجة عوامل جوية وطبيعية غير مواتية .

● ندرة الأراضي الزراعية عالمياً وعلى الأخص في دول العالم الثالث ، حيث تقع معظم دول العالم الثالث في مناطق صحراوية أو مرتفعة أو بعيدة عن مصادر المياه ، وشكل (١) يوضح توزيع الأرض الزراعية عالمياً .



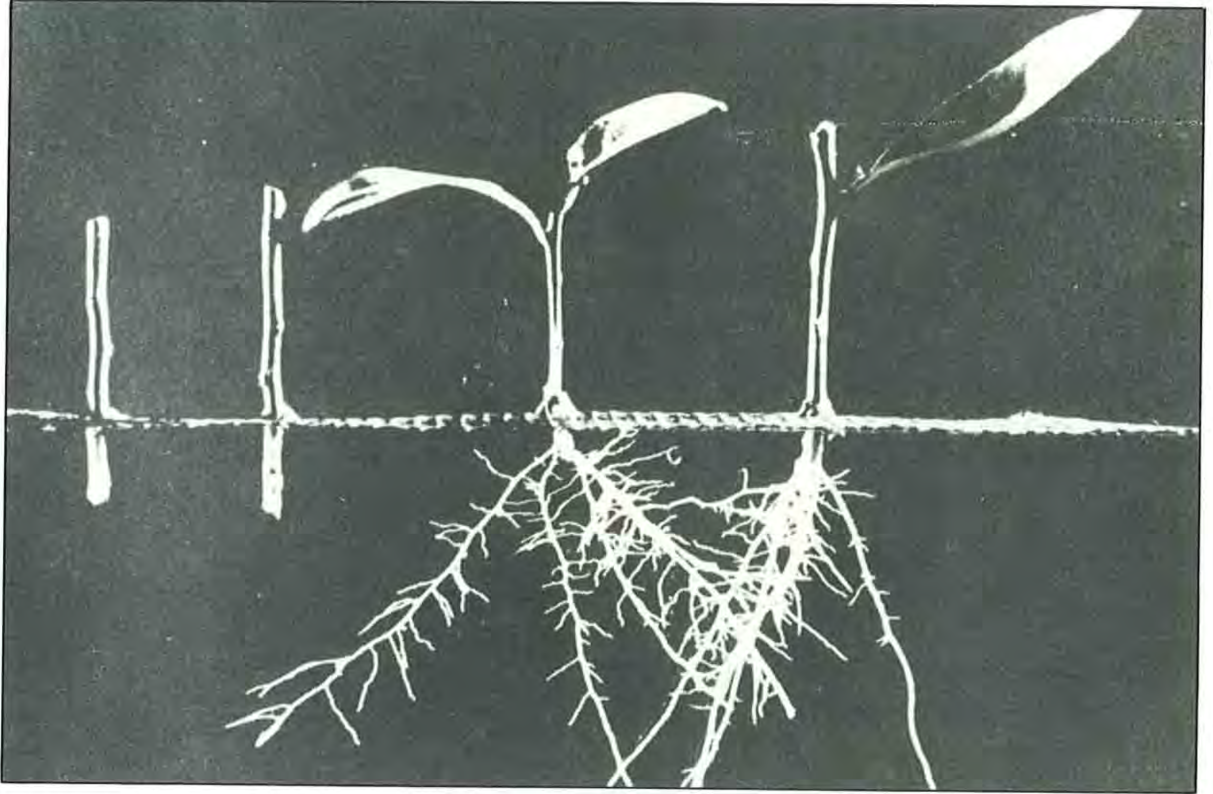
● مجموع ٤١ مليون ميل مربع من الأراضي تقع في المنطقة الحرارية التي تلائم الزراعة ●
شكل (١)

● نمطية الإنتاج الزراعي وعدم اقتحام مزارعي العالم الثالث مجالات جديدة أو صناعات زراعية برغم توصية منظمة الأغذية والزراعة بأنه يتحتم على دول العالم الثالث تغيير العادات الزراعية حتى يتقبل سكانها نوعيات جديدة من الحاصلات .

● كل العوامل السابقة بالإضافة إلى عوامل جديدة برز تأثيرها السيء في غضون السنوات الأخيرة ومن هذه العوامل **تلوث البيئة** ، وعن هذا يذكر المهندس **أحمد عبد الشافي البدوي** ـ في دراساته عن التلوث ـ أن اعتماد الزراع اعتماداً مكثفاً على الكيميائيات والمبيدات بالاضافة إلى التلوث المهاجر مع الهواء والماء ، كلها أثرت بشدة على إنتاجية المزارع والحقول .

إن حزام الجوع في العالم الثالث يجب كسر حدته مهما بذل من جهد ، فلا يكفي أن نمضغ القول الذي شاع يوماً بأن جوع العالم الثالث سيؤثر بشدة تأثيرات سيئة على رفاهية الدول المتقدمة ، ولهذا سوف تتسابق الدول المتقدمة على منح مزيد من المعونات والهبات الغذائية ، . . خيالات هذه أم دعوى الأحلام وأفكار الغيبوبة ، وما حدث يناقض تماماً ما تخيله القوم ، فقد أحكمت الدول المتقدمة قبضتها على حاصلاتها ، ورفعت من أسعارها ، واعتبرت فائض الغذاء قوة ضغط وسلاح ذو فاعلية في ردع من يعصي لهم أمراً .

ونحمد الله تعالى أن **الدول العربية** ـ والتي تقع في قلب العالم الثالث ـ لا تتخدر بمثل الدعاوى السابقة ، فالأمة العربية تحاول اليوم جاهدة زيادة



★ تجارب على الزراعة بدون تربة ونجاح الهرمونات في زيادة سريعة . إنماء : الجذور والأوراق ★

الرقعة الزراعية ، ففي **مصر** يخططون لاضافة أرض جديدة تقدر بحوالي مليونين وثمانمئة ألف فدان ، وفي **السودان** يمكن زراعة ٣٨٥ مليون فدان ، وفي **السعودية** تجري عمليات الاستصلاح على قدم وساق في مناطق **أبها وجيزان** وحول **المدينة المنورة** ، وفي **العراق** يمكن زراعة عدة ملايين من الأفدنة والارتقاء بالإنتاجية رأسياً في الأراضي الحالية ، وفي **ليبيا وتونس** تقام مشاريع زراعية كبيرة . وكفى القول إن ميزانية وزارات الزراعة العربية قفزت إلى أرقام فلكية . **فوزارة الزراعة بالمملكة العربية السعودية** مثلاً ، زاد الاعتماد المخصص لها من ١٤ مليون ريال عام ١٩٥٤ م ، إلى مليارين وأربعمائة مليون ريال عام ١٩٧٦ م .

لماذا نحتاج إلى الزراعة ؟

النبات هو مصدر الغذاء والكساء للإنسانية بكل شمولية المعنى . ومن أجل ذلك الهدف المنتظر خلق الله تعالى النبات متفوقاً على الإنسان والحيوان باستطاعة تكوين غذائه من عناصر بدائية ، مع خزن الفائض عن حاجته في مناطق مختلفة من جسمه مثل الجذور أو السيقان أو الأوراق أو البذور والثمار . ومن هذه المخازن يعد الإنسان أكله وينال الحيوان عليقته معطياً اللحم واللبن أو تقدم أعلافاً للدواجن فتربو لحماً وتنتج بيضاً ، ومنها أيضاً يستمد الإنسان البروتينات الحيوانية والدهون .

وتعتبر صناعة النبات للغذاء إعجازاً ما فاقه إعجاز آخر ، ولولا أنها صناعة تتم بقبس من روح الحق سبحانه لما صدقها العقل أو أجازها العلم برغم عجزه البالغ حيالها . . من يتصور أنها تبدأ من نفاية ـ نعم ـ نفاية الإنسان في زفراته ، ونفاية عوادم السيارات ، ونفاية غازات الاحتراق . . هذه النفاية يسميها العلم **غاز ثاني أوكسيد الكربون** ، يمتص النبات هذا الغاز وبفضل طاقة الشمس تبدأ الصناعة عندما يلتقي الغاز مع ما تمتصه الجذور من ماء الري ، وتبدأ العجائب والغرائب ، وهي لا تتم في مباني شاهقة أو تحت سقوف مصانع ضخمة . . بل وتتم من الأوراق أعجب تكنولوجيا في العالم .

هناك تلهو الخلايا الحية بالغاز والماء فإذا **بالسكر** يتكون ، ثم تزداد أعمالا في جزئياته فإذا بالسكر يصبح **نشا** ، وإذا تمادى النبات في غيه تحولت النشويات إلى ألياف مثل **القطن أو التيل** .

وبعض النباتات هواها العبث بغاز النيتروجين ـ اسأل عنه كل معارفك سوف يقولون عنه إنه غاز خامل حيَّر العلم وأهل الكيمياء سنوات وسنوات ـ فإذا بالنبات عندما يمتصه من التربة يدفعه إلى خلاياه الحية ، وهناك يتحرر من خموله ، ويطرح كسله جانباً ، وتندمج ذراته في تفاعلات مبهرة مع ذرات الكربون وعنصري الماء ، وتترسب البروتينات النباتية في تسلسل علمي مذهل لم يدرك العلم شأنه إلى اليوم .

وسبحان الخالق الأعظم قولا ﴿ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه أنظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذالكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

وهذا التنوع المبهر في الحاصلات الزراعية ما بين غذاء وكساء جعلت كثيراً من العلماء يقولون « إن النبات عماد حياتنا وحياة أولادنا وأسلافنا إلى ما شاء الله . . ربما يجد العلم أغذية صناعية أو بدائل غذائية لكن يبقى عطاء الخالق للإنسانية عبر النبات شيء لا يجارى ولا يقدره حق قدره إلا ذوو الإدراك السليم والإيمان المطلق ، لكن على الإنسان أن يعمل عقله ويبذل جهده في تطوير ورعاية ما وهبه الله لعل في ذلك مخرجاً للعالم من أزمته الطاحنة وابعاد شبح الجوع عن الناس ، وليس للتطوير من أدوات سوى أدوات العلم والعلم ينظر للزراعة » .

أولا : النبات يطلب الغذاء

النبات الجائع كالأم الهزيلة عندما تنجب تعطي وليداً معتل الصحة ، ضعيف البنيان ، كذلك النبات الجائع لا يحصد منه شيئاً يذكر ، أو محصولا يقدر ، ولا يدر عائداً ، ولا يطعم أفواهاً .

وصحة النبات وغذائه السليم دفعت العلماء لاقتحام الساحة ، ولم يعامل أهل العلم النبات باعتباره جماداً - كما تقيمه علوم النحو واللغة - بل نظروا إليه كطفل صغير ، وكائن حي ، يجب أن يحظى بالرعاية وأن يحاط بالعناية ، فإلى جانب التربة الصالحة يجب أن تقدم له وجبة غذائية غنية بعناصر معدنية لا يقل عددها عن ٦٠ عنصراً إلى جانب ماء الري .

وقد كشف العلم عن ثلاثة عناصر هي بالقطع الفرسان الثلاثة في الزراعة ، ما استجار بهم زارع إلا هبوا لنجدته ، واصلاح زراعته ، وتقويم نباتاته . والعناصر الثلاثة تتواجد في التربة الزراعية البكر ، ويستنزفها النبات دورة تلو الأخرى ، ويتحتم تعويض الأرض عنها . والفرسان الثلاثة هم عناصر **الفوسفور والنيتروجين والبوتاسيم** . وبدونهم لا تصلح زراعة ولا تنمو جذور إلا وهناً على وهن ، ولا نحصد ثماراً .

ويؤكد العلماء أن اختيار السماد المناسب - لظروف الأرض الطبيعية والظروف الجوية وحالة ونوعية المزروعات - يؤدي حتماً إلى رفع الإنتاجية بحوالي ٥٠٪ ، وإن أمكن بتحديد أدق للمتطلبات الغنية للسماد الارتقاء بالإنتاجية إلى ١٠٠٪ .

ثانيا : طرائق علمية في شؤون الري

وقفت مشكلة عدم توفر المياه الصالحة للري حجر عثرة حيال الامتداد الأخضر في العديد من دول العالم الثالث برغم وجود مساحات ممتدة من الأراضي الجيرية والرملية الصالحة لزراعة أنواع غير نمطية من المزروعات مثل البرسيم الحجازي دائم الخضرة ، ولو توفر الماء لصلحت هذه الأراضي ووفرت أعلاف للمواشي ، وبذلك تدخر الأرض الممتازة في إنتاج نباتات الغذاء والخيوط .

كذلك اكتشفت كثيراً من الدول - نتيجة دراسات التصوير الجوي بالأقمار الصناعية والتصوير الإشعاعي والحراري - توفر مساحات ممتدة من الأراضي الزراعية الجيدة ، ومن أجل استزراع هذه المساحات أحكمت الدراسات على توفير ما يمكن توفيره من الماء الصالح ، وجرت محاولات جادة لادخال النظرة العلمية على الري والصرف للمحافظة على كل قطرة ماء .

ولم يبخل العلم بالجهد واقترحت عديداً من البدائل منها **تحلية ماء البحر ، وهي طريقة عرفها العرب القدماء ومارسوها طويلا ، وعن هذا يقول سمو الأمير محمد الفيصل** ، في حديثه لمجلة **العربي** عدد ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٦م :

« لقد عرف العرب القدماء تحلية ماء البحر منذ فجر **الدولة الأموية** ، فقد جاء في مخطوطة بتاريخ **ابن عساكر** : كان **خالد بن يزيد عند عبد الملك بن مروان** فذكروا الماء ، فقال منه من في السماء ومنه ما يسقيه الغيم من البحر فيعد به الرعد والبرق ، فأما ما يكون من البحر فلا يكون له نبات ، وأما النبات فما كان من السماء . وقال إن شئت أعذبت ماء البحر . قال : **فأمر بقلال** من ماء **ثم وصف كيف يصنع به حتى يعذب** » .

وتحلية ماء البحر واستغلالها في الري طورها العلم تطوراً كبيراً ، وأضحت تكنولوجيا متقدمة تفرشها على أرضها اليوم عديد من دول العالم وفي مقدمتها **المملكة العربية السعودية** ، حيث ينشىء بها شبكة ضخمة من محطات التحلية تتكلف عدة بلايين من الريالات . وفي **مصر** تجرى الدراسات اللازمة لإنشاء محطة تحلية ضخمة لامداد الساحل الشمالي بماء الري اللازم لمشروعات الأمن الغذائي بهذه المنطقة في محاولات لمد الخضرة الدائمة على أراض قليلة الجودة .

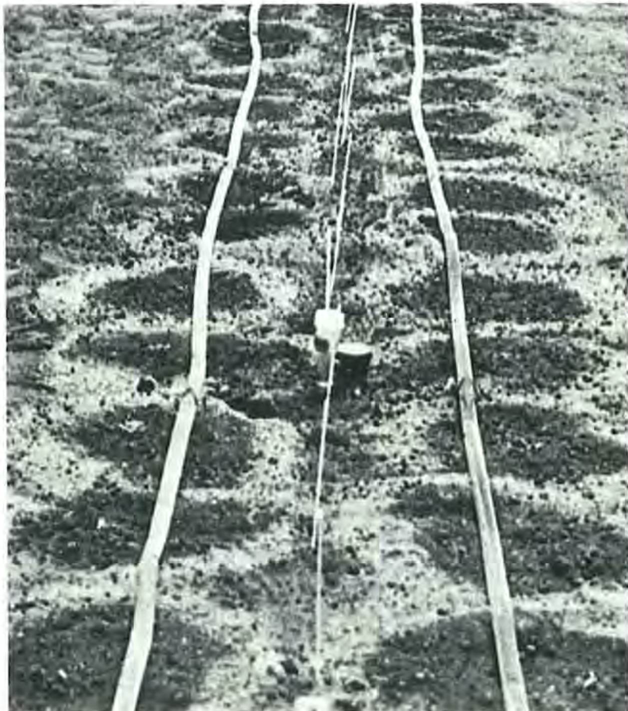
ومن أهم الحلول التي اكتشفها العلم بمحض الصدفة منذ حوالي ٤٠ سنة ، ثم شذبتها قوانين العلم وضوابطه وعرفت عالمياً بالري قطرة قطرة ، وبدأت دول كثيرة في تنفيذها على مساحات تجريبية في بادىء الأمر ، ثم اتسع نطاق التجارب وشملت ألوفاً من الأفدنة كما يتضح من الجدول التالي ، الذي استقيناه بتصرف عن مجلة العلم الأمريكية :

الدولة	المساحة في عام ١٩٧٥م	المحاصيل والزراعات القائمة
الولايات المتحدة	١٣٤,٠٠٠	الفواكه - الخضر - الليمون المكسرات
استراليا	٤٣,٠٠٠	الفواكه - الخضر - الليمون
جنوب إفريقيا	١٨,٠٠٠	الفواكه - الخضر - الليمون
المكسيك	١٤,٠٠٠	الفواكه - الخضر - الليمون الزيتون
إنجلترا	٤,٠٠٠	الخضروات - الزهور
فرنسا	٣,٠٠٠	الخضروات - الزهور
إيران	٢,٠٠٠	الزهور - الفواكه
الدول العربية★	—	—

★ لم تذكر الدول العربية في الجدول المنشور بالمجلة الأمريكية .

والري قطرة قطرة تتلخص فكرتها في تمديد مجموعات من الأنابيب

★ مزرعة تسق بطريقة ، قطرة - قطرة ★





★ تأثير بعض الهرمونات على سرعة إنماء نبات الفاصوليا ★



★ دائماً تنجح الهرمونات في زيادة النمو ★

البلاستيك على سطح الحقل ، ويتفرع من كل أنبوبة أنابيب فرعية تتوزع بانتظام تحت جذور النبات ، والشبكة تتصل جميعها بخزان رئيسي للماء ، حيث تنساب وتتساقط على هيئة قطرات صغيرة عند جذور النبات . وتقلل هذه الطريقة من الفاقد نتيجة البخر والتسرب بين حبات الثرى ، كما يعمل الانتشار الغشائي بين المنطقة المبللة والمنطقة الجافة حولها على طرد الأملاح الزائدة من حول الجذور . ويمكن إمداد النبات بالأسمدة بكميات محسوبة بدقة مع ضمان وصولها إلى الجذور مباشرة مما يحقق وفراً لا يستهان به . وأثبتت الدراسات زيادة الغلة الزراعية بحوالي ٣٠٪ عن نظيراتها التي تروى بالري التقليدي .

والري قطرة قطرة ذا جدوى طيبة عندما تقل مصادر المياه العذبة أو تضيق الرقعة الزراعية وعندما تتوافر الأراضي الجيرية والرملية .

وإن عاب الطريقة ارتفاع تكاليف المنشآت الثابتة واحتياج العاملين إلى تدريب مكثف حتى يمكن إدارة المزارع بالحدية الاقتصادية .

وليس **الري قطرة قطرة** الحل الأوحد فهناك **الري بالرش والري المركزي** وكلها حلول جاء بها العلم . . لكن ، هل سأل أحدنا نفسه وهو يقطع الطريق الساحلي بين جدة والمدينة المنورة ، أو يقف قبال شاطىء البحر بالإسكندرية . . من أين يرتوي هذا النبات الأخضر الملاصق لمياه البحر مباشرة . . وقد جرت الأعراف فيما تعلمناه على أن النبات لا يرتوي إلا بالماء القراح .

نفس الخاطر مر في عقل بعض علماء **جامعة كاليفورنيا** ، وقد صرح أحدهم يوماً بقوله : « إذا كشف الإنسان المحاصيل التي تتحمل المستوى العالي للملح فإنه بذلك يكشف عن فرصتين ذهبيتين للامداد بالغذاء ، **الأولى** إمكانية الري بماء البحر ، **والثانية** إمكانية استزراع الأراضي المالحة » . وكانت ومضة ذكية برقت في عقل الرجل فلم يتركها تمر ، وتفرغ **الدكتور ع . ايبشتين** لهذا الحلم تفرغاً كاملاً ، واستطاع استنباط ١٢ نوعاً من **الشعير** استطاعت أن تصمد في مواجهة الظروف الملحية الشديدة ، والشعير المستنبط هو حصيلة التجارب على ٦٠٠ نوع من الشعير تم استيرادها من كل أنحاء العالم .

وتشير النتائج المنشورة إلى نجاح محدود في زراعة الطماطم (البنادورة) ونجاح شبه مؤكد في زراعة القمح . . وبهذا فتح العلم باباً للري لينهل الإنسان من ماء البحر ما شاء ليروي زراعته الجديدة التي أفصدها العلم ، أضف إلى ذلك احتواء ماء البحر على عناصر التغذية اللازمة للنبات مثل **البوتاسيوم والكالسيوم والمغنسيوم والكبريت** وكثيراً من العناصر النادرة .

ثالثا : العلم والنبات ومحاولات جادة

والعلماء في جهدهم الدائب للكشف عن أسرار النبات بغية التحكم فيها لم يصابوا بالملل أو الكلل . . فقد اكتشفوا أن للنبات نوعاً من الضوابط الذاتية . وهي عبارة عن مجموعة من الكيميائيات الحيوية تأمر النبات بأن ينال غذاءه ، أو يبطل من التناول ، وأن ينمو ، أو يثمر ، وإلى أي حد تسمح هذه الكيميائيات للثمار بالنمو .

ومن النقطة الأخيرة بدأت أبحاث مضنية وشاقة وخرجوا على العالم بما يبهر ويأخذ بالعقول .

دائرة المعارف

فلسفية



أكاديمية :

مدرسة أنشأها **أفلاطون** عام ٣٨٧ ق . م . على أبواب المدينة ، في أبنية تطل على بستان **أكاديموس** ، فسميت لذلك بالأكاديمية . أما أكاديموس فهو اسم بطل إغريقي قديم ، صار علماً على هذا المكان ، ومن اسمه اشتقت هذه التسمية ، وأكاديمية أفلاطون قد يطلق عليها اسم الأكاديمية القديمة ، في مقابل الأكاديمية الجديدة التي أنشأها **أرقاسيلاس** .



براجماتية :

اصطلاح فلسفي يطلق على المذهب القائل بأن الحقيقة في صميم التجربة الإنسانية ، وأن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وأن صدق قضية ما هو في كونها مفيدة ، وأن الفكر في طبيعته غائي ، أي له غاية . ومعنى هذا أن التاريخ البرجماتي معناه الكشف بالاستناد إلى معرفة الماضي ، وكلمة براجماتية كلمة قديمة ومستعملة بمعان مختلفة ، إلا أنها تعرف الآن مقترنة باسم الفيلسوف الأمريكي **تشارلس ساندرز بيرس** رافع أسس المذهب البراجماتي .



تحصيل حاصل :

في المنطق . . غلط منطقي عبارة عن تكرار شيء واحد ، في صيغ مختلفة كأنها ترق للفكر ، وفي **المنطق الرياضي** ، جميع قضايا المنطق والرياضة تحصيل حاصل لأنها لا تنبىء بشيء أبداً عن العالم الخارجي ، وإنما هي وضع ما نعرضه في صياغة جديدة ، أو تكرار لفظ بما يساوي هذا اللفظ .



ثانوي :

هي الكيفيات الثانوية مثل اللون ، والصوت ، والرائحة ، والطعم ، في مقابل الكيفيات الأولية مثل المقدار ، والحركة ، والسكون .



جدل أو (ديالكتيك) :

يستمد اسمه من الفعل اليوناني الذي يعني «**يحاور**» وكان معناه في الأصل **فن** **الحوار** أو النقاش أو الجدال ، ويبدو أن **أرسطو** حينما قال إن **زينون الايلي** هو الذي ابتكر الجدل ، إنما كان يشير إلى مفارقات زينون التي دحضت بعض فروض خصومه ، بأن استخرجت منها نتائج لا يمكن التسليم بها ، لكن الجدل لم يطبق على نحو عام لأول مرة إلا على يدي **سقراط** ، ثم اخذ أشكالا أخرى عند كل من **أفلاطون وأرسطو** في العصر القديم ، ثم **كانط وهيجل** في العصر الحديث .



الحتمية :

تدعي الحتمية على وجه الإجمال ، أن كل حادثة أياً ما كانت ليست إلا حالة جزئية من حالات ينطبق عليها أحد قوانين الطبيعة ، وقد ظهر هذا اللفظ في **الفلسفة الألمانية** ، في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، حيث استخدم **كلود برنار** عام ١٨٦٥ م ، في كتابه المشهور «**مدخل إلى الطب التجريبي**» .



خير :

الخير بالجملة هو ما يتشوقه كل شيء ، ويتم به وجوده ، وقد يقال أيضاً خير لما كان نافعاً ومفيداً لكمالات الأشياء ، والخيرات منها ما هي شرفية ، ومنها ما هي ممدوحة ، ومنها ما هي بالقوة كذلك ، وما هي نافعة فيها ، وعند الفيلسوف الألماني **كانط** أن الخير ينقسم إلى طبيعي **محسوس** ، وخلقي **معقول** ، والخير الخلقي هو الخير الأعظم ، وهو يخلو من الإلزام بعكس الواجب .



ديكارت : رينيه

١٥٩٦ ـ ١٦٥٠ م ، فيلسوف فرنسي وعالم ورياضي ، استطاع بعبقريته الرياضية أن يعالج **الجذور السالبة** ، وأن ينسق مجموعة رموز الجبر ، وأن ينشىء الاحداثيات المعروفة باسمه . ابتكر **الهندسة التحليلية** ، ثم حاول تطبيق المنهج الرياضي على الفلسفة ، ورفض الأخذ بالتقليد الفلسفي المدرسي فأقام فلسفته على **الشك المنهجي** ، فشك في معارفه جميعاً ، حسية كانت أو عقلية ، لاحتمال أن يكون مخدوعاً فيها ، لكنه وجد أن ثمة شيئاً لا يقبل الشك ، وهو حقيقة كونه يشك ، ولو لم يكن يشك لما استطاع أن يكون موجوداً ، إذن فهو موجود لأنه يشك ، ولما كان الشك تفكيراً ، فهو موجود ، لأنه يفكر ، وبهذا انتهى ديكارت إلى عبارته المأثورة : «**أنا أفكر . . إذن فأنا موجود**» !



ذرائعية :

مذهب الذرائع أو الذرائعية ، وهو ضرب من البراجماتية ، اصطنعه الفيلسوف

الأمريكي **جون ديوي** للدلالة على أن المعرفة آلة أو وظيفة في خدمة مطالب الحياة ، وهذا ما عبر عنه جون ديوي بقوله : «إن المعرفة العقلية ضرب من الآلة ، لضبط الأشياء عندما تصادفنا عقبة من العقبات» .



الرازي :

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ، ولد **بالري** وتوفي عام ٩٢٣ ، أو ٩٣٢م ، ودرس العلوم والرياضة والطب والفلسفة ، وعني بدراسة المنطق ، وكان الرازي يعظم دراسة الطب وما يتصل بها من دراسات ، وهو يفضل النتائج العلمية القائمة على أساس التجارب ، لا تجارب الفرد الواحد فقط ، ولكن التجارب التي تضافرت عليها القرون ، يفضلها على نتائج الاستدلالات المنطقية التي هي وليدة العقل المحض .



زينون الايلي :

فيلسوف يوناني ، وأحد أتباع **بارمنيدس** ، ازدهر في اليونان حوالي ٤٥٠ ق . م ، ألف كتاباً دافع فيه عن الوجود الواحد الثابت الذي قال به أستاذه بارمنيدس ، وذلك بإظهار أن الكثرة والحركة تؤديان إلى نتائج متناقضة من الناحية المنطقية .



سفسطائية :

تطلق السفسطائية ، على معنيين ، **الأول** تلك الحركة الفكرية التي ازدهرت في بلاد اليونان عامة وفي أثينا بوجه خاص ، في خلال الخمسين سنة الأخيرة من القرن الخامس قبل الميلاد ، **والمعنى الثاني** ذلك النوع من الفلسفة القائمة على أقاويل لفظية خالية من الجد والرصانة . أما **السفسطائي** ويقال باليونانية «سفطيس» فمعناه الحرفي الرجل الحاذق أو البارع في أمر من الأمور ، ولكنه يطلق بشيء من الزراية على من كان دأبه أن يستعمل الأقاويل الخلابة والمغالطة في الكلام .

ومن بين السفسطائيين ذوي الأسماء المعروفة ، **بروتاجوراس ، وجورجياس ، وهبياس ، وبروديقوس ، وإيزوقراطس .**



شجرة فورفوريوس :

عند الفيلسوف اليوناني **فورفوريوس** والمناطقة الذين جاءوا بعده ، شكل يبين تبعية التصورات بعضها لبعض ، وعددها خمسة ، بينما هي عند **أرسطو** أربعة ، والخامس هو **النوع** ، ولم يكن أرسطو يعتبره واحداً من الكليات وإنما كان يعتبره الموضوع نفسه ، من حيث أن الأحكام العلمية صادرة على الأنواع لا على الأفراد ، والنوع لا يضاف للفرد مثل قولنا سقراط إنسان .



الصدق :

اهتم الفلاسفة أساساً بمسألتين خاصتين بالصدق ، **المسألة الأولى** تتعلق بمعنى كلمة «**صادق**» وتتعلق **المسألة الثانية** بالمعيار أو بالمعايير التي نستطيع بواسطتها أن نفصل في صدق العبارات أو بطلانها ، ولقد أخفق أغلب الفلاسفة في التمييز بين هاتين المسألتين ، وقدموا لإحداهما حلاً كان يمكن اعتباره حلاً للمسألة الثانية ، بيد أنه من اليسير أن نرى مثل هذا التمييز ، إذا وضعنا في اعتبارنا آراء فيلسوف رأى هذا التمييز ، وميز على أساسه ، وذلك هو **ف . س . شيلر** ، الذي ذهب إلى أن كلمة صادق في معناها هي لفظ تقييمي ، ولكنه باعتباره براجماتياً ذهب إلى أن المنفعة هي معيار الصدق .



ضد :

اصطلاح في المنطق ، والضدان كما جاء في تعريفات **الجرجاني** صفتان وجوديتان يتعاقبان في موضع واحد ، يستحيل اجتماعهما كالسواد والبياض ، والفرق بين الضدين والنقيضين أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان كالعدم والوجود ، والضدين لا يجتمعان ولكن يرتفعان كالسواد والبياض . والمتضادات عند أرسطو هي التي بعدها بعضها من بعض غاية البعد ، ويجمعهما جنس واحد .



طباع (علم) :

علم الطباع هو العلم الذي لا يقتصر على دراسة ما هو دائم في نفس الفرد ، وإنما يبحث كذلك في الطريقة التي يستفيد بها الفرد من استعداداته الفطرية ، ومن هذا الوجه ، يعتبر علم النفس الفردي لأدلر من أقسام علم الطباع ، هذا وعلم الطباع حسب تعريف **لوسين** ، هو العلم الذي يدرس الطبع من حيث هو مجموعة من الاستعدادات الفطرية التي تؤلف الهيكل النفسي للإنسان .



الظواهر (مذهب) :

يدل مذهب الظواهر بمعناه الواسع على الفلسفة الوصفية للخبرة ، واسم الفيلسوف الألماني **إدموند هوسرل** هو أكثر الأسماء ارتباطاً بهذا المصطلح في فكر القرن العشرين . ولقد عرف **ش . س . بيرس** النظام الوصفي الذي هو علم الظواهر ، ولكن علاقة ما لم تقم بينه وبين هوسرل كما أن هوسرل في علم الظواهر ، لا يمت تاريخياً إلى فكرة **هيجل** عن «**علم ظواهر الروح**» ومع ذلك ، فإن علم الظواهر بمعناه عند هوسرل مدين لكثيرين وخاصة **برنتانو وجيمس ، وديكارت ولينتبز وكانط.**



العقد الاجتماعي :

نظريات عدة تحاول أن تفسر واجب الولاء نحو القوانين ونحو السلطة المدنية ، وذلك بالرجوع إلى عقد أو عهد أو وعد بالطاعة يقدمه الفرد في مقابل المنافع التي يكتسبها من المجتمع المدني الذي يقوم بناء على ذلك التعاقد ، وهناك صيغ كثيرة مختلفة لنظرية العقد ، منها الصيغة التي لم يرض عنها **أفلاطون** ، والتي قدمها في الكتاب الثاني من الجمهورية ، أما الصيغ الحديثة الشهيرة فهي تلك التي قال بها **هوبز** في كتابه «لواياثان» **دلوك** في كتابه «رسالة ثانية في الحكومة المدينة» **ورسو** في كتابه «العقد الاجتماعي» .



الغزالي ، أبو حامد محمد :

(١٠٥٩ ـ ١١١١م) فقيه ومتكلم وفيلسوف ومصلح ديني واجتماعي ، ولد **بطوس** من أعمال **خراسان** ، ودرس علوم الفقهاء وعلم الكلام على إمام الحرمين ، وعلوم الفلاسفة وبخاصة **الفارابي وابن سينا** ، اشتغل بالتدريس في **المدرسة النظامية** ، وارتحل إلى بلاد كثيرة منها **دمشق وبيت المقدس والقاهرة ومكة والمدينة** . آثر علوم **الصوفية** فانقطع إلى العبادة وذكر الله ، كما أحيا علوم الدين إحياء يقوم على الكتاب والسنّة ، ودافع عن تعاليم الإسلام بحرارة وإيمان ، فلقب بحجة الإسلام وزين الدين وعالم العلماء ، له مصنفات كثيرة منها **علم الكلام** «إلجام العوام عن علم الكلام»

وفي **الفلسفة** «مقاصد الفلاسفة» و «تهافت الفلاسفة» وفي **التصوف** «إحياء علوم الدين» و «المنقذ من الضلال» .



الفارابي ، أبو نصر محمد :

(٨٧٠ - ٩٥٠م) سمي بالفارابي نسبة إلى فاراب ببلاد الترك ، وهو فيلسوف المسلمين ، وهو من كبار مترجمي الفلسفة اليونانية ، اتصل ببلاط **سيف الدولة الحمداني** وعمل لديه ، شرح كتب **أرسطو** المنطقية والطبيعية والأخلاقية ، فلقب **بالمعلم الثاني** ، ومن مؤلفاته «إحصاء العلوم» و «رسالة في معاني العقل» و «آراء أهل المدينة الفاضلة» و «الجمع بين رأيين الحكيمين .. أفلاطون وأرسطو» ، هذا وللفارابي كتاب الموسيقى الكبير ، الذي يعد أعظم مؤلف للعرب في الموسيقى .



قياس :

في المنطق ، قول مؤلف من أقوال ، إذا وضعت لزم عنها بذاتها لا بالعرض قول آخر غيرها اضطراراً ، فأهمية القياس تقوم في لزوم النتيجة من المقدمتين هذا اللزوم الضروري ، وقد دعاه أرسطو «سولوجسموس» أي الجامعة ، لجمع النتيجة بين المعنيين اللذين لم نكن نعلم إن كانا يتوافقان أم يتخالفان ، وقد ترجم اللفظة إلى العربية بلفظ **قياس** .



الكندي ، أبو يوسف يعقوب بن اسحق :

(٨٠١ - ٨٦٥م) نسبة إلى كندة من بني كهلان وبلادهم باليمن ، وهو **فيلسوف العرب** وأول من فلسف منهم ، أخذ بمذهب **المشائين** ، وتأثر بفلسفة **أرسطو** مصطبغة بالأفلاطونية الجديدة ، ولد **بالكوفة** وكان أبوه أميراً عليها ، ودرس في **البصرة وبغداد** علوم الدين واللغة والأدب ، بدأ حياته العقلية متكلماً ، وشارك المعتزلة بحوثهم في العدل والتوحيد ألم بعلوم الرياضيات والطبيعيات والفلك والطب والجغرافيا والموسيقى ، انصرف عن علوم الكلام إلى التفلسف النظري ، وكان أول من حاول التوفيق بين الفلسفة والدين ، وجمع في تصانيفه بين أصول الشرع وأصول المعقولات ، واتخذ من التأويل منهجاً للتوفيق بين العقل والنقل ، أو بين الحكمة والشريعة ، له مصنفات في علوم كثيرة ذكرها **ابن النديم والقفطي وابن أبي أصيبعة وابن نباته المصري** .



لوغوس أو الكلمة :

هرقليطس الفيلسوف اليوناني القديم ، كان أول من قال **باللوغوس** ، ويقصد به القانون الذاتي الضروري الذي بمقتضاه يحدث الدور التام أو السنة الكبرى ، واللوغوس في **الفلسفة الرواقية** يحوي جميع الأجسام وجميع بذور الأحياء منطوية بعضها على بعض ، أو كامنة بعضها في بعض ، بحيث أن كل حي مزيج كلي من ذريته جمعاء ، وعند ابن العربي أن الكلمة من الناحية الميتافيزيقية هي العقل الأول ، كما يفهمه **أفلاطون** أو العقل الكلي كما يفهمه **الرواقيون** ، أي إن الكلمة هي القوة العاقلة السارية في جميع أنحاء الكون .



مسكوية ، أبو علي بن مسكوية :

الفيلسوف والطبيب واللغوي والمؤرخ ، الذي توفي عام ١٠٣٠م ، وله مذهب فلسفي في الأخلاق ، هو مزيج من آراء **أفلاطون وأرسطو وجالينوس** بالإضافة إلى أحكام **الشريعة الاسلامية** ، ومؤدى مذهبه في الأخلاق أن الخير هو كمال الوجود ، وأن الإنسان إنما يسعد بخيريته إذا صدرت عن طبيعته الإنسانية الأصيلة ، ألا وهي العقل .

على أن الخير الأسمى لا يمكن تحققه على يد فرد واحد ، بل لا بد أن يتعاون في سبيله أفراد كثيرون ، ويترتب على هذا أن حب الإنسان للإنسان هو رأس الفضائل وأول الواجبات ، وعند ابن مسكوية **أن الشريعة الاسلامية لو فهمت فهما صحيحا لكانت أساسا خلقيا يعني حب الانسان للانسان** ، فالدين كله رياضة للنفوس على الحد من ذواتها في سبيل الآخرين .



نقدي (مذهب) :

النزعة النقدية في عمومها تفيد التساؤل عن قيمة أية قضية ، إما من حيث مضمونها فيسمى نقد باطني ، وإما من حيث مصدرها ومبدؤها فيسمى نقد خارجي ، أما المذهب النقدي في الفلسفة ، فهو المذهب الذي وضع أسسه الفيلسوف الألماني كانط ومؤداه أن الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة ، وهي المكان والزمان والمقولات .



هيولى أو مادة أولى :

لفظ مرادف للمادة ، وقد رد أرسطو الأشياء إلى مبدءين ، **الصورة والهيولى** ، فكل شيء هو جزء من المادة الأولية ، اكتسب صفات معينة حددت طبيعته ووظيفته وهي صورته ، والهيولى لا تكون أبداً بغير صورة ، إلا في التحليل العقلي ، وهي مستعدة لأن تكون أي شيء حسب الصورة التي تنعكس عليها ، ويعبر عن هذا بأن الهيولى تكون أي شيء بالقوة ، فإذا حلت بها صورة معينة ، أصبحت شيئاً معيناً بالفعل .



الوضعية المنطقية :

اسم أطلقه **بلومبرج وفايجل** عام ١٩٣١م ، على الحركة الفلسفية الصادرة عن **جماعة فيينا** ، ويستخدم هذا الاسم في كثير من الأحيان بمعنى غامض ، بصدد الحديث عن الفلسفة التحليلية عامة ، والأفضل أن يقتصر استخدامه للدلالة على معناه الأصلي ، حين يكون مرادفاً لما يسمى بالتجريبية المنطقية أو العملية .

وقد نشأت جماعة فيينا في أوائل العشرينات من هذا القرن ، بوصفها جماعة للمناقشة غير الرسمية بجامعة فيينا يرأسها **موريتس شليك** ، ومن أعضائها البارزين **رودولف كارناب ، وفردريك وايزمان ، وهربرت فايجل ، وأوتو فرانك ، وهانز هان** ، ومهما يكن من أمر فإن التأثير القوي المباشر يرجع إلى **فتجنشتين** الذي وإن لم يكن عضواً في الجماعة ، إلا أن كتابه «رسالة منطقية فلسفية» ١٩٣١م ، كان أكبر نصير لها ، كذلك كان كتاب شليك «المعرفة العامة» ١٩١٨ - ١٠٢٥م ، وكتاب كارناب «البناء المنطقي للعالم» ١٩٢٨م .



ياسبرز ، كارل :

(١٨٨٣ -) ، فيلسوف ألماني من أنصار الفلسفة الوجودية ، تدور فلسفته حول الفرد ، فهي ذاتية تهتم بالجانب اللامعقول ، وتبرز الفرق بين حقائق الواقع ، ومواقف الفرد وأفعاله ، بإزاء هذه الحقائق ، والحقيقة عند ياسبرز هي في محاولة الفرد تفسير خبراته ، وحرية الإنسان تتركز في القدرة النامية على تكوين أحكام أخلاقية ذاتية ، وعنده أن الحب أسمى تعبيرات الحياة ، والدين هو وسيلة القضاء على الشر وتحقيق الخير .

مناقشات و تعليقات

هل « الجن مخلوق مزعوم » ؟

هكذا قال الأب **لويس اليسوعي** مؤلف المعجم المعروف (**المنجد في اللغة**)[1] ، وهكذا أراد أن يفهمه الناس وأن يتجرعوا هذا المعنى وإن كانوا لا يستسيغونه ، وهكذا دس السم في الدسم . ولا أدري ما الذي دفعه إلى أن يقول قولته هذه ويدس من عندياته كلمة « مزعوم » في معجم لغوي صرف ليس هذا موضع بحثه ؟ ولا أدري أيضاً ما الذي دفعه دفعاً إلى انكار وجود الجان وهو مسيحي ؟ كما لا أدري ما الذي جعله بتفسيره هذا يجرح مئات الملايين من المسلمين في صميم معتقداتهم ؟

هلا كان ثقة في الرواية فينقلها عن المعاجم وكتب اللغة بأمانة وإخلاص ثم يعلق عليها بما شاء كما يشاء ؟

هلا كان عدلا في نقل معنى الجن فيرويه من مظانه بسنده ويثبته كما هو؟ ليته لم يقل « مخلوق مزعوم » . إن كلمة الزعم أكثر ما تستعمل فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب وهو القائل نفسه في « منجده » : « إن من قال كلاماً وكان عندهم كاذباً يقولون فيه (زعم فلان) » . وعلى هذا فصاحب المنجد يؤمن بأن الجن لا وجود له وإذا كان هو نفسه أو المسيحيون أنفسهم لا يرون أن الجن مخلوق من مخلوقات الله فليتبع قوله « مخلوق مزعوم » ، الذي زج به زجاً وأقحمه اقحاماً بسوء نية في معجم لغوي بحت بكلمة (كما أعتقد أو كما يعتقد المسيحيون) . أما أن يفرض عقيدته بالقوة على القارىء في كتاب لغوي ويجرعهم شرب المعنى الذي فرضه رغم مرارته وزيفه على أنه حقيقة لا ريب فيه فهذا تجني وزيغ وبهتان وامعان في التيه وعمه في الطغيان وتمادي في الضلال وايغال في العماية وتدفق في الباطل .

إن الجن مخلوق موجود بنص الكتب السماوية وبنص كتاب الله تعالى (القرآن العظيم) ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لقد آمن البعض من الجن برسالة **محمد سيد الوجود صلوات الله وسلامه عليه** وعلى آله ، واستمعوا إليه ، وهذا مما لا ريب فيه ، ولا يخالج المسلم فيه شك ولا ريب كما كفر الآخرون .

والجن في التعريفات الفقهية مخلوقات مجردة من المادة تمثل عالما بذاته يختلف عن عالم الانس ، وقد وردت كلمة الجن في القرآن الكريم في ٢٢ موضعا تضمنت أوصافهم وأحوالهم ، ويستدل منها على أن الجن مخلوقات مريدة ، منهم المؤمنون ومنهم الفاسقون ، وأن لهم قدرة على التشكل وأنهم يثابون ويعاقبون ، وأن الله قد أرسل النبي بشيراً ونذيراً إلى الإنس والجن على السواء ، وتشير بعض الآيات إلى صلة الجن بسيرة بعض الأنبياء لا سيما **نبي الله سليمان** ، الذي قيل إن الله تعالى منحه سلطاناً عليهم . قال تعالى : ﴿ **يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا** ﴾ ، وقال : ﴿ ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ﴾ .

عبد الله بن يحيي العلوي ـ القاهرة

هوامش

(١) المعجم المعروف المسمى بالمنجد في اللغة من احسن المعاجم تبويباً وتنسيقاً وتصويراً وتشكيلاً ، ولكن يؤسفنا جد الأسف أن نثبت هنا بأن المعجم دخلته معاني فاسدة بل ادخلت عليه بسوء قصد ونية سموم قاتلة الأمر الذي لو ترك المعجم وشأنه لأصيب الناشؤن من قرائه بانحراف في العقيدة ، ولو كان الأمر لحناً مطبعياً أو عن حسن نية ، وكان محصوراً في بضع كلمات لهان الأمر ، ولكنه لحن تعدد عن عمد . لقد تعمد واضعوا المنجد أن يضلوا وجهة الأمر وأن يستحكموا على القارىء كلامهم فتتجاذبه الظنون والشكوك .



مناقشات و تعليقات

مشكلة الغذاء

طرحت مجلة «**الفيصل**» في ندوتها في شهر شوال ١٣٩٧ هـ ، **مشكلة تناقص الغذاء** ، أو العجز فيه ، أو اضطراب موارده ، أو غفلة المسؤولين عن توفيره ، أو عجز القائمين على إنتاجه ، أو عدم توافر الوسائل العاملة على وفرته .

واشترك في الندوة أخصائيون علماء من شتى البلاد ، وقد عرضوا الوسائل التي من شأنها إذا توفرت ضمن كل منا غذاء وكساء **وبذلك أدوا رسالتهم ، نحو إخوتهم وأدت «الفيصل» رسالتها نحو المواطنين العرب .**

وإتماماً لهذه الرسالة ، وحتى لا تكون نتائجها هباء منثوراً أرى :

أن توجه «الفيصل» الدعوة إلى وزراء الزراعة في الدول الاسلامية ليجتمعوا في أي بلد عربي ، أو في مقر الجامعة العربية بالقاهرة ليضعوا الخطوط الواضحة العملية والسريعة للبدء في مشروعات الأمن الغذائي وتكون قراراتهم ملزمة لكل دولة .

فكل مشكلة تحل بالأعمال لا بالأقوال ، فإذا كانت الأقوال للعرض والتوضيح فيجب أن يتلوها العمل وإلا أصبحت أمورنا كلها تدور في بوتقة الأماني ، وهو ما نلمسه جميعاً في ندواتنا واجتماعاتنا .

إذا لم نعالجها علاج الطبيب للمريض فإذا نجح في اكتشاف مرضه ثم صرفه دون دواء أو علاج ، فقد خرج عن دائرة الأطباء إلى دائرة العابثين .

وعلاج مشكلة نقص الغذاء في عالمنا الإسلامي يخرجنا منها سالمين وضع الحلول العملية السريعة وسأعرضها كالتالي :

١ ـ تشترك الدول الاسلامية في إقامة مؤسسة تسمى مؤسسة الأمن الغذائي مهمتها :

ا) اصلاح الأراضي القابلة للزراعة في مصر والسودان والصومال واليمن والعراق وزراعتها بما يتناسب مع جودتها .

ب) يباع المحصول للبلاد المؤسسة تبعاً لحاجتها ، ويصدر الباقي .

ج) يجوز أن تمول المؤسسة أي مشروع زراعي في أي بلد شقيق على أن تحصل على جزء من المحصول تمد به البلد المحتاج إليه .

د) يجوز أن تنفرد كل دولة إسلامية بمشروعاتها الممولة من المؤسسة على أن يكون للمؤسسة نصيب من المحصول . **والمهم هو تأمين الغذاء للاخوة في عالمنا الاسلامي .**

٢ ـ حل آخر : تشتري **قطر** مثلاً أرضاً في **السودان** ، وتصلحها وتزرعها بما تشاء ، ويكون للسودان الحق في شراء جزء من المحصول ، وهكذا تفعل **السعودية ، والامارات والكويت .**

وكما فعلوا في السودان يفعلون في **مصر واليمن والصومال** لنضمن تنوعاً في المحصول .

٣ ـ ويجوز أن تنشأ شركات رأسمالها مشترك بين مصر والسعودية وبين الكويت والسودان ، وهكذا ويتفق على كيفية توزيع المحصول .

المهم أن نحرك الودائع العربية من مصارف العالم إلى مشروعات ناجحة تقينا مغبة أزمة جوعية مميتة لا شك في قربها ووقوعها .

٤ ـ تشتري المؤسسة سفناً للصيد مجالها الشواطىء العربية وتوزع حصيلتها على أنحاء الوطن .

٥ ـ تنشىء المؤسسة بحيرات صناعية **لتربية الأسماك .**

٦ ـ تلحق بمزارع المؤسسة **مصانع لتعليب الخضر والأسماك والفواكه واللحوم .**

٧ ـ تخصص مساحات واسعة لتربية سلالات جيدة من الماشية ، ومفرخات **للدواجن والبط والوز .**

٨ ـ تستعمل الوسائل الحديثة في أعمال الزراعة والري والتصنيع .

بهذا سوف نوفر الآتي :

قمحا من **سوريا** .. ذرة وقطناً وفولا وسكراً وزيتاً وبقولا من **السودان** .. موزاً وليموناً وجوز هند ومانجو وغيرها من **الصومال** .. خضراً وفاكهة وقطناً وسكراً وبقولا من **مصر** .. زيتوناً من دول **المغرب** .. فاكهة من **سوريا ولبنان والعراق** .. لحوماً من السودان .. سمكاً من كل الشواطىء العربية .. دواجن من مصر .

هذه أمثلة فقط ، إذ إن الوطن الإسلامي واسع الأطراف ، متعدد المحاصيل .

هذه عجالة .. وكل همنا منها أن نبدأ العمل السريع ، وأن ينشط الممولون إلى الدخول في الموضوع والبدء فوراً في العمل لتكون النتائج سريعة ، فيقبل من كان يحجم ، ونتخلص من داء الندوات إلى مجال العمل الجاد .

ولأني على عجل فلم أوف الموضوع حقه لأن خطورته تتطلب عناية أكثر وتركيزاً وإلماماً بعناصره وايضاحاً لمعمياته وتحذيراً من التهاون في علاجه .

فمعذرة ، فقد أشرت ورمزت وبلغت ، ومفتاح الأزمة في أيدي القادرين والحريصين على خير الأمة وهم والحمد لله كثيرون .

نبيه خليل البدراوي
سيدي بشر ـ بحري
ج ٠م ٠ع ٠

مع الأصدقاء

عن الأحساء

★ أود أن أرسل إليكم بعض المعلومات عن «الأحساء» التي تبعد ١٦ كم عن مدينة الهفوف، حتى أقرأ موضوعاً عنها في مجلتكم الغراء.

جاسم محمد القريع
الأحساء - السعودية

المجلة: شكراً لاهتمامك وسوف تقوم المجلة برحلة إلى «الأحساء» وتصوير معالمها في باب «مدينة وتاريخ» شأنها شأن مدن المملكة الأخرى ومدن الدول العربية والإسلامية أيضاً.

اقتراحات

★ دائرة المعارف على هذا الوضع غير مجدية فلو جعل في كل عدد حرفان لكان أفضل.

★ الاهتمام بالدراسات عن البيئة السعودية.

★ الاهتمام بالدليل السياحي كالخرائط مثلاً بالنسبة للمدن في باب «مدينة وتاريخ».

سعود العبد العزيز
القصيم - السعودية

المجلة: دائرة المعارف في سنتها الثانية تهم كل مرة بموضوع متخصص لا يمكن تقسيمه على أعداد متتالية.. ومن سياسة المجلة رفض مبدأ «التسلسل» حتى في الموضوعات والدراسات والأعمال الأدبية.. أما عن الموضوعات الخاصة بالبيئة السعودية فنعتقد أن المجلة تغطيها على التوالي.. ويبقى اقتراحك الخاص بإضافة الخرائط إلى باب «مدينة وتاريخ» وهو اقتراح مفيد وهذا ما اهتمت به فيما بعد كما تلاحظ.

ملاحظات

★ أرى أن تكون قسيمة المسابقة غير متصلة بالمجلة وأن تكون منفصلة.

★ لا أرى سبباً للسواد الكثيف الذي تكتب به بعض الكلمات والعناوين.

★ المجلة أفاضت في الدراسات الأدبية والتاريخية.

محمد السعيد مصيلحي
الدقهلية - مصر

المجلة: سوف ينظر في جعل القسيمة منفصلة.. ولكن كيف يمكن كتابة العناوين إن لم تكن باللون الأسود إلى جانب الألوان الأخرى؟!.. وكيف تكون مجلة ثقافية متخصصة إن لم تهتم بالموضوعات الأدبية والدراسات التاريخية؟!.. أما بعض الكلمات التي تقول إنها سوداء فهي ضرورة لابراز فكرة هامة أو عبارة قيمة أو جميلة، أو معلم من المعالم أو اسم علم من الأعلام.

زيارة للاردن

★ أستفسر عما إذا كنتم تنوون زيارة الأردن لتقديمها للقارىء العربي تاريخاً وحاضراً.. كما قمتم بزيارات عديدة لتونس وسورية ومصر وغيرها؟!

صالح أحمد أمين
إربد - الأردن

المجلة: سوف تقوم المجلة بالفعل وفي أقرب وقت بزيارة للاردن وتصوير معالم مدنها للكتابة عنها في باب «مدينة وتاريخ» واجراء لقاءات مع أدبائها وعلمائها.

ضوابط النقد العربي

★ ألا يمكن التوسع في مجال النقد الأدبي بالكتابة حول «ضوابط النقد العربي» حسماً للخلافات الدائرة حول هذا الموضوع والتي لا تسفر عن نتائج واضحة.

محمود الجميلي
الرشيد - سورية

المجلة: فيما يتعلق بموضوعات النقد الأدبي فالمجلة تهتم بنشرها باستمرار، ولكن ما المقصود بعبارة «ضوابط النقد العربي» نرجو تفسير ذلك.. ومع هذا فلا توجد أحكام قانونية أو شبيهة بتلك الأحكام القاطعة التي تنطبق على النقد، فهناك مدارس عديدة ووجهات نظر مختلفة وآراء قد تكون متناقضة ولكنها واردة في مجال النقد.. لأنها تختلف باختلاف ثقافات النقاد وأذواقهم وتفاوت هذه الثقافات والأذواق.

إعلانات وليست دعاية

★ أراكم في الفترة الأخيرة بدأتم تضعون الدعايات في داخل الصفحات وفي الصفحات الأخيرة، وأعتقد أن هذا ليس من حق مصمم الريبورتاجات خاصة أن الدعايات تجيء بعد المقالات وهذا لحرصي على المجلة وأهدافها.

شيخو بنهاده العلي
حلب - سورية

المجلة: إنها إعلانات وليست دعايات.. والإعلانات شيء ضروري ويكاد يكون أساسياً في الصحافة مجلات كانت أو صحف.. وبمقدار الإعلانات في صحيفة أو مجلة كثيراً ما يقاس نجاحها.. ومع هذا فنحن نتحفظ كثيراً في نشر نوعية الإعلانات.. ولا علاقة بين الإعلانات والمقالات ولا تناقض.. وشكراً على حرصك واهتمامك بالمجلة.

لا تنشر المسلسلات

★ لي اقتراح هو نشر قصة أو رواية طويلة مسلسلة كما تفعل بعض المجلات العربية الأخرى.

محسن نوح عبد ربه
القاهرة - مصر

المجلة: إننا لا نؤيد مبدأ نشر المسلسلات، حتى ولو كان ذلك بهدف ربط القارىء بالمجلة.. فالموضوع المستقل والدراسة المتكاملة والقصة القصيرة أو المسرحية القصيرة هي التي تناسب - في رأينا - المجلات الشهرية. أما الأعمال الطويلة فهي تصدر في كتب تستوعبها وتقدمها للقارىء وجبة واحدة دسمة.. فالفاصل الزمني بين عدد وآخر في مجلة شهرية لا يساعد على الربط.

طبيب خاص.. ومشاكل اجتماعية

★ أقترح تخصيص باب بعنوان «طبيب المجلة» يعنى بالرد على أسئلة القراء الطبية، وباب آخر بعنوان «مشاكل اجتماعية» لحل مشاكل القراء.

محمد حامد الغامري
الظهران - السعودية

المجلة: كما قلنا من قبل فإن المجلة ثقافية متخصصة وليس من سياستها أن تقدم مثل هذه الأبواب التي تعنى بها المجلات المتخصصة في مثل هذه الموضوعات أو المجلات الأسبوعية والصحف اليومية.. ومع ذلك فهناك باب في المجلة بعنوان «سؤال وجواب» نحاول أن نرد من خلاله على كل ما يصلنا من أسئلة جديرة بالرد.

أدباء الجاهلية

★ نرجو نشر موضوعات عن شعراء وأدباء الجاهلية مع قصائد من الشعر القديم، فهي جميلة ومشوقة.

يحيى السيد درويش
حلب - سورية

المجلة: إننا نهتم بالفعل بنشر موضوعات عن الأدب والشعر في الجاهلية ولعلك تلاحظ ذلك بانتظام في الباب الجديد «قصيدة وقصة» على سبيل المثال.. وغير ذلك من الدراسات المطولة.

عن اجابات المسابقة

★ هل تفرز الاجابات الصحيحة عن الاجابات الخطأ قبل اجراء القرعة عليها. أم أن الاجابات تخلط مع بعضها الصحيح منها والخطأ كما هي الطريقة المتبعة في التليفزيون وعند اجراء القرعة عليها إذا خرجت الاجابة الخطأ تلغى ويؤخذ غيرها حتى تكون القرعة على إحدى الاجابات الصحيحة وحينئذ تكون هي الفائزة بالجائزة الأولى، هل تتبع مجلة الفيصل هذه الطريقة أم لا مع شكري وتقديري.

لؤلؤة صالح العلي
مكة المكرمة - السعودية

المجلة: جميع الرسائل الخاصة بالمسابقة تفتح وتقرأ بعناية طالما وصلت في موعدها المحدد، ثم تفرز الرسائل التي تضم الاجابات الصحيحة، فإذا تساوت أكثر من رسالة في الحصول على أعلى الدرجات تجرى القرعة لاختيار الفائز الأول ثم الثاني وهكذا. نرجو أن تطمئني لدقة الفرز وموضوعية التقييم وسلامة القرعة.





رحلة خطوط الطيران السويسرية الإفتتاحية الرسمية، إلى جدة

خطوط الطيران السويسريّة تقرِّب بين أوائل المراكز الماليّة

في اليوم الخامس من ديسمبر عام ١٩٧٨ هبطت في مطار جده الدولي طائرة قادمة من سويسرا تقوم بالافتتاح الرسمي للخطوط الجوية السويسرية رابطة بذلك بين اعظم مركزين ماليين في العالم • وكانت الطائرة تقل ثمانية وعشرين من اعظم المشتغلين بالصناعة ومن رجال الاعمال في سويسرا ، ومن بينهم رئيس الخطوط الجوية السويسرية السيد "آرمين بالتنزوايلر •

وستقوم الخطوط الجوية السويسرية برحلتين كل اسبوع من جده الى زيورخ احداهما بدون توقف والاخرى عبر جنيف •

ففي كل يوم ثلاثاء سوف تطير من جده الى جنيف ثم الى زيورخ ، طائرة من طراز دى سي — ٨، وتقوم بالرحلة الثانية ، والتي ستكون بدون توقف ، طائرة ضخمة من طراز دى سي — ١٠ في يوم السبت من كل اسبوع (وستبدأ هذه الرحلة من دار السلام عاصمة تنزانيا) •

اما الرحلتان من زيورخ الى جده ، فستقوم بهما الطائرة من طراز دى سي — ٨ في يوم الاثنين من كل اسبوع ،والطائرة من طراز دى سي — ١٠ في يوم الخميس ثم تواصل الطائرة رحلتها الى دار السلام عاصمة تنزانيا •

وبهاتين الخدمتين الجويتين الجديدتين ، فضلا عن الخدمات الاسبوعية الثلاث الاخرى التي تربط بين الظهران وسويسرا ، تصبح هناك خمس رحلات اسبوعية تقوم بها الخطوط الجوية السوسرية الى المملكة العربية السعودية وتكون مدينة جده المحطه الثالثة والتسعين للطيران السوسرى الوطني •

وستؤدى هذه الخدمات الجوية الجارية بين المملكة العربية السعودية وسويسرا الى توثيق العلاقات بين الدولتين وخاصة في المجال الاقتصادى ذلك انها توفر لرجال الاعمال السعوديين اختيارا اوسع للرحلات الجوية بدون توقف الى قلب اوربا ومدنها الرئيسية ، ومن هناك الى جميع انحاء العالم ايضا •

وبمزيد من الاتصالات فانها توفر لاوربا والولايات المتحدة وجزء كبير من افريقيا ، طريقا اسهل الى المملكة العربية السعودية •

هذا وترعى مصالح "سويس اير" سواء فيما يتعلق بحجز التذاكر او تسهيلات اجراءات الاقلاع من المطار والهبوط فيه ، مؤسسة "الزومان" (اجنحة فالكون للسفر والسياحة) وقد افتتحت المؤسسة خصيصا لذلك ، مكتبا فاخرا للسفريات في شارع طريق المدينة شمالا (جده) يتولى خدمة العملاء وخاصة رجال الاعمال خدمة بالغة الكفاءة •

وللمزيد من المعلومات نرجو الاتصال هاتفيا بمؤسسة :اجنحة فالكون للسفر والسياحة.
تلفون : (جده) ٥٦٢٣٣ — ٥٦٢٣٤ — ٥٦٢٣٥ •

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال
ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية أخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

١ ـ أسئلة هذا العدد كلها من مجلة « الفيصل » .. وهي من السهولة بحيث يستطيع الاجابة عليها الذين تابعوا أعداد السنة الأولى من المجلة (١ ـ ١٢) . لهذا فإن قيمة الجائزة المقررة للمسابقة المقررة وقدرها عشرة آلاف ريال سعودي شهريا سوف توزع على عشرين من الفائزين الذين يجيبون على كل الأسئلة بحيث يحصل كل فائز على جائزة مالية قدرها (٥٠٠ خمسمائة ريال) وذلك رغبة منا في إعطاء الفرصة لأكبر عدد ممكن من القراء .. وهذا التغيير في توزيع قيمة الجائزة خاص بمسابقة هذا العدد فقط.

٢ ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :
(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

● **السؤال الأول :**

ماهي ألوان « قوس قزح » ؟

● **السؤال الثاني :**

أذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :

الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية ـ التاريخ القديم لمكة وبيت الله الكريم ـ الأوائل ـ البيان والتبيين . (العددالأول من هذه المجلة)

● **السؤال الثالث :**

أول معركة بحرية أحرز فيها المسلمون بقيادة عبدالله بن سعد بن أبي سرح النصر على البيزنطيين تحت قيادة قسطنطين الثاني ابن هرقل . . ما اسمها . . ومتى حدثت ؟

● **السؤال الرابع :**

عرفت المدينة المنورة تاريخياً بعدد من الأسماء . . أذكر خمسة منها . (العدد السادس)

● **السؤال الخامس :**

حركتا المد والجزر . . ما هما . . وما سببهما ؟ (العدد الرابع)

● **السؤال السادس :**

كيميائي . . وفيزيائي إنجليزي . . أول من أنشأ النظرية في الذرة . . وضع قانون « النسبات المتعددة » في الكيمياء ، وقانون امتزاج الغازات في الفيزياء . . إليه ينسب مرض عمى الألوان « الدالتونيسم » . . من هو ؟

(نيوتن ـ جون دالتون ـ ڤاسكو دي جاما ـ بيرون) .

● **السؤال السابع :**

إحدى الغزوات الإسلامية . . لم يشترك فيها الرسول الكريم ﷺ . . اسمها ارتبط بعين ماء بالقرب من المدينة المنورة . . كانت الغزوة بقيادة عمرو بن العاص بعد إسلامه ، قاتل فيها المشركون من قبيلتي « بلي » ، و« عدرة » . . ما اسم هذه الغزوة ؟ (العدد الثاني)

● **السؤال الثامن :**

مشترع أثيني (نهاية القرن السابع ق . م) ، سن القوانين الأولى للمدنية . . اتصفت تشريعاته بالقسوة . . من هو ؟

● **السؤال التاسع :**

أقدم كتابة عربية في التاريخ بالخط المسند اليمني وصلت إلينا في ثلاثة أنواع من نقوش متقاربة عثر عليها ما بين المنطقة الممتدة من دمشق إلى العلا . . أذكر هذه الأنواع الثلاثة . (العدد الثالث)

● **السؤال العاشر :**

ما هي الأسماء الحقيقية لأصحاب الألقاب التالية :

زرقاء اليمامة ـ ذو الإصبع العدواني ـ ذو القرنين ـ الحيص بيص ـ الدارقطني .



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل ● العدد ٢٠ ●	**الإسم :** -- **المهنة :** -- **العنوان :** -- --

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

البلد	السعر
المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

في أوربا.. وأمريكا.. وآسيا

البلد	السعر
بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرلينيا
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات المانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الامريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	١٠ روبيات

الإعلانات :
يتفق عليها
مع الإدارة

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ " "
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض